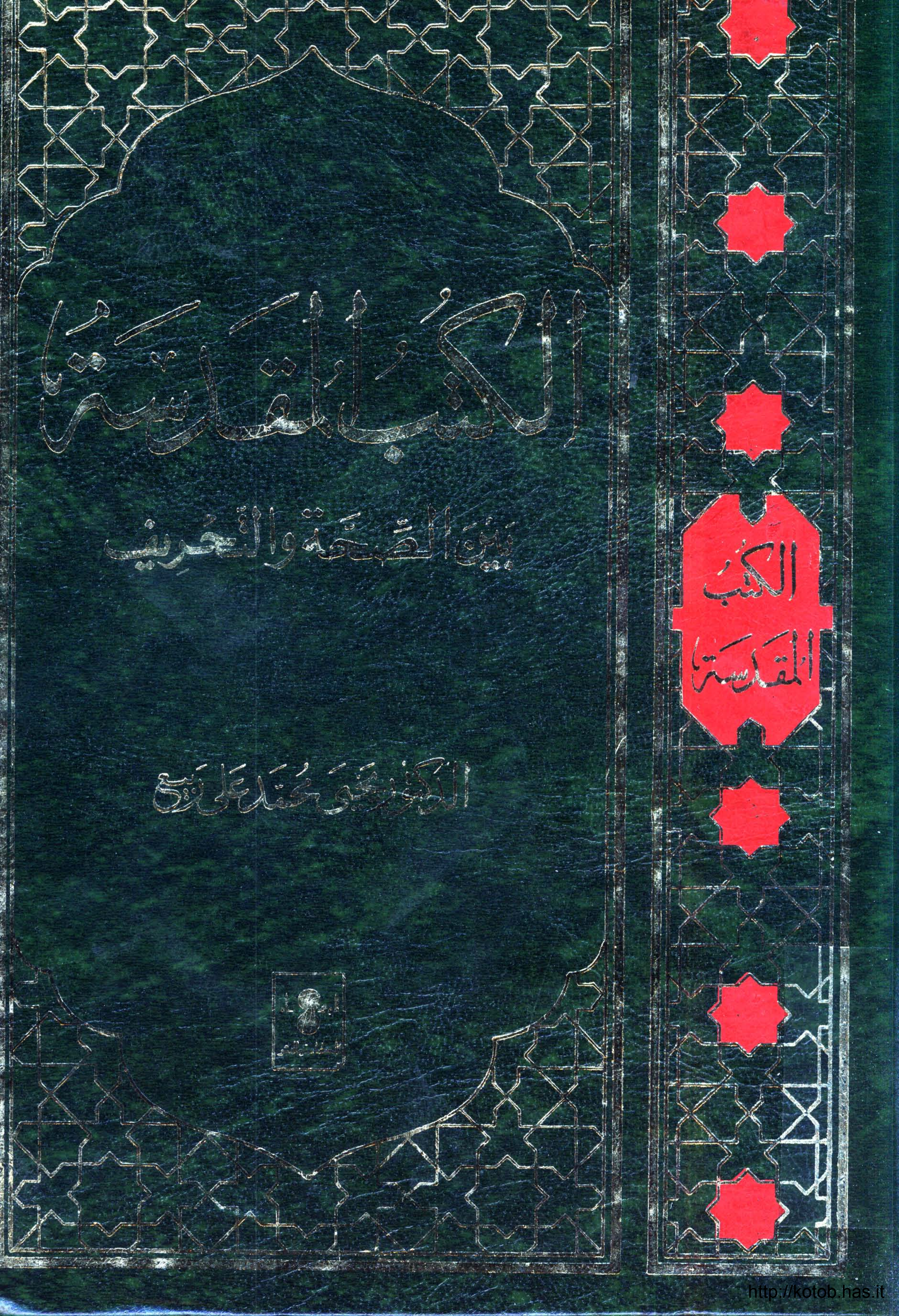
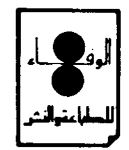


الكتب المقدسة
بين الصحة والتحريف
الدكتور يحيى محمد علي ربيع
الكتب المقدسة
http://kotob.has.it

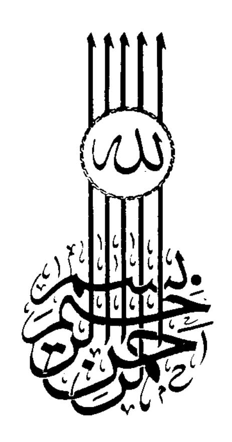
الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م
الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤٢٧٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠
المكتبة : أمام كلية الطب ت: ٣٤٧٤٢٣ ص ب : ٢٣٠ فاكس ٣٥٩٧٧٨



الدكتور يحيى محمد علي ربيع



إهــداء

إلى التى قادت السفينة ـ بعد رحيل ربانها ـ فوصلت بها إلى شاطئ الأمان .

إلى التى تركتنى وإخوتى لنقاوم معترك الأمواج وعواصف الرياح .

إلى التى سلبت روحى وقلبى وعقلى عند رحيلها .

إلى العقل الكبير ... والقلب الطاهر ... والحنان الفطرى .

إلى رفات أمى الزكى .

على استحياء ... أهدى هذه الرسالة .

شكر وعرفان

شكرى وتقديرى للوالد الكريم : الذى تسلم الأمانة ونلتُ شرف إشرافه على رسالتى فجاءت ببصماتها الأخيرة ثمرة يانعة ؛ لجهده المشكور ... فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله الشاذلى.

وأشكر المدير الفاضل الذى كان له فضل كبير فى تعديل عنوان هذه الرسالة بدء تسجيلها شيخى : الأستاذ الدكتور : جودة المهدى .

وأشكر الأستاذ الدكتور : عبد المعطى بيومى لقبوله مناقشة هذه الرسالة ، إنه شرف كبير لى .

ولعل ما سمعته عنه من غزارة علمه وحسن خلقه جعلنى تواقا لمعرفة ملاحظاته والإفادة منها .

شكرى العميق للرجل الذى وضع أصول هذه الرسالة لكنه سافر قبل أن يرى ثمرة جهده وحصاد غرسه الأستاذ الدكتور : يحيى هاشم .

مقدمة

الحمد لله المتصف بكل كمال ، المنزه عن كل نقص ، أنزل التوراة والإنجيل هدى ونورا، وأنزل الفرقان مصدقا لما بين يديه من الكتاب، ومهيمنا عليه .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ الذى أرسله الله تعالى ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، فكان الناس ـ ولا يزالون ـ يهتدون به إليه ، ولولاه لبقى الناس يغطون فى نوم عميق ، ويتخبطون فى ليل بهيم .

اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار، ومن سلك طريقهم إلى يوم القرار .

وبعد :

فمنذ أن نذرنى والدى ـ عليه رحمة الله تعالى ـ للعلم وأنا شغوف بالاطلاع على علوم الدين، وبخاصة علم مقارنة الأديان ؛ لما فى الموازنة بين الأمور المتباينة، والمقارنة بين الأشياء المختلفة من مسحة عقلية خالصة .

والواقع الذى يعيشه الإنسان اليوم ، وبخاصة إن كان مسلما أو مسيحيا أو يهوديا باعتبار أن أديانهم هى التى تستحوذ على الجم الغفير من البشر ، يجعله يبحث فى أصول هذه الأديان .

والدراسات فى هذا الموضوع كثيرة لكنها متعددة ومتنوعة، فهناك من يقارن بين العقائد ، وهناك بحوث مقارنة حول الشرائع ، وهناك غير ذلك من البحوث التى تتناول موضوعًا بين الديانات الثلاث .

لكننى وجدت أن تلك الموضوعات ماهى إلا فروع لأصل واحد، وماهى إلا ترجمة

عملية لتعاليم تتلى ، فمن الحق أن نقول : إن لكل دين محوره الذى يدور حوله ، ومركزه الذى يرتكز عليه وهو الكتاب أو النص ، فعليه يدور أمر الدين كله.

ولهذا وجدت أن الدراسة عندما تكون حول هذا الأصل تكون أجدى وأنفع، ويكون الباحث قد اجتث الشجرة الخبيثة من أصلها ، وأبقى على الشجرة الطيبة حتى يذهب الزبد جفاء ، ويمكث فى الأرض ماينفع الناس .

ولهذا سلطت الدراسة فى رسالتى « الماجستير » على « الكتاب المقدس » عند ذوى الديانات اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام ، لكن الكتاب نفسه بالنسبة لأى دين شيء كثير ، ومن الذى يستطيع أن يتناول كتابا يعتمد عليه دين من الأديان بالدراسة فى رسالة ماجستير أو دكتوراه؟ ولهذا قيدت الدراسة بالبحث حول مدى صحة هذا الكتاب ، ولهذا جاءت الرسالة بعنوان : « تحقيق مدى صحة الكتب المقدسة بين اليهودية والمسيحية والإسلام » .

ولما كان العنوان بهذا الشكل يدل على السعة والشمول ، استشرت فضيلة الأستاذ الدكتور المشرف،فأشار على بأن أحدد ما أقصد إلى دراسته فى المقدمة ، ولهذا فإن الدراسة ستتناول فى المقام الأول العهد القديم المقدس لدى اليهود ، والعهد الجديد المقدس لدى النصارى ، والقرآن الكريم المقدس لدينا نحن المسلمين .

وبالنسبة للعهد القديم ستكون الدراسة أشد تركيزا على مايسمى بالأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، وبالنسبة للعهد الجديد ستتركز على ما يسمى بالأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى .

ومنهجى فى الدراسة منهج نقدى ، وهذه الدراسة النقدية ذات شقين :

الأول : دراسة خارجية، تعمد إلى البحث حول صحة سند الكتاب ، وهل هو متصل الإسناد أو لا ؟

الثانى :دراسة داخلية، تأتى من داخل الكتاب نفسه .

واستحوذ الشق الأول على الباب الأول ، وجعلته بعنوان : « السند » .

واستحوذ الشق الثانى على الباب الثانى ، وجعلته بعنوان : « الاتساق الذاتى » .

ولهذا جاءت الرسالة مشتملة على مقدمة ومدخل وبابين وخاتمة.

أما المقدمة ـ وهى التى نحن بصددها ـ فقد بينت فيها الأسباب التى حدت بى إلى

اختيار هذا الموضوع ، وهو ـ كما ذكرت ـ أن الكتاب المقدس بالنسبة لأية ديانة يعتبر القطب والمحور ، فإمّا أن تكون النسبة صحيحة ، وإما أن تكون زورا فينهدم كل ما بنى عليه ، كما أن من الأسباب ـ أيضا ـ التى حدت إلى اختيار هذا الموضوع هو أن الجدل بين المسلمين وغيرهم قد كثر واشتد فى القرنين الأخيرين ، واتخذ أشكالا عديدة ، من أهمها الطريقة الأكاديمية التى تستر فيها المستشرقون ، والمستشرقون هم رواد هذا الاتجاه، ولابد من مجابهتهم بنفس أسلحتهم ، وهدم نتائجهم بمقدماتهم أو العكس .

فالبحث فى هذه الموضوعات فى هذا الوقت بالذات له جديته وأهميته . وفيما يتعلق **بالمدخل** :فقد تناولت فيه تعريفا بالكتب المقدسة ومحتوياتها ، فجعلت للعهد القديم مبحثا أولا، وللعهد الجديد مبحثا ثانياً، وللقرآن الكريم مبحثا ثالثاً .

كما تناولت فيها موضوعا يعتبر ممهدا للدخول فى صلب الرسالة ، هو موضوع الوحى بين الأديان الثلاثة، واستخرجت حالات الوحى الرئيسة وطرقها وشروطها من القرآن ،كما قمت باستخراج الفروق بين الوحى عندهم والوحى عندنا .

والباب الأول:جعلته بعنوان: « السند » .

واشتمل هذا الباب على **ثلاثة فصول** :

تحدثت فى **الفصل الأول** : عن سند التوراة ، وبينت من خلال هذا الفصل أن التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام لاوجود لها ، وأن مايزعمونه اليوم أنه توراة ، منقطع السند تماما بنبى اللّه موسى ، فموسى لم يكتب التوراة الحالية ، ولم يملها على أحد .

وتحدثت فى **الفصل الثانى** :عن سند الإنجيل ، وبينت أيضا أن الإنجيل الذى أنزل على عيسى لاوجود له ، وأن الكتب التى تنسب إلى كل من متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا، ماهى إلاوجهات نظر تعبر عن أصحابها فقط لا عن دين نزل لأمة تدين به .

وفى **الفصل الثالث**: تناولت الحديث فيه عن كتاب اللّه تعالى ، وعن نزوله من السماء على قلب النبى ﷺ وتخصيصه لفئة من الصحابة لا يكتبون عنه سوى القرآن ، ثم اهتمام الصحابة بتلاوته وحفظه وتدبره آناء الليل وأطراف النهار، ثم تحدثت عن جمعه فى عهد أبى بكر وجمعه فى عهد عثمان رضى اللّه عنهم أجمعين ، ثم عرضت لأقوال غير المسلمين عن القرآن وشهادتهم له .

والباب الثانى : جعلته بعنوان: « الاتساق الذاتى » .

وأقصد بهذا العنوان أن الكتاب إذا كانت نسبته إلى الله حقيقية ينبغى أن تتسق نصوصه وتنسجم وتأتلف ، ولا يوجد بينها أدنى اختلاف أوتناقض ، وطبقت ذلك على الكتب الثلاثة ، فاشتمل هذا الباب على **ثلاثة فصول** :

تحدثت فى **الفصل الأول** :عن الاتساق الذاتى فيما يسمى بالتوراة عندهم ، وكانت النتيجة انعدام الاتساق الذاتى بها ؛حيث استخرجت منها عدة متناقضات .

وفى **الفصل الثانى** :تحدثت عن الاتساق الذاتى فى الأناجيل ، وماحدث فى التوراة حدث أيضا فى الأناجيل ، فقد انعدم الاتساق الذاتى بينهما ؛ وذلك لكثرة الاختلافات والاضطرابات بين نصوصها ،سواء كان فى الإنجيل الواحد أو بين أكثر من إنجيل ، حيث استخرجت من نصوص الأناجيل اختلافات ، وتناقضات عديدة .

وفى **الفصل الثالث**: دار الحديث فيه حول اتساق القرآن الكريم وأول نقطة تعرضت لها هى اتساق نسخ القرآن الكريم كله على وجه الأرض ، فلوجئت بنسخة منه من الشرق، وطابقتها على نسخة منه فى الغرب لوجدتهما ينطبقان تمام الانطباق ، وليس هناك حافظ أمين تختلف قراءته عن مصحف روجع مراجعة سليمة . إن هذا الاتساق بين النسخ كلها وبينها وبين حفاظه لايتوفر لأى كتاب على وجه الأرض غيرالقرآن ، وذلك لأن نسخ « الكتاب المقدس » تختلف فيما بينها اختلافاً بينا ، فهناك نسخ تزيد أسفارها عن نسخ أخرى ، وطبعات تختلف عباراتهاعن طبعات أخرى ، وقد أثبت أن التغيير فى النصوص عندهم ليس من المستحيلات ،بل هو أمر ممكن إذا اقتضت الضرورة ذلك .

كما تناولت فى ذلك الحديث عن الاتساق فى ترتيب القرآن الكريم، سواء كان ذلك الترتيب نزوليا أوترتيبا مصحفيا ، فلهذا اتساقه مع الأحداث والوقائع ، ولهذا اتساقه وانتظامه مع البناء القرآنى المتين الذى إذا نقلت منه كلمة ووضعت فى مكان آخر، لأدى إلى انهدام بناء شامخ ، اتسق حروفا وكلمات ، وانتظم لفظا ومعنى .

وأنهيت الحديث فى هذا الفصل حول شبهة وادعاء التناقض فى كتاب الله تعالى، وتحدثت عما يوهم ظاهره التناقض وهو فى الحقيقة ليس تناقضا .

وأننى إذ أتقدم بهذه الدراسة ، أسأل الله تعالى أن أكون قد قدمت شيئا إلى المكتبة الإسلامية، لعلها تسد فيها فراغا ؛ فلا شك أن الموضوع بهذا البناء وبهذه الموازنة بين الكتب الثلاثة يعتبر جديدا .

وإنى أعتبر هذه الدراسة محاولة يمكن أن تتبعها محاولات أخرى عندما يتكشف لغيرى مالم أعثر عليه .

ويسعدنى فى نهاية المطاف أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير ، وأن أنظر نظرة إكبار وإعجاب إلى أستاذى الكبير فضيلة الأستاذ الدكتور/عبد اللّٰه يوسف الشاذلى ـــ أستاذ العقيدة والفلسفة بالكلية ـ الذى كان لى الشرف العظيم بإشرافه على هذه الرسالة ،وهو معروف بيننا جميعاً بالدقة المتناهية فى الصياغة والتأليف ، وبالمتانة التى لانظيرلها فى وضع المنهج المحكم واختيار العناوين الدقيقة ، وقد قرأ الرسالة معى كلمة كلمة وحرفا حرفا وراجعها مراجعة دقيقة، وفتح لى قلبه ومكتبته ، وأفسح لى صدره ، فنهلت من علمه الرشيد ، ومن خلقه الحميد ، وكان لتوجيهاته ونصائحه السديدة الفضل الكبير .

ومهما قلت عنه ،فلن أقدره حق قدره ؛فإنه بالنسبة لى والد كريم قبل أن يكون لى أستاذا فاضلا ، وعندما تنضم الأبوة إلى الأستاذية ، والبنوة إلى التلمذة ، ترى علما يتقطر رحمة ، ومعرفة تغمرها سكينة ومودة .

فجزاه اللّٰه عن إخلاصه العميق للعلم ، وصدقه الوثيق فى حقل الدعوة خيرالجزاء ، والحمد للّٰه أولا وآخرا، وأسأله أن يتقبل منى هذا العمل خالصا لوجهه الكريم .

إنه نعم المولى ونعم النصير .

المبحث الأول

محتويات الكتب المقدسة بإيجاز

أولا : العهد القديم

الكتاب المقدس لدى النصارى يشمل التوراة والأناجيل ورسائل الرسل ، وتسمى التوراة « أسفارها الموسوية وغيرها كتب العهد القديم ، وتسمى الأناجيل ورسائل الرسل كتب العهد الجديد » (١) .

والذى يعنينا هنا هوالعهد القديم ، وقبل أن أذكر أسفار العهد القديم أقول : إن هذا الكتاب « يعرفون منه أخبار العالم فى عصوره الأولى ، وأجياله القديمة ، وشرائع اليهود الاجتماعية والدينية ، وتاريخ نشأتهم وحكوماتهم ، وحوادثهم ، والنبوات السابقة منذ هبوط الإنسان على هذه الأرض والبشارات بالنبيين اللاحقين ، وبالمسيح ، وفيها يجدون أدعية متوارثة تعين على أداء العبادات ، والقيام بالطقوس الدينية كمزامير داود » (٢) .

يقول الشيخ رحمت الله الهندى : « اعلم أنهم يقسمون هذه الأسفار إلى قسمين : قسم منها: يدعون أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى عليه السلام ، فمجموع الأسفار من القسم الأول يسمى بـ « العهد العتيق » والقسم الثانى : يسمى بالعهد الجديد ، ومجموع العهدين يسمى «بيبل» ، وهو لفظ يونانى بمعنى الكتاب. ثم ينقسم كل من العهدين إلى قسمين : قسم اتفق على صحته جمهور قدماء المسيحيين ، وقسم اختلفوا فيه ، أما القسم الأول من العهد العتيق فثمانية وثلاثون سفراً »(٣) .

وما اتفق عليه قدماؤهم هو مايعنينا فى هذا البحث ، وهو ماعليه طبعات الكتاب

---

(١) محاضرات فى النصرانية للشيخ محمد أبوزهرة ،دار الفكر العربى ــ لم يكتب عليه رقم الطبعة ـــ ص ٤٦ .

(٢) نفسه .

(٣) إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندى ، دار التراث العربى للطباعة والنشر ١٢٢٣ ــ١٣٠٨ هـ لم يكتب عليه رقم الطبعة ـــ جـ ١ص ٧٧ .

المقدس والأسفار الثمانية والثلاثون كما يلى :

١ ـ سفر التكوين .
٢ ـ سفر الخروج .
٣ ـ سفر الأحبار اللاويين .
٤ ـ سفر العدد
٥ ـ سفر الاستثناء .

« ومجموع هذه الأسفار الخمسة يسمى بالتوراة وهو لفظ عبرانى بمعنى :التعليم والشريعة، وقد يطلق على مجموع أسفار العهد القديم مجازاً » (١).

٦ــ سفر يوشع بن نون ، وهوفتى موسى عليه السلام .
٧ــ سفر القضاة .
٨ ـ سفر داعوث .
٩ــ سفر صموئيل الأول .
١٠ـ سفر صموئيل الثانى
١١ــ سفر الملوك الأول .
١٢ـ سفر الملوك الثانى .
١٣ــ السفر الأول من أخبار الأيام .
١٤ـ السفر الثانى من أخبار الأيام.
١٥ــ السفر الأول لعزرا .
١٦ ـ السفر الثانى لعزرا ويسمى سفر نحميا .
١٧ــ سفر أيوب .
١٨ـ الزبور ويسمى سفر المزامير.
١٩ــ أمثال سليمان
٢٠ـ سفر الجامعة .
٢١ــ سفر نشيد الإنشاد.
٢٢ـ سفر أشعياء .
٢٣ــ سفر أرمياء .
٢٤ـ مراثى أرمياء .
٢٥ـ سفر حزقيال .
٢٦ـ سفر دانيال .
٢٧ــ سفر هوشع .
٢٨ـ سفر يوئيل .
٢٩ــ سفر عاموس .
٣٠ ـ سفر عوبديا.
٣١ــ سفر يونان.
٣٢ ـ سفر ميخا.
٣٣ـ سفر ناحوم .
٣٤ ـ سفر حبقوق.
٣٥ـ سفر صفنيا .
٣٦ ـ سفر حجى .
٣٧ــ سفر زكريا .
٣٨ ـ سفر ملاخى .

---

(١) إظهار الحق ، جـ ١ ص ٧٧ .

هذه الأسفار التى رقمتها هى كما ذكرها الشيخ رحمت الله الهندى فى كتابه: «إظهار الحق» وبمراجعتها على نسخة الكتاب المقدس التى أعمل عليها والصادرة عن دار الكتاب المقدس بالقاهرة سنة ١٩٨٢ م ، تبين لى أن ما ذكره الشيخ من الأسفار وأسمائها مطابق تماما لنسخة الكتاب المقدس التى ذكرتها ، عدا ملاحظتين .

الأولى : أن نسخة الكتاب المقدس تزيد سفرا واحدا ، أى أن عدد أسفارها تسعة وثلاثون سفرا ، هذا السفر الزائد يطلق عليه سفر أستير ، وهو السفر السابع عشر فى الكتاب المقدس (١) .

الثانية : أن السفر السادس والذى ذكره الشيخ رحمت الله بأنه سفر يوشع بن نون ، ذكر فى الكتاب المقدس باسم يشوع ، والذى ينظر فى كتاب الشيخ رحمت الله صفحة ٧٧ يجد محقق الكتاب قد كتب فى الهامش عند ذكر هذا السفر هذا التعليق : « وفى ترجمة ١٩٧٠ ينطق هكذا : يشوع بن نون » .

ومما هو جدير بالذكر ما ذكره الشيخ رحمت الله الهندى عقب عرضه لعدد هذه الأسفار ، حيث يقول : « وهذه الأسفار الثمانية والثلاثون كانت مسلمة عند جمهور قدماء المسيحيين ، والسامريون لا يسلمون منها إلا بسبعة أسفار ، الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام . وسفر يشوع بن نون ، وسفر القضاة ، وتخالف نسخة توراتهم نسخة توراة اليهود » (٢) .

القسم الثانى وهو المختلف عليه عندهم :

« وأما القسم الثانى من العهد العتيق فتسعة أسفار :

١ ـ سفر أستير .
٢ ـ سفر باروخ .
٣ ـ جزء من سفر دانيال .
٤ ـ سفر طوبيا .
٥ ـ سفر يهوديت .
٦ ـ سفر وزدم « الحكمة » .
٧ ـ سفر إيكليزيا ستيكس « يشوع بن سيراخ » .
٨ ـ سفر المكابيين الأول .
٩ ـ سفر المكابيين الثانى» (٣) .

---

(١) يقول محقق كتاب إظهار الحق : « أسقط الشيخ سفر أستير وهو موجود فى ترجمة البروتستنت ١٩٧٠ التى هى مأخوذة رأسا من العبرانية ، وليس الشك فى سفر أستير كله بل فى إصحاحات منه وهى الإصحاح العاشر والحادى عشر والثانى عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر » ، انظر : هامش إظهار الحق ، ص ٧٩ .
(٢) إظهار الحق ، جـ ١ ص ٧٩ .
(٣) نفسه .

مم يتكون العهد القديم ؟

من العرض السابق لأسفار العهد القديم وعدد إصحاحات كل سفر، تبين لنا : أن العهد القديم يتكون من مجموعة أسفار لا تتساوى فى الطول وتختلف فى النوع . كتبت هذه الأسفارعلى مدى يربوعلى تسعة قرون وبلغات مختلفة واعتمادا على التراث المنقول شفويا ، وقدصححت وأكملت أكثرية هذه الأسفار بسبب الأحداث التى حدثت أو بسبب ضرورات خاصة ، وفى عصور متباعدة أحيانا (١) .

وهذا الكلام يتعلق بالدرجة الأولى بقضية سند هذه الكتب واتصاله أو انقطاعه ، وهو ما سيأتى إن شاء الله فى الباب الأول .

محتويات هذه الأسفار :

بقى الآن أن نعرف ما تحتويه أسفار العهد القديم ، ونرى أن صاحب كتاب : « دراسة الكتب المقدسة » يقسم هذه الأسفار تقسيما دقيقا حسب موضوع كل قسم ، فالقسم الأول: يضم التوراة أو أسفارموسى الخمسة، والقسم الثانى : يطلق عليه الكتب التاريخية، والقسم الثالث : الكتب النبوية ، والقسم الرابع : كتب الشعر والحكمة .

أولاً : أسفار موسى الخمسة « التوراة » :

التوراة هو الاسم السامى ، أما التعبير اليونانى فهو يعنى : مؤلفا يتكون من خمسة أجزاء هى :

التكوين ، والخروج ، وسفر اللاويين ، وسفر العدد ، وسفر التثنية ، وهى الأسفار التى كونت العناصر الخمسة الأولى لكتاب العهد القديم من تسعة وثلاثين مجلدا .

وتتناول هذه المجموعة من النصوص أصل الكون وحتى دخول الشعب اليهودى أرض كنعان ، الأرض الموعودة ، بعد الخروج من مصر ، وبالتحديد حتى موت موسى ، وتستخدم حكاية هذه الأحاديث كإطار لعرض التدابير الخاصة بالحياة الدينية والحياة الاجتماعية للشعب اليهودى ، ومن هنا جاء اسم التوراة أى الناموس (٢) .

---

(١) انظر : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف العلمية الحديثة لموريس بوكاى ، ص ٢٣ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٦ .

الكتب التاريخية :

وتتناول الكتب التاريخية تاريخ شعب اليـهود ، منذ دخوله أرض الميعاد ويحدد ذلك أحسن تقدير معـقول بنهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد ،حتى النفى إلى بابل ، فى القرن السادس قبل الميلاد (١) .

الكتب النبوية :

يجمع تحت هـذا الاسم وصايا مختلف الأنبيـاء الذين يحتوى العـهد القـديم عليهم ، باستثناء كبـار الأنبيـاء المشار إلى تعـاليمـهم فى كتب أخـرى مثل مـوسى وصموئيـل وإليا واليشع، وتغطى الكتب النبوية الفترة بين القرن الثامن والقرن الثانى قبل الميلاد (٢) .

كتب الشعر والحكمة :

وتكون كتب الشعـر والحكمة مجموعات تتـمتع بوحدة أدبية لا جدال فيـها ، وتحتل المزامير المقام الأول بين هذه المجموعات . إنها الصرح الشامخ فى الشعر العبرى ، وقد كتب داود عددا كبيراً منها وكتب البـاقى الكهنـة واللاويون، وموضوعـها المدائح والتضـرعات والتأملات .

فعلى سبـيل المثال : كانت المزاميـر طقوسية الطبع ، ونذكر أيـضا نشيد الأناشيـد فقد كانت أناشيد رمزية تنصب على الحب الإلهى فـوق كل شىء ، وسفر الأمثال ويتكون من مجموعة من أقوال سليمان وحكماء أخر فـى بلاطه ، وسفر الجامعة ويتحدث عن السعادة الدنيوية والحكمة (٣).

هذا التقـسيم بالتعريف السـابق والذى رأيناه عند موريس بوكاى ، محاولة لضم كل مجموعة من الأسفار حول موضوع واحد .

ولكننا نرى تقسيما آخر عند الإمام الجوينى فى كتابه : « شفاء الغليل » يذكر أن العهد القديم قسمان : الأول : التوراة ، وهى أسفارموسى الخمسة ، والثانى : أسفار الأنبياء .

إذن فما سـوى الأسفـارالخـمسـة ، يطلق عليها أسفارالأنبـياء ، ويذكرالسبب فى هذا فيقول :

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص ٣٦.

جاء إلى بنى إسرائيل بعد موسى أنبياء لم يكونوا على شريعة غير شريعة موسى ، وقد تركوا كتبا ـ أسفارا ـ تحمل تواريخ الأمة الإسرائيلية وبعض جيرانها وتنبؤات بالمستقبل ووصايا وإرشادات ، فضم الأحبار بعض هذه الأسفارإلى أسفار موسى الخمسة ، وسموها التوراة مجازا أو أسفار الأنبياء .

فالتقسيم الأول جاء حسب الموضوع ، والتقسيم الثانى جاء حسب المنزل عليه أوالذى ينسب إلى الكتابات .

لكن الجدير بالذكرأن أسفار الأنبياء مقدسة عند فرقة واحدة من اليهود وهم الفريسيون، كما هى مقدسة عند النصارى ، لكنها غيرمقدسة عند السامريين ولا عند الصدوقيين من العبرانيين (١) .

موضوع أسفار العهد القديم :

استن اليهود من أسفارهم تسعة وثلاثين سفرا ، أطلق عليها فى العصور المسيحية : اسم « العهد القديم » للتفرقة بينه وبين ما اعتمده المسيحيون من أسفارهم التى أطلقوا عليها « العهد الجديد » ، واعتبروا هذه الأسفار التسعة والثلاثين أسفاراً مقدسة موحى بها .

ويراد بكلمة العهد فى هاتين التسميتين : مايرادف نص الميثاق ، أى أن كلتا المجموعتين تمثل ميثاقا أخذه اللّه على الناس ، وارتبطوا به معه ، فأولاهما : تمثل ميثاقا قديما من عهد موسى ، والأخرى : تمثل ميثاقا جديدا من عهد عيسى ، وتنقسم أسفار العهد القديم **أربعة أقسام :**

القسم الأول : كتب موسى أوالأسفار الخمسة ، وهى : سفر التكوين ، وسفر الخروج، وسفر اللاويين ، وسفر العدد ، وسفر التثنية ، وتشتمل هذه الأسفار الخمسة على التوراة فى نظر اليهود (٢) .

أما سفر التكوين : فيقص تاريخ العالم من تكوين السموات والأرض ـ ومن ثم سمى سفر التكوين ـ إلى استقرار أولاد يعقوب أو إسرائيل فى أرض مصر ، مع تفصيل فى قصص آدم وحواء ونوح والطوفان ونسل سام .

---

(١) انظر : شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل للجوينى ص ١٤ .

(٢) انظر : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام للدكتورعلى عبد الواحد وافى ، دارنهضة مصر للطبع والنشر.

وأما سفر الخروج : فيعرض تاريخ بنى إسرائيل فى مصر ، وقصة رسالته وخروجه مع بنى إسرائيل ـ ومن ثم سمى سفر الخروج ـ وتاريخه فى أثناء مرحلة « التيه » التى قضوها فى صحراء سيناء ، واستغرقت أربعين عاما ، وبجانب هذه القصص يشتمل سفر الخروج على طائفة من أحكام الشريعة اليهودية فى العبادات والمعاملات والعقوبات .. وما إلى ذلك .

وأما سفر التثنية : فقد شغل معظمه بأحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب والسياسة وشئون الاقتصاد والمعاملات والعقوبات والعبادات ... وهلم جرا ، وسمى التثنية ؛ لأنه يعيد ذكر التعاليم التى تلقاها موسى من ربه وأمر بتبليغها إلى بنى إسرائيل .

وأما سفر اللاويين : فقد شغل معظمه بشئون العبادات ، وخاصة ما يتعلق منها بالأضحية والقرابين والمحرمات من الحيوانات والطيور . واللاويون : هم نسل « لاوى أو «ليفى » أحد أبناء يعقوب ، ومنهم موسى وهارون ، وكان اللاويون سدنة الهيكل ، والمشرفين على شئون المذابح والأضحية والقرابين ، والقوامين على شريعة اليهودية ، ومن ثم نسب إليهم هذا الكتاب الذى شغل معظمه بما يشرفون عليه من العبادات والمعاملات .

وأما سفر العدد : فقد شغل معظمه بإحصائيات عن قبائل بنى إسرائيل وجيوشهم وأموالهم وكثير مما يمكن إحصاؤه من شئونهم ومن ثم سمى سفر العدد ، وبأحكام تتعلق بطائفة من العبادات والمعاملات (١) .

والقسم الثانى : يسمى بالأسفار التاريخية وهى اثناعشر سفرا تعرض لتاريخ بنى إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين ، وبعد استقرارهم فى فلسطين ، وتفصل تاريخ قضاتهم وملوكهم وأيامهم والحوادث البارزة في شئونهم ، وهي : أسفار يوشع ، والقضاة وراعوث ، وصموئيل الأول والثانى ، والملوك الأول والثانى ، وأخبار الأيام الأول والثانى ، وعزرا ، ونحميا ، وأستير (٢) .

وتؤكد نبرة هذه الكتب على ما يمكن تسميته « بالواقع القومى » ، وتقدمه الكتب باعتباره تنفيذا لكلام « الله » والرواية لا تحفل بالدقة التاريخية .

فـ « سفر يسوع »على سبيل المثال يخضع قبل كل شيء لدوافع دينية ، ويشير الأستاذ « جاكوب » بهذه المناسبة إلى التناقض الصريح بين علم الآثار والنصوص فيما يتعلق

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ١٤ ، ١٥ .

بمايدعى بتدمير مدينتى « جيريكو » و « آى » .

ومحور « سفر القضاة » هو الدفاع عن الشعب المختار ضد الذين كانوا يحيطون به ، وإغاثة الرب له ، ولقد عُدِّل الكتاب مرات عديدة ؛ وذلك ما يشير إليه بموضوعية كبيرة الأب « لوفيفر » فى تمهيده لتوراة كراميون ، وتشهد بذلك المقدمات والحواشى المتداخلة . إن حكاية راعوث ترتبط بهذه الروايات فى سفر القضاة .

أما كتاب صمويل وكتاب الملوك فهما أساس مجموعات من السير تخص صمويل وطالوت ، وسليمان ، وقيمتهما التاريخية مشكوك فيها ، وبعد وجهة النظر هذه يجد «جاكوب » فى هذا الكتاب أخطاء متعددة ، فالحدث الواحد له روايات مزدوجة وحتى ثلاثية ، ويجد الأنبياء إليا ، ويوشع ، وأشعيا مكانهم فى هذه الروايات ، وبهذا تختلط الخطوط التاريخية بالأساطير .

إن الإصحاحين ـ الأول والثانى ـ من أخبار الأيام ، وكتب عزرا ونحميا تنتمى إلى كاتب واحد اسمه القصاص الذى عاش فى نهاية القرن الرابع ق . م ، وهو يتناول من جديد التاريخ برمته منذ الخلق وحتى هذا العصر ، على الرغم من أن الأنساب عنده تتوقف عند داود.الواقع أنه يستخدم فوق كل شىءكتاب صمويل وكتاب الملوك « بل هو ينسخهما آليا دون أن يهتم بالمتناقضات الناجمة عن هذا النسخ » (١) .

ويقول « موريس بوكاى » : « لقد انتقضت كتابى عزرا ونحميا بشدة ؛ لأنهما يمتلئان بالإبهام ولأنهما يتعلقان بعصر هو نفسه غير معروف ، ذلك لعدم وجود وثائق خارج الكتب المقدسة .

وتصنف كتب طوبيا ، وجوديت ، وأستير ، الكتب التاريخية ، وفيها تجاسر وتصرف شديدان إزاء التاريخ ، ففيها تغيير لأسماء الأعلام ، واختراع الشخصيات والأحداث وكل هذا بنية دينية طيبة .

الواقع أن هذه الكتب تحتوى على حكايات أخلاقية لذعة محشوة بالأخطاء التاريخية، وبأمور مستبعدة تاريخيا .

---

(١) دراسة الكتب المقدسة ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

أما كتاب المكابيين فيختلفان تماما ، إذ يعطيان أحداث القرن الثانى قبل الميلاد رواية صحيحة بأكبر قدر ممكن عن تاريخ ذلك العصر وهى بهذا الشكل شهادات قيمة .

إذن فمجموع الكتب المسماة بالتاريخية شديدة التباين ، والتاريخ فيها معالج بشكل علمى بمثل ما هو معالج بشكل وهمى » [1] .

والقسم الثالث : يسمى بأسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية ، وهى أناشيد ومواعظ معظمها دينى ، مؤلفة تأليفا سفريا فى أساليب بليغة ، وعدده خمسة أسفار ، وهى : سفر أيوب ، ومزامير داود ، وأمثال سليمان ، وسفر الجامعة ، ونشيد الأناشيد لسليمان [2] .

والقسم الرابع : ويسمى بأسفار الأنبياء أو الكتب النبوية وعددها سبعة عشر سفرا ، وهى أسفار أشعياء ، وأرمياء ، ومراثى أرمياء ، وحزقيال ، ودانيال ، وهوشع ، ويوئيل ، وعاموس ، وعوبديا ، ويونس أو يونان ، وميخا ، وناحوم ، وحبقوق ، وصفنيا ، وحجى ، وزكريا ، وملاخى أو ملاخيا [3] .

وهذه يطلق عليها الكتب النبوية ، ويجمع تحت هذا الاسم وصايا مختلف الأنبياء الذين يحتوى العهد القديم عليهم استثناء كبار الأنبياء المشار إلى تعاليمهم فى كتب أخرى كموسى وصموئيل ، وإليا يوشع ، وتغطى هذه الأسفار النبوية الفترة بين القرن الثامن والقرن الثانى ق . م .

أما كتب القرن الثامن ق . م فهى كتب عاموس وهوشع ، وأشعيا ، وميخا ، ويشتهر الأول بإدانته للمظالم الاجتماعية ، والثانى بإدانته للفساد الدينى ، أما أشعيا فهو وجه للتاريخ السياسى أنه يسيس الأحداث لأن الملوك يستشيرونه . إنه نبى العظمة ، وإلى مؤلفاته تضاف نبوءته التى نشرها تلامذته حتى القرن الثالث ق . م ، وفيها الاحتجاجات ضد الظلم ، والخوف من يوم القيامة والتبشير بالتحرر فى عصر النفى ، والتنبؤ فى فترة لاحقة بعودة اليهود إلى فلسطين .

وفى القرن السابع ق . م يبرز صنفيا وأرميا وحبقوق فتاحوم فى التبشير ، وينتهى أرميا بالاستشهاد وتلقى باروك نبوءاته ، وربما كان أرميا كاتب المراثى .

---

(١) انظر: دراسة الكتب المقدسة ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) انظر: الأسفار المقدسة ، ص ١٥ .

(٣) انظر: المرجع السابق ، ص ١٦ .

لقد أعطى النفى إلى بابل فى بداية القرن السادس ق . م نشاطا نبويا كبيرا ، ويعد النبى حزقيال بارزا فى هذا النشاط باعتباره مواسيا لإخوته الذين بذر الأمل بينهم ، ويرتبط كتاب « عوبديا » بكوارث القدس المقهورة .

وبعد النفى الذى انتهى فى عام ٥٣٨ ق . م استأنف النشاط النبوى مع حجى ، وزكريا للحث على إعادة بناء المعبد [١] .

ومجموع العهد القديم مقدس لدى اليهود والمسيحيين ، ولكن أسفارهم غير متفق عليها ، فبعض أحبار اليهود يضيفون أسفارا لا يقبلها أحبار آخرون ، وكذلك تختلف الكنيسة الكاثوليكية عن البروتستانتية ، فتضيف الكاثوليكية سبعة أسفار أخرى وهى طوبيا ، يهوديت ، حكمة يشوع ، سيراخ ، باروخ ، المكابيين الأول ، والمكابيين الثانى .

كما تجعل أسفار الملوك أربعة : أولها ، وثانيها : يجيئان بدلا من سفرى صموئيل الأول والثانى ، وبعض رجال اللاهوت من اليهود لا يوافقون على ضم سفرى الجامعة ، ونشيد الأناشيد لأسفار العهد القديم ، وطائفة السامريين لا يؤمنون إلا بأسفار موسى الخمسة ولا يرون غيرها كتبا مقدسة ، ويضيف بعض السامريين سفرى يوشع والقضاة لأسفار موسى ، ويرون هذه الأسفار السبعة كتابهم المقدس [٢] .

---

(١) انظر : دراسة الكتب المقدسة ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) انظر : اليهودية للدكتور أحمد شلبى ، مكتبة نهضة مصر ، ط السابعة ، ص ٢٣١ .

ثانيا : العهد الجديد

سبق ــ فى ذكرنا للعهد القديم ــ أن نقلنا عن الشيخ رحمت الله الهندى هذه العبارة : « ثم ينقسم كل من العهدين إلى قسمين : قسم اتفق على صحته جمهور قدماء المسيحيين ، وقسم اختلفوا فيه » ، وقد بينا العهد القديم بقسميه ، والآن ننتقل لحصر أسفار العهد الجديد .

القسم الأول: من العهد الجديد :

وأما القسم الأول من العهد الجديد فعشرون كتابا ، وأولها الأناجيل :

١ ــ إنجيل متى . ٢ ــ إنجيل مرقس .

٣ــ إنجيل لوقا . ٤ ــ إنجيل يوحنا .

وبالبداهة فإن الأناجيل الأربعة تشبه تماما العهد القديم أسفارموسى الخمسة ، وإذا كانت هذه يطلق عليها« الأناجيل » ، فإن الأخرى يطلق عليها التوراة ، وأقصد هنا بالشبه الشبه فى الأهمية، فكأن أسفارموسى الخمسة فى العهد القديم هى المعتمد والمستند ، والأناجيل الأربعة فى العهد الجديد هى القطب والمركز ، وهذا يحتم علينا فى هذا البحث أن نعطى جلّ اهتمامنا بتلك الأسفار فى العهدين .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة :«ومكان الأناجيل فى النصرانية مكان القطب والعماد، وإذا كانت شخصية المسيح وما أحاطوها به من أفكارهى شعار المسيحية ، فإن هذه الأناجيل هى المشتملة على أخبار تلك الشخصية من وقت الحمل إلى وقت صلبه ــ فى اعتقادهم ــ وقيامه من قبره بعد ثلاثة أيام ، ثم رفعه بعد أربعين ليلة ، وهى بهذا تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح فى زعمهم ، والصلب والفداء ، أى : أنها تشتمل على لب المسيحية فى نظرهم بعد المسيح ومعناها ، وهذه الأناجيل الأربعةهى التى تعترف بها الكنائس ، وتقرها الفرق المسيحية وتأخذ بها »[١] .

وهذه الأربعة يطلق عليها فى المسيحية : « الأناجيل » ، مع أنه قد تطلق كلمة الإنجيل على أسفار العهد القديم مجازاً ، كما مر أيضا فى كلمة التوراة .

---

(١) محاضرات فى النصرانية ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

يقول الشيخ رحمت الله الهندى : « ولفظ الإنجيل مختص بهذه الأسفار الأربعة ، وقد يطلق مجازا على مجموع أسفار العهد الجديد ، وهذا اللفظ معرب من الأصل إنكليوس » اليونانى « إنكليوس » بمعنى البشارة والتعليم » (١) .

٥ ـ سفر أعمال الحواريين .
٦ ـ رسالة بولس إلى أهل رومية.
٧ ـ رسالته إلى أهل كورنثوس .
٨ ـ رسالته الثانية إليهم .
٩ ـ رسالته إلى أهل غلاطية .
١٠ ـ رسالته إلى أهل إفسيس .
١١ ـ رسالته إلى أهل فيلبى .
١٢ ـ رسالته إلى أهل كولوسى .
١٣ ـ رسالته إلى أهل تسالونيكى
١٤ ـ رسالته الثانية إليهم .
١٥ ـ رسالته الأولى إلى تيموثاوس .
١٦ ـ رسالته الثانية إليهم .
١٧ ـ رسالته إلى تيطوس .
١٨ ـ رسالته إلى فليمون .

هذه ثلاث عشرة رسالة كتبها بولس ، وإن لبولس هذا ورسائله لشأنا فى المسيحية ، فرسائله هى التى شرحتها وقد تتبع المسيحيون خطاه ، وتعرفوا أخباره وأقواله ، مما دونه فيها فى رسائله ، وما ألقاه فى الجموع وتناقلوه وإن لم يدونه هو ، ويطلق على رسائله : «الرسائل التعليمية » ؛ لما اشتملت عليه من مبادئ فى الاعتقاد وبعض الشرائع العملية .

١٩ ـ الرسالة الأولى لبطرس .

٢٠ ـ الرسالة الأولى ليوحنا ، سوى بعض الفقرات .

القسم الثانى : وهو المختلف عليه :

وأما القسم الثانى من العهد الجديد فسبعة أسفار وبعض الفقرات الأولى من الرسالة الأولى ليوحنا :

١ ـ رسالة بولس إلى العبرانيين .
٢ ـ الرسالة الثانية لبطرس .
٣ ـ الرسالة الثانية ليوحنا.
٤ ـ الرسالة الثالثة ليوحنا .
٥ ـ رسالة يعقوب .
٦ ـ رسالة يهوذا .
٧ ـ مشاهدات يوحنا .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنه بمقارنة ذلك بالكتاب المقدس ـ القسم الثانى من

---

(١) إظهار الحق ، ص ٧٩ ، ٨٠ .

العهد الجديد وهى النسخة التى أعمل عليها ، وقد مر ذكرها ـ نجد أن هذه الأسفار جميعها، المتفق عليها والمختلف عليها واردة فى الكتاب المقدس وجملة هذه الأسفار سبعة وعشرون سفرا .

وهذا بخلاف ما عرفناه فى العهد القديم ، حيث لم ترد فيه الأسفار المختلف عليها إلاسفرا واحدا هو سفر أستير .

الأناجيل أو العهد الجديد :

« كلمة الإنجيل لفظة يونانية معربة ، ومعناها « البشرى » أو « الخبر المفرح » ، وأول ماستعملت له هو بشرى الخلاص الذى جاء المسيح به ـ بمعنى : التعاليم التى تحتوى حقائق تلك البشرى ـ ثم سيرة المسيح التى جسدت تلك البشرى .

وكلمة الإنجيل بهذا المعنى لم تحدد فى الأصل أى كتاب ، بل هى البشرى نفسها ونقلها ، وقبل تدوين الإنجيل كتابة كان الإنجيل الشفهى ، أى : نقل البشرى شفهيا على لسان الرسل وتلاميذهم ، فكان قد انتشر فى الإمبراطورية الرومانية كلها : لم يكتب السيد المسيح إنجيلا ولم يطلب من تلاميذه أن يكتبوا .

فوحى المسيحية ليس فى الدرجة الأولى وحى كتاب ينزل حروفا بكلمات ، بل هو وحى شخص حى هو المسيح نفسه » [١] .

من تلك العبارات السابقة نعلم أن الإنجيل يعنى البشرى ، وأن هذه البشرى هى تعليمات المسيح ، وأن المراد هو : نقل هذه التعليمات ، والعمل بها لتبقى حية مجسدة ، ولم يكن فى ذهن المسيح ولا الحواريين أن يجعلوها فى كتاب ، ولكن يعود المؤلف ليقول:

« ولكن قادة المسيحية شرعوا بضرورة تدوين أخبار المسيح وحياته لتبقى مرجعًا وثيقًا للجماعات المسيحية بعيدة عن كل شبهة أو تلاعب أو تحريف ، فكانت الروايات الأربع التى نسميها الأناجيل الأربعة الموجودة هنا اليوم بالكتاب المقدس ـ فليس فى المسيحية إلا إنجيل واحد .

وبهذا المعنى لم يرد لفظ الإنجيل إلا مفردا فى العهد الجديد بمختلف أسفاره ، إلا أن

---

(١) انظر : سيرة المسيح ،كنيسة قصر الدوبارة ، جاردن سيتى ، القاهرة ، دار الجيل للطباعة ، ص ١٥ .

نقل تلك البشرى إلينا وصل فى روايات أربع تتفق جوهراً وموضوعًا ، الإنجيل البشرى واحد إذن ، أما مدونوه فأربعة : « متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا » (١) .

ولست هنا فى تلك المقدمة بصدد مناقشة هذه العبارات ، فلنا معها فى الباب الأول وقفات عند الحديث عن سند تلك الكتب ، لكن الكنيسة التى قامت بوضع هذا الكتاب ، علماؤها الأفاضل هنا يقررون أن الإنجيل كتاب واحد لكنه وصل إليهم بأربع روايات ، والروايات ـ كما يقولون ـ تتفق جوهراً وموضوعًا ، وهذا اعتراف ضمنى بأنها تختلف فى الشكل الخارجى ، أعنى : الأسلوب الذى يحمل المعانى مختلف ، فالعبارات ليست واحدة . ونعود إلى حديثهم عن الأناجيل ، فنحن بصدد التعريف بها .

« كتب متى قصة البشرى لبنى قومه من اليهود ، وهذا واضح من اهتمامه بنبوآت التوراة عن السيد المسيح ، وكيف تحققت كلها بمجىء المسيح ، أما مرقص فقد دون قصة البشرى ليوجه المسيحيين الذين جاءوا من خلقية رومانية ، ولوقا للمسيحيين الذين جاءوا من خلقية يونانية ، أما يوحنا فقد كتب البشرى بعد انتشار المسيحية ، فكتب لتوضيح بعض الأمور وللرد على بعض الأفكار التى دخلت على التعليم المسيحى » (٢) .

مما سبق نعلم أن الكتب المقدسة أو المحررة فى دين النصارى ، هى أناجيل أربعة : « متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا » ، لهذا سنتناول الحديث عن كل إنجيل وما يحتويه بشىء من الإيجاز :

أولا : إنجيل متى :

لقد كان من تلاميذ المسيح الاثنى عشر ، جابى ضرائب يدعى « متى » وإليه نسب هذا الإنجيل الذى اعتبر نسخة مطولة من إنجيل مرقس ، وهذا الأخير استعان به كاتب إنجيل متى .

يحتل إنجيل متى بين الأناجيل الأربعة المكانة الأولى فى نظام ترتيب أسفار العهد الجديد ، وهى مكانة لها ما يبررها، فهذا الإنجيل امتداد للعهد القديم بشكل ما ، فقد كتب ليثبت أن المسيح « يكمل تاريخ إسرائيل ويبدأ هذا الإنجيل بشجرة نسب المسيح » (٣) .

---

(١) سيرة المسيح ، ص ١٥ . (٢) المرجع السابق ، ص ١٦ .

(٣) دراسة الكتب المقدسة ، ص ٧٩ .

وهو يصور لنا حياة المسيح لا كحادثة مستقلة بذاتها بل كإتمام لسلسلة تاريخية ونبوية، بدأت من قديم الزمان ، وعلى هذا فهو :

كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم جد اليهود ، ويشير متى رويا إلى أحبار التوراة ليظهر كيف تمت النبوات فى المسيح فصار المسيح مكمل كتابات موسى والأنبياء ، وقد اقتبس متى من العهد القديم ٧٥ آية ، توضح أن المسيح تتميم البركة الموعودة لإبراهيم ونسله ، وأنه جاء ليؤسس ملكوت السموات ليصحح خطأ اليهود فى ذلك الوقت ، « ومتى » واحد من تلاميذ المسيح الاثنى عشر (١) .

ولست هنا بصدد مناقشة كتاب المسيحية فى كتاب الإنجيل ومن هو ؟ وفى كتابة الإنجيل ومتى كتب ؟ فهذا سوف يأتى فى الباب الأول .

ولكى نقف على ما يحتويه إنجيل « متى » بالتحديد يمكن تقسيم الإنجيل كالآتى :

١ ـ الإصحاحات من ١ ـ ٤ : مقدمة .

٢ ـ الإصحاحات من ٥ ـ ٧ الجزء الأول من تعاليم المسيح « موعظة الجبل » .

٣ ـ الإصحاحات من ٨ ـ ٩ : معجزات الشفاء التى أجراها يسوع .

٤ـ الإصحاح ١٠ : الجزء الثانى من التعاليم « إرشادات لأولئك الذين يعلنون بشارة الملكوت للآخرين » .

٥ ـ الإصحاحات من ١١ ـ ١٢ : رفض اليهود ليوحنا المعمدان ويسوع .

٦ ـ الإصحاح ١٣ : الجزء الثالث من التعاليم « استخدام الأمثال فى شرح مجىء ملكوت الله » .

٧ـ الإصحاحات من ١٤ ـ ١٧ : معجزات أخرى ، ومحاورات مع الفريسيين واعتراف بطرس .

٨ ـ الإصحاح ١٨ : الجزء الرابع من التعاليم « كيف يعامل التلاميذ بعضهم بعضا » .

٩ ـ الإصحاحات من ١٩ ـ ٢٢ : رحلة يسوع وتلاميذه لأورشليم وتعليمه فى الهيكل .

---

(١) انظر : سيرة المسيح ، ص ١٦ .

١٠ـ الإصحاحات من ٢٣ ـ ٢٥ : الجزء الخامس من التعاليم « مجيء ملكوت السموات وكيفية الدخول فيه » .

١١ ـ الإصحاحات من ٢٦ ـ ٢٨ : الأيام الأخيرة ليسوع فى أورشليم وحولها والقبض عليه ومحاكمته وصلبه وبنائه وظهوره الأخير فى الجليل (١) .

ثانيا : إنجيل مرقس :

إنه أقصر الأناجيل الأربعة وهو أيضا أقدمها ، ولكنه ليس كتاب أحد الحواريين ، هو على أكثر تقدير كتاب حرره تلميذ لأحد الحواريين (٢) .

إذن مرقس لم يكن من رسل المسيح ، ولم يذكر اسمه مطلقا فى البشائر الأربع «الأناجيل الأربعة » (٣) .

محتويات إنجيل مرقس :

يحتوى الإنجيل على الموضوعات الرئيسة الآتية :

العنوان ١ : ١ آية .

١ ـ مقدمة : يسوع ويوحنا المعمدان ص ١ : ٢ ـ ١٣ آية .

٢ ـ يسوع فى الجليل : ص ١ : من آية ١٤ الإصحاح العاشر آية ٥٢ وهى تتحدث عن أحوال بحر الجليل .

ص ١ آية ١٤ إلى ص ٥ آية ٤٣ وتشتمل على أخبار كفر ناحوم وبعض المحاورات ومجموعة من الأمثال ، ومجموعة من قصص المعجزات الكبيرة .

رحلات أخرى طويلة ، واحدة إلى الشمال والأخرى إلى أورشليم ، وهذه تشتمل على أخبار روايتين عن رحلة الشمال ، وأربع محاورات أخرى وطريق الصلب مع مجموعة من قواعد التلمذة .

٣ ـ يسوع فى أورشليم : الإصحاحان ١١ ، ١٢ ، ويشتملان على مجموعة أخرى من المحاورات .

ص ١٢ آية ٢٥ ـ ٤٠ التى تعتبر تدبيراً من صنع الكاتب .

---

(١) انظر : تفسير إنجيل متى ، لجون فينتون ، عميد كلية اللاهوت بتشيفيلد بانجلترا ، ص ١٧ ـ ٢١ .

(٢) انظر : دراسة الكتب المقدسة ، ٨٤ .

(٣) انظر : سيرة المسيح ، ص ١٧ .

٤ ـ محاضرة عن الأحداث المنتظرة الإصحاح : ١٣ .

٥ ـ رواية الآلام : الإصحاحان : ص ١٤، ١٥ .

٦ ـ اكتشاف المقبرة الخالية : ١٦ ، ويتبعها خاتمة تلخص حوادث قيامة يسوع وظهوره[١] .

ومن اللازم أن نذكر أن إنجيل مرقس قد صرح بالنبوة بالنسبة لسيدنا عيسى فعنوان إنجيله « بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله » (مرقس ١ : ١) .

إنجيل لوقا :

ولوقا كاتب الإنجيل الثالث المقدس لدى النصارى لم يرد ذكره قط فى البشائر ـ الأناجيل الأربعة ـ [٢] .

ولكن هناك سفر ينسب إلى لوقا وهو « سفر أعمال الرسل » ، وهذه النسبة واحدة من كثير ، حيث نسب نفس السفر إلى غيره ، لكن المشهور نسبته إليه ، لهذا يستدل المسيحيون على أنه من تلاميذ بولس بهذا السفر إلى غيره ، لكن المشهور نسبته إليه ، لهذا يستدل المسيحيون على أنه من تلاميذ بولس بهذا السفر ، حيث يذكر فيه أنه رافق الرسول بولس فى أسفاره التبشيرية ، ومن المراجع المسيحية يعلم أنه كان طبيبا محبوبا (كولوس : ٤ : ١٤) ، والظاهر أنه كان من أهل العلم على حد قولهم ؛ لأن لغة كتابته فى اليونانية تمتاز بالفصاحة [٣] .

وهذا التعليل وإن كان يجعل الشخص أقرب إلى أهل العلم منه إلى غيرهم ، إلا أنه لا يلزم أن يكون الفصيح بلقبه من المتخصصين والمتفهمين والمختصين بأمور دينه وعقيدته .

ومقدمة إنجيل لوقا تدلنا على أن إنجيله كان رسالة وجيزة إلى صديقه اليونانى صاحب السمو ثاوفيلس ، يبين فيها لوقا أنه قصد من كتابتها إفادة ثاوفيلس ، وتثبيته فى إيمانه الجديد، لذلك ترى فى أول إصحاحاته من الآية (١ : ٤) هذا الكلام :

« إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة ، رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شىء من الأول

---

(١) انظر: الأناجيل أصلها وتطورها لفريدرك كلفتن جرانت ، أستاذ الدراسات اللاهوتية فى الكتاب المقدس بمعهد اللاهوت الاتحادى بنيويورك. لندن سنة ١٩٥٧ م ، ص ٨٠ .

(٢) انظر: سيرة المسيح ص ١٨ .

(٣) انظر: نفس المرجع ، ص ١٨ .

بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذى علمت به » [١] .

وتلك المقدمة تلقى كثيرا من الضوء على ما كان يحدث فى صدر المسيحية وخاصة فيما يتعلق بتأليف الأناجيل .

ومما يجب التسليم به بناء على هذه المقدمة ، أن لوقا يكتب رسالة شخصية إلى صديق له ، وأن هذه الرسالة تكتب على التوالى حسبما توفرت لها إمكانيات الكتابة من وقت وعلم .

ومما هو جدير بالذكر أيضا ـ قبل أن أترك هذه النقطة ـ أن لوقا لم يَدَّعِ فى صدر حديثه أنه يكتب بإلهام أو مسوقا من الروح المقدسة ، بل إن العبارة بها تصريح بأنه يكتب عن اجتهاده الشخصى لأنه تتبع كل شىء من الأول بتدقيق .

محتويات إنجيل لوقا :

١ ـ من الآية ٥ فى الإصحاح الأول إلى الآية ١٣ فى الإصحاح الرابع : مولد المسيح وسنواته الأولى وإعداده رسالته الإلهية .

٢ ـ من الآية ١٤ من الإصحاح الرابع إلى الآية ٥٠ من الإصحاح ٩ : بدء دعوة المسيح ، واختياره التلاميذ ، وموعظة السهل ـ التعاليم ـ التى ذكرها « متى » فى موعظة الجبل هى نفسها التى ذكرها « لوقا » فى موعظة السهل .

٣ ـ من الآية ٥١ ص ٩ إلى الآية ٢٧ ص ١٩ : ، يسوع فى السامرة ، وتعليم يسوع عن الصلاة ، ونقد يسوع للفريسيين ونقدهم له ، ويسوع وتلاميذه ونهاية الخدمة فى الجليل، وتعليم يسوع عن الثروة ، وتعليمه عن الأيام الأخيرة . يسوع فى أورشليم وتنظيف الهيكل ، وتعليم يسوع فى الهيكل ، وحوادث آخر الزمان .

٤ ـ من الآية ١ ص ٢٢ إلى الآية ٢٦ ص ٢٣ : موت يسوع ، والمؤامرة ضده ، وخيانة يهوذا ، والعشاء الأخير ، والقبض والمحاكمة والصلب والدفن .

٥ ـ ص ٢٤ من آية ١ وإلى الآية ٥٣: قيامة يسوع ، والمقبرة الخالية ، ويسوع يظهر لتلاميذه، وصعود يسوع الذى أقيم من الأموات [٢] .

---

(١) لوقا : ١ : ١ ـ ٤ .

(٢) الأناجيل أصلها وتطورها ، ص ١٨٣ ـ ١٨٨.

إنجيل يوحنا :

ينسب هذا الإنجيل إلى يوحنا الرسول ، ويوحنا الرسول أحد تلاميذ يوحنا المعمدان ، وأحد الشخصين اللذين سبقا الجميع فى التتلمذ للمسيح ، وقد خصه المسيح بالكثير ، فهو الذى اتكأ على صدره فى العشاء الأخير (١)، وله سلم المسيح أمه وهو على الصليب ليعتنى بها (٢) .

ومن هذا نعلم مدى الأهمية فى نسبة هذا الإنجيل إلى هذا الاسم بالذات ، وبينما يعتقد بعض علماء المسيحيين أن يوحنا الرسول هو كاتب هذا الإنجيل ، نرى البعض الآخر ينكر ذلك بشدة ، وسيناقش هذا الموضوع بالتفصيل فيما بعد .

محتويات إنجيل يوحنا :

يشتمل هذا الإنجيل ـ حسب تصنيف علماء المسيحية ـ على الموضوعات الرئيسة الآتية :

١ ـ ص ١ آية ١ ـ ١٨ : افتتاحية .

٢ ـ من آية ١٩ص ١إلى آية ٥٠ ص ١١ : شهادة يوحنا المعمدان ، ودعوة أوائل التلاميذ، والآيات السبع ، وتحويل الماء خمراً فى عرس فانا الجليل ، وشفاء ابن خادم الملك وشفاء المريض عند بركة بيت حسدا ، وإطعام الخمسة آلاف ، ويسوع يسير على البحر ، ويسوع يشفى أعمى منذ ولادته ، ويسوع يقيم لعاذر من الأموات .

٣ ـ من آية ١ ص ١٣ إلى آية ٢٩ ص ٢٠ : رواية الآلام ، والعشاء الأخير ، خطبة الوداع الأولى ، وخطبة الوداع الثانية ، والصلاة الكهنوتية العظمى ، زموت يسوع ، وقيامة يسوع ، وملحق (٣) .

تركيب الكتاب المقدس :

من السهل أن ترى أن الكتاب المقدس مكون من قسمين رئيسين ، يطلق عليهما العهد القديم ، والعهد الجديد ، وكلمة العهد تعنى الميثاق أو الاتفاق، فالعهد القديم هو ميثاق اللّه

---

(١) يوحنا : ١٣ : ٢٣ .

(٢) يوحنا : ١٩ : ٢٧ .

مع الإنسان قبل مجيء الرب يسوع المسيح إلى العالم ، والعهد الجديد ، هوعهد الله مع الإنسان بواسطة المسيح .

والعهد القديم أطول من العهد الجديد ثلاث مرات .

والعهد القديم يحتوى على تسعة وثلاثين سفرا كتبت خلال مئات السنين منذ وقت موسى حوالى سنة ١٥٠٠ ق . م إلى آخر سفرفى العهد القديم وهو سفر ملاخى حوالى سنة ٤٠٠ ق . م .

وقد اعتبرنا الحديث عن هذه الأسفار على اعتبارها مقسمة إلى الأسفار الآتية :

أولا : أسفار الناموس ، وهى خمسة أسفار .

ثانيا : الأسفار التاريخية ، وهى اثنا عشر سفرا .

ثالثا : الأسفار الشعرية ، وهى سبعة عشر سفرا .

رابعا : الأسفار النبوية ، وهى خمسة أسفار .

والأسفار النبوية كثيرا ما تنقسم إلى :

١ ــ الأنبياء الكبار ، وهى خمسة أسفار .

٢ ــ الأنبياء الصغار ، وهى اثنا عشر سفرا .

وهناك ابتكار مريح لتذكر أسفار الكتاب المقدس بترتيبها هو استخدام الأرقام : ٥ ، ١٢ ، ٥ ، ٥ ، ١٢ .

أى : أسفار موسى الخمسة ، وأسفار التاريخ الاثنا عشر ، والأسفار الشعرية الخمسة ، وأسفار الأنبياء الكبار الخمسة ، وأسفار الأنبياء الصغار الاثنا عشر .

والعهد الجديد يمكن تقسيمه إلى أسفار تاريخية ، وأسفار تعليمية أو « الرسائل » ، وسفر نبوى ، فهو يحتوى على خمسة كتب تاريخية ، الأناجيل الأربعة ، وسفر أعمال الرسل ، وإحدى وعشرين رسالة من « رسالة بولس إلى أهل رومية إلى رسالة يهوذا » .

وسفر واحد نبوى ــ سفر رؤيا يوحنا [1] .

---

(١) انظر : دراسة أسفار الكتاب المقدس للدكتور الفريد مارتن ترجمة القس لبيب ميخائيل ، الكتاب الأول ، ص ١٢ ، ١٣ ، بتصرف .

ثالثًا : القرآن الكريم

القرآن الكريم هو الكتاب الذى نزل من السماء على محمد رسول الله ﷺ ، وهو الكتاب الذى يقدسه كل مسلم على وجه هذه الأرض ، والذى نريد أن نعرفه هنا هو نبذة مختصرة عن سوره وآياته وأجزائه حتى نعرف المصدر الذى سيكون موضوعًا لنا فى هذا البحث إن شاء اللّه .

القرآن فى اللغة :

« هو فى اللغة مصدر مرادف للقراءة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **إن علينا جمعه وقرآنه. فإذا قرأناه فاتبع قرآنه** ﴾ (١) ، ثم نقل من هذا المعنى المصدرى وجعل اسما للكلام المعجز الذى نزل على النبى ﷺ ، من باب إطلاق المصدرعلى مفعوله » (٢) .

ولما اختلف حول لفظة قرآن من الناحية اللغوية ، فقد اختار الشيخ الزرقانى هذا الرأى وقال : « ذلك ما نختاره استنادا إلى موارد اللغة ، وقوانين الاشتقاق ، وإليه ذهب اللحيانى وجماعة ، أما القول بأنه وصف من القرء بمعنى الجمع ، أو أنه مشتق من القرائن ، أو أنه مشتق من قرنت الشىء بالشىء ، أو أنه مرتجل أى : موضوع من أول الأمر علما على الكلام المعجز المنزل غير مهموز ولا مجرد من أل ، فكل أولئك لا يظهر له وجه وجيه ، ولا يخلو توجيه بعضه من كلفة ، ولا من بعد عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة وعلى الرأى المختار فلفظ قرآن مهموز ، وإذا حذف همزه ، فإنما ذلك للتخفيف ، وإذا خلفه «أل » بعد التسمية فإنما هى للغة الأصل لا للتعريف » (٣) .

أسماء القرآن الكريم :

بالنسبة لأسماء القرآن الكريم فهى كثيرة ومتعددة ، لكن بعض مؤلفى علوم القرآن قد تجاوزوا حدود التسمية ، فذكر صاحب « البرهان » ـ مثلا ـ خمسة وخمسين اسما ، وأسرف صاحب « التبيان » فى ذلك حتى بلغ بها نيفًا وتسعين .

---

(١) القيامة : ١٧ ، ١٨ .

(٢) مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ط . الثالثة ، عيسى البابى الحلبى ١٣٦٢ هـ ١٩٤٣ م ، جـ ١ ص ١٤ .

(٣) نفسه .

ويذكر صاحب « مناهل العرفان » العلة فى إسراف بعض العلماء فى ذلك فيقول : «واعتمد هؤلاء على إطلاقات واردة فى كثير من الآيات والسور ، وفاتهما أن يفرقا بين ماجاء من تلك الألفاظ على أنه اسم ، وما ورد على أنه وصف ، ويتضح ذلك لك على سبيل التمثيل فى عدّهما من الأسماء لفظ « قرآن » و « كريم » أخذا من قوله تعالى : ﴿ **إنه لقرآن كريم** ﴾ (١) كما عدا من الأسماء لفظ « ذكر» ولفظ « مبارك » ، اعتمادا على قوله تعالى : ﴿ **وهذا ذكر مبارك أنزلناه** ﴾ (٢) ، على حين أن لفظ« قرآن وذكر» فى الآيتين مقبول كونهما اسمين أما لفظ «كريم ، ومبارك » فلا شك أنهما وصفان كما ترى »(٣) .

ولهذا فإننا نقول : إن أشهر أسماء ؟ ! النظم الكريم : القرآن، والفرقان ، وقد بينا معنى كلمة القرآن .

أما الفرقان فيقول الشيخ الزرقانى : « أصله مصدر كذلك ، ثم سمى به النظم الكريم تسمية للمفعول أو الفاعل بالمصدر ، باعتبار أنه كلام فارق بين الحق والباطل ، أو مفروق بعضه عن بعض فى النزول أو فى السور والآيات ، قال تعالى : ﴿ **تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** ﴾ (٤) » (٥) .

هذان الاسمان كما سبق هما أشهر أسماء النظم الكريم ، بل جعلهما بعض المفسرين مرجع جميع أسمائه كما ترجع صفات الله تعالى على كثرتها إلى معنى الجلال والجمال .

وهناك ثلاثة أسماء أخرى تلى هذين الاسمين فى الشهرة ، يقول الشيخ الزرقانى : «ويلى هذين الاسمين هذه الأسماء الثلاثة : الكتاب ، والذكر ، والتنزيل » (٦) .

فالأول : لقوله تعالى : ﴿ **حم . والكتاب المبين** ﴾ (٧) .

والثانى : لقوله تعالى : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك** ﴾ (٨) .

والثالث : لقوله تعالى : ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين** ﴾ (٩) .

ويذكر الإمام السيوطى علة التسمية بهذه الأسماء فيقول : « فأما تسميته كتابًا ،

---

(١) الواقعة : ٧٧ .
(٢) الأنبياء : ٥٠ .
(٣) مناهل العرفان فى علوم القرآن ، ص ١٥ .
(٤) الفرقان : ١ .
(٥ ، ٦) مناهل العرفان ، ص ١٥ .
(٧) الدخان : ١ ، ٢ .
(٨) الزخرف : ٤٤ .
(٩) الشعراء : ١٩٢ .

فلجمعه أنواع العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه... وأما الذكر فلما فيه من المواعظ وأخبار الأمم الماضية ، والذكر أيضا الشرف قال تعالى : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك** ﴾»[1] أي : شرف لأنه بلغتهم .

عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه :

« أما سوره فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتد به ، وقيل : ثلاث عشرة بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة » [2] .

ولكن ما هي الحكمة في جعل القرآن سورا ؟

يقول الإمام السيوطي ــ ردا على هذا السؤال ــ : « الحكمة في تسوير القرآن سورا تحقيق كون السورة بمجردها معجزة وآية من آيات الله ، والإشارة إلى أن كل سورة نمط مستقل ، فسورة يوسف تترجم عن قصته ، وسورة إبراهيم كذلك ، وسورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين وأسرارهم إلى غير ذلك ، والسور سور طوال وأوساط وقصار ، تنبيها على أن الطول ليس من شرط الإعجاز ، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات ، وهي معجزة إعجاز سورة البقرة ، ثم ظهرت لذلك حكمة في التعليم وتدريج الأطفال في السور القصار إلى ما فوقها تيسيرا من الله على عباده لحفظ كتابه » [3] .

ولا شك أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع وصنوف كثيرة كان أحسن وأفخم من أن يكون بابا واحدا ،كما أن القارئ إذا ختم سورة ثم أخذ في أخرى كان أنشط له وأبعث على التحصيل ، ومن ثم جُزئ القرآن أجزاءً وأخماسًا .

ولايفوتنا أن نقول : إن كلمة سورة وردت في القرآن الكريم:﴿ **فأتوا بسورة**﴾[4]، ﴿ **فأتوا بعشر سور مثله مفتريات** ﴾ [5]، وفي أول النور:﴿**سورة أنزلناها وفرضناها** ﴾ [6] ، مما يجعلنا نقول : إن تسوير القرآن وأسماء سوره أمر توقيفي .

---

(١) الإتقان للسيوطي ، عيسى الحلبي ، ط الرابعة ، سنة ١٩٧٨ م جـ ٤ ص ٨٦ .
(٢) المصدر السابق ، جـ ١ ص ٨٧ .
(٣) المصدر السابق ، جـ ١ ص ٨٨ .
(٤) البقرة : ٢٣ .
(٥) هود : ١٣ .
(٦) النور : ١ .

عدد الآيات :

الآية طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها ، وتحديد الآيات أمر توقيفى .

يقول الإمام الواحدى : « وبعض أصحابنا قال : يجوز تسمية أقل من الآية آية ، لولا أن التوقيف ورد بما هى عليه الآية »(١) .

وقال الزمخشرى : الآيات علم توقيفى لا مجال للبحث فيه ؛ ولذلك عدوا « الم » آية حيث وقعت و « المص » ، ولم يعدوا « المر ، والر » ، وعدوا « حم » آية فى سورها و «طه» و « يس » ولم يعدوا « طس » (٢) .

وقال الإمام السيوطى : « وقد أخرج ابن العتريسى من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس قال : جميع آى القرآن ست آلاف آية وستمائة آية وست عشرة آية » (٣) .

عدد كلماته وحروفه :

« وعد قوم كلمات القرآن سبعا وسبعين ألف كلمة وتسعمائة وأربعا وثلاثين كلمة » (٤) .

وعن ابن عباس : أن جميع حروف القرآن ثلثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف ، وستمائة حرف ، وأحد وسبعون حرفا .

ومن الأحاديث فى اعتبار الحروف ، ما أخرجه الترمذى عن ابن مسعود مرفوعًا : «من قرأ حرفًا من كتاب اللّه فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول (الم) حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » (٥) .

لغة القرآن الكريم :

اللغة التى نزل بها القرآن الكريم هى اللغة نفسها التى يقرأ بها القرآن اليوم ، وهى اللغة

---

(١) الإتقان للسيوطى ، ص ٨٨ .
(٢) السابق ، ص ٨٨ .
(٣) نفسه .
(٤) نفسه .
(٥) المصدر السابق ، ص ٩٣ .

العربية يقول تعالى : ﴿ **قرآنا عربيا غير ذى عوج** ﴾ [١] ، ويقول تعالى : ﴿ **بلسان عربى مبين** ﴾ [٢] .

فاللغة التى كان يتكلم بها محمد ﷺ هى اللغة نفسها التى نزل بها القرآن ، وهى التى كتب بها القرآن فى عهد الرسول وجمع بها فى عهد الصحابة ، وهى نفسها التى يقرأ بها القرآن الكريم إلى اليوم .

ومما هو جدير بالذكر ، أن القرآن الكريم عمل على حفظ هذه اللغة من الاندثار ، فنشرها فى كل البقاع التى دخلت فى دين الإسلام ، أو التى دخلها الإسلام .

يقول إيتن دى نيه : « لقد حقق القرآن معجزة لا تستطيع أعظم المجامع العلمية أن تقوم بها ، ذلك أنه مكن للغة العربية فى الأرض ، بحيث لو عاد أحد أصحاب رسول اللّه إلينا اليوم ، لكان ميسورا له أن يتفاهم تمام التفاهم مع المتعلمين من أهل اللغة العربية ، بل لما وجد صعوبة تذكر للتخاطب مع الشعوب الناطقة بالضاد ، وهذا عكس ما يجده مثلا أحد معاصرى رابيليه من أهل القرن الخامس عشر الذى هو أقرب إلينا من عصر القرآن من الصعوبة فى مخاطبة العديد الأكبر من فرنسيس اليوم » [٣] .

ومما امتازت به اللغة العربية سهولتها وليونتها ، حتى يسر اللّه القرآن لكل الناس مع استعماله محاكاته ، يقول تعالى : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ [٤] .

ويقول إتين دى نيه أيضًا : « وإن لغة القرآن وإن كانت تمت فى أصولها إلى عصور بعيدة قديمة ،فهى مرنة طيعة، تسع التعبيرعن كل ما يجد من المكتشفات والمخترعات الحديثة، دون أن تفقد شيئا من رونقها وسلامتها » [٥] .

محتويات القرآن الكريم :

تعرف الآن من المصحف أن القرآن يتألف من ثلاثين جزءا ، ، وكل جزء يتألف من ثمانية أرباع ، تتوزع بينها سور القرآن البالغة مائة وأربع عشرة سورة ، وترتيب هذه السور بآياتها قد تم وعرف فى عهد الرسول ﷺ ، وعرفت سور بأسمائها وروى أكثر من اسم

---

(١) الزمر : ٢٨ .
(٢) الشعراء : ١٩٥ .
(٣) أشعة خاصة بنور الإسلام ، ترجمة الأستاذ راشد رستم ، سلسلة الثقافة الإسلامية سنة ١٩٦٠ م ، ص ٣٥ .
(٤) القمر : ١٧ .
(٥) أشعة خاصة بنور الإسلام ، ص ٣٥ .

للسورة الواحدة .

نعلم مما سبق أن كتاب الله ثلاثون جزءا فى مائة وأربع عشرة سورة ، وكى نقف على تقسيم يقربنا من سرعة الاستيعاب ، نذكر حديثا مرفوعا أخرجه أبو داود الطيالسى بسنده إلى قتادة ، وأخرجه أبو عبيدة بسنده عن واثلة بن الأسقع عن النبى ﷺ قال : « أعطيت السبع الطوال مكان التوراة ، وأعطيت المئين مكان الإنجيل . وأعطيت المثانى مكان الزبور، وفضلت بالمفصل » (١) .

فالقرآن ـ بهذا الحديث ـ أربعة أقسام : الأول : الطوال ، والثانى : المئون ، والثالث : المثانى ، والرابع : المفصل .

السبع الطوال :

والسبع الطوال : أولها البقرة بالإجماع ؛ لأنها أطول سورة فى القرآن . واختلف فى آخرها ، فذهب جماعة إلى أن آخرها براءة ، لأنهم كانوا يعدون الأنفال وبراءة سورة واحدة ، ولذلك لم يضعوا بينهما البسملة ؛ لأنهما نزلتا فى مغازى رسول الله ﷺ وروى مجاهد وسعيد بن جبير أن السبع الطوال هى : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس (٢) .

المئون :

وهى ما ولى السبع الطوال ، سميت بذلك ؛ لأن كل سورة فيها تزيد على مائة آية أوتقاربها ، وهى من أول يونس أو من أول هود . بناء على الخلاف السابق فى النوع الأول إلى آخر سورة السجدة .

المثانى :

وهى ما ولى المئين ، قال السيوطى: لأنها ثنتها ، أى كانت بعدها فهى لها ثوان والمئون لها أوائل . وقال الفراء : هى السور التى آياتها أقل من مائة آية ؛ لأنها تثنى أكثر مما تثنى الطوال والمئون .

---

(١) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير جـ ١ ص ٤٠ ، وقال عنه : حسن ، وعزاه إلى الطبرانى والبيهقى عن واثلة .

(٢) انظر : المصحف الشريف أبحاث فى تاريخه وأحكامه لفضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى ، ص ١٥٦ .

وقال فى جمال القراء : هى السور التى ثنيت فيها القصص ، وقد تطلق على القرآن كله : ﴿ **كتابا متشابهًا مثانى** ﴾ (١) .

المفصل :

ما ولى المثانى من قصار السور، سمى بذلك ، لكثرة الفصول التى بين السور بالبسملة، وقيل : لقلة المنسوخ منه ، ولهذا يسمى بالمحكم أيضا كما روى البخارى عن سعيد بن جبير قال : إن الذى تدعونه المفصل هو المحكم وآخره سورة الناس بلا نزاع . واختلف فى أوله على أقوال كثيرة ، قيل : أوله سورة (ق) ، قال الزركشى : وهو الصحيح عند أهل الأثر . انتهى . وصححه الإمام النووى أن أوله سورة الحجرات وقيل غير ذلك (٢) .

موضوع القرآن مقارنًا بموضوع الكتاب المقدس :

يقول الإمام السيوطى : « إنما صار القرآن معجزا ؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ فى أحسن نظم من التأليف ، متضمنًا أصح المعانى من توحيد اللّه تعالى وتنزيهه فى صفاته ، ودعائه إلى طاعته ، وبيانًا لطريق عبادته من تحليل وتحريم ، وحظر وإباحة ، ومن وعظ وتقويم ، وأمر بمعروف ونهى عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق ، وزجرعن مساويها ، واضعًا كل شىء منها موضعه الذى لايرى شىء أولى منه ، مودعا أخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات اللّه بمن مضى وعائد منهم ، فنبأ عن الكوائن المستقبلة فى الأعصار الآتية من الزمان ، جامعًا فى ذلك الحجة والمحتج له الدليل والمدلول عليه » (٣) .

ولاشك أن الإمام السيوطى طرح لنا فى هذه العجالة ، عدة موضوعات تطرق لها القرآن الكريم ، والتى إذا اجتمعت فى كتاب اللّه كونت موضوعًا واحدًا متكاملاً ، هذه الموضوعات هى :

١ ـ التوحيد : فهو المقصد الأساسى ومُعظم الآيات والسور المكية تحدثت فى هذا الموضوع .

---

(١) الزمر : ٢٣ .
(٢) انظر : الإتقان فى علوم القرآن ، جـ ١ ص ٨٤ .
(٣) الإتقان ، جـ ٢ ص ١٥٤ .

٢ ـ الحلال والحرام : وهو ما يطلق عليه الشريعة والأحكام .

٣ ـ الأخلاق : وقد عولج هذا الموضوع عن طريق القرون الماضية ومعرفة ما كانوا عليه من حسن أو سوء فى الأخلاق .

يقول « هرشفلد » ـ وهو أحد المستشرقين ـ : « ينقسم القرآن حسب موضوعه إلى أربعة أقسام :

١ ـ تبليغ .

٢ ـ قصص .

٣ ـ وصف .

٤ ـ تشريع [١] .

ويقول الأستاذ محمد فريد وجدى : « إنه كتاب احتوى كل ما يحتاج إليه البشر إلى يوم القيامة من قوانين ونظم وتشريعات ، وأنه محكم متقن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بل إنه يزيد على ذلك أنه اخترق حجاب الغيب فى الأزمان الغابرة ، فأخبرنا بسنن السابقين وحجاب المستقبل فى العصور الآتية ، فكان خير بيان لما فيه لما ورد عن النبى ﷺ : « فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم » [٢] .

ففيه نبأ ما قبلنا من الأمم السابقة والقرون الماضية ، فيه من قصص الأنبياء والأمم والجماعات والأشخاص ، والحوادث والكائنات ، والمسيرة التاريخية للجماعات البشرية ، ما فيه عبرة لمن اعتبر ، وذكرى لمن كان له قلب ، وينطق بسنة اللّه التى لا تتخلف فى إهلاك الضالين ونجاة المهتدين ، وفيه خبر ما بعدنا من أحوال اليوم الآخر ، وحياة الدار الآخرة ، ماتضافرت على بيانه أدلة النقل ، وبراهين العقل ، وفيه حكم ما بيننا من المشاكل ، والمسائل التى نحتاج فيها إلى بيان وإرشاد من المسائل الاعتقادية والفكرية ، والمسائل الأخلاقية ، والسلوكية ، والمعاملات المالية ، وفروع العبادات ، والأحكام الشرعية ، وما من حكم شرعى دينى أو مشكلة تلامس دنيا الناس أو تتعمقها الأدلة إلا وله فى كل ذلك عرق ينبض أو معين لا ينضب » [٣] .

---

(١) بحث جديد عن القرآن الكريم لمحمد صبيح ، ص ١٢٩ .

(٢) أخرجه الإمام الترمذى فى صحيحه ، طبعة بولاق ، جـ ٢ ص ١٤٩ .

(٣) انظر :مقدمة تفسير المنتخب ، ص أ ، ب .

هذا هو موضوع القرآن إجمالا وما يحتويه من موضوعات .

وبعد الحديث عن موضوع القرآن الكريم ، أضع هنا بين يدى القارئ ، كلمة موجزة عن موضوع الكتاب المقدس ، وذلك بعد بيانى لمحتوياته سابقًا حتى يستطيع القارئ وحده أن يقارن بين الموضوعين .

الكتاب المقدس لدى النصارى يشمل التوراة والأناجيل ورسائل الرسل . وتسمى التوراة ـ أسفارها الموسوية وغيرها ـ :كتب العهد القديم ، وتسمى الأناجيل ورسائل الرسل: كتب العهد الجديد .

فمن العهد القديم :

يعرفون أخبار العالم فى عصوره الأولى ، وأجياله القديمة وشرائع اليهود الاجتماعية والدينية ، فتاريخ نشأتهم وحكوماتهم وحوادثهم ، والنبوات السابقة منذ هبوط الإنسان على هذه الأرض ، والبشارات بالنبيين اللاحقين وبالمسيح ، وفيها يجدون أدعية متوارثة تعين على أداء العبادة ، والقيام بالطقوس الدينية كمزامير داود ، مع العلم بأن بعض الأسفار المعتبرة عند اليهود مرفوضة عند المسيحيين؛ لعدم اعتقادهم صحة الوحى فيها (١) .

أما عن الأناجيل :

فمكانها فى النصرانية مكان القطب والعماد، وإذا كانت شخصية المسيح وما أحاطوها به من أفكار هى شعار المسيحية ، فإن هذه الأناجيل هى المشتملة على أخبار تلك الشخصية من وقت الحمل إلى وقت صلبه فى اعتقادهم ، وقيامه من قبره بعد ثلاث ليال ، ثم رفعه بعد أربعين ليلة ، وهى بهذا تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح فى زعمهم والصلب والفداء ، أى : أنها تشتمل على لب المسيحية فى نظرهم بعد المسيح ومعناها .

كما أنها تشتمل على أخبار يوحنا المعمدان والمسيح ، وما كان يحدث منه من أمور خارقة ، وما كان يحدث له من أحداث ، وما كان يجرى بينه وبين اليهود ، وما كان يلقيه من أقوال وخطب وأحاديث وأمثال ومواعظ ، وفيها قليل من الشرائع التى تتعلق بالزواج والطلاق .

وإجمالاً : هى تشتمل على أخبار المسيح وصلواته ، وأقواله ، وعجائبه من بدايته إلى نهايته فى هذا العالم (٢) .

(١ ، ٢) انظر : محاضرات فى النصرانية ، ص ٤٦ .

المبحث الثانى

الوحى فى الأديان الثلاثة

الوحى فى اللغة من وَحَى إليه ، وله ، : يَحِى بالفتح ، وحيا بمعنى : أشار وأومأ وكلمه بكلام يخفى على غيره ، وكتب إليه وأمره ، وأرسل ، وألهمه ، وسخره ، وصاح ، وألقى ، وكتب .

وأوحى إليه وله ، أشار وأومأ، وكتب إليه وأمره ، وبعثه ، وأرسله وألهمه وسخره[1].

إذن فالوحى بمعنى الإشارة ، والكتاب ، والرسالة ، والإلهام ، والكلام الخفى وكل ما ألقيته إلى غيرك [2] .

ولكى ترجع كل هذه المعانى إلى أصلها الذى منه انبثقت يقول أبو إسحاق : « وأصل الوحى فى اللغة كلها : إعلام فى خفاء ، ولذلك صار الإلهام يسمى وحيا ، قال الأزهرى : وكذلك الإشارة والإيماء والكتابة يسمى وحيا ، يقول تعالى : ﴿ **وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب** ﴾ [3] ، معناه إلا أن يوحى إليه وحيا فيعلمه بما يعلم البشر أنه أعلمه ، إما إلهاما أو رؤية ، وإما أن ينزل عليه كتابا كما أنزل على موسى أوقرآنا يتلى عليه كما أنزل على محمد ﷺ ، وكل هذا إعلام وإن اختلفت أسباب الإعلام فيها [4] .

إذن من هذا القول يتبين أن كل المعانى السابقة المتعددة ترجع إلى أصل واحد ألا وهو: الإعلام فى خفاء .

فالأصل فى الوحى هوالخفاء ، ولكن نرى البعض يضيف أصلا آخرهو السرعة ، يقول السيد محمد رشيد رضا فى كتابة : « الوحى المحمدى » : « والقول الجامع فى معنى الوحى اللغوى : أنه الإعلام الخفى السريع الخاص بمن يوحى إليه بحيث يخفى على غيره ،

---

(1) انظر : المعجم الوسيط ، جـ ٢ص ١٠١٨ .

(2) لسان العرب ، جـ ٥٣ص ٤٧٨٧ .

(3) الشورى : ٥١ .

(4) لسان العرب ، جـ ٥٣ص ٤٧٨٨ .

ومنه الإلهام الغريزى كالوحى إلى النحل ، وإلهام الخواطر بما يلقيه اللّه فى روع الإنسان السليم الفطرة الطاهر الروح ، كالوحى إلى أم موسى ، ومنه ضده وهو وسوسة الشيطان : **﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ﴾** (١) .

ووحى اللّه تعالى إلى أنبيائه قد روعى فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة وهما الخفاء والسرعة فهذا معنى المصدر .

ويطلق الوحى على متعلقه ، وهو ما وقع به الوحى أى اسم المفعول ، وهو ما أنزله تعالى على أنبيائه ، وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم ، ومنهم من أعطاه كتابًا أى تشريعًا يكتب ومنهم من لم يعطه » (٢) .

معنى الوحى اصطلاحًا :

قد تختلف عبارات العلماء فى تعريف الوحى اصطلاحًا من عالم إلى آخر ، ومن دين لآخر ، ولكنى مع اختلاف عباراتهم وتعبيراتهم فالمعانى واحدة ، والمقصود متحد ، حيث إن التعريفات تنتهى إلى أن الوحى لابد وأن يكون من الرب إلى العبد ، مهما اختلف الوسائل أو تعددت السبل ، ولهذا سأعرض فى هذا البحث لتعريف الوحى عند :

١ ــ دائرة المعارف الأمريكية .

٢ ــ دائرة المعارف البريطانية .

٣ ــ ثم أعرف الوحى عند علماء المسلمين .

٤ ــ ثم أتناول معانى الوحى بالطريقة التى وردت فى العهد القديم .

٥ ــ ثم أتناول معانى الوحى بالطريقة التى وردت فى العهد الجديد .

وفى النهاية أذكر ما تنم عنه تلك الدراسة .

أولا : دائرة المعارف الأمريكية :

تقول دائرة المعارف الأمريكية : « الوحى هو توصيل الحق من اللّه إلى الناس ، ويقال كذلك عن الحق الذى وصل إلى الناس وبخاصة فى الكتب المقدسة ، ويتجلى الوحى بإرادة اللّه وتدبيره فى عقل الإنسان ، وفى صوت الضمير والوجدان .

---

(١) الأنعام : ١٢١ .

(٢) الوحى لمحمد رشيد رضا ، ص ٣٥ .

لكن أكثر الوحى صراحة لإرادة اللّه بالنسبة للإنسان ، هوما كان فى الكلمة المكتوبة ، وفى تسجيل تراسل إلهى خاص ثم فى الماضى إلى القديسيين والذين تكلموا بالروح القدس ، وهذه الكلمة المكتوبة مفتاح كل الوحى الخاص بالطبيعة والمشيئة الإلهية (١) .

ويبدو من بعض التعبيرات التى وردت فى هذا التعريف ، التأكيد على إبراز سماوية نصوص كتب العهدين القديم والجديد ، مثل تلك التعبيرات : « الكتب المقدسة » ، « إلى القديسيين » ، « والذين تكلموا بالروح القدس » .

ثانيًا : دائرة المعارف البريطانية :

تقول دائرة المعارف البريطانية : « يستخدم لفظ الوحى فى اللاهوت ليدل على الحالة التى يكون فيها الإنسان تحت التأثير الإلهى المباشر ، ويعنى الوحى تجرد الإنسان ليكون فى قبضة الإله ، بحيث يصير هذا الإنسان هو الطريق أو القناة التى يسرى فيها وحى اللّه من كلام ومشيئة » (٢) .

يتضح من خلال ما ذكر فى الدائرتين أن الإرسال فى موضع الوحى لابد وأن يكون من اللّه ، وأن الاستقبال يكون من أحد العباد ، وأن الوسيلة تختلف وتتعدد ، والمهم فى النهاية أن يكون العبد فى جميع الحالات ، ومهما تعددت الأسباب ، تحت التأثير الإلهى المباشر ، وهكذا كان كتاب العهدين عندهم من القديسيين والربانيين كما يزعمون .

ثالثًا : عند المسلمين :

يقول الأستاذ محمد عبده فى « رسالة التوحيد » : « وقد عرفوه شرعًا : أنه إعلام اللّه تعالى لنبى من أنبيائه بحكم شرعى ونحوه ، أما نحن فنعرفه على شرطنا بأنه : عرفان يجده الشخص فى نفسه مع اليقين أنه من قبل اللّه بوساطة أو بغير وساطة » (٣) .

والشرط الذى يقصده الإمام فى هذا التعريف هو يقين النبى أن ما وصل إليه من معرفة أنها من قبل اللّه تعالى سواء أكان ذلك بواسطة ملك أم بوحى دون واسطة ، وشرط التيقن هنا « أن ذلك من قبل اللّه » يخرج الإلهام ؛ لأن الإلهام كونه من قبل اللّه مظنون لهذا يفتح

(١) نقل هذا الرأى من كتاب « الوحى والملائكة فى اليهودية والمسيحية والإسلام » لأحمد عبد الوهاب ، ص ٣٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٣) رسالة التوحيد للإمام محمد عبده ، ص ٨٨ .

لنا الإمام هنا بابًا للتفرقة بين الوحى والإلهام ، وهى تفرقة ذات بال ولها أهميتها فى هذا الموضوع ، لأننا نعلم أن الذين كتبوا الكتب المقدسة كانوا ملهمين فى كتاباتها وأنهم كتبوها بإلهام الروح القدس كما يقولون ، ولهذا كان واجبًا علىَّ هنا أن أفرق بين الوحى والإلهام .

الفرق بين الوحى والإلهام :

سبق تعريف الإمام محمد عبده للوحى بأنه : « عرفان يجده الشخص فى نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بوساطة أو غير وساطة » .

ثم يقول : « ويفرق بينه وبين الإلهام بأن الإلهام وجدان تستقيه النفس وتنساق إلى مايطلب على غير شعور منها من أين أتى » (١) .

فالإلهام إذن غير الوحى ، وإذا كان مصدر الوحى معروفًا ومتيقنًا ، فإن مصدر الإلهام مجهول غير معلوم .

يقول الإمام أبو حامد الغزالى : « فالوحى حلية الأنبياء ، والإلهام زينة الأولياء ، فأما علم الوحى فكما أن النفس دون العقل فالولى دون النبى ، فكذلك الإلهام دون الوحى فهو ضعيف بنسبته للوحى » (٢) .

إذن فمادام الوحى يخالف الإلهام فما هو معلوم أن ما كان من قبل الله للنبى يطلق عليه وحى لا إلهام ، أما الإلهام فقد يكون لغير الأنبياء من البشر ، لهذا لما ذكر الله تعالى على سبيل الحصر وطرق الوحى لم يطلق على واحدة منها إلهامًا فقال : ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء** ﴾(٣)، فذكر هنا ﴿ **وحيًا** ﴾ ، وذكر الفعل : ﴿ **فيوحى بإذنه ما يشاء** ﴾ .

وما دام الإلهام لا يعلم مصدره ، فهل يصح أن يكون مصدرًا لكتاب سماوى منظم لشئون أمة من الأمم ؟

وعليه فإن الكتابيين أنفسهم يقررون أن الإلهام لم يكن فى اللفظ والمعنى بل كان فى المعنى فقط ، لهذا اختلفت تعبيرات الأناجيل ونصوصها .

---

(١) رسالة التوحيد ، ص ٨٩ .
(٢) القصور العوالى ، جـ ١ ص ١١٦ من الرسالة اللدنية .
(٣) الشورى : ٥١ .

طرق الوحى فى العهد القديم :

أولاً الطريق الأول : كلام اللّه إلى الأنبياء :

« وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعلمها ويحفظها ، وأوصى الرب الإله آدم قائلاً : من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت » (١) ، « دعا الرب موسى وكلمه من خيمة الاجتماع » (٢) .

هذا النص الوارد فى سفر التكوين ـ وهو أول أسفار العهد القديم ، وقد ورد بعدة وصايا وتعليمات صدرت من اللّه لآدم أول الخلق والأنبياء ـ يعتبر دليلاً واضحًا على معرفة صورة وطريق من طرق الوحى ، ولكن يبرز هنا سؤالان :

الأول : هل كلام اللّه تعالى للنبى حينئذ يكون بصوت ؟

الثانى : وهل الله يُرى حين إلقائه بكلماته لأنبيائه ، وهل يظهر ويراه المتحدث إليه ؟

والإجابة عن السؤال الأول نراها واضحة فى ثنايا أسفارهم بل وفى نفس السفر السابق الذى عرفنا على الطريق الأول من طرق الوحى ، حيث يدعى كاتبه أن كلام اللّه إلى آدم وزوجه حواء كان ذا صوت محسوس تعيه آذان البشر : « وسمعا صوت الرب الإله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة ، فنادى الرب الإله آدم وقال له : أين أنت ؟ فقال : سمعت صوتك فى الجنة فخشيت؛ لأنى عريان فاختبأت ، فقال : من أعلمك أنك عريان ؟ » (٣) .

وللإجابة عن السؤال الثانى يقول : « برسوم ميخائيل » : « كان الوحى يصل إلى الموحى إليهم عن طريق كلام من شخص منظور فى صورة إنسان أو صورة ملاك ، وقد يكون الشخص هو الرب ذاته » (٤) .

والكاتب هنا يبين أن الشخص المنظور الذى يلقى وحيًا إلى أنبياء اللّه قد يكون هو الرب ذاته وهوعندما يقرر ذلك لا يخرج عن نصوص كتابهم المقدس فتقرأ فى سفر التكوين : « وظهر له الرب عند : بلوطات ممر وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار

---

(١) تكوين : ٢ : ١٥ ـ ١٧ .

(٢) خروج : ٣٣ : ٩ .

(٣) تكوين : ٣ : ٨ ـ ١١ .

(٤) مجموعة حقائق كتابية ، ص ٧ .

فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه » (١) يقول « برسوم ميخائيل » فى تفسيره «وإذا ثلاثة رجال وكان اثنان منهم ملاكين فى رفقة الرب » .

والأمثلة على هذا الطريق من الوحى كثيرة فى العهد القديم والقسط الأكبر منها لموسى عليه السلام ، كما هو معروف منه أنه كليم اللّه وكثيراً ما تكررت لفظة : « وكلم الرب موسى » ، وخاصة فى سفر الخروج واللاويين والعدد والتثنية : « وكلم الرب موسى فى برية سيناء » (٢) ، « وكلم الرب موسى فى نفس ذلك اليوم » (٣) .

ولهذا لم يكن فى بنى إسرائيل بعد موسى من ماثله فى تلك الصفة لأن اللّه عرفه وجهًا لوجه على حد تعبير العهد القديم : « ولم يقم فى بنى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجهًا لوجه » (٤) .

الطريق الثانى : الرؤى والأحلام :

يقول خادم الإنجيل « برسوم ميخائيل » : « وكان اللّه أحيانًا يوصل إعلاناته عن طريق الأحلام كما حصل مع يوسف ، أوعن طريق مخاطبته تعالى للشخص فى نومه كما حصل مع إبرام » (٥) .

أما ما حدث ليوسف فقد تحدث عنه سفر التكوين يقول كاتبه : « وحلم يوسف حلما وأخبر إخوته فازدادوا أيضًا بغضًا له ، فقال لهم : اسمعوا هذا الحلم الذى حلمت ، فها نحن حازمون حزمًا فى الحقل، وإذا حزمتى قامت وانتصبت فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتى » .

« ثم حلم أيضًا حلمًا آخر وقصه على إخوته ، فقال : إنى قد حلمت حلمًا أيضًا ، وإذا الشمس والقمر أحد عشر كوكبًا ساجدة لى ، وقصه على أبيه وإخوته ، فانتهره أبوه وقال له : ما هذا الحلم الذى حلمت به ؟ هل نأتى أنا وأمك وإخوتك لنسجد لك إلى الأرض ؟ فحسده إخوته ، وأما أبوه فحفظ الأمر » (٦) .

وأما ما حدث لإبرام فقد ورد ذكره فى سفر التكوين أيضًا : « ولما صارت الشمس

---

(١) تكوين : ١٨ : ١ ــ ٣ .
(٢) العدد : ١ : ١ ، ٢ .
(٣) تثنية : ٣٢ : ٤٨ ، ٤٩ .
(٤) تثنية : ٣٣ : ١ ــ ١١ .
(٥) مجموعة حقائق كتابية ، ص ٧ .
(٦) تكوين : ٣٧ : ٥ ــ ١٠ .

إلى المغيب وقع على إبرام سبات ، وإذا رعية مظلمة عظيمة واقفة عليه فقال لإبرام : اعلم يقينًا أن نسلك سيكون غريبًا فى أرض ليست لهم ويستعبدون لهم ، فيذلونهم أربع مائة سنة ، ثم الأمة التى يستعبدون لها أنا أدينها ، وبعد ذلك يخرجون بأملاك عظيمة ، وأما أنت فتمضى إلى آبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة ، وفى الجيل الرابع يرجعون إلى هنا لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن تلك القطع ، فى ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقًا » (١) .

الذى يتفقد العهد القديم يرى أن الرؤيا كانت هى سبيل الوحى لأغلب الأنبياء ، فقد حدث ذلك مع يوسف وإبرام كما سبق ، وكذلك حدث مع ناثان وسليمان عليه السلام .

الطريق الثالث : عن طريق الملائكة :

يقول برسوم ميخائيل : وقد يكون المتكلم من ملائكة اللّه ، ويقول :

« كان الوحى يصل إلى الموحى إليهم عن طريق كلام من شخص منظور فى صورة إنسان أو صورة ملاك » .

وظهور الملائكة فى صور بشرية تخاطب البشربلقائهم وتبلغهم وحى اللّه كانت أكثر وسائل الوحى شيوعا عندهم .

فقد ورد فى سفر التكوين : « فجاء الملاكان إلى سدوم مساء وكان لوط جالسًا فى باب سدوم وقال الرجلان للوط : من لك أيضا ههنا ، أصهارك وبناتك وكل من لك فى المدينة أخرج من هذا المكان . لأننا مهلكان هذا المكان . إذ قد عظم صراخهم أمام الرب فأرسلنا الرب لنهلكه » (٢) .

وكذلك كان الحال مع إبراهيم ويعقوب ودانيال الذى تكفل بتعليمه جبريل ، وذلك كان الحال مع غيرهم من الأنبياء .

طرق أخرى :

أ ـ أن يسمع الموحى إليه صوتا يناديه فلا يعلم مصدره إلا عن طريق واحد ممن يقرأون

---

(١) تكوين : ١٥ : ٥ ، ١٨ .

(٢) تكوين : ١٩ : ١ ، ١٢ .

الكتاب ، ويعرفون طرق الوحى ، حدث ذلك مع صموئيل الذى كان حبيبا يخدم بيت الرب مع الكاهن عالى .

« وكان الصبى صموئيل يخدم بيت الرب إمام عالى » [1] .

« وصموئيل مضطجع فى هيكل الرب الذى فيه تابوت اللّه أن الرب دعا صموئيل فقال : هأنذا ، وركض إلى عالى ، وقال : هأنذا لأنك دعوتنى ، فقال : لم أدع ارجع ، اضطجع ، فذهب واضطجع ثم عاد الرب ودعا أيضا صموئيل فقام صموئيل وذهب إلى عالى ، وقال : هأنذا ؛ لأنك دعوتنى فقال : لم أدع يابنى ، ارجع ، اضطجع ، ولم يعرف صموئيل الرب بعد ولا أعلن له كلام الرب بعد ، وعاد الرب فدعا ضموئيل ثالثة ، فقام وذهب إلى عالى وقال : هأنذا ، لأنك دعوتنى ، ففهم عالى أن الرب يدعو الصبى ، فقال عالى لصموئيل اذهب ،اضطجع ، ويكون إذا دعاك تقول : تكلم يارب لأن عبدك سامع » [2] .

يتبين من هذا النص أن صموئيل لم يعرف مصدر النداء ولا الكاهن عالى عرف المصدر إلابعد أن تكرر ثلاث مرات ،حينئذ أدرك الكاهن أن الرب هوالذى ينادى فأخبر صموئيل بذلك .

كما يعلم من النص أن الوحى عندهم ليس له سن محددة ، فالرب هنا نادى صموئيل وأوحى إليه ، وأعلمه الرب أنه سيفنى بيت الكاهن عالى ، فى حين أنه كما سبق لولا عالى لما عرف صموئيل أن ذلك وحىٌ .

« فقال الرب لصموئيل : هو ذا أنا فاعل أمرًا فى إسرائيل ، كل من سمع به تطن أذناه فى ذلك اليوم أقيم على عالى كل ما تكلمت به على بيته ابتدى وأكمل ، وقد أخبرته يأتى أقضى على بيته إلى الأبد من أجل الشر » [3] .

من هذا يعلم أن الرب أوحى بالفعل إلى صموئيل ، وصموئيل آنذاك صبى لم يبلغ مبلغ الرجال : « ففهم عالى أن الرب يدعو الصبى » ـ كما مر ذكره .

ب ـ وقد يرى العبد فى السماء نورا أو نارا ثم يسمع منها ملاك الرب .

---

(١) صموئيل الأول : ٣ : ١ .

(٢) صموئيل الأول : ٣ : ٣ ـ ١٠ .

(٣) صموئيل الأول : ٣ : ١١ ـ ١٤ .

« وأما موسى فكان يرعى غنم بيثرون حميه كاهن مديان... فظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة ، فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق ، فقال موسى : أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لم تحترق العليقة ، فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال : موسى موسى ، فقال : هأنذا ، فقال : لا تقترب إلى هاهنا ... ثم قال : أنا إله أبيك إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب ، فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر » (١) .

جـ ـ وقد تحدث بعض الأمور المزعجة كشدة ريح وزلزلة وبعض العواصف ، والزوابع ، وقد تلمع بعد ذلك نار يليها أصوات خفيفة ثم يسمع صوت الوحى .

وقد حدث ذلك لإيليا وحزقيال .

« وإذا الرب عابر وريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور أمام الرب ، ولم يكن الرب فى الريح وبعد الريح زلزلة ولم يكن الرب فى الزلزلة ، وبعد الزلزلة نار ولم يكن الرب فى النار وبعد النار صوت منخفض خفيف ... وإذا بصوت إليه يقول : مالك هاهنا ياإليا .... فقال له الرب : اذهب راجعاً فى طريقك إلى دمشق » (٢) .

وقريب من ذلك قد حدث لحزقيال .

« صار كلام الرب إلى حزقيال الكاهن ابن بوزى فى أرض الكلدانيين عند نهر خابور ، وكانت عليه هناك يد الرب ، فنظرت وإذا بريح عاصفة جاءت من الشمال ، سحابة عظيمة ونار متواصلة وحولها لمعان ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار ، ومن وسطها شبه أربعة حيوانات وهذا منظرها ، لها وجه إنسان ، ولكل واحد أربعة أوجه ، لكل واحد أربعة أجنحة ، ... هذا منظر شبه مجد الرب ، ولما رأيته خررت على وجهى وسمعت صوت متكلم » (٣) .

د ـ وقد تستولى على العبد القوة الإلهية وتستخدمه فى النطق بالوحى المقصود ، سواء بطريقة إرادية واعية أو بطريقة غير إرادية (٤) .

وعن النوع الأول ـ وهو الإرادى ـ كان وحى الله تعالى إلى أرميا وبولس وكل أنبياء

---

(١) خروج : ٣ : ١ ـ ٦ .
(٢) الملوك الأول : ١٩ : ٩ ـ ١١ .
(٣) حزقيال : ١ : ١ ـ ٢٨ .
(٤) مجموعة حقائق كتابية ، ص ٨ .

الله القديسيين ، فقد ورد من هذا النوع أربع إصحاحات من الأول حتى الرابع فى سفر أرميا ، وكان أرميا هو المقصود بها .

كما ورد ذلك فى الإصحاحين الحادى عشر والثانى عشر من سفر أشعياء وكان أشعياء هو المقصود .

وأما النوع الثانى ـ غير الإرادى ـ فيمثل له برسوم ميخائيل قائلاً : « أو بطريقة غير إرادية كما فى حالة بلعام وشاول وقياثا وغيرهم من الأدعياء » (١) .

أما بلعام فقد ورد ذكره فى سفر التثنية : « ورفع بلعام عينيه ورأى إسرائيل حالا حسب أسباطه ، فكان عليه روح الله فنطق بمثله وقال : وحى بلعام بن بعور ، وحى الرجل المفتوح العينين » .

وأما شاول فجاء ذكره فى سفر صموئيل الأول فى مواضع متفرقة من الإصحاح ١٩، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ .

« وكان الروح الردى من قبل الرب على شاول وهو جالس فى بيته ورمحه بيده » (٢) .

« فكان عليه أيضًا روح الله ، فكان يذهب ويتنبأ حتى جاء إلى نايوث فى الرامة ، فخلع هو أيضًا ثيابه ، وتنبأ هو أيضًا أمام صموئيل وانطرح عريانًا ذلك النهار كله وكل الليل ، لذلك يقولون : أشاول أيضًا بين الأنبياء » (٣) .

وإذا كان برسوم ميخائيل أطلق على هذا النوع أنه استيلاء القوة الإلهية على الإنسان، فإن لفظ روح الله هو الذى يتكرر فى أمثلة هذا النوع ، وعليه فهو وحى عن طريق الملك، لهذا نقل فى كتاب : « الوحى والملائكة فى اليهودية والمسيحية والإسلام » لأحمد عبدالوهاب من أحد المراجع الأجنبية فى هذا النوع ما نصه :

« ولقد عرفنا أن من الملائكة أرواحًا متميزة إذا ما حلت بالعبد الصالح أنطقته بوحى الله ، وصار هو لسانها المتكلم بصوت تسمعه الآذان البشرية وتعى ما يقول ولذلك قال موسى : ياليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذا جعل الرب روحه عليهم » (٤) .

---

(١) مجموعة حقائق كتابية ، ص ٨ .

(٢) صموئيل الأول : ١٩ : ٩ .

(٣) صموئيل الأول : ١٩ : ٢٤ .

(٤) عدد : ١١ : ٢٩ .

وكان كلام صموئيل النبى إلى شاول وهو يعلمه إحدى طرق الوحى : « عند مجيئك إلى هناك إلى المدينة أنك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وهم يتنبأون ، فيحل عليك روح الرب فتنبأ معهم وتتحول إلى رجل آخر » (١) .

ويحكى حزقيال بدء الوحى إليه فيقول : « سمعت المتكلم معى وقال لى : يا بن آدم ، أنا مرسلك إلى بنى إسرائيل ، إلى أمة متمردة» (٢) .

الوحى فى العهد الجديد :

وبعد استطرادنا فى بيان طرق الوحى فى العهد القديم وبيان تعددها وتباينها ، ننتقل إلى الحلقة التالية ، وهى بيان طرق الوحى فى العهد الجديد .

وبادئ ذى بدء يؤكد العهد الجديد أن للوحى طرقا متعددة ويعترف بالطرق التى مر ذكرها فى العهد القديم ، فنقرأ فى الإصحاح الأول من الرسالة إلى العبرانيين هذه العبارة : « اللّه بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديمًا بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه الذى جعله وارثًا لكل شىء » (٣) .

وبذلك تعترف المسيحية بطرق الوحى السالفة الذكر، ولكنا إلى جانب ذلك نجد فى أسفار العهد الجديد بعض التفصيل أيضًا لحالات الوحى ، منها :

أولاً : حلول روح اللّه :

فى سفر أعمال الرسل فى الإصحاح الثانى نقرأ الآتى: « وامتلأ الجميع من الروح القدس ، وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى ، كما أعطاهم الروح أن ينطقوا » (٤) .

فالروح هنا قد حل على تلاميذ المسيح ومن فى مجلسهم فأصابتهم حالة الوحى ، حتى صاروا يتكلمون بألسنة أخرى .

ولكن اليهود سخروا من تلك الألسنة العجيبة والتى تقول ما لا يعقل ـ فى ظنهم ـ وظنوهم سكارى ومخبولين .

« وكان اليهود رجالاً أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين فى أورشليم ، فلما صار

---

(١) صموئيل الأول : ١ : ٥ ـ ١٠ .
(٢) حزقيال : ٢ : ٢ ، ٣ .
(٣) الرسالة إلى العبرانيين : ١ : ١ ، ٢ .
(٤) أعمال الرسل : ٢ : ٤ ، ٥ .

هذا الصوت اجتمع الجمهور وتحيروا لأن كل واحد منهم كان يسمعهم يتكلم بلقبه » ، فماذا كانت نتيجة هذه الحيرة :

« فتحير الجميع وارتابوا قائلين بعضهم لبعض : ما عسى أن يكون هذا وكان آخرون يستهترون قائلين إنهم قد امتلأوا سلافة » .

يقول بطرس مدافعًا عن التلاميذ ومقررًا أن حلول روح الله على الجموع من الناس ، إنما كان تحقيقًا لنبوءة وردت فى أسفار العهد القديم عما سيكون فى آخر الزمان ، وآخر الزمان هذا قد مر منذ عشرين قرنًا حيث عاش بطرس ومن معه من التلاميذ .

« فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته ، وقال لهم : « أيها الرجال اليهود ، ليكن هذا معلومًا عندكم ، واصغوا إلى كلامى ، لأن هؤلاء ليسوا سكارى كما أنتم تظنون لأنها الساعة التالية من النهار بل هذا ما قيل ليوئيل النبى ، يقول الله : ويكون فى الأيام الأخيرة أنى أسكب من روحى على كل بشر فيتنبأ نبؤكم ويرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلامًا وعلى عبيدى أيضًا وإمائى أسكب من روحى فى تلك الأيام فيتنبآن » (١).

الطريق الثانى : أن يكون الملاك واسطة بين النبى وربه :

يقول لوقا فى إنجيله : « فظهر له ملاك الرب واقفًا عن يمين نزع النجور ، فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف ، فقال له الملاك: لا تخف يازكريا لأن طلبتك قد سمعت ، وامرأتك اليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا ... فقال زكريا للملاك : كيف أعلم هذا لأنى أنا شيخ كبير وامرأتى متقدمة فى أيامها ، فأجاب الملاك وقال له : أنا جبرائيل الواقف قدام الرب وأرسلنا لأكلمك وأبشرك بهذا » (٢) .

وأيضا فى الإنجيل نفسه :

« وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينته من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت زرد اسمه يوسف ، والعذراء اسمها مريم ، فدخل إليها الملاك وقال :سلام لك أيتها المنعم عليها ... » (٣) .

---

(١) أعمال الرسل : ٢ : ٤ ـ ٨ .
(٢) لوقا : ١ : ١٢ ـ ٢٠ .
(٣) لوقا : ١ : ٢٦ ـ ٢٩ .

الطريق الثالث : الرؤيا :

وأشهر مثل فى العهد الجديد لهذا الطريق ما حدث ليوسف النجار ، الذى أحاط به الشك من كل جانب فى مريم عليها السلام ، ولكن عن طريق رؤيا منامية عرف سرحملها، وكانت النتيجة عدم استجابته لوساوسه فى أمرها ثم امتنع عن معاشرتها حتى ولدت المسيح ابنها البكر :

« ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا : يايوسف بن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس »(١) .

وتكرر الوحى بالرؤيا المنامية إلى يوسف النجار :

« فلما مات هيرودس إذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ليوسف فى مصر قائلاً : قم ، وخذ الصبى وأمه واذهب أرض إسرائيل » (٢) .

وقد تعرض لهذا الطريق من الوحى المجوس الذين أرسلهم هيرودس ليتيقنوا من ظهوره ثم يذهب ليسجد له ، وكانت حيلة منه لقتل الصبى ، فتوجه المجوس بحلم إلى طريق أخرى :

« حينئذ دعا هيرودس المجوس سرا وتحقق منهم زمان النجم الذى ظهر ، ثم أرسلهم إلى بيت لحم ، وقال : اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبى ، ومتى وجدتموه فأخبرونى لكى آتى أنا وأسجد له ... وأتوا إلى البيت ورأوا الصبى مع مريم أمه ، فخروا وسجدوا له، ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهبًا ولبانًا ومرًا ، ثم إذ أوحى إليهم فى حلم ألا يرجعوا إلى هيرودس انصرفوا فى طريق أخرى إلى كورتهم » (٣) .

خلاصة :

والخلاصة:أن حالات الوحى ووسائله فى المسيحية لا تخرج عما رأيناه فى اليهودية، ويمكن تلخيصها فما يلى ويكون ذلك تلخيصاً لأغلب حالات الوحى فى الكتاب المقدس:

---

(١) متى : ١ : ٢٠، ٢١ .
(٢) متى : ٢ : ١٩ ــ ٢١ .
(٣) متى : ٢ : ٧ ــ ١٣ .

أولاً : الوحى بالكلام المباشر بين الله والإنسان ، وقد سبق أن الكلام قد يكون بصوت مسموع ، وقد يظهر الله فى صورة شخص يراه العبد .

ثانيا : ظهور الملائكة فى صورها الحقيقية أو فى صور بشرية تعلم الناس بلغاتهم وحى الله ، كما حدث لنبى الله لوط وإبراهيم ، ودانيال كما يحدثنا العهد القديم ، وكما حدث لزكريا ومريم كما يحدثنا العهد الجديد .

ثالثًا : الوحى بالرؤى المنامية والأحلام ، كالذى حدث ليوسف عليه السلام ، وحدثنا بذلك العهد القديم ، وكالذى كان ليوسف النجار خطيب مريم عليها السلام وقد ورد ذلك فى العهد القديم .

تلك أبرز حالات الوحى فى الكتاب المقدس ، وهناك حالات أو طرق أخرى تحدثنا عنها سابقًا ، كحلول روح الله على العبد فتتغير حالته بطبيعته فيتكلم بالوحى ، وقد تنفعل نفس العبد الصالح بما يفيض على لسانه كلامًا يشتهر بين الناس بأنه وحى الله .

الوحى فى القرآن الكريم :

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم : ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه علىّ حكيم** ﴾ (١) .

وهذه الآية فيها حصر لأساليب الوحى وطرقه ـ ليس فى الإسلام وحده ـ وإنما فى كل دين ، وبمعنى أصح : ليس بالنسبة لمحمد وحده ولكن لكل عبد أوحى إليه من قبل الله تعالى فصار نبيًا أو رسولا .

يقول الأستاذ محمد فريد وجدى فى تفسير هذه الآية : « وما كان لإنسان أن يكلمه الله كما يكلم بعضكم بعضا بكلام مسموع من طريق التموجات الهوائية ، بل يكلمه وحيا أى من طريق الوحى ، بأن يخلق فى قلبه ما يشاء إلقاءه إليه أو أن يكلمه من وراء حجاب بشرية على حالة أخرى يعلمها هو ، أو يرسل ملكا يبلغه مراده ، إنه علىّ عن صفات المخلوقين ، حكيم يفعل عن مقتضى الحكمة » (٢) .

وصدر هذا الكلام يفرق بين كلام الله لأنبيائه وبين كلام البشر ، حيث يتصف الأخير بالصوت والتموجات الهوائية والترنيمات البشرية ، لكن كلام الله يخلو من كل هذا ، فهو

---

(١) الشورى : ٥١ .　　(٢) المصحف المفسر لمحمد فريد وجدى ، ص ٦٤٦ .

كلام يليق بذاته المقدسة ، وهذا يخالف ما قرأناه سالفًا فى الكتاب المقدس من أن كلام اللّه لأنبيائه كان بصوت مسموع ـ وربما كان اللّه مرئيًا وبارزًا لهم يرونه وينظرون إليه كواحد منهم جل اللّه عن ذلك .

وابن كثير رضى اللّه عنه يزيدنا وضوحًا فى معنى هذه الآية : « **هذه مقامات الوحى** بالنسبة إلى جناب اللّه عز وجل ، وهو أنه تبارك وتعالى تارة يقذف فى روع النبى ﷺ شيئا لا يتمارى فيه أنه من اللّه عز وجل كما جاء فى صحيح ابن حبان عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : « إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا اللّه وأجملوا فى الطلب » ، وقوله تعالى : ﴿ **أو من وراء حجاب** ﴾ : كما كلم موسى عليه السلام فإنه سأل الرؤية بعد التكليم فحجب عنها ، ﴿ **أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء** ﴾ : كما ينزل جبريل عليه الصلاة والسلام ، وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ﴿ **إنه علىٌّ حكيم** ﴾ فهو علىّ عليم خبير حكيم »(1) .

وإذا كانت هذه الآية أجملت طرق الوحى من الحق إلى عباده أيا كانوا وفى أى زمن وجدوا ؛ فإننا نرى القرآن الكريم يتنبأ بالكثير من أخبار الوحى ووسائله مع الأنبياء السابقين :

أولاً : قد يكون ذلك بالرؤيا المنامية يراها النبى ويوقن أنها وحى من اللّه تعالى .

ولقد كان هذا هو الحال مع إبراهيم عليه السلام حين ابتلاه اللّه بنزع ولده إسماعيل الوحيد ، الذى لم يرزق به إلا فى شيخوخته ، وقام إبراهيم بعزم النبيين بتنفيذ أمر الله رغم ما كان يعانيه من آلام الأب وشفقته فى الوقت نفسه ، يقول تعالى: ﴿ **فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أن أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء اللّه من الصابرين. فلما أسلماوتله للجبين . وناديناه أن يا أبراهيم . قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين** ﴾(2) .

ثانيا : وقد يكون بظهور الملائكة فى صور بشرية تلقى وحى اللّه إلى الأنبياء .

---

(1) تفسير ابن كثير ، جـ ٤ ص ١٢١ .　　(2) الصافات : ١٠١ ـ ١٠٦ .

وقد تعرض إبراهيم عليه السلام لذلك حينما جاءته الملائكة تبشره بولده إسحاق وكانت زوجه عاقرا . قال تعالى : ﴿ **هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين . إذ دخلوا عليه فقالوا سلامًا قال سلام قوم منكرون . فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين . فقربه إليهم قال ألا تأكلون . فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم** ﴾ (١) .

وحدث ذلك مع لوط عليه السلام حين جاءوه منذرين بإهلاك قومه ، يقول تعالى : ﴿ **كذبت قوم لوط بالنذر . إنا أرسلنا عليهم حاصبًا إلا آل لوط نجيناهم بسحر** ﴾ (٢) .

ثالثًا : وقد تنادى الملائكة أحد أنبياء اللّه تعالى ويسمع النبى نداءهم .

وذلك مثل ما كان من أمر زكريا ومريم عليهما السلام ، وذلك فى سورة آل عمران: ﴿ **هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهوقائم يصلى فى المحراب أن اللّه يبشرك بيحيى مصدقًا بكلمة من اللّه وسيدًا وحصورًا ونبيًا من الصالحين** ﴾ (٣) . وقوله تعالى : ﴿ **إذ قالت الملائكة يا مريم إن اللّه يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهًا فى الدنيا والآخرة ومن المقربين** ﴾ (٤)

والذى يعنينا هنا أن القرآن الكريم هو كلام اللّه الذى أنزل على رسوله وأمره بتبليغه إلى الناس جميعًا : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور** ﴾ (٥) ، ويقول تعالى : ﴿ **إن علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه** ﴾ (٦) .

وينبغى هنا أن نذكر حالات الوحى بالنسبة لسيدنا محمد ﷺ .

والوحى باب هام جدًا لذا بدأ به الإمام البخارى صحيحه ، وجعله الإمام مسلم عقب باب الإسلام والإيمان وهو مفتتح صحيحه ، وقد عقد الإمام السيوطى فى كتابه

---

(١) الذاريات : ٢٤ ـ ٢٨.
(٢) القمر : ٣٣ ، ٣٤ .
(٣) آل عمران : ٣٨ ، ٣٩ .
(٤) آل عمران : ٤٥ .
(٥) إبراهيم : ١ .
(٦) القيامة : ١٧ ـ ١٩ .

« الإتقان » لكيفيات الوحى فصلا مستقلا ، ونرى لزامًا علينا هنا أن نذكر تلك الكيفيات :

إحداها : أن يأتيه الملك فى مثل صلصلة الجرس كما فى الصحيح وفى مسند أحمد عن عبد اللّه بن عمر : سألت النبى ﷺ فقلت : يارسول الله ، هل تحس بالوحى ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم ، أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك ، فما من مرة يوحى إلى إلا ظننت أن نفسى تفيض » (١) وهو أشد حالات الوحى عليه وقيل : إنما كان ينزل هكذا إذا نزلت آية وعيد أو تهديد .

الثانية : أن ينفث فى روعه الكلام نفثا ، كما قال ﷺ : « إن روح القدس نفث فى روعى » (٢) .

الثالثة : أن يأتيه فى صورة رجل فيكلمه ، كما فى الصحيح : « وأحيانًا يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى فأعى ما يقول » .

الرابعة : أن يكلمه الله إما فى اليقظة كما فى ليلة الإسراء ، أو فى النوم كما فى حديث معاذ : « أتانى ربى فقال : فيم يختصم الملأ الأعلى » الحديث (٣) .

ويعقب الإمام السيوطى على القسم الثانى من الحالة الرابعة فيقول : « وليس فى القرآن من هذا النوع شىء فيما أعلم » (٤) .

وبعد : فإن القرآن الكريم يقول اللّه فيه : ﴿ **هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات** ﴾ (٥) .

وبعد معرفتنا بطرق الوحى فى العهد القديم ، وفى العهد الجديد ، وفى القرآن الكريم، فليس معنى ذلك أننا نسلم بأنها متساوية ومن قبل اللّه تعالى ـ وإن كانت عقيدتنا فى كتاب اللّه تعالى ثابتة كالجبال لا تتزعزع ولا تتحرك قيد أنملة فى أنها وحى من قبل اللّه ، ولكن من نوع التسليم للخصم هنا حتى يثبت العكس إن شاء اللّه تعالى ، وهذا هو غرض تلك الرسالة أن الكتب الثلاثة ذكرت أنواعًا للوحى .

---

(١) مسند الإمام أحمد ، جـ ٢ ص ٢٢٢ . طبعة دار الفكر العربى . بيروت ،

(٢) أخرجه الشافعى فى الرسالة بسنده ص ٩٣ عن عبد المطلب بن حنطب وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد جـ ٤ ص ٧١ ، ٧٢ : رواه الطبرانى فى الكبير .

(٣) أخرجه الترمذى فى جامعه باب (سورة ص) ، جـ ٢ ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٤) الإتقان فى علوم القرآن ، ص ٥٩ ، ٦٠ .

(٥) آل عمران : ٧ .

والسؤال الذى يعنينا إجابته فى هذا الرسالة : أى هذه الكتب يكـون وحيًا من قبـل الله ، وتنطبق عليه إحدى هذه الطرق ؟ هذا يحتاج إلى أدلة وحجج وبراهين ، ولابد لبيان ذلك وإثباته من وجهين :

أحدهما : خارجي وهو إثبات تاريخى للتحقق من نسبة الكتاب إلى النبى حتى يتحقق لدينا نسبته إلى الله تعالى .

ثانيهما : دراسة للكتاب ذاته ، فلكى يكون الكتاب وحيًا ينبغى ألا تتصادم نصوصه بعضها مع بعض ، كما ينبغى ألا تتصادم بعض قضاياه بالحقائق الثابتة ، علمية كانت أوتاريخية أو عقلية .

وهذان الوجهان هما موضوع دراستنا فى البابين إن شاء الله تعالى .

مفارقات :

من دراستنا لموضوع الوحى فى الكتاب المقدس ـ بعهديه : القديم والجديد ـ وفى القرآن الكريم ، نرى أن الطرق والوسائل تكاد تكون متشابهة ، فالوحى إما أن يكون مباشرة من الله إلى العبد ، أو بواسطة سواء أكانت تلك الواسطة هى روح القدس أم ملكًا يوصل مراد الله إلى عبده .

لكن هذا التشابه فى الطرق تشابه عام . أما إذا دققنا النظر فى الألفاظ والعبارات التى سيقت فى الكتاب المقدس فلا شك أننا سنجد بينها وبين ألفاظ القرآن الكريم وعباراته اختلافًا واضحًا يؤدى إلى ذكر ما يلى من مفارقات تراها بين الوحى بطرقه عندهم وعندنا ، وإليك تلك المفارقات :

أولاً : فى الطريق الأول ، وهو كون الوحى مباشرة من الله إلى العبد ، ينبغى أن يكون الوحى بكيفية تليق بذات الله المقدسة ، فلا يكون الكلام بصوت أو بتموجات بشرية ، كما ينبغى ألا يظهر الله فى صورة بشر أو بتشخص أمام العبد ، فإن ذات الحق تعالى لاشك أنها تجل عن ذلك .

وهذا الذى ذكرناه تحقق فى وصف القرآن الكريم لهذا الطريق من الوحى ، فذكر القرآن أن الله يوحى إلى أنبيائه بل ويوحى إلى مخلوقات أخرى كالنحل ، وهو فى كل حالة من تلك الحالات يسكت عن الكيفية ، فهذا مما لا يعلمه إلا الله ، وينبغى علينا أن نؤمن أن الكيفية مخالفة للحوادث ولائقة بذاته الكريمة .

لكن الكتاب المقدس ـ كما مر ـ لم يقل ذلك ، فقد ذكرنا آنفًا أن سفر التكوين يقول : « وسمعا صوت الرب الإله ماشيًا فى الجنة » ، « فنادى الرب الإله آدم وقال له : أين أنت ؟ فقال : سمعت صوتك فخشيت لأنى عريان فاختبأت » .

وفى السفر نفسه أيضًا :« وظهر له الرب عند بلوطات ممر ، وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار ، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه » .

يقول « برسوم ميخائيل » فى تفسير : « وإذا ثلاثة رجال » : « كان اثنان منهم ملاكين فى رفقة الرب » .

ويقول أيضًا تأكيدًا لكل ما سبق : « كان الوحى يصل إلى الموحى إليه عن طريق كلام من شخص منظور فى صورة إنسان أو صورة ملاك ، وقد يكون الشخص هو الرب ذاته»ـ وقد مر ـ بيان تلك النصوص .

وإذا كان « برسوم ميخائيل » يقول ذلك ، فلنستمع إلى الإمام الغزالى فى هذا الموضوع وهو يقول : « فإنا معترفون باستحالة قيام الأصوات بذاته ، واستحالة كونه متكلمًا بهذا الاعتبار » (١) .

وردًا على سؤال احتمله الإمام من سائل يسأل عن كيفية سماع موسى عليه السلام لكلام اللّه تعالى يقول : « قلنا : سمع كلام اللّه تعالى وهو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ليس بحرف ولا صوت » .

أما نقطة تشخص اللّه وتجسده ـ تعالى اللّه عن ذلك علوًا كبيرًا ـ فهى من الوضوح عندنا والظهور بحيث لا تحتاج إلى قول عالم أو توضيح مؤلف ، وذلك لأن العقيدة التى لاتتزحزح عند أئمة المسلمين بخصوص تلك النقطة هى قوله تعالى : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ (٢) .

ثانيًا : ومن المآخذ أيضًا على طرق الوحى عندهم : أن الموحى إليه قد ينادى من قبل اللّه أو من قبل ملك مرة أو أكثر من مرة ، ولكنه لا يعرف مصدر النداء ، وقد يتكرر ذلك لكنه لا يهتدى ، والذى يأخذ بيديه من هذه الحيرة أحد الذين جربوا الوحى قبله ، فقد سبق ذكر قصة النبى صموئيل الذى كان يتربى عند الكاهن«عالى » ويخدم بيت

(١) الاقتصاد فى الاعتقاد للإمام أبى حامد الغزالى ، ص ١٠٣ .
(٢) الشورى : ١١ .

الرب ، حيث نودى عليه من قبل الرب ثلاث مرات لكنه فى كل مرة يجهل مصدر النداء حتى ذكر ذلك للكاهن عالى ، حينئذ أدرك عالى أن الرب يدعو الصبى .

وقد مر ذكر هذا القصة من سفر صموئيل الأول ، ومعنى ذلك : أن الوحى هنا لصبى لم يصل مرحلة البلوغ ، والأهم أن صموئيل الذى تكرر له النداء ثلاث مرات لم يعرف أنه نداء الرب إلا عندما أدرك ذلك الكاهن عالى ، وأخذ صموئيل يقول عند النداء : « تكلم يارب لأن عبدك سامع » [1] .

ولكن ما كان الوحى لينزل على رسل اللّه وهم فى لهو عنه وهم غافلون لا يعبأون به ، ولا يدرون من أمره شيئا ، يقول الإمام الغزالى فى شرح ذلك : « وسماع النبى من اللّه يكون بغير وساطة ، ويستحيل أن يكون بحرف أو صوت ، لكن يكون بخلق اللّه علمًا ضروريًا يدرك به الرسول ثلاثة أمور :

أولها : أن المتكلم هو اللّه تعالى .

ثانيها : أن ما سمعه هو كلام اللّه سبحانه .

ثالثها : مراد اللّه من كلامه عز شأنه .

ثم يعقب على كل هذا بتلك العبارة المهمة : « والقدرة الإلهية الأزلية لاتقصر عن ذلك » [2] .

وما قرره الإمام هنا يعتبر ردًا على النقطتين السابقتين . فصدر عباراته دليل واضح على أن كلام اللّهّ إلى النبى بغير حرف ولا صوت ، ثم هو بعد ذلك يقرر أن اللّه يخلق علمًا ضروريًا يدرك الرسول به ثلاثة أمور كما مر ، فالعبد الموحى إليه لا شك أنه مدرك أن ذلك وحى من قبل اللّه ، ونقول مع الإمام الغزالى : « إن القدرة الإلهية الأزلية لا تقصر عن ذلك» ، لكن الكتاب المقدس لا يعطى للقدرة مثل هذه الطلاقة .

---

(١) راجع تلك القصة فى : سفر صموئيل الأول الإصحاح الثالث .

(٢) نقل هذا الرأى من كتاب الوحى والملائكة لأحمد عبد الوهاب ، ص ٦٤ .

الباب الأول

السـند

الفصل الأول : ســــــــد التـوراة .

الفصل الثاني :ســــــد الأنـاجيـــل .

الفصل الثالث : سند القرآن الكـريم.

السـند

تعريف السند :

مادة « سند » فى اللغة : منها : السند ، وهو ما ارتفع من الأرض فى قُبُل الجبل أوالوادى ، وكل شىء أسندت إليه شيئا فهو مسند ، ويقال : ساندته إلى الشىء فهو متساند إليه أى أسندته إليه (١) .

مما سبق يتبين أن للكلمة سمتين متميزتين ، الأولى : العلو والارتفاع ، الثانية : القوة التى تسند غيرها .

يقول الجوهرى فى المعنى الأول : السند : ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح ، وورد فى لسان العرب فى المعنى الثانى : « وساندت الرجل مساندة إذا عاضدته وكانفته ، وفلان سند أى معتمد » (٢) .

وفى المعجم الوسيط : سند إليه سنودا ـ بالضم ـ ركن إليه ، واعتمد عليه واتكأ والشىء سندا جعل له سناداً ، أو عماداً يستند إليه (٣) .

وهذه المعانى هى المرادة فى دراستنا تلك ؛ فإن السند فى النصوص هو ما يعلوها ويرتفع فوقها ، وسلسلة السند هم من يستند إليهم ذلك النص فهم قوته وعقيدته ، وهم متكأ ذلك النص وتلك الرواية ، لهذا ففى المعجم الوسيط :

والسند فى مصطلح الحديث : رجاله الراوون له (ج) أسانيد (٤) .

وفى لسان العرب : أسند الحديث رفعه ، والمسند من الحديث ما اتصل إسناده حتى يسند إلى النبى ﷺ (٥) .

---

(١) انظر : لسان العرب ، دار المعارف ، جـ ٢ ص ٢١١٤ .

(٢) انظر : لسان العرب ، مادة سند ، جـ ٢٤ ص ٢١١٤ .

(٣) انظر : المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية جـ ١ ص ٤٥٣ .

(٤) انظر : المعجم الوسيط ، جـ ١ ص ٤٥٤ .

(٥) لسان العرب ، جـ ٢٤ ص ٢١١٤ .

ونحن فى هذا الباب سنتعرض لسند الكتب الثلاثة :التوراة أو العهد القديم ، والإنجيل أو العهد الجديد ، والقرآن الكريم ، لنقف على حقيقة سند كل ، وهل سيتوفر فيه شرط الاتصال وعدم الانقطاع أو لا ، وعندئذ نستطيع أن نقف على حقيقة تاريخ كل ، وإلى أى زمن يصل حتى نقف على حقيقة اتصاله بقائله أو انقطاعه .

يقول « برسوم ميخائيل » فبالنسبة للوحى يمكن للعقل أن يبحث ، بروح التواضع ، الأدلة على وحى الكتاب » [١] .

ولا شك أن البحث فى السند أو بمعنى آخر فى سلسلة الرواة للنص ومعرفة حقيقة قائله ، لهو من أول الأدلة على معرفة ما إذا كان الكتاب وحيًا أو لا ؟

ويقول أيضًا : « ومتى قام الدليل على أن الكتاب المقدس هو وحى اللّه لنا ، وجب علينا تصديقه » [٢] ، وكما سبق موضوع السند هو بداية الأدلة التى بها يصل الباحث عن الحقيقة إلى حقيقة ما إذا كان الكتاب وحيًا أو لا .

ولا يمكن للوحى أن يصلنا إلا عن طريق الأنبياء والرسل ، وإذا ما وصلنا عن طريقهم فلم يبق بعد ذلك سوى الإيمان والتسليم ، يقول « برسوم ميخائيل » أيضًا : « لقد خص اللّه البعض بهذا الامتياز وهم الأنبياء ليبلغوه للآخرين ، مؤيدين دعواهم هذه بالمعجزات وبوحدة رسالة الحق المبلغة مهما اتسع نطاقها بالتوالى ، وبهذا وذاك يتبرهن وحيها من اللّه ، ويصبح الإنسان مسئولاً عن تصديقها » [٣] .

إذن فلابد من التحقق أن التوراة التى نزلت على موسى هى التى توجد بين أيدينا الآن وهكذا الإنجيل الذى نزل على عيسى ، وكذلك القرآن الذى نزل على محمد عليهم الصلاة والسلام أجمعين ، وهذا هو موضوع السند .

ونحن إذ نبدأ الكتابة عن هذا الموضوع نبدأ بالتسلسل التاريخي فيكون الباب ثلاثة فصول ، نتحدث فى أولها عن سند التوراة ، وفى الثانى عن سند الأناجيل ، وفى الثالث عن سند القرآن الكريم ، وأنا إذ أتناول هذا الموضوع فإننى أقتصر على ماشتهر عند اليهود بالتوراة ، وما اشتهر عند النصارى بالأناجيل الأربعة ، وإذا قام الدليل على انقطاع السند فيها فهو دليل على انقطاعه فيما عداها حيث إنها المعتمد عند كل .

---

(١) مجموعة حقائق كتابية « لبرسوم ميخائيل » ، جـ ٢ ص ١١ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠ .

الفصل الأول

سند التوراة

بالنسبة لكلمة السند، فقد مر بيان معناها اللغوى ووقفنا على المراد منها فى هذا الباب، أما كلمة التوراة ، فهى قد تطلق مجازاً على مجموعة أو جميع الأسفار التى توجد فى العهد القديم ، ولكن الحقيقة أن الدارسين قد اعتادوا عند الحديث عن العهد القديم أن يكون مقسماً أربعة أقسام :

١ ـ أسفار الناموس .

٢ ـ الأسفار التاريخية .

٣ـ الأسفار الشعرية .

٤ ـ الأسفار النبوية .

وأسفار الناموس خمسة هى :

١ ـ سفر التكوين .

٢ ـ سفر الخروج .

٣ ـ سفر اللاويين .

٤ ـ سفر العدد .

٥ ـ سفر التثنية .

تلك الأسفار الخمسة هى التى يطلق عليها اسم التوراة ، وهذا هو الإطلاق الحقيقى ـ فى زعمهم ـ ، وكما سبق قد يطلق هذا الاصطلاح على أسفار العهد القديم كلها ، يقول صاحب كتاب « مجموعة حقائق كتابية » : « لم يجعل اللّه التوراة وهى شاملة لناموس موسى وكل أسفار العهد القديم ... » (١) .

---

(١) مجموعة حقائق كتابية ، جـ ٢ ص ١٩ .

وإذا كان لفظ التوراة قد يطلق مجازاً على العهد القديم كله ؛ فلا شك أنهم والنصارى يعتقدون أن هذا الكتاب الموجود بأيديهم الآن موحى به من قبل الله تعالى ، يقول أحدهم ـ بعد ما ساق بعض الأدلة على وحى الكتاب ـ : « لم يبق مفر من التسليم بأنه الكتاب المقدس الموحى به من الله ، وأن فكرة وجود كتاب مقدس غيره مفقود ، هى وليدة الوهم والادعاء » (١) ، ونفس الكاتب يقول : « فالتوراة بكل كتبها المقدسة هى هى بعينها . كما صدرت من أيدى كاتبيها (٢) .

ويعنى ذلك أن الكتاب المقدس الذى بأيديهم بما فيه العهد القديم ، والذى يشتمل على التوراة كتاب موحى به من عند الله تعالى ، وأن التوراة التى نزلت على موسى هى هى بعينها التى توجد الآن بأيديهم .

يقول الدكتور « الفريد مارتن » : « أسفار الناموس ـ وهى الأسفار الخمسة الأول فى العهد القديم ـ غالباً ما يطلق عليها معاً اسم أسفار موسى الخمسة ، وهذه الأسفار اعتبرت دائماً كوحدة ، وقبلت من البداية من اليهود والمسيحيين معاً ، على أن كاتبها هو موسى ، وهذا الأمر ليس موضع تحقيق بالنسبة للمسيحى المؤمن بالكتاب المقدس » (٣) .

إذن فالعهد القديم فى زعمهم كتاب سماوى أوحى الله به إلى الأنبياء ، وخاصة موسى عليه السلام الذى كتب التوراة بيده والتى هى أسفار الناموس الخمسة ـ كما يزعمون .

ونحن إذ نسلم لهم بذلك ـ لا تسليم المعتقد الموقن ، ولكن تسليم الناقد المتيقظ ـ فإننا نبدأ معهم فى دراسة التسلسل التاريخى لهذه الأسفار ونتعرض لآراء علمائهم كما ينبغى ، نتلو ذلك بعرض وجهة نظر علماء المسلمين ، وبهذا نصل إلى نتيجة لابد منها، وهى معرفة ما إذا كانت هذه هى الكتب السماوية والأسفار المقدسة التى أوحى الله بها إلى أنبيائه أم ليست هى ؟

ودراسة السند فى العهد القديم يبدأ بعرض موجز لتاريخ بنى إسرائيل على أن يكون الكتاب الذى يحوى عقائدهم وشرائعهم هو محور هذه الدراسة ، وبهذا نقف على التقلب التاريخى لهذا المصدر .

---

(١) مجموعة حقائق كتابية ، جـ ٢ ص ٤٠ .
(٢) نفسه .
(٣) دراسة أسفار الكتاب المقدس ، ص ٢٢ .

كما أن دراسة السند أيضًا تتطلب منا عرضًا للغات التى ألفت بها أسفارهم .

كما أن معرفة تأليف هذه الأسفار لمن الموضوعات الهامة فى هذا الفصل ، وإلى أى عصر من العصور تنتمى تلك الأسفار حتى يتبين لنا الفترة التاريخية بين مؤلفيها وبين كتابتها .

ولما كان الذى بين أيدينا من هذه الأسفار ، هو الترجمات فما ليس منه بد فى هذا الفصل . أن نتحدث عن اللغات التى ترجمت إليها قديمًا وحديثًا ، ومدى انطباقها أولا على النص الأصلى إن وجد ، ومدى انطباق تلك الترجمات بعضها على بعض ثانيًا .

ومما هو معلوم عندهم بالضرورة إيمان البعض ببعض الأسفار وإنكار آخرين لها ، وبالطبع الإيمان والإنكار المتعلقان بهما يتوقف على مدى اعتقاد فرقهم فى قداسة تلك الأسفار أو اعتقادهم فى عدم قداستها ، كما أن تلك القداسة أو عدمها يتوقف على مدى صلة الكتاب بمؤلفه .

وفى نهاية هذا الفصل أصل إلى نتيجة لابد منها وهى هل هذه الكتب متصلة الإسناد أو لا ؟

تاريخ التوراة

« وتسمى الناموس ، أنزلها اللّه تعالى فى طور سيناء على النبى موسى عليه السلام ، وتشتمل على العقيدة والشريعة ، وكتب موسى منها ثلاث عشرة نسخة ، وأعطى لكل سبط نسخة ، ووضع فى التابوت نسخة ، وخصص موسى - بناء على وحى - سبط لاوى ليقوم بتعلم التوراة وتعليمها للناس ، وخصص نسل هارون عليه السلام من سبط لاوى لتكون فيهم الرئاسة ، ويكون منهم من يستنبطون الأحكام التشريعية من نصوص التوراة ، والعالم من الهارونيين يلقب بلقب يربى أو رابى أو ربى أو ربانى أو ربونى ، والعالم من اللاويين العاديين يلقب بلقب حبر ، ويطلق عليهم جميعًا اسم (الكتبة) » (١) .

من العرض السابق نعلم أن موسى عليه السلام ترك التوراة الصحيحة بين قومه، وعهد إلى سبط لاوى وإلى نسل هارون بالذات من سبط لاوى بمهمة حفظ التوراة فما الذى حدث بعد ذلك ؟

يقول محقق كتاب شفاء الغليل : « وظلت التوراة على حالها مع بنى إسرائيل إلى سنة ٥٨٦ ق . م ، ثم تغيرت وبدلت ، وسبب ذلك : أن اللّه تعالى وضح لبنى إسرائيل فى توراة موسى أنه سيأتى فى مستقبل الأيام نبى من بنى إسماعيل عليه السلام ، وإذا جاء يتركون التوراة ويعملون بالشريعة التى ستكون معه ، وفى سنة ٥٨٦ ق . م جاء ملك بابل بنوخذ ناصر ، وحارب بنى إسرائيل وهزمهم ، وساق الأعيان والوجهاء أسرى إلى بابل فظن العلماء من شدة الهول أن عصر ملكهم أوشك على الزوال ، وأن النبى المنتظر من آل إسماعيل على وشك الظهور ، وفكروا ما عسى يمكن أن يفعلوا ؟ وبعد تفكير عميق اتفق العلماء الذين اتخذوا لهم مكانة بالمكر فى بلاط الحاكم الفاتح على تحريف التوراة ، يكتبونها من جديد ، ويضعون النصوص الواضحة عن نبى بنى إسماعيل محتملة المعنيين فى نظر العوام ، فكتبوها ووضعوا نصوص النبوءات عن محمد ﷺ محتملة للمعنيين ، ثم زادوا بعض التشريعات المناسبة لتخطيطهم لجنسهم فى المستقبل ، ووضعوا قصص الآباء الأوائل والأنبياء لتهدف إلى ما خططوه من جنسهم ، وكان اليوم الذى انتهوا فيه من كتابة التوراة الجديدة هو اليوم الأول للصهيونية » (٢) .

---

(١) مقدمة كتاب شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل للإمام الجوينى تحقيق الدكتور - أحمد حجازى السقا ، ص ١١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١ ، ١٢ .

ومن السطور السابقة ، نعلم أن عهد التحريف أو عهد التوراة الجديدة بدأ سنة ٥٨٦ ق . م ؛ وهو العام الذى بدأ فيه اضطهاد اليهود حيث قتال ملك بابل لهم وسوقه لوجهائهم أسرى إلى بابل ، وأن الداعى إلى هذا التحريف هو ما علمه علماؤهم من التوراة أن ملكهم سيزول على يد نبى بنى إسماعيل ، ولهذا شعروا بعد السبى بقرب هذه المملكة الجديدة التى تنذر بزوال ملكهم فأسرعوا يرسمون لهم خطة فى التوراة يسيرون عليها ، ولكن لا يزال هناك سؤال يطرح نفسه وهو من بالتحديد الذى قام بكتابة التوراة الجديدة ؟

يقول محقق شفاء الغليل : « وكانت لجنة العلماء التى قامت بكتابة التوراة الجديدة مكونة برئاسة « عزرا الوراق » فالتوراة المتداولة الآن هى توراة عزرا ، ولما رجع عزرا من بابل من المسبيين بالتوراة الجديدة ونظم أحوال اليهود ، حدث نزاع بينه وبين اليهود السامريين بسببه انفصلوا عن اليهود العبرانيين إلى اليوم ، ثم لكى يتهموا العبرانيين بالتحريف فى التوراة غيروا آيات من توراة عزرا ، هكذا قول العبرانيين عنهم ، وهم يقولون نفس الشىء عن العبرانيين ، وسميت توراتهم بالسامرية ، وسميت توراة الفريق الآخر بالعبرانية » (١) .

من هذه السطور نصل إلى أن «عزرا » هوالذى كتب التوراة الجديدة ، وأن العبرانيين والسامريين حدث بينهم نزاع أدى إلى الشقاق مما ساعد على وجود التحريف أيضاً ، فكل فئة منهم جعلت لها توراة .

وقبل أن أدخل فى الإجابة عن سؤال من هو عزرا ، وهل كتب التوراة فعلاً ؟ ينبغى أن نقرر هنا : أن اليهود يدعون أن التوراة الحالية كتبها موسى عليه السلام فهل هذا صحيح ؟

نسبة التوراة إلى موسى :

يعتقد اليهود والنصارى أن موسى عليه السلام كتب التوراة بيده . يقول : « برسوم ميخائيل » : « وأول أمر لكتابة الوحى صدر لموسى النبى عقب انتشار الوثنية فى العالم ، فكان ذلك قبل المسيح بنحو ١٥٠٠ عام ، وقد تلقى الوحى لكتابته وسط وعور سيناء » (٢) .

والأخبار فى نسبة التوراة لموسى كثيرة وأول خبر فى نسبة التوراة إلى موسى ـ كما

---

(١) شفاء الغليل ، ص ١٢ .

(٢) مجموعة حقائق كتابية ، ص ٩ .

يقول فؤاد حسنين ـ هو ذلك الوارد فى الآية ١٨ من ص ٢٣ من سفر أخبار الأيام الثانى والذى يقول : « كما هو مكتوب فى شريعة موسى » بعد ذلك أيضًا : « فقال الرب لموسى: اكتب هذا تذكارًا فى الكتاب » (١) ، « كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب»(٢) .

وظل هذا الرأى قويًا حتى جاءت المسيحية فاعترفت به ، إذ جاء فى إنجيل مرقس : «إنما قرأتم فى كتاب موسى أمر العليقة كيف كلم اللّه قائلا : أنا إله إبراهيم ، وإله إسحاق ، وإله يعقوب » (٣) .

إلى متى ظل هذا الاعتقاد ؟ :

على الرغم من ذلك لم تسلم صحة التوراة ونسبتها إلى موسى من الشك والإنكار ، وقد كان مصدر ذلك الشك الرغبة الصادقة فى البحث العلمى المجرد من التعصب والنفاق، فقد ظل الاعتقاد الأول ساريًا حتى نشطت حركة النقد فى العصور الوسطى ، فأصبح الاعتقاد بأن موسى كتب التوراة وألفها موضع شك .

يقول فؤاد حسنين : « وقد نشطت حركة النقد فى العصور الوسطى بزعامة كثيرين من ربانى اليهود ، وفى أواخر القرن الخامس عشر وأوائل السادس عشر ، ظهر أمثال العالم اللاهوتى (أندرياس بودنشتن كارلنت) ، وقد عاش فيما بين ١٤٨٠ ـ ١٥٤١ م ، وعارض فى أول أمره (لوثر) لكن لم يلبث طويلا حتى ترك الكاثوليك واعتنق البروتستانتية ، وأخذ نفسه بنقد الكتاب المقدس فألف كتابه المشهور (الأسفار الشرعية) فى أغسطس ١٥٢٠ م وقد وقف إلى جانبه كثيرون من رجال اللاهوت الكاثوليك وغيرهم ، مما أدى إلى ظهور (إسحاق ولايبرير) عام ١٦٥٥ ، (سبينوزا) الذى كتب ١٦٧٠ نقده المر فى كتابه : (أبحاث لا هوتية سياسية) ، وقد رد عليه (ريتشارد سيمونى) بكتابه : (تاريخ نقدى للعهد القديم) » (٤) .

وبين الاعتقاد الأول وما طرأ عليه من شك وريبة سنبحث هل حقيقة التوراة من تأليف وكتابة موسى ؟ أم أن موسى لم يكتب التوراة ولم يملها على من كتب ؟ أو بمعنى آخر : هل سيتصل السند أم سينقطع ؟

---

(١) خروج : ١٧ : ١٤ .
(٢) تثنية : ٣١ : ٤٣ .
(٣) مرقس : ١٢ : ٢٦ .
(٤) التوراة عرض وتحليل لفؤاد حسنين ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

هل موسى كتب التوراة ؟:

لا نشك ـ نحن المسلمين ـ فى أن التوراة بمعناها القرآنى قد أنزلت على موسى عليه السلام ، كما لا نشك فى أنه بلغ أحكامها وعلمها بنى إسرائيل ، لكن الذى نبحث عنه هو: هل التوراة التى توجد الآن من كتابة سيدنا موسى عليه السلام وبخط يده ؟

يقول صاحب كتاب « الفارق » : « الأسفار الخمسة اعتقد بعض العلماء المنسوبين لمعرفة التوراة والإنجيل أنها لموسى عليه السلام ، ويبطله ما ورد فى آخر الكتاب من ذكر وفاة موسى وكيفية إقامة بنى إسرائيل مناحة له بعد وفاته » (١) .

ولما كان من ضرورات البحث فى هذا الموضوع الحيدة وعدم التعصب فإنه ينبغى ألا أتبع آراء علماء المسلمين دون دليل أو برهان ، لهذا فإنه ينبغى أن أكتب هنا بالدليل المنقول من التوراة نفسها أن موسى عليه السلام ليس هو الذى كتب التوراة الحالية .

يقول الأستاذ فؤاد حسنين : « لا يوجد بالتوراة التى بأيدينا خبر يشتم منه ، أن موسى هو الذى جاء بها أو أنزلت عليه بل على النقيض من هذا ، يوجد فيها ما يؤيد عكس هذا » (٢) .

ومن هذه الأدلة :

أولاً : خبر موت موسى ودفنه فى أرض موآب ، ولا يمكن لعاقل أن يصدق بأن موسى كتب خبر موته فى التوراة من قبل أن يموت : « فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض موآب حسب قول الرب ، ودفنه فى الجراء فى أرض موآب مقابل بيت فغور ، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم ، وكان موسى ابن مائة وعشرين عامًا حين مات ، ولم تكل عينه ، ولا ذهبت نضارته ، فبكى بنو إسرائيل موسى فى عربات موآب ثلاثين يومًا ، فكملت أيام بكاء مناحة موسى ، ويشوع بن نون كان قد امتلأ روحه حكمة ، إذ وضع موسى على يديه ، فسمع بنو إسرائيل ، وعملوا كما أوصى الرب موسى ، ولم يقم بعد نبى من إسرائيل مثل موسى » (٣) .

ثانيًا : الذى يقرأ مقدمة سفر التثنية لا يلحظ أنها من كتابة موسى عليه السلام ، بل يلحظ أنها من مؤرخ يؤرخ لحياة موسى ، ويتحدث عنه بضمير الغائب وإليك المقدمة :

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق لعبد الرحمن بك أفندى ، مطبعة الموسوعات ، باب الخلق ، القاهرة ، ص ١٠ .

(٢) التوراة عرض وتحليل ، ص ٢٢ .

(٣) تثنية : ٣٤ : ٥ ـ ١٠ .

« هذا هو الكلام الذى كلم به موسى جميع إسرائيل فى عبر الأردن ، فى البرية فى الغرب قبالة سوق بين قاران ونوفل ، ولا بان ، وحضرموت ، ذهب أحد عشر يومًا من حوريب على طريق جبل سعير إلى قادش برنيع ، ففى السنة ٤٠ فى الشهر الحادى عشر فى الأول من الشهر كلم موسى بنى إسرائيل حسب كل ما أوصاه الرب إليهم ... ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة » (١) .

وإذا كان من البعيد أن يكتب موسى عن نفسه خبر موته ، وبعيد عليه أن يكتب فى الآية السادسة من الإصحاح الرابع من سفر التثنية ، هذه العبارة : « ولا يعرف شخص قبره حتى الآن » .

وبعيد عليه أيضًا أن يكتب عن نفسه مثل هذه العبارات :

١ ـ « ولم يقم بعد نبى فى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه يهوه وجهًا لوجه » (٢) .

٢ ـ « أما الرجل موسى فكان حليمًا جدًا أكثرمن جميع الناس الذين على وجه الأرض » (٣) .

ثالثًا : ومن الأدلة على أن موسى ليس هو الذى كتب التوراة التعبير بـ « عبر الأردن » الذى يفهم من سفر القضاة (ص ٥ ى ١٧ ، ص ٧ ى ٢٥ ، ص ١٠ ى ٨) ، ومن سفر أشعيا (ص ٨ ى ٢٣) ، ومن سفر التكوين (ص . ٥ ى ١٠ - ١١) ومن سفر العدد (ص ٢٢ ى ١) ، ومن سفر التثنية (ص ١ ى ١ ، ى ٥ ، ص ى ٤ ى ٤١ ، ى ٤٦ ، ٤٧، ى ٤٩) ، على أن المقصود بها شرق الأردن ، وهذا من وجهة نظر ساكنى غرب الأردن ، ويعنى هذا أن موسى عليه السلام لابد وأن يكون ساكنًا لقرب الأردن كى يعبر عن شرقها بـ « عبر الأردن » .

يقول فؤاد حسنين : « الثابت من التوراة أن موسى لم يوجد فى الغرب » .

وفى مواضع أخرى نجد أن التعبير (عبر الأردن) يقصد به غرب الأردن ، وذلك كما جاء فى تثنية (ص ٣ ى ٢٠ ، ى ٢٥ ، ص ١١ ى ٣٠) .

يقول الأستاذ فؤاد حسنين ـ بعد عرضه للاستعمالين لهذا التعبير ـ : « من هذين

---

(١) تثنية : ١ : ١ ـ ٥ . (٢) تثنية : ٤ : ١٠ .

(٣) سفر العدد : ١٢ : ٣ .

الاستعماليين لهذا التعبير يستنتج أنهما يرجعان إلى عصرين مختلفين ، ويؤيد هذا الخلاف الزمني ما جاء في العدد (ص ٣٢ ى ١٩) ، فكل هذه الآيات وأمثالها تدلنا على أن المؤلف شخص غير موسى » (١) .

لعلنا نستطيع أن نستنبط من الأدلة السالفة الذكر أن الذى ألف التوراة واحد أو أكثر ، ليس منهم موسى عليه السلام .

ونعود إلى « عزرا » الذى حدثنا عنه الإمام الجوينى بأنه هو الذى ألف التوراة بعد السبى .

وقبل أن ندخل فى الحديث عن « عزرا » ، أعود إلى نصوص التوراة نفسها لأستدل منها بعشرة أدلة على أن موسى لم يكتب التوراة ، بل ولم يملها على أحد ، وهذا يقطع كل ادعاء بأن كاتب التوراة هو موسى عليه السلام .

وإذا كنا سنصل إلى أن موسى لم يكتب التوراة ولم يملها ، فإنه ينبغى أن نجيب بعد ذلك عن التساؤل الذى يقول :

لماذا نسبت التوراة إلى موسى ؟

نصوص التوراة تدل على أن الكاتب ليس موسى :

لم يدخل موسى عليه السلام الأرض المقدسة ؛ وإنما حارب قبائل يعيشون بجوارها كالأموريين وعوك ملك باشان ، ثم جاء فتاه يشوع بن نون فعبر نهر الأردن ، واستولى على أريحا ـ وهى بجوار البحر الميت ـ واستمرت المناوشات بين بنى إسرائيل وبين سكان أرض كنعان ، مرة يغلبون ومرة يهزمون ، حتى جاء طالوت وداود ووحدا صفوف بنى إسرائيل وقتل داود جالوت رئيس الفلسطينيين ، وبهذه المعركة تم استيلاء بنى إسرائيل على الأرض المقدسة ، وموسى كان فى سنة ١٥٧١ ق . م ، وداود كان سنة ١٥٠٦ ق . م ، أى أن داود بعد موسى بخمسمائة وخمس عشرة سنة ، وأن أول ملك على بنى إسرائيل كان بعد موسى بهذه المدة تقريباً » (٢) .

---

(١) التوراة عرض وتحليل ، ص ٢٣ .

(٢) نقد التوراة للدكتور أحمد حجازى السقا ، مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٧٦م ص ٦١ .

والذى أريد أن أبينه هنا هو أن التوراة المتداولة الآن ليست هى التى تركها موسى كما يزعمون ، بل هى قد كتبت بعد عصر الملوك ، أى بعد استيلاء بنى إسرائيل على كل أرض كنعان ، واتخاذهم أورشليم عاصمة للمملكة ، وهذا كان بعد موسى بما لا يقل عن خمسمائة وخمسة عشر عاماً .

وسأورد هنا من التوراة عشرة أدلة على أن الكاتب ليس هو موسى عليه السلام :

الدليل الأول :

ورد فى سفر التكوين : « فأخذ إبرام سارى امرأته ولوطاً وكل مقتنياتهما التى اقتنيا والنفوس التى امتلكا فى حاران وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان ، فأتوا إلى أرض كنعان، واجتاز إبرام فى الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة ، وكان الكنعانيون حينئذ فى الأرض » (١) .

وآخر عبارة هنا تدل على أن الكاتب هنا قد كتب بعد استيلاء بنى إسرائيل على أرض كنعان وطرد الكنعانيين منها ؛ لأنه يحكى عن زمن سالف ، حيث يقول « وكان والكنعانيون حينئذ فى الأرض » ، وبنو إسرائيل كما مر لم يستولوا عليها فى زمن موسى وإنما فى زمن داود ، أى بعد موسى بمئات السنين ، وهذه العبارة تكررت أكثر من مرة : «وكان الكنعانيون والفرزيون حينئذ ساكنين فى الأرض » (٢) .

أما الدليل على أن الاستيلاء على أرض كنعان كان فى عصر طالوت وداود فقد جاء فى سفر صموئيل : « وفيما هو ملكهم إذا برجل مبارز اسمه جليات الفلسطينى من جت صاعد من صفوف الفلسطينيين ، وتكلم بمثل هذا الكلام فسمع داود ، وجميع رجال إسرائيل لما رأوا الرجل هربوا منه وخافوا جداً » (٣) « فكلم داود الرجال الواقفين معه قائلاً: ماذا يفعل للرجل الذى يقتل ذلك الفلسطينى ويزيل العار عن إسرائيل » (٤) ، « ومد داود يده إلى الكنف وأخذ منه حجراً ورماه بالقلاع وضرب الفلسطينى فى جبهته ... وسقط على وجهه إلى الأرض ،فتمكن داود من الفلسطينى بالمقلاع والحجر، وضرب الفلسطينى وقتله ، ولم يكن سيف بيد داود ووقف على الفلسطينى ، وأخذ سيفه واخترطه من غمده وقتله وقطع به رأسه ، فلما رأى الفلسطينيون أن جبارهم قد مات هربوا » (٥) ، « وكان

---

(١) تكوين : ١٢ : ٥ ، ٦ .
(٢) تكوين : ١٣ : ٧ .
(٣ ، ٤) صموئيل : ١ : ١٧ : ٢٤ ، ٢٦ .
(٥) صموئيل : ١ : ١٧ : ٤٩ – ٥١ .

عند مجيئهم حين رجع داود من قتل الفلسطينى أن النساء خرجت من جميع مدن إسرائيل بالغناء والرقص للقاء الملك بدفوف وقرع »(١) .

وبهذا يكون كل ما ذكر فى التوراة بعد استيلاء بنى إسرائيل على أرض كنعان لم يكتبه موسى ؛ لأنه يكون مكتوباً بعد موسى بمئات السنين .

الدليل الثانى :

فى سفر التكوين : « وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبلما ملك الملك لبنى إسرائيل »(٢) .

وهذا كلام صدر من كاتبه بعد زمان قامت فيه مملكة بنى إسرائيل فى عهد طالوت وداود عليهما السلام ، فهل يمكن أن تكون هذه العبارة من كلام موسى ؟

الدليل الثالث :

فى سفر الخروج : « وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة حتى جاءوا إلى أرض عامرة ، أكلوا المن ، حتى جاءوا إلى طرف أرض كنعان »(٣) .

وهذه الآية تدل على أن المن منع عنهم بعد أن نعموا به أربعين سنة والمن لم يمنع عن بنى إسرائيل طوال سنى موسى ، أما منع المن فقد كان فى عهد يشوع بعد ما دخل عبر الأردن . ودخل أريحا .

كما جاء فى سفر يشوع ما نصه : « فحل بنو إسرائيل فى الجلجال ، وعملوا الفصح فى اليوم الرابع عشر من الشهر مساء فى عربات أريحا ، وأكلوا من غلة الأرض فى الغد بعد الفصح فطيراً وفريكاً فى نفس ذلك اليوم ، وانقطع المن فى الغد عند أكلهم من غلة الأرض ، ولم يكن بعد لبنى إسرائيل من ، فأكلوا من محصول كنعان فى تلك السنة »(٤) .

الدليل الرابع :

فى سفر العدد : يقول الكاتب عن رحلات بنى إسرائيل فى سيناء : « لذلك يقال فى كتاب حروب الرب ، واهب فى سوقه ، وأودية أرنون ومصب الأودية الذى مال إلى

---

(١) صموئيل : ١ : ١٨ : ٦ .
(٢) تكوين : ٣٦ : ٣١ .
(٣) خروج : ١٦ : ٣٥ .
(٤) يشوع : ٥ : ١٠ ــ ١٢ .

مسكن عار ، واستند إلى تخم موآب » [1] .

فقوله :« كتاب حروب الرب » يدل على أن الكاتب ينقل عن كتاب اسمه : «حروب الرب » وهذا يفيد أن موسى ليس هو الكاتب .

الدليل الخامس :

في سفر اللاويين : ما يفيد أن مؤرخا يسجل التشريع الذى أنزله الله على موسى ، حيث يبدأ السفر بقوله : « ودعا الرب موسى وكلمه من خيمة الاجتماع قائلاً » [2] ، ولو كان موسى هو الذى يتحدث عن نفسه لقال : « ودعانى الرب من خيمة الاجتماع وكلمنى قائلاً » .

وأمثال هذه العبارة يتكرر كثيراً : « وكلم الرب موسى قائلاً » [3] ، « وفى اليوم التالى دعا موسى هارون وبنيه وشيوخ إسرائيل » [4] .

بل وبعد أن يسرد هذا المؤرخ بعض أحكام تشريعية يقول : « هذه هى الفرائض والأحكام والشرائع التى وضعها الرب بينه وبين بنى إسرائيل فى جبل سيناء بيد موسى » [5] ثم يذكر إصحاحاً كاملاً فيه تشريعات وفى آخره ما نصه : « هذه هى الوصايا التى أوصى الرب بها موسى إلى بنى إسرائيل فى جبل سيناء » [6] ، وهى آخر آية فى سفر هذا الكاتب.

فهل ياترى موسى هو الذى كتب ذلك عن نفسه ؟

الدليل السادس :

وفى سفر العدد : نجد الكاتب يؤرخ لحياة موسى ويثنى عليه ثناء عاطراً فيقول : « وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض » [7] ، « فسخط موسى على وكلاء الجيش ورؤساء الألوف ، ورؤساء مئات القادمين من جند الحرب ، وقال لهم موسى : ... هذه فريضة الشريعة التى أمر بها الرب موسى ، ثم تقدم إلى موسى الوكلاء الذين على ألوف الجند » [8] .

---

(1) عدد : ٢١ : ١٤ .
(2) لاويين : ١ : ١ .
(3) لاويين : ٦ : ١ .
(4) لاويين : ٩ : ١ .
(5) لاويين : ٦ ، ٢ : ٤٦ .
(6) لاويين : ٢٧ : ٣٤ .
(7) عدد : ١١ : ٣ .
(8) عدد : ٣١ .

وفى نهاية سفر العدد : « هذه هى الوصايا والأحكام التى أوصى بها الرب إلى بنى إسرائيل عن يد موسى فى عربات موآب على أردن أريحا » [١] .

هذه التعبيرات التى تتحدث عن موسى دائماً بضمير الغيبة كثيرة ، فلو كان موسى هو الذى يتحدث عن وحى الله ما استخدم ضمير الغيبة .

الدليل السابع :

فى سفر اللاويين : « يأتى الرب بذبيحة لإثمه كبشًا صحيحًا من الغنم بتقويمك من شواقل فضة ـ على شاقل القدس ، ذبيحة إثم ـ ويعوض عما أخطأ به من القدس ، ويزيد عليه خمسة ويدفعه إلى الكاهن فيكفر عنه بكبش الإثم فيصفح عنه » [٢] ، وهذا الكلام فى معرض التكفير عن الخطأ فى أقداس الرب عندهم .

ومعروف كما سبق أن بنى إسرائيل لم يكونوا دخلوا القدس فى عهد موسى ، ولم يتخذوا الشاقل أيضًا فى عهد موسى .

الدليل الثامن :

وفى سفر التثنية :« إن عوج ملك باشان وحده من بقية الرفائيين هوذا سريره سرير من حديد ، أليس هو فى ربة بنى عمون ، طوله تسعة أذرع ، وعرضه أربعة أذرع بذراع رجل فهذه الأرض امتلكناها فى ذلك الوقت » [٣] ، وقول الكاتب هنا : « أليس هو فى ربة بنى عمون ؟» دليل على وجود السرير فى زمن الكاتب ، وأن هذا السرير بقى فى حوزة بنى إسرائيل بعد موت «عوج » وأنه محفوظ فى « ربة بنى عمون » ، وربة بنى عمون لم يستول عليها بنو إسرائيل فى زمن موسى بل بعده بأكثر من خمسمائة عام .

فقد ورد فى سفر أخبار الأيام الأول : « وكان عند تمام السنة فى وقت خروج الملوك، اقتاد يوآب قوات الجيش ، وأخرب أرض بنى عمون ، وأتى وحاصر (ربة) ، وكان داود مقيمًا فى أورشليم فضرب يوآب (ربة) وهدمها » [٤] .

فقوله : « فهذه الأرض امتلكناها فى ذلك الوقت » دليل على أنه يتحدث عن أمر ماض بعيد جداً ، وهم لم يمتلكوها تمامًا إلا فى عهد داود عليه السلام ، فيكون كاتب توراة موسى بعد زمن داود .

---

(١) عدد : ٣٦ : ١٣ .

(٢) لاويين : ٥ : ١٥ ، ١٦ .

(٣) تثنية : ٣ : ١١ ، ١٢ .

(٤) سفر أخبار الأيام الأول : ٢٠ : ١ .

الدليل التاسع :

في سفر التثنية وسفر يشوع : تحدثنا الأسفار أن توراة موسى كانت صغيرة جدا بحيث تكتب على اثنى عشر حجراً بخط واضح .

ففي سفر التثنية : « وأوصى موسى وشيوخ إسرائيل الشعب قائلاً : احفظوا جميع الوصايا التى أنا أوصيكم بها اليوم فيوم تعبرون الأردن إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك تقيم لنفسك حجارة كبيرة وتشيدها بالشيد ، وتكتب عليها جميعاً كلمات الناموس ، وتكتب على الحجارة جميع كلمات هذا الناموس نقشاً جيداً » (١) ، « وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى » (٢) .

هذه الحجارة ـ كما قلت ـ كانت اثنى عشر حجراً .

« ولما كان انتهى جميع الشعب من عبور الأردن أن الرب كلم يشوع قائلاً : «انتخبوا من الشعب اثنى عشر رجلاً ، رجلاً واحداً من كل سبط ، وأمروهم قائلين : احملوا من هنا من وسط الأردن من موقف أرجل الكهنة راسخة اثنى عشر حجراً ، واعبروها معكم فتكون هذه الحجارة تذكاراً لبنى إسرائيل على الدهر » (٣) .

فهي اثنا عشر حجراً ويحملها اثنا عشر رجلاً يعنى أن الحجر حمولة رجل واحد لكن نسخة التوراة الآن بل والأسفار الخمسة فقط تقع في ثلاثمائة وأربع وثلاثين صفحة ، ففى الصفحة الواحدة واحد وعشرون سطراً ، وفي السطر الواحد ما يقرب من اثنتى عشرة كلمة ، فلا شك أنه قد حدث زيادة كبيرة فى نصوصها وكلماتها أضافها الكاتب أوالكتّاب من بعد موسى .

الدليل العاشر :

الآيات الكثيرة من سفرالتثنية تدل على أن السفر ليس من زمن موسى بيقين ؛ لأن الكاتب يتحدث عن موت موسى ودفنه ، وأنه لا أحد يعرف قبره ، وأن يشوع بن نون قد خلفه في قيادة بنى إسرائيل ، وفى أول السفر يستعمل ضمير الغائب بوضوح تام ، وهذا الاستعمال يستمر به إلى نهاية السفر . إنه يقول فى المقدمة : « هذا هو الكلام الذى كلم به

---

(١) تثنية : ٢٧ : ٣١ .
(٢) يشوع : ٨ : ٣٢،٣ .
(٣) يشوع : ٤ : ١ ـ ٣ ، ٧ .

موسى جميع إسرائيل ، فى عبر الأردن فى البرية ... كلم موسى بنى إسرائيل ... فى أرض موآب ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلاً ... » إلخ (١) .

ولو كان موسى هو المتكلم لتكلم بتاء المتكلم لا بضمير الغيبة ، فهذا يدل على أن هناك شخصًا يؤرخ لموسى ، وفى ثنايا السفر كثير من هذه الفقرات :

« حينئذ أفرز موسى ثلاث مدن فى عبر الأردن نحو شروق الشمس » (٢) .

« وهذه هى الشريعة التى وضعها موسى أمام بنى إسرائيل ، هذه هى الشهادات والفرائض والأحكام التى كلم بها موسى بنى إسرائيل ... ودعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم » (٣) .

« وأوصى موسى وشيوخ إسرائيل الشعب قائلاً : احفظوا جميع الوصايا التى أنا أوصيكم بها اليوم » (٤) .

وقد تحدثنا عن نصوص موت موسى ودفنه والتى يقول فيها الكاتب : « وصعد موسى من عربات موآب إلى جبل نبو إلى رأس الفسحة ، فمات هناك ، موسى عبد الرب ... ودفنه فى الجواء فى أرض موآب مقابل بيت فغور ، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم ، وكان موسى ابن مائة سنة وعشرين سنة حين مات ، ولم تكل عينه ، ولا ذهبت نضارته ، فبكى بنو إسرائيل موسى فى عربات موآب ثلاثين يومًا » (٥) .

هل يعقل أن يكون الكاتب هو موسى ، وقد ذكر ما حدث لبنى إسرائيل بعد موته من أنه لا أحد يعرف قبره إلى اليوم ، أى اليوم الذى كان يكتب فيه الكاتب هذه العبارة ، وهذا يدل على أن الكاتب بعد موسى بمدة طويلة جدًا تكفى لضياع قبر موسى وجهل الناس بمكانه ، إنها فترة ضاعت فيها الذكريات عن قبر موسى .

لِمَ أطلق على التوراة توراة موسى ؟ :

إذا كانت أدلة التوراة النقلية تبين أن موسى عليه السلام ليس هو كاتبها فلم نسبت إليه؟ لابد أن هناك أسبابًا أدت إلى نسبة التوراة إلى موسى عليه السلام .ومن هذه الأسباب كما ذكر الأستاذ فؤاد حسنين ــ ما يلى :

---

(١) تثنية : ١ : ١ ، ٣ .
(٢) تثنية : ٤ : ٤٢ .
(٣) تثنية : ٤ : ٤٤، ٤٥ / ٥ : ١ .
(٤) تثنية : ٢٧ : ١ .
(٥) تثنية : ٣٤ : ١ ، ٥ ــ ٩ .

١ ـ « أطلق عليها اسمه ؛ لأنها اهتمت به كثيراً وتحدثت عنه طويلا ، وهذا هو السبب الأول »[1] .

ولكن هذا لا يعنى أنه هو الذى كتبها فكونها اهتمت به ، وتحدثت عنه ليس غريبًا ، بل قد يكون هذا سببًا فى عدم كتابته لها ؛ لأن حياة العظماء وسيرتهم والحديث عنهم يهتم به غيرهم لا هم ، والوحى ليس حكاية لسيرة شخص بقدر ما هو تقرير لأحكام إلهية ، وعقائد سماوية ، ولهذا ترى أن تفاصيل حياة النبى محمد ﷺ وردت فى السيرة ، وهى من كتابات أتباعه ، سواء كانوا من الصحابة أو التابعين أو من بعدهم من علماء المسلمين ، ولا يمكن لواحد من المسلمين أن يدعى أن كتب السيرة وحى سماوى .

٢ ـ « أما السبب الثانى فلعله استغلال بعض الآيات القائلة بأن موسى كان كاتبًا ومؤلفًا ، استغلالاً خاطئًا ، فأطلق اسمه على سائر الأسفار »[2] .

ويعنى هذا أنه ليس للسبب الأول ولا للثانى علاقة بكون موسى ألف التوراة أو لا ، لكن لعلهم ـ أعنى اليهود ـ تعلقوا بمثل هذه الأسباب فى تلك التسمية واعتمدوا عليها فى نسبة الكتاب لموسى عليه السلام ، وهم لا حق لهم فيما ذهبوا إليه .

من مؤلف التوراة ؟ :

إذا كان موسى عليه السلام ليس هو الذى كتب التوراة الحالية وليست هى من إملائه فالسؤال مازال مطروحًا : من مؤلف التوراة ؟ ولكننا نرى أن الآراء فى هذا الموضوع متشعبة ، فبينما بعض الآراء تنسب التوراة إلى مؤلف معين ، نرى آراء أخرى تنسب التوراة إلى أكثر من مؤلف ، وفى جميع الحالات ليس هو موسى ، فهل التوراة لها مؤلف واحد أو أكثر ؟

يقول الأستاذ فؤاد حسنين : « وليست التوراة التى بأيدينا تأليف شخص واحد بعينه ، وقد اعتمد النقاد لإثبات ذلك على الحقائق التى سبق أن أشرنا إليها »[3] .

وهو يقصد الأدلة التى سبق أن سقناها فى بيان أن موسى ليس هو مؤلف التوراة .

---

(١) التوراة عرض وتحليل ، ص ٢٣ .
(٢) نفسه ، ص ٢٣.
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

كما بين أن هناك أدلة لغوية اعتمد عليها النقاد فى ذلك أيضًا ، منها استعمال لفظى (يهوه) ، (الوهيم) ، وبعض الألفاظ الأخرى التى نعلم أن معانيها تختلف أحيانًا حسب البيئة وحسب الزمن .

تعارض الطقوس الدينية :

كما يستدل أيضًا على أن تعارض الطقوس الدينية من الأدلة على أن للتوراة أكثر من مؤلف يقول : « وغير اللغة الطقوس الدينية المتعارضة التى لا يمكن أن تكون قد صدرت عن شخص واحد وفى عصر واحد » (١) .

والقول بأن التوراة لها أكثر من مؤلف يؤدى إلى الحيرة فى تحديد الأشخاص الذين قاموا بتأليفها ، بل إلى عدم معرفتهم . لكن الذى يطالع كتب الأديان يرى أن هناك آراءً قد حددت أسماءً ونسبت الأسفار الخمسة إليها .

يقول صاحب كتاب « الفارق » : وقال بعضهم : إن هذه الأسفار من مصنفات (برميا) ولا دليل له ، وبعضهم : إنها من مصنفات (عزرا) الذى عبر عنه فى القرآن الشريف بـ (عزير) ، وأنه بعدما رجع القوم من جلاء بابل بأمر الملك الكبير (أزدشير) وبنى القدس وجمع شملهم طلب الشعب نسخة التوراة فكتب (عزرا) إجابة لطلب الشعب الأسفار الخمسة على مقدار ما بلغت إليه سعة المعارف فى ذلك الوقت » (٢) .

من هو عزرا ؟ :

سبق ذكر عزرا عند الإمام الجوينى ، والآن يذكره صاحب كتاب « الفارق » على أنه هو الذى كتب التوراة ، بل وعلى أن عزرا هو المذكور فى القرآن الكريم باسم عزير ، وهذا كلام يحتاج إلى شىء من التمحيص . ومن الذين ذكروا أن عزرا هو كاتب التوراة « ابن حزم » فى كتابه : « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » . ومن الذين يعتقدون أن عزرا كتب التوراة أيضًا محقق كتاب « شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل » ، وإذا قلنا : إن القول بكتابة التوراة على يد عزرا قول مشهور ؛ فإنه ينبغى أن نبين أولاً : هل عزرا هو عزير أم لا ؟ وثانيًا : كيف كتب هذه التوراة ؟

---

(١) التوراة عرض وتحليل ، ص ٢٤ .
(٢) الفارق ، ص ١٠ .

هل « عزرا » هو « عزير » ؟ :

يميل بعض علماء مقارنة الأديان إلى القول بأن عزرا هو الذى ورد ذكره فى القرآن باسم عزير ، ومن هؤلاء الإمام أبو المعالى الجوينى حيث يقول فى كتابه « شفاء الغليل » : «فالتوراة المتداولة الآن هى توراة عزرا الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم باسم عزير ، ولم تحرف فى عهده حتى الآن » (١) .

وصاحب كتاب « الفارق » يذهب إلى هذا الرأى لكنه يذكره فى كتبه حكاية عن غيره حيث يقول : « وبعضهم : إنها من مصنفات عزرا الذى عبر عنه فى القرآن الشريف بعزير » (٢) .

والقول بأن عزرا هوعزير المذكور فى القرآن قول خطير؛ لأن الأخيرمذكور فى القرآن مع حادثة له تعد من آيات الله تعالى ودلالة على عظيم قدرته ، وعلى كلٍ يكفينا هنا أن نحقق صحة هذا القول من بطلانه .

ومعظم كتب الأديان ــ ومنها « إظهار الحق » ــ تقول بذلك وتسلم به ، إذ يظن كتابها أنه هو النبى الذى قيل فيه : ﴿ **وقالت اليهود عزير ابن الله** ﴾ (٣) ولكن عزرا لا علاقة له بعزير على الإطلاق لا من الجانب التاريخى ولا اللغوى .

يقول صاحب « بذل المجهود » : « وعزرا ليس هو العزير كما يظن ؛ لأن العزير هو تعريب لعازار ، وأما عزرا فإنه إذا عرب لم يتغير حاله ؛ لأنه اسم خفيف الحركات والحروف ، ولأن عزرا عندهم ليس بنبى ،وإنما يسمون عزير هسوفير وتفسيره: (الناسخ) »(٤) .

يقول ابن قيم الجوزية : « وبعض الناس يظن أنه الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ... ويقول إنه نبى ولا دليل على هاتين القدميتين ، ويجب التثبت فى ذلك نفياً وإثباتاً ، فإن كان هذا نبياً واسمه عزير فقد وافق صاحب التوراة فى الاسم » (٥) .

---

(١) شفاء الغليل ، ص ١٢ .
(٢) الفارق ، ص ١٠ .
(٣) التوبة : ٣٠ .
(٤) هامش إغاثة اللهفان ، ص ٣٦٠ .
(٥) هداية الحيارى لابن قيم الجوزية ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

وعلى هذا يكون عزرا أحد كهان اليهود ولا علاقة له بالعزير ولا بالنبوة ، والسؤال الذى يدور الآن : هل عزرا الذى كتب التوراة والذى تبين أنه ليسْ عزيرا وليس نبيًا ، هل هو كتبها بإلهام أم لا ؟

وبادئ ذى بدء يعترف اليهود والنصارى أن جميع كتبهم كتبت بإلهام ، ولا شك أنهم يعتقدون أن عزرا ألهم التوراة وكتبها صحيحة ، لكن دعوى الإلهام هذه فى حاجة إلى دليل قوى .

هل كتبها عزرا بإلهام ؟ :

ادعى بعض المؤلفين غيرالدارسين أن التوراة التى بيد اليهود إلى زمنه هى التوراة التى كتبها عزرا ، وأن عزرا لم يحرف التوراة عمدا وإنما ألهمه اللّه التوراة بعد ضياعها ، ولم ينقص منها حرفًا واحدًا ، ولم يزد فيها حرفًا واحدًا ، فأما قولهم بكتابة عزرا التوراة الحالية فهذا صحيح ، وأما قولهم بإلهام اللّه له فغير صحيح ، لأنه لبس الحق بالباطل ، وحرف الكلم من بعد مواضعه ، وزاد فيها ، ونقص منها ، ولم يكن نبيًا ، ولم يكن وليًا ، وإنما كان من العلماء الهارونيين الذين كرسوا جهودهم لوضع أسس الصهيونية وتحريف كلام اللّه[١].

ويقول أيضًا : « كتبها عزرا فى مدينة بابل وزاد فيها ونقص منها ، ولم تكن من قبله ضائعة ثم ألهمه الله إياها بل هو الذى تسبب فى ضياعها بعد ما كتب هذه التوراة الجديدة »[٢] .

أين كتبها « عزرا » ومتى ؟ :

يقول الإمام الجوينى : « وهذه النسخة كتبها عزرا قبل بعثة المسيح عليه السلام سنة ٥٤٥ ولم يكن على وجه الأرض نصراني »[٣] .

ويقول محقق شفاء الغليل : « إن عزرا كتب التوراة فى مدينة بابل بالعراق سنة ٥٨٦ ق . م وقد اتفق على هذا كثير من علماء مقارنة الأديان »[٤] .

مناقشة لادعاء تصحيح عزرا التوراة بإلهام اللّه له :

---

(١) شفاء الغليل ، ص ٥٩ (المحقق) .
(٢) المرجع السابق ، ص ٦٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣١ .
(٤) نفسه .

لا شك أنهم يدعون أن عزرا الكاتب كَتَب جميع كُتُب اليهود كما كانت . يقول الأستاذ « محمد رشيد رضا » : « يبقى معنا ادعاء واحد وهو ادعاء أن عزرا الكاتب كتب جميع كتب اليهود كما كانت بل صحح غلطها الأول وكتبها أحسن مما كانت » (١) .

ثم يقول : « وهنا يسأل المسلمون عن الدليل على ذلك وعن سبب وقوع الغلط فى النسخ حتى احتاجت إلى إصلاح عزرا ، وعن نسخة التوراة التى هى شريعة مستقلة كما كتبها موسى ؟ وعن السند المتصل المتواتر إلى عزرا بذلك ؟

هل جاء فى كتبهم المقدسة أن عزرا كتب التوراة وسائر الكتب المقدسة كما كانت ؟

إن الذى جاء فى الفصل السابع من سفرعزرا أنه فى ملك أرتحشستا مالك فارس صعدا عزرا ، وذكر نسله إلى هارون وهو يدلى إليه بخمسة عشر أبا ، هذا من بابل وهو كاتب ماهر فى شريعة موسى التى أعطاها الرب إله إسرائيل ، وأنه جاء إلى أورشليم فى الشهر الخامس من السنة السابعة لأرتحشستا الملك ، وقال : لأن عزرا هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها ، وليعلم إسرائيل فريضة وقضاء ، وهذه صورة الرسالة التى أعطاها الملك أرتحشستا إلى عزرا الكاهن كاتب كلام وصايا الرب وفرائضه على إسرائيل ، من أرتحشستا ملك الملوك إلى عزرا الكاهن كاتب إله شريعة السماء » (٢) .

هذا هو دليلهم من كتابهم المقدس على أن عزرا كتب التوراة والكتب المقدسة بالإلهام بعد فقدها ، يقول الأستاذ « محمد رشيد رضا » : « وهو كما ترى لا يدل على ذلك بل قصارى ما يعطيه أنه كان من كتبة الدين أو الشرع كما تقول : إن فلاناً الصحابى كاتب الوحى ، فلو فرضنا أن القرآن فقد من المسلمين وأنه لم يحفظ فى الصدور ثم ادعينا أن معاوية كتبه بالإلهام لأنه وصف فى بعض كتب التاريخ الدينية أنه كاتب الوحى فهل يقبل منا أهل الكتاب هذا الدليل ؟ » .

فالنص على أنه كاتب شريعة السماء أو معلم إسرائيل فريضة وقضاء أو كاتب كلام الرب ووصاياه ، ليس دليلاً على أنه كتب جميع كتب اليهود كما كانت وصحح غلطها بإلهام ، وليس فى كتبهم دليل على هذا الادعاء ، بل إن الملك أرتحشستا الذى شهد لعزرا

---

(١) شبهات النصارى وحجج الإسلام لمحمد رشيد رضا ، ص ٤٢ .　　(٢) نفسه .

هذه الشهادة أمره مبهم فى التاريخ .

يقول الأستاذ محمد رشيد رضا : « إن الملك أرتحشستا أمره مبهم فى التاريخ لا ينطبق على روايات العتيق المضطربة فى سفر نحميا وسفر عزرا ، فلا يعرف أهو أرتحشستيا الأول الذى هو « أزدشير » الملقب عند الفرس بزرداشت أم هو أرتحشستا الثانى ، فإن ذكر عزرا له بعد « داريوس » يدل على أنه الأول والتاريخ ينقض ذلك ، وهذا الاضطراب يبطل الثقة بالرواية ، والمسلمون لا يقبلون خبراً عن نبيهم رووه بالإسناد المتصل القريب إذا كان فيه مثل هذا الاضطراب العجيب » (١) .

تعقيب :

فى السطور التى مضت ناقشنا ادعاء كتابة موسى للتوراة ، واستشهدنا من التوراة نفسها على أن موسى لم يكتب هذه التوراة ، ثم عدنا نبحث عن مؤلف التوراة ، وقد اختلفت الآراء . فمن قائل : إنهم مجموعة كبيرة أى أكثر من واحد ، ومن قائل : إنه رجل واحد ، ولكن من هو ؟ أهو عزرا أو غيره ؟ وإن كان عزرا فمن هو عزرا ؟ هل هو عزير المذكور فى القرآن أم لا ؟

أيضاً دار الخلاف حول كل هذا ؟ ثم أين السند ما بين عزرا إلى موسى ؟ وهل يستطيع واحد من أهل الكتاب أن يأتى بدليل واحد على أن عزرا هذا قد تلقى التوراة مشافهة من موسى وحفظها ووعاها ؟ ما قال أحدهم ذلك . إنهم يقرون ويقررون ـ كما يقول ابن حزم فى كتابه « الفصل »: إن عزرا وجد التوراة وفيها خلل كثير فأصلحه فما هو هذا الخلل ؟ وكيف تسرب الخلل إليها ؟ ومتى وأين ؟ وممن كان ذلك ؟ بالطبع لا جواب عن كل هذا .

ثم ما هى الطريقة التى أصلح عزرا بها هذا الخلل ؟ هل كان نبيًا ؟ لم يدع أحدهم ذلك ، هل أصلحها بالإلهام كما يقولون ؟ هذه دعوى بلا دليل .

ثم متى كتبها عزرا إن صح أنه هو كاتبها ؟ يقول ابن حزم : « وكانت كتابة عزرا للتوراة بعد أزيد من ٧٠ عاماً من خراب بيت المقدس » (٢) .

---

(١) شبهات النصارى وحجج الإسلام لمحمد رشيد رضا ، ص ٤٣ .

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسى ، جـ ١ ص ١٩٧ .

كيف كان خراب بيت المقدس وعلى يد من ؟ :

يقول إمام الحرمين « الجويني » : « إن التوراة التي بيد اليهود الآن هي التوراة التي كتبها عزرا الوراق بعد فتنتهم مع « بنوخذ نصر » ــ بختنصر ــ ، وقتله جموعهم وطوائفهم إلا ما شذ من إبقائه قومًا لا يعبأ بهم ولا بعددهم وجعله أموالهم غنيمة لسراياه وعساكره ، وإتلافه ما بأيديهم من الكتب لعدم انقياده لأحكام شريعتهم ، وجزمه بفساد أعمالها ، ونصبه فى بيت عبادتهم صنمًا وإعلانه بالنداء محذرًا من التفوه بذكرها إلى أن انقرض ــ والحال كذلك ــ جيل حتى بقى من بقى ، وظفر بشىء من أوراقها ، يقصد المكاثر ويتحيل فى قراءتها خلسة » (١) .

وهذا الكلام وحده يدل على انقطاع السند فقد قام بختنصر هذا بقتل العلماء والطوائف وحرق الكتب ، وإجبارهم على عبادة الصنم ، وظل على ذلك حتى انقرض جيل ، فأين السند المتصل هذه الفترة ، وكتابة عزرا التى يقولون عنها أنها جاءت بعد هذه الفتنة ؟

والإمام القرطبى فى كتابه « الإعلام » يذهب إلى هذا الرأى أيضًا حيث يقول : «وكذلك ما يحكى من قتل بختنصر جميع بنى إسرائيل وإحراق كتب التوراة حيث وجدت ، وإتلاف ما كان بأيديهم حتى لم يترك منهم إلا عددًا يسيرًا لا يحصل بخبرهم العلم ، وكان قد أجلاهم إلى بابل ، وهدم البيت ، وكان ذلك قبل المسيح بخمسمائة عام تقريبًا » (٢) .

لذا ينبغى أن أركز فى النقطة التالية على عنصر الاضطهاد ، فلا شك أنه من أسباب ضياع السند وعدم اتصاله ، خاصة لو كان الاضطهاد من عدو لدود أراد القوم وكتابهم .

---

(١) شفاء الغليل ، ص ٣١ .

(٢) الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ، ص ١٩٠ .

نبذة عن تاريخ بني إسرائيل حتى الغزو

« إن بنى إسرائيل ينتسبون إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، ويخمن تاريخ نزوح يعقوب وأولاده بحوالى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، ويظن أنه كان عهد حكم الهكسوس الذين هم من الأرومات العربية الجنس ، والذين يحتمل أن يكونوا كنعانيين أو آراميين أوأموريين ، وبالتالى ممن يمت إليهم العبرانيون جنسياً ولغوياً » (١) .

خروجهم من مصر :

إن سيرة بنى إسرائيل بعد يوسف فى مصر وخروجهم منها إلى حلولهم فى شرق الأردن ، مذكورة بأساليب متنوعة فى أسفار الخروج والعدد وتثنية الاشتراع من الأسفار الخمسة الأولى ، والسفر الرابع من الأسفار العائدة إلى حقبة موسى وهو سفر الأخبار الذى هو تشريعى فى الدرجة الأولى متصل أيضاً بهذه الحقبة .

ولقد ذكر الإصحاح الأول من سفر الخروج ما كان من نمو بنى إسرائيل وتكاثرهم ، وامتلاء الأرض منهم وخشية ملك مصر عواقب ذلك واضطهاده لهم وتسخيره إياهم فى بناء المدن ، وأمره لقابلتى العبرانيات بقتل كل ذكر يولد لهم مما يتطابق بعضه مع ما قرئ فى أوراق البردى .

وفى الإصحاح الثانى إلى الرابع عشر من السفر نفسه قصة موسى منذ ولادته إلى خروج بنى إسرائيل من مصر بقيادته .

متى خرجوا ؟ :

« يخمن الباحثون أن ذلك تم فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وهذا التخمين متساوق مع سير أحداثهم وأحداث مصر أيضاً » (٢) .

بعد الخروج :

من الإصحاح الخامس عشر إلى الحادى والثلاثين من سفر الخروج ، سجلت مراحل بنى إسرائيل إلى برية سيناء وما جرى لهم فيها ، وقد ارتحلوا من بحر القلزم إلى برية شور ،

---

(١) تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم لمحمد عزة دروزة ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت سنة ١٩٦٩ م ص٦٣.

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٨ .

ثم إلى إيليم التى كان فيها اثنتا عشرة عين ماء ، ثم إلى برية سين ، ثم إلى رفيديم ، ثم إلى برية سيناء حيث أقاموا ردحًا من الزمن .

تذمر بنى إسرائيل وعداء القبائل لهم :

وحكى الإصحاح السادس عشر تذمر بنى إسرائيل على موسى وهارون وقولهم لهما « ليتنا متنا فى مصر حيث كنا نشبع من الطعام » ، وسؤالهم لهما عما إذا كانا قد أتيا إلى هذه البرية ليقتلاهم من الجوع ، وأمثال هذا الموقف التذمرى كثيرة فى إبان رحيلهم من مصر إلى شرق الأردن .

وحكى الإصحاح السابع عشر أول عداء يواجهه بنو إسرائيل حيث ذكر خبر مجىء العمالقة محاربتهم فى رفيديم وهزيمة هؤلاء بمعجزة ربانية، وكان أول بادرة عدائية واجهها بنو إسرائيل من سكان البلاد ثم تكررت من مختلف الأرومات فى مختلف الظروف .

تجليات الرب لموسى :

وذكرت الإصحاحات التاسع عشر إلى الحادى والثلاثين تجليات الرب لموسى فى جبل سيناء ، وبعضها على مرأى ومسمع من بنى إسرائيل ، وما ألقى إليه من وصايا وتشريعات دينية وتعبدية وخلقية ومدنية وأسروية .

ولقد استغرق تعريف الطقوس وبيان الشئون الكهنوتية سبعة إصحاحات طويلة ، أى من الخامس والعشرين إلى الثانى والثلاثين ، مما يرجح أنه كان متأثرًا بما كانت عليه طقوس ومعايير ورسوم وكهنوت مصر ، أو بما تطور ذلك إليه فى بنى إسرائيل فيما بعد (١) .

تذمر بنى إسرائيل من إبطاء موسى عند الجبل :

وحكى الإصحاح الثانى والثلاثون تذمر بنى إسرائيل من إبطاء موسى بالنزول من الجبل ، وطلبهم من هارون صنع آلهة لهم تسير أمامهم ، وتنفيذ هارون للطلب وصنعه من شفوف الذهب التى فى آذان النساء والأولاد عجلا وبنائه مذبحا وتقريبه القرابين له (٢) .

وهكذا لم يجف حبر وصايا الرب حتى بادر بنو إسرائيل إلى نقضها وكان هذا ديدنهم فى جميع تاريخهم .

---

(١) تاريخ بنى إسرائيل ، ص ٧٤ .

(٢) خروج : ٣٢ : ١ ـ ٧ .

التيه :

حكى الإصحاحان الثالث عشر والرابع عشر من سفر العدد أن الشعب ارتحل بعد ذلك من حضيروت ونزل فى برية فاران فأمر الرب موسى بإرسال رجال يتجسسون على أرض كنعان فاختار رجلاً من كل سبط وأرسلهم لمعرفة الأرض وسكانها وحالتهم ، وصعدوا واجتسوا الأرض من برية صين إلى رحوب عند مدخل حماه ... ثم عادوا إلى جماعتهم وقالوا : إن الأرض تدر لبنًا وعسلاً ، ولكن الشعب فيها قوى والمدن حصينة عظيمة جدًا ... وقالوا :لا نقدر على الصعود إليهم لأنهم أشد منا ، فرفع الجماعة أصواتهم وصرخوا وبكوا وتذمروا على موسى وهارون ... وحينئذ ظهر مجد الرب ... وقال : سيكونون رعاة فى البرية أربعين سنة ويحملون فجورهم إلى أن تفنى أجسادهم فيها (١) .

هجوم العمالقة :

ولما سمع الشعب كلام الرب بكوا وناحوا واعترفوا بخطئهم ، وأرادوا أن يتقدموا فى السير نحو أرض كنعان فنهاهم موسى وقال لهم : « يكون الرب معكم فلم ينتبهوا » . وأخذوا يصعدون إلى الجبل فنزل العمالقة والكنعانيون إليهم فضربوهم وحطموهم وشردوهم (٢) . هكذا يقول الإصحاح الرابع عشر من سفر العدد .

موت هارون :

يحتوى الإصحاح العشرون من سفر العدد خبر إرسال موسى رسلاً من قادش إلى ملك أدوم ، يحكون له قصة خروج إسرائيل بعد العذاب والاضطهاد ويطلبون منه إذنًا بالمرور من أرضه ، ويتعهدون له بالسير فى الطريق السلطانى دون الحيد إن يمنة أو يسرة ، فأبى وأنذرهم بالحرب ، ثم خرج عليهم بشعب عظيم ويد سديدة فتحولوا عن تخمة ، وداروا حوله بطريق جبل اسمه هور ، حيث مات هارون ودفن فيه (٣) .

وتتحدث إصحاحات سفر العدد بعد ذلك عن بعض جوانب حياة الإسرائيليين مع موسى عليه السلام ، من طاعتهم مرة وعصيانهم مرات ، ويتكرر نقضهم للعهود التى يأخذها عليهم .

---

(١) عدد : ١٣ ، ١٤ .　　(٢) عدد : ١٤ .

(٣) عدد : ٢٠ : ٢٢ ـ ٢٩ .

ويأتى سفر التثنية أو الاشتراع ، ومعظمه حكاية لكلام موسى لبنى إسرائيل ، وعظًا وتذكيرًا أو ترغيبًا وترهيبًا ، وفيه تكرار فى سياق ذلك لكثير مما ورد فى سفرى الخروج والعدد من وقائع بنى إسرائيل ، كما فيه كثير من التشريعات والوصايا .

وصية موسى ليوشع :

وفى الإصحاح الحادى والثلاثين من سفر التثنية وصية موسى ليوشع الذى صار بأمر الرب وكيلاً على بنى إسرائيل بعده ، يذكر فيها أنه قد شاخ وبلغ عمره مائة وعشرين عامًا ، ولم يعد يستطيع خروجًا ولا دخولاً (١) .

كتابة التوراة :

وفى نفس الإصحاح أيضًا خبر كتابة موسى التوراة وتسليمها إلى الكهنة بنى لاوى حاملى التابوت وسائر شيوخ إسرائيل ، وأمره لهم بجمع الشعب رجالاً ونساءً وأطفالاً وغرلاً لتتلى عليهم ليتقوا الرب ويعملوا بموجبها ، ثم أمر الرب موسى بإحضار يوشع إلى الخباء يسمع وصايا الرب لأنه قد دنا أجله ، وقول الرب لموسى : إنك مضطجع مع آبائك وإن هذا الشعب سيفجرون باتباع آلهة الأجانب فى الأرض التى هم داخلوها وسيتركوننى وينقضون عهدى (٢) .

موت موسى عليه السلام :

وفى الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية ـ وهو الإصحاح الأخير ـ خبر موت موسى ودفنه فى الوادى فى أرض موآب تجاه بيت فغور ، ثم قال الإصحاح : « ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا » (٣) .

والعبارة الأخيرة خاصة تدل ـ بالإضافة إلى قرائن كثيرة فى ثنايا الإصحاحات ـ على أن السفر قد دون فى عهد متأخر جدًا بعد موسى .

يوشع وبنو إسرائيل :

يذكر سفر يوشع الذى يلى سفر التثنية أحوال بنى إسرائيل مع خليفة موسى ، ويحكى

---

(١) تثنية : ٣١ : ١ ـ ٩ .
(٢) تثنية : ٣١ : ٩ ـ ٢٣ .
(٣) تثنية : ٣٤ : ٥ ـ ٧ .

السفر فى إصحاحه الأول خطاب الرب ليوشع ، وأمره بعبور الأردن إلى الأرض التى أعطاها لبنى إسرائيل ووعده له بالتأييد ، وحكت الإصحاحات من الثانى إلى السادس ، تفصيل حركات يوشع نحو هذه الأرض وهى أرض غرب الأردن ، وفتح الله لهم بعد عبورهم النهر ، فلما وصلوها قتلوا جميع من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ ، حتى البقر والغنم والحمير وأحرقوها .

وهكذا كانت أولى حركاتهم نحو الضفة الغربية مجردة من أية عاطفة إنسانية ، وعلى أقسى وأسوأ ما يكون من الظلم والعدوان دون أى استفزاز أو عداء سابق .

أخذ يوشع العهد عليهم :

وفى نهاية سفر يوشع فى الإصحاحين الثالث والعشرين والرابع والعشرين ، يذكر أن يوشع جمع شيوخ بنى إسرائيل ورؤسائهم وقضاتهم وعرفائهم ، وذكرهم بما كان من عناية الرب لهم ، وقرضه لأعدائهم وإسكانهم فى أرضهم ، ووصاهم بالتمسك الشديد بكل ما فى توراة موسى ، ومن ذلك عدم الاختلاط بالأمم الباقية معهم ، وذكر آلهتها والسجود لها ، وأنذرهم بوخيم العواقب ونكال الرب لهم ، إذا هم فعلوا ذلك ، وأن الشعب وعده بذلك فأشهدهم على أنفسهم وسجل عهدهم فى سفر التوراة .

موت يوشع :

ثم ذكر الإصحاح الرابع والعشرون خبر موت يوشع بعد أن بلغ مائة وعشرين عامًا ودفنه فى أرض ميراثه فى تمنة سارح التى فى جبل إفرائيم (١) .

اضطهاد بنى إسرائيل بعد موسى ويوشع :

« أعقب موت يوشع عهد عرف بعهد القضاة ؛ لأن الزعماء والقواد الذين تزعموا وقادوا بنى إسرائيل بعد يوشع سموا (قضاة) (٢) .

سلسلة غزو بنى إسرائيل :

يحكى كتاب:« تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم » سلسلة اضطهاد وغزو لبنى إسرائيل أعقبت موت يوشع مباشرة ، وهذه قضية هامة ؛ لأن عصر يوشع الذى يعتبر

---

(١) يوشع : ٣٤ : ٢٩ ـ ٣١ .

(٢) تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ، ص ١٢٢ .

النائب الأول لموسى عليه السلام ، قد ذكرنا طرفًا منه ، وهو يعتبر امتدادًا لعصر موسى عليه السلام . إذن فالذى يجب أن يوجه إليه النظر هو ما بعد ذلك ، فهل كان هناك ثبات واستقرار ، أم اضطربت الأمور واختلطت وتحولت من الثبات إلى الهمجية ؟ وعلى أى حال من الحالين نستطيع أن نحدد مدى حفظ التوراة وصونها من ضياعها .

ولهذا يهمنا هنا أن نذكر سلسلة غزو بنى إسرائيل بعد يوشع مباشرة ، وهذا الغزو كما ذكرنا فى عهد القضاة . « وهو العهد الذى يلى عهد يوشع عليه السلام . كما أن سفر القضاة يأتى بعد سفر يوشع مباشرة وهو واحد وعشرون فصلاً »[(١)] .

الغزو الأول :

وكان أول من غزا بنى إسرائيل فى الحقبة عقابًا لهم على ما جاء فى الإصحاح الثالث من سفر القضاة شعنائيم ملك آرام النهرين ، فاستعبدهم ثمانى سنوات ، وكان خلاصهم منه على يد عتنئيل بن قفاز ـ أخى كالب الأصغر ـ وكالب هذا كان أول قضاتهم بعد موت يوشع .

« فحمى غضب الرب على إسرائيل فباعهم بيد كوشان رشعتايم ملك آرام النهرين ، فعبد بنو إسرائيل كوشان رشعتايم ثمانى سنين ، وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب فأقام مخلصاً لبنى إسرائيل فخلصهم عتنئيل بن قفاز أخو كالب الأصغر »[(٢)] .

من هذا النص نعلم أن هذا الملك قد استعبد بنى إسرائيل ثمانى سنوات ونص السفر : « فعبد بنو إسرائيل كوشان ثمانى سنين » يدل دلالة لا شك فيها على مدى تمكن هذا الملك منهم ، ومدى ذلتهم له وتصرفه فى كل شىء يهمهم ، فهل بقيت التوراة فى عهد هذا الملك هذه الفترة بخير ودون أن تمس ؟

الغزو الثانى :

وكان ثانى من غزاهم عجلون ملك موآب ، حيث جمع عليهم بنى عمون والعماليق فضربهم واستعبدهم ثمانى عشرة سنة ، على ما ذكره الإصحاح نفسه ، والذى ذكر أن ذلك كان عقابًا لهم لعودتهم إلى الشر والفساد ، بعد موت مخلصهم الأول ، وكان خلاصهم على يد أهود بن جيرا ، الذى تمكن من اغتيال ملك موآب فى غرفة نومه .

---

(١) تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ، ص ١٢٢ .

(٢) سفر القضاة : الإصحاح الثالث .

يقول الإصحاح : « وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب ، فشدد الرب عجلون ملك موآب على إسرائيل ؛ لأنهم عملوا الشر فى عينى الرب ، فجمع إليه بنى عمون وعماليق ، وسار وضرب إسرائيل وامتلكوا مدينة النخل ، فعبد بنو إسرائيل عجلون ملك موآب ثمانى عشرة سنة ، وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب فأقام لهم الرب مخلصًا أهود ابن جبرا البنياميني »(١) .

الغزو الثالث :

وفى الإصحاحين الرابع والخامس من سفر القضاة قصة تسلط يابين ملك حاصور الكنعانى على بنى إسرائيل بعد موت أهود ، حيث عادوا إلى صنيع الشر فباعهم له ـ حسب عبارة الإصحاح ـ وكان اسم قائده الذى قهرهم سيسرا فخضعوا له عشرين سنة ، وكان خلاصهم على يد باراق بن أبينوعم .

يقول الإصحاح : « وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب بعد موت أهود ، فباعهم الرب بيد يابين ملك كنعان الذى ملك فى حاصور ، ورئيس جيشه سيسرا وهو ساكن فى حروشة الأمم ، فصرخ بنو إسرائيل إلى الرب لأنه كان له تسعمائة مركبة من حديد ، وهو ضايق بنى إسرائيل بشدة عشرين سنة »(٢) .

والخبر فى الإصحاح يفيد أن مملكة حاصور كانت قوية وأن سلطانها كان شاملاً .

الغزو الرابع :

وفى الإصحاح السادس خبر غارات المدنيين والعمالقة وبنى المشرق على إسرائيل ، حيث دفعهم الرب إلى أيديهم بسبب عودتهم إلى الشر ـ حسب عبارة الإصحاح ـ وقد قويت أيد المغيرين عليهم حتى اضطروهم إلى ترك مدنهم وقراهم والالتجاء إلى الكهوف والمغاور والحصون ، فذلت إسرائيل ذلاً عظيماً لمدة سبع سنين ، وكان خلاصهم على يد جدعون .

يقول الإصحاح : « وعمل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين فاعتزت يد مديان على بنى إسرائيل ... فذل إسرائيل جداً من قبل المديانيين ،

---

(١) سفر القضاة : الإصحاح الثالث .   (٢) القضاة : الإصحاح الرابع .

وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب » [1] .

الغزو الخامس :

يذكر الإصحاح العاشر أنه قد قام على قضاة بنى إسرائيل ، بعد ذلك تولع بن فؤاة ثم ياثير الجلعادى ، وعاد بنو إسرائيل بعد هذا إلى فسادهم ، وانحرافهم فعبدوا البعليم وعشتاروت وآلهة آرام ، وحيدون ، وموآب وبنى عمون ، والفلسطينيين ، حيث دل هذا الوصف على أن كل جماعات بنى إسرائيل فى شرق الأردن وغربه زاغوا عن طريق الله، واندمج كل منهم فى عبادة آلهة الشعوب التى حولهم .

وقد قال الإصحاح بعد هذا: إن غضب الرب اشتد عليهم وباعهم لبنى عمون ، فتغلبوا على الذين فى أرض الأموريين فى شرق الأردن من بنى إسرائيل ، ثم عبروا النهر وحاربوا أسباط يهوذا وبنيامين وأفرائيم ، وهم الساكنون فى المنطقة الجنوبية والوسطى فى غرب الأردن ،وضيقوا عليهم الخناق وكان خلاصهم على يد زعيم اسمه يفتاح الجلعادى، ونص الإصحاح كما يلى : « وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب ، وعبدوا البعليم والعشتروت وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب ، وآلهة بنى عمون وآلهة الفلسطينيين ، وتركوا الرب ولم يعبدوه ، فحمى غضب الرب على إسرائيل وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بنى عمون ، فحطموه ورضخ بنو إسرائيل فى تلك السنة ، ثمانى عشرة سنة ، جميع بنى إسرائيل الذين فى عبر الأردن فى أرض الأموريين الذين فى جلعاد ، وعبر بنو عمون الأردن ليحاربوا أيضًا يهوذا وبنيامين وبيت أفرائيم فتضايق إسرائيل جدًا » [2] .

إن عباداتهم لآلهة من حولهم واستعبادهم بهذه الطريقة ذلة ومهانة . أين كتابهم وأين توراتهم وأين وحيهم ؟ وبعد ما دخلوا جميعًا كما ذكرت التوراة فى عبادة آلهة من حولهم ، تركوا الرب . أبعد ذلك تبقى لهم ذاتية أو سمة وصفة تميزهم عن غيرهم إذا كانوا أهل دين وأصحاب وحى ، أفيظن هذا ؟ لقد ضاع كل ذلك كما تبين لنا ، ومن كتبهم وإصحاحاتهم بل الأنكى من هذا أن الإصحاح الحادى عشر يذكر أن خلاصهم هذه المرة كان على يد زعيم اسمه يفتاح الجلعادى ، وكان هذا الزعيم ابن بغى [3] طرده إخوته الشرعيون وبايعه شيوخ جلعاد على الرئاسة والسمع والطاعة ، فقبل ونذر أن يقدم أول من يلقاه من بيته ذبيحة شكرًا للرب فلقى ابنته وهى وحيدته ولكنه وفى بنذره

---

(1) القضاة : الإصحاح السادس .

(2) القضاة : الإصحاح العاشر .

(3) القضاة : الإصحاح الحادى عشر .

فأحرقها .

ولكننا نقرأ فى كتاب « تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم » أن تضحية البشر ليست من شريعة موسى ،وإنما كانت من شريعة الكنعانيين ، مما يدل على قوة تأثر بنى إسرائيل بهؤلاء وضياع شريعة موسى (١) .

مذبحة أفرائيم :

ومما ذكره الإصحاح الثانى عشر أن سبط أفرائيم تمرد على يفتاح بذريعة عدم أخذه إياهم لحرب بنى عمون ، فأوقع فيهم مذبحة هائلة هلك فيها اثنان وأربعون ألفًا .

ففى الإصحاح : « واجتمع رجال أفرائيم وعبروا إلى جهة الشمال وقالوا ليفتاح : لماذا عبرت لمحاربة بنى عمون ولم تدعنا للذهاب معك ... وجمع يفتاح كل رجال جلعاد وحارب أفرائيم ... فسقط فى ذلك الوقت من أفرائيم اثنان وأربعون ألفًا » (٢) .

الغزو السادس :

ولما مات يفتاح تولى القضاء زعيم اسمه ابصان ثم تولاه إيلون الزبولونى ثم عبدون ابن هليل الفرعونى ، وعاد بنو إسرائيل إلى شرهم فدفعهم الرب إلى الفلسطينيين أربعين سنة ، فقد ورد فى الإصحاح الثالث عشر من سفر القضاة ما يلى :

« ثم عاد بنو إسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب ، فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين أربعين سنة » (٣) .

تعقيب :

وبعد العرض السابق لما تعرض له اليهود من غزو ومذابح ، كان المقصود منها سفك دمائهم وفناء جماعتهم ومحو آثار كتبهم وتعاليمهم ، يكون السؤال الآن : هل يمكن لنص كتبهم أن يبقى وسط هذه المذابح كما هو دون إخفاء أوحرق أو تغيير أو تبديل ؟ ، وبخاصة أنه قد مرت نصوص تفيد بأن كتبهم كانت مقصودة من هذا الغزو .

إن الإنسان لا يستطيع أن يجزم أن الكتاب الذى يقرر عقائدهم وشرائعهم ، سيبقى بخير دون أن يمس بسوء وسط هذه الفتن ؛ وذلك الاضطهاد المقصود .

---

(١) تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ، ص ١٢٩ .

(٢) القضاة : الإصحاح الثانى عشر .

(٣) القضاة : الإصحاح الثالث عشر .

ظهور التوراة بعد خفائها :

ذكرت كتب التاريخ عن اليهود أنفسهم أن التوراة قد فقدت فى عهد مملكة يهوذا ، واكتشفت فى القرن الثامن ق.م ، وذلك لثمانى عشر سنة خلون من ملك يوشيا ملك يهوذا حيث أبلغه الكاهن حلقياً بأنه وجد فى سجلات الهيكل ملفًا عجيباً فقسا فيه موسى على نفسه فى جميع المشكلات التاريخية والخلقية التى كانت مثار الجدل العنيف بين الأنبياء والكهنة ، وكان لهذا الكشف أثر عظيم فى نفوس القوم ، فدعا يوشع كبارهم إلى الهيكل ، وتلا عليهم فيه سفر الشريعة فى حضرة الآلاف من الشعب ـ حسبما تقول الرواية ـ ثم أقسم ليطيعن من ذلك الوقت ما جاء فى هذا السفر ، وأوقف كل الموجودين فى أورشليم ، وبنيامين ، فعمل سكان أورشليم حسب عهد اللّه (١) .

ثم تعرضت للضياع على يد بنوخد نصر الذى استولى على أورشليم ، وحرقها عن آخرها وهدم الهيكل ، وساق اليهود أسرى إلى بابل زهاء خمسين عاماً ٥٨٨ ـ ٥٣٨ ق.م، ولم يعد هناك ذكر للتوراة ولا صلة بها ، وبعد سقوط مملكة إسرائيل بقيت يهوذا تعانى الاضطرابات والفوضى ، وكان اتجاهها غالبًا إلى الكفر والزندقة ، وقبيل سقوطها ، آل السلطان إلى الملك يوشيا ٦٢٩ ق . م ـ ٥٩٨ ق . م (٢) .

ومال هذا إلى العودة إلى الإيمان واتباع التوراة رجاء أن يكون فى هذا إنقاذا لمملكته من الفوضى والدمار ، وكان يعاصره كاهن اسمه حلقيا ، انتهز فرصة هذا الميل ، فادعى بعد سبعة عشرعاماً من حكم يوشيا ، أنه وجد نسخة التوراة فى بيت المقدس ، وأعطاها شافان الكاتب ، كما هو مذكور فى الإصحاح الثانى والعشرين من سفر الملوك الثانى ، والإصحاح الرابع والثلاثين من السفر الثانى من أخبار الأيام ، وإليك النص :

« فقال حلقيا الكاهن العظيم لشافان الكاتب : قد وجدت سفرالشريعة فى بيت الرب، وسلم حلقيا السفر لشافان فقرأه ، وجاء شافان الكاتب إلى الملك ورد على الملك جوابًا وقال : قد أفرغ عبيدك الفضة الموجودة فى البيت ودفعوها إلى يد عاملى الشغل وكلاء بيت الرب ، وأخبر شافان الكاتب الملك قائلاً : قد أعطانى حلقيا الكاهن سفرا ، وقرأه شافان أمام الملك ، فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه » (٣) .

---

(١) انظر : قصة الحضارة لول ديورانت ، ترجمة محمد بدران ، طبعة جامعة الدول العربية جـ ١ ص ٣٥٦ .

(٢) إظهار الحق ، ص ٢٨٣ . (٣) الملوك الثانى : ٢٢ : ٨ ـ ١١ ، وأخبار الأيام الثانى : ٣٤ : ١٤ ـ ١٩ .

لكن لا يعتمد على هذه النسخة ، ولاعلى قول حلقيا ؛ لأن البيت نهب مرتين قبل عهد آحاز ، ثم جُعل بيتًا للأصنام ، وسدنة الأصنام كانوا يدخلون البيت كل يوم ، وما سمع أحد إلى سبعة عشر عامًا من سلطنة يوشيا أيضًا اسم التوراة ولا رآها (١) .

تاريخ التدوين وأثره على انقطاع السند :

ادعى حلقيا أنه وجد نسخة من التوراة وأعطاها لشافان الكاتب ، وكان ذلك إيذانًا بأن يعلن اليهود عن كتابهم المقدس عندما تتهيأ لهم الفرصة ، فلما أعادهم كورش ملك الفرس إلى فلسطين وجدوا الفرصة قد تهيأت للإعلان ، فظهر الكاهن عزرا فى منتصف القرن الخامس ٤٤٢ ق . م ودعا اليهود إلى اجتماع خطير وشرع يقرأ عليهم من مطلع النهار إلى منتصفه سفر « شريعة موسى » فظل هو وزملاؤه اللاويون سبعة أيام كاملة يقرأون ـ عليهم ما تحتويه ـ ملفات هذا السفر .

ولما فرغوا من قراءتها أقسم الكهنة والزعماء والشعب أن يطيعوا هذه الشرائع ويتخذوها دستوراً لهم يتبعونه ، ومبادئ خلقية يسيرون على هديها ويطيعونها إلى أبد الآبدين ، وظلت هذه الشرائع من تلك الأيام إلى يومنا هذا المحور الذى تدور عليه حياة اليهود .

وهنا يكون التساؤل هل الكتاب الذى قرأه عزرا هو نفس الكتاب الذى قرأه يوشيا فى القرن الثامن أو لا ؟

والجواب واضح وهو أن سفر الشريعة الذى قرأه يوشيا قد قرأه عزرا فى نصف يوم ، بينما الأمر الذى دعا عزرا إليه احتاجت قراءته لمدة أسبوع كامل (٢).

وهكذا كان لعزرا دور خطير فى بعث التوراة من جديد ؛ حيث كتب لها الظهور على مسرح الحياة ، وارتبطت باسمه ، فإن التاريخ قد أثبت فقدان التوراة التى نزلت على موسى ولم يبق منها شىء ، وأن التوراة التى ظهرت على يد عزرا هى من صنع الكاهن عزرا ، حيث إن ما تضمنته التوراة من أسفار قد دون على مراحل مختلفة ، فقبيل القرن الثالث ق . م ألف شاعر يهودى ـ أو شاعرة يهودية ـ نشيد الإنشاد الجميل ، فى هذا النشيد من روعة فنية ، وقدرة الخيال ، وعمق الشعور ما فيه .

---

(١) إظهار الحق ، ص ٢٨٣ .

(٢) انظر : قصة الحضارة ، جـ ٢ ص ٣٦٦ .

وقد كتب اليهود الهلنسيون وقتئذ بالعبرية أو الآرامية أو اليونانية روائع خالدة كأسفار الجامعة ، ودانيال ، وأجزاء من الأمثال والمزامير ، والجزء الأكبر من الأمثال الأبوكريفية ، كتبوا بعضها فى أورشليم ، ومعظمها فى الإسكندرية ،وبعضها فى غيرها من مدائن شرق البحر المتوسط ، وكتبوا تواريخ كسفرالأخبار وقصصاً صغيرة ،كأستير ويهوديت ، وأناشيد الأسر كسفر طوبيت (١) .

آراء بعض الباحثين :

مما سبق يتضح لنا أن التوراة التى بأيدى اليهود ، والتى تنسب إلى موسى خاصة ، ليست من كتابة موسى عليه السلام ولا من إملائه وليس هناك دليل واحد على أن موسى هو الذى كتبها أو أملاها ، وإتماماً للفائدة رأيت هنا أن أذكر آراء بعض العلماء .

أولاً : تذكر دائرة المعارف الفرنسية تحت عنوان : « توراة » ، أن العلم العصرى ولاسيما النقد الألمانى ، قد أثبت بعد أبحاث مستفيضة فى الآثار القديمة ، والتاريخ وعلم اللغات ، أن التوراة لم يكتبها موسى ؛ وإنما كتبها أحبار لم يذكروا اسمهم عليها ، ألفوها على التعاقب ، معتمدين فى تأليفها على روايات سماعية سمعوها قبل أسر بابل (٢) .

ثانيًا : يقول « نولدكه » فى كتابه: « اللغات السامية » : « جمعت التوراة بعد موسى بتسعمائة سنة استغرق تأليفهما وجمعهما زمناً متطاولاً تعرضت حياله للزيادة والنقص ، وأنه من العسيرأن نجد كلمة متكاملة فى التوراة مما جاء به موسى؛ لأن التوراة لم تدون فى عهده ، ولا فى الجيل الذى تلاه » (٣) .

ثالثًا : يقول « ول ديورانت » : « إن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هما القصتان المتشابهتان المنفصلة كلتاهما عن الأخرى فى سفر التكوين ، فتتحدث إحداهما عن الخالق باسم « يهوا » على حين تتحدث الأخرى عنه باسم « ألوهيم » .

فمن الفقرات التى تعزى إلى كاتب قصص « يهوا » فى سفر« التكوين »الفقرات المحصورة بين الآيات الرابعة من الإصحاح الأول والرابع والعشرون من الإصحاح الثالث ،

---

(١) انظر : قصة الحضارة ، جـ ٢ ص ٩٣ .

(٢) انظر : المخططات التلمودية اليهودية للأستاذ أنور الجندى ، دار الاعتصام ص ٢١ ، ٢٢ .   (٣) نفسه .

وكذلك الإصحاحات ٤. ٦. ٨. ١١، من ١ ـ ٩ ، والإصحاحات ١٢ ، ١٣ ، ١٨ ، ١٩، ٢٤ ، ٢٧ الآيات ١ ، ٤٥ ، والإصحاحات ٣٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، وفى سفر الخروج الإصحاحات ٤ : ٥ الآيات المحصورة الآية ٣٠ ، وفى الإصحاح الثامن الآية رقم ٧ وفى الإصحاح التاسع والإصحاحات ١٠، ١١ ، الآيات المحصورة بين الآية رقم ١٢ من الإصحاح الثالث والثلاثين إلى الآيةرقم ٢٦ من الإصحاح الرابع والثلاثين ، وفى سفر العدد الآيات من ٢٩ ـ ٣٦ من الإصحاح الحادى عشر... إلخ .

أما الفقرات الخاصة بالألوهيمية فهى فى سفر التكوين فى الإصحاح الحادى عشر من ١٠ ـ ٣٢ ، وفى الإصحاح العشرين ١ ـ١٧ والحادى والعشرين ٨ ـ ٣٢ ، والثانى والعشرين ١ ـ ١٤ ، والإصحاحات ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٥ ، وفى سفر الخروج الآيات ٢٠ ـ ٢٤ من الإصحاح الثامن عشر ، والإصحاحات ٢٠ ، ٢٢ والآيات من ٧ ـ ١١ فى الإصحاح الثالث والثلاثين ، وفى سفر العدد الإصحاحات ١٢ ، ٢٢ ، ٢٤»[١] .

ويقول « ول ديورانت » ـ أيضًا : « ويعتقد العلماء أن القصص الخاصة بـ « يهوا » كتبت فى يهوذا ، وأن القصص الخاصة بـ « ألوهيم » كتب فى إفرائيم ـ السامرة ـ وإن هذه وتلك قد امتزجتا فى قصة واحدة بعد سقوط السامرة ، وفى هذه الشرائع عنصر ثالث يعرف بالتثنية أكبر الظن أن كاتبه أو كتابه غير كتاب الأسفار السالفة الذكر ، وثمة عنصر رابع يتألف من فصول أضافها الكهنة فيما بعد والرأى الغالب أن هذه الفصول تكون الجزء الأكبر من سفر الشريعة الذى أذاعه عزرا .

ويبدو أن هذه الأجزاء الأربعة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالى عام ٣٠٠ ق . م »[٢] .

---

(١) قصة الحضارة ، جـ ٢ ص ٣٦٧ .

(٢) نفسه .

اللغة الأصلية والترجمات

دونت جميع أسفار العهد القديم بلغة واحدة ، وهى اللغة العبرية ، وإن كانت التراكيب والأساليب ، وبعض المفردات تختلف باختلاف هذه الأسفار ، وتنم على العصور التى ألف فيها كل سفر منها ، ولا يستثنى من ذلك إلا بعض أجزاء يسيرة ، ألفت من أول الأمر باللغة الآرامية ، وهى بعض أجزاء من سفرى « عزرا » و « دانيال » ، وفقرة واحدة من سفر « أرمياء » ، وكلمتان اثنتان من سفر « التكوين » وردتا باللغة الآرامية عن قصد ، ويرجح الباحثون أن ما ألف بالآرامية مباشرة من سفر « دانيال » يرجع تاريخ تدوينه إلى سنة ٣٠٠ ق . م ، وأن ما ألف بها من سفر « دانيال » يرجع تاريخ تدوينه إلى سنة لاحقة لهذا التاريخ (١) .

وقد أخطأ بعض مؤرخى العرب إذ قرروا أن جميع أسفار العهد القديم قد ألفت باللغة العبرانية (٢) .

المهم أنه من الأمور المعترف بها عندهم ، أنه لا توجد نسخة واحدة الآن مكتوبة بالنص الأصلى ، لكن الذى يوجد ترجمات الأصل .

الترجمات :

وأقدم ترجمة للعهد القديم ، هى الترجمة اليونانية التى اشتهرت باسم الترجمة السبعينية ، وهى التى تمت فى سنتى ٢٨٢ ، ٢٨٣ ق . م على يد اثنين وسبعين حبراً من يهود مصر ، ستة فقهاء من كل سبط من الأسباط الاثنى عشر ، بأمر « بطليموس فيلا دلف»، وكان ذلك لفائدة اليهود الذين كانوا يسكنون مصر حينئذ ويتكلمون اليونانية ، وتشتمل الترجمة السبعينية على أربعة عشر سفراً ، لا توجد فى الأصل العبرى الذى وصل إلينا ، وهذه الأسفار هى : طوبيا ، والحكمة ، والمكابيين وعددها أربعة أسفار ، ويهوديت ، والكهنوت أو الحكمة ، ونشيد الأطفال الثلاثة ، وسوزان ، وبل والتنين ، وثلاثة أسفار منسوبة « لعزرا » زيادة على السفر المنبت فى الأصل العبرى ، وبعض زيادات فى سفر «دانيال » (٣) .

وعن الترجمة السبعينية ترجمت أسفار العهد القديم إلى اللغة اللاتينية . ومع أن هذه

---

(١) انظر : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ١٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٣) انظر: المرجع السابق ، ص ١٩

الترجمة اللاتينية كانت ترجمة للسبعينية اليونانية ، فإنها لم تأت مطابقة لها كل المطابقة [١].

وفضلا عن الترجمتين اليونانية واللاتينية فإن العهد القديم قد ترجم إلى لغات أخرى كثيرة .

فقد ترجمه أحبار اليهود من مدرسة بيت المقدس من العبرية إلى اللهجة الآرامية الحديثة ، وهى أحدى لهجات اللغة الآرامية ، وكانت مستخدمة فى منطقة فلسطين وما إليها وساروا فى ترجمتهم هذه على منهج خاص يختلف عن مناهج التراجم المعتادة ، وقد ألفت ترجماتهم هذه فى الفترة الواقعة بين أوائل القرن الثانى ، وأواخر القرن الخامس بعد الميلاد ، وتم فى معظمها القرنين الرابع والخامس الميلاديين [٢] .

وفى هذه الفترة نفسها ـ بين أوائل الثانى وأواخر الخامس بعد الميلاد ـ ترجمت مدرسة الكنيسة المسيحية السريانية العهدين القديم والجديد إلى اللغة السريانية ، وهى إحدى شعب اللغة الآرامية ، ولم يترجموه مباشرة كما فعل أحبار اليهود من مدرسة بيت المقدس ؛ إنما ترجموها عن الترجمة السبعينية اليونانية ، والترجمة السريانية لا تكاد تبين عن روح اللغة العبرية التى ألفت بها هذه الأسفار [٣] .

وترجم المسيحيون بفلسطين العهدين القديم والجديد إلى اللغة الآرامية الفلسطينية الحديثة ، وهى إحدى اللهجات الآرامية التى كانت مستخدمة فى فلسطين وما إليها ، وذلك بعد أن استقلوا فى ثقافتهم وشئونهم الدينية عن الكنيسة السريانية ، وقد تم لهم هذا الاستقلال فى أواخر القرن الخامس الميلادى ولم يترجموه عن العبرية مباشرة ؛ وإنما عن الترجمة السبعينية اليونانية كما فعل السريان ، وجاءت ترجمتهم حرفية كالترجمة السريانية، بل تزيد فى حرفيتها عن الترجمة السريانية ، وتقل عنها فى مبلغ إبانتها عن روح اللغة العبرية وأساليبها ، وقد استغرقت ترجمتهم للعهدين القديم والجديد مدة طويلة تمتد من القرن الثامن إلى الحادى عشر بعد الميلاد[٤] .

وعن الترجمتين ـ اليونانية واللاتينية ـ ترجمت هذه الأسفار إلى معظم لغات العالم قديمًا وحديثًا ، وقد ظهرت حديثًا سنة ١٩٧٠ م ترجمة إنجليزية للكتاب المقدس كله ـ

---

(١) انظر : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ، ص ٢١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣١ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٢ .

العهدين القديم والجديد ـ قام بها جماعة من اليهود المنتمين إلى هيئات دينية يهودية ممركزة فى إنجلترا ، وتختلف هذه الترجمة عن الترجمات الإنجليزية السابقة فى أنها صيغت بأساليب اللغة العادية لا بالأساليب الدينية التقليدية القديمة ، وفى اتسامها بالتحرر الكامل من قيود والتزامات جميع الترجمات السابقة ، وفى تصرفها فى معنى ومغزى بعض النصوص بالانحراف بها إلى غير اتجاهها الأصلى أو بإضافة أمور أخرى إليها ، وفى اشتمالها على اثنى عشر سفراً من الأسفار المعروفة بالأسفار الخفية (١).

الترجمة ليست هى الأصل :

وحديثنا السابق عن الترجمة الغرض منه الوصول إلى هذه النتيجة : أن الترجمة حتى ولو وجد الأصل فإن الترجمة تختلف عن ذلك الأصل ، فما بالنا إذا فقد الأصل المترجم عنه ، وقد رأينا فيما سبق أن الترجمات للعهد القديم ليست واحدة وليست منضبطة تماماً، بل فيها زيادة ونقصان لكن السؤال الآن ، هل الترجمة تغنى عن الأصل ؟

سأترك القس الدكتور « كينيث بايلى » يجيب عن هذا السؤال حيث يقول ـ فى تقديمه لكتاب الفهرس العربى لكلمات العهد الجديد ـ :

« إن كل كلمة فى أية لغة تحمل عادة معانى عديدة ، وعلى المترجم فى حال كهذه أن يختار معنى واحد ، يستخدمه فى ترجمته ، إلى ماذا يستند المترجم عندما يختار ذلك المعنى الواحد من بين المعانى المتعددة ؟ إنه يختار ذلك المعنى الذى يشعر أنه يتفق مع فكرة القرينة، لكن هل يكون مصيباً دائماً فى اختياره ؟ إنه يظن ذلك ، لكن قد يكون هناك من يخالفة الرأى » ، بل ويقول : « المترجم كائن بشرى عرضة للخطأ ، وكلنا خطاة ضعفاء ، إن الذى يحدث هو أن المترجم يقوم بتفسير الآية بالإضافة إلى ترجمته ، والقارئ الذى لايعرف اللغة الأصلية للكتاب المقدس يصبح تحت رحمة المترجم » .

وأخيراً يقول هذه العبارة الصادقة :« من السهل أن يغرب عن البال أن الترجمات العربية للكتاب المقدس هى ترجمات وليست الأصل » (٢) .

---

(١) عن مقال للأستاذ شوقى عبد الحكيم فى عدد ٩/٥ / ١٩٧٠ من أخبار اليوم .

(٢) الفهرس العربى لكلمات العهد الجديد للقس غسان خلف ، دار النشر المعمدانية ، بيروت ١٩٧٩م ، بدون طبعة المقدمة ص ١٦ .

التوراة والترجمة :

اللغة الرئيسية التى استخدمت فى تدوين العهد القديم هى اللغة العبرية ، وإن كانت اللغة الآرامية قد شقت طريقها إلى بعض المواضع [1] .

ومع أن التوراة دونت بهذه اللغة إلا أنها ترجمت إلى لغات ، ففى شفاء الغليل : «وفى سنة ٢٨٥ ـ ٢٤٧ ق . م فى عهد بطليموس فيرد لفوس وفى مدينة الإسكندرية ترجمت التوراة العبرانية إلى اللغة اليونانية على يد سبعين عالمًا من علماء اليهود » [2].

والذى أريد أن أتحدث عنه هنا أن التوراة ترجمت إلى لغات عديدة حتى حلت الترجمة محل النص الأصلى ، ولا يستطيع واحد أن يدعى أنه يملك النص الأصلى الذى نزلت به التوراة .

يقول سهيل أديب : « والتوراة هى أكثر الكتب المعروفة ترجمة إلى لغات أخرى ، فقد ترجمت بكاملها إلى مائتين وثلاث وخمسين لغة مختلفة، بينما ترجمت بشكل جزئى إلى ألف وأربعمائة وسبع وخمسين لغة » [3].

ونذكر هنا بعض اللغات التى ترجم إليها العهد القديم :

السبعينية : وكانت أول ترجمة له هذه الترجمة السبعينية من العبرية إلى اليونانية ، وقد نهض بها اثنان وسبعون عالمًا من علماء اليهود بالإسكندرية حوالى عام ٢٨٢ ق . م بأمر بطليموس لفائدة اليهود الساكنين فى مصر .

القبطية : وقد بدأ الفيلسوف « تيتينوس » ترجمة العهد القديم بعد ذلك من الترجمة السبعينية إلى اللغة القبطية بين القرنين الثالث والخامس الميلادى .

العربية : أما عن الترجمة إلى اللغة العربية فيذهب البعض إلى أن أول ترجمة للعهدين معًا كانت سنة ٧٥٠ م بمعرفة يوحنا أسقف إشبيلية بأسبانيا نقلا عن اللاتينية إلا أن ذلك غير مقطوع به .

---

(١) التوراة عرض وتحليل ، ص ١٦ .

(٢) شفاء الغليل ، ص ١٣ .

(٣) التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل أديب دار النفائس بيروت سنة ١٩٨١ م ، ص ٤ .

وفى سنة ١٨٥٦ ظهرت الطبعة الأولى للكتاب المقدس بعناية القس « غالى سميث » المرسل الأمريكى وبمساعدة المعلم بطرس البستانى والدكتور « كرنيليوس فنديك » فى مدينة بيروت وهى الأكثر شيوعًا اليوم فى الأقطار العربية (١) .

التغيير فى الترجمة :

يقول إمام الحرمين : « وقد تعمد المترجمون إحداث تغيير فى بعض معانى الآيات » (٢) .

ويورد محقق « شفاء الغليل » اختلافًا بين التوراة السامرية والعبرانية فيقول : « وأبرز مثال على اختلاف العبرانية والسامرية ، واختلافهم فى المكان المقدس الذى يتجهون إليه فى الصلاة والحج ، والمكان الذى هومثل الكعبة عندنا نحن المسلمين ، فالعبرانيون يقدسون جبل صهيون المبنى عليه هيكل سليمان ، والسامريون يقدسون جبل جرزيم المبنى عليه هيكل سنيلط بعد الرجوع من سبى بابل ـ انظر سفرعزرا ونحميا » (٣) .

من هذا يفقد الإنسان الثقة فى الترجمة ، وخاصة عندما يفقد الأصل أو يختفى ؛ وذلك لأنه لا يستطيع أحد أن يدعى أن الترجمة عند غياب الأصل تعبر عنه تعبيراً صحيحًا وحقيقيًا ، ولا يوجد من يتحمل تبعة القول بأن الترجمة هى الأصل بل لم يقل أحد هذا .

يقول الدكتور رضا الجمل الأستاذ بكلية الألسن : « فالترجمة مهما أبدع مترجمها ليست الأصل ، وليس فى الدنيا من فى استطاعته ترجمة عمل دون التغيير فى معالمه اللغوية والتى هى فى الأصل مركباته البنيوية ، التى تعطى للعمل الأصلى نصف ما جاء به من منظور الحياة » ، بل ويقول : « ففى الولايات المتحدة جمعية تخصصت فى مراجعة وتدقيق ترجمات الكتاب المقدس ، وأكدت أن كل عصر وأن كل حكم لعب دوراً فى تفسير معطيات الكتاب » (٤) .

---

(١) تاريخ الأقباط لزكى شنودة ، جمعية الوفيق القبطية ، ط ١ سنة ١٩٦٢ ، جـ ١ ص ٩٣ .

(٢) شفاء الغليل ، ص ١٣ .

(٣) نفسه .

(٤) من مقال له فى الأهرام ، ص ١١ فى ١٩٨٤/٢/٢٠ وعنوانه : الترجمة بين الفن والفهلوة .

وهذه نقطة هامة جداً بل وهى كفيلة بالوصول إلى نتيجة هذا الفصل ، وهى انقطاع سند الكتاب المقدس .

مناقشة حول اتصال السند وانقطاعه :

بعد كل الذى مر ذكره نسمع إلى رأى صاحب كتاب : « أبحاث المجتهدين » - وهو مسيحى - حول تواتر سند الكتاب المقدس ، حيث يقول :

« الديانتان اليهودية والمسيحية كانتا منتشرتين فى الشرق والغرب ، وكان الكتاب لاسيما الإنجيل مترجماً إلى كل لغات الأقوام التى دخل بينهم كالعربية والأرمنية والحبشية والقبطية واللاتينية ، من اللغتين اليونانية والعبرانية الأصليتين ، فكيف يعقل أن هؤلاء الألوف يجتمعون ويتفقون على تغييره مع اختلافهم فى اللغة والعقيدة ، سيما أن المسيحيين كانوا شيعاً كل واحدة تناظر الأخرى ، ولا شك أن قول المسلمين بتغيير الكتاب هو دعوى بدون دليل » .

ومع أن معظم ما ذكره هنا دليل على التغيير والتبديل من وجهة نظرى كموضوع الترجمة وقد سبق ذكره ، وذكره لكونه شيعًا ، إلا أننى سأنقل هنا رد الأستاذ محمد رشيد رضا على هذا الكلام حيث يقول :

« المسلمون لا يقولون أن هذه الكتب سماوية منقولة عن الأنبياء نقلاً صحيحًا ، وأن اليهود والنصارى غيروها بعد ما انتشروا فى الشرق والغرب ونقلها كل قوم دخلوا في اليهودية أو النصرانية إلى لغتهم ، وإنما البحث فى أصلها وكاتبيها فى أول الأمر ،ومن تلقاها عنهم قبل ذلك الانتشار العظيم ، وهذا هو الأمر المشكل والداء المعضل الذى لايجد أهل الكتاب له دواء ولا علاجا » .

من كتب الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ؟ :

يقولون : إن موسى كتبها وأودعها ما كلمه به الرب فكانت تاريخًا له ولشريعته الإلهية ، كيف يصح هذا الجواب وهذه الكتب تتكلم عن موسى بضمير الغيبة ، وفى آخر فصل فيها ذكر موته ودفنه ؟

ويزعم بعضهم أن هذا الفصل كتبه يشوع ، وأنى يصح هذا ، وفى الفصل الحكاية

عن يشوع : « وأنه امتلأ روحًا و حكمة فسمع له كل بنى إسرائيل » (١) فهذه حكاية عنه من غيره .

ثم كيف يدلس يشوع ويلحق بكتاب موسى ما ليس منه من غير أن ينسبه إلى نفسه ؟

وهناك دليل ، على أن الفصل الأخير ليس ليشوع ، أقوى من الحكاية عنه ،من تبرئته من التدليس ، وهو أن فى الفصل المذكور بعد حكاية دفن موسى هذه الجملة :« ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم (٢). فهى تدل على أن الجملة كتبت بعد موسى بزمن طويل ، ولو كانت ليشوع لم تكن كذلك .

وأخيرًا يقول محمد رشيد رضا : « وحسبنا أنهم من ذلك فى شك مريب ، فكيف يوثق بهذا الكتاب ويقال : إنه متواتر ، وعمن التواتر ، والأصل مشكوك فيه ؟ » (٣) .

وعندما ننتقل إلى نوع من المناقشة عند الإمام القرطبى فى كتابه : « الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام » نرى نوعًا رفيعًا من المناقشة وكلامًا علميا حيث يقول : لكننا مع ذلك سنتحدث فى سند التوراة فنقول وبالله التوفيق : ويعترف اليهود عن بكرة أبيهم ، ولا ينكر أحد منهم ذلك أن التوراة إنما كانت طور مدة ملك بنى إسرائيل عند الكوهان الأكبر الهارونى وحده ، وعنه تلقيت ولا ينكر ذلك منهم أحد إلا مجاهر بالباطل.

وكذلك ما يحكى من قتل بختنصر جميع بنى إسرائيل وإحراقه كتب التوراة حيث وجدت ، وإتلاف ما كان بأيديهم حتى لم يترك منهم إلا عددًا يسيرًا لا يحصل بخبرهم العلم ، وكان قد أجلاهم إلى بابل وهدم البيت وكان ذلك قبل المسيح بخمسمائة عام تقريبًا .

وكذلك واقعة طيطش بن شبشان ـ طيطوس بن سبسان ـ وواقعته كانت سنة ٧٠ م إذ فرقوا التفرقة التى هم اليوم عليها ، وهذا أيضًا من المعروف عندهم .

وهذه الأمور التى سبق ذكرها مما يقدح فى النقل الذى يدعونه متواترًا ، ثم يقول :

---

(١) تثنية : ٣٤ : ٣٣٦ . (٢) تثنية : ٣٤ : ٣٣٦ .

(٣) شبهات النصارى وحجج الإسلام ، لمحمد رشيد رضا ، ص ٤٠ .

« هذه الأمور المذكورة إن وافقوا على وقوعها ، فقد اعترفوا بعدم التواتر، فإن من شرط خبر التواتر أن ينقله العدد الكثير الذى تحيل العادة عليهم التواطؤ على الكذب والغلط عن عدد مثله ،هكذا ولا ينقطع ـ أى يكون السند متصلا ، فلا بد وأن تكون السلسلة ثقة ومتصلة ـ فإن رجع الخبر إلى عدد لا تحيل العادة عليهم الكذب لم يحصل بذلك الخبر: العلم ، إذ لا يكون متواتراً ، هذا إن وافقوا على وقوعها ، وإن لم يوافقوا على وقوع هذه الوقائع هكذا ، ولم يقدروا على جحد أصلها ، وإذا اعترفوا بأصلها لم يقدروا أن ينكروا إمكان وقوع ما يعترفون بأصله ، وتجويز وقوع ذلك كتحقيق وقوع ذلك فى عدم حصول العلم بالخبر الذى يدعون أنه متواتر » (١) .

اعتراف علماء النصارى بتحريف اليهود للتوراة :

يقول :« أكتسائن » الذى كان أعلم علماء المسيحية فى القرن الرابع من القرون المسيحية ، على حد قول الشيخ رحمت الله الهندى ـ :« إن اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية فى بيان زمان الأكابر الذين قبل زمن الطوفان وبعده إلى زمن موسى عليه السلام ، ونقلوا هذا الأمر لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة ، ولعناد الدين المسيحى » . وليس هو القائل وحده ولكننا نقرأ عند المؤلف هذا القول : « ويعلم أن قدماء المسيحيين كانوا يقولون مثله ، وكانوا يقولون : إن اليهود حرفوا التوراة فى سنة ١٣٠ مائة وثلاثين من السنين المسيحية » (٢) .

اتفاق اليهود والنصارى على وقوع التحريف .

يقول إمام الحرمين الجوينى : « إن النصارى تزعم أن نصوص التوراة شاهدة بإرسال المسيح عليه السلام فى الزمن الذى أرسل فيه ، وما بأيديهم من نسخ التوراة شاهد لهم بصحة مازعموه ، ويزعمون أن اليهود بدلوا ما بأيديهم من نسخ التوراة عناداً، وحذراً من الاعتراف بإرسال المسيح عليه السلام .

واليهود يزعمون أن النصارى بدلوا ما بأيديهم من النسخ وأن المسيح عليه السلام إنما يأتى آخر الدور السابع ، وما بأيديهم من نسخها موافق لما أعدوه ، فقد أجمع الفريقان على وقوع التبديل وكل طائفة جعلته صفداً فى عنق الأخرى » (٣).

---

(١) الإعلام ، ص ١٩٠ .

(٢) إظهار الحق ، ص ٢١٨ ، نقلا عن تفسير هنرى وإسكات .

(٣) انظر : شفاء الغليل ، ص ٣٣ .

وفى هذا المعنى أيضا يقول ابن القيم : « ومن العجب أن اليهود والنصارى يقرون أن التوراة كانت طوال مملكة بنى إسرائيل عند كاهن الأكبر الهارونى وحده ، واليهود تقرّ أن السبعين كاهنًا اجتمعوا على اتفاق من جميعهم ، على تبديل ثلاثة عشر حرفًا من التوراة ، وذلك بعد المسيح فى عهد القياصرة ، الذين كانوا تحت قهرهم حيث زال الملك عنهم ، ولم يبق لهم ملك يخافونه ويأخذ على أيديهم .

ومنهم من يقول على زمن بختنصر حيث ألزمهم بكتابة التوراة لطائفة من جماعته حين أسكنهم بيت المقدس .

وعلى تقدير الروايتين ، فمن رضى بتبديل موضع واحد من كتاب الله فلا يؤمن من تحريف غيره ، واليهود أيضًا تقر أن السامرة حرفوا مواضع من التوراة وبدلوها تبديلا ظاهراً ، وزادوا فيها ونقصوا منها ، والسامرة تدعى عليهم ذلك » (١).

وبعد هذه الاعترافات التى وردت على ألسنتهم ، لايستطيع أحد المنتسبين إلى الربانيين أن يدافع عن سند كتبهم ، أو يثبت صحة النقل واتصال السند ، وذلك لأن الاعتراف بالتحريف هنا دليل على انقطاع السند .

اعترافهم بضياع السند :

اعترف صاحب كتاب :« خلاصة الأدلة السنية على صدق أصول الديانة المسيحية» استظهاراً أن نسخة موسى رفعت من مكانها مرة ووقعت فى خطر لما غلبت عبادة الأصنام فى ملك متسا وأمون ، وانقطعت عبادة الله الحقيقية ، بين الإسرائيليين ، وفى تلك المدة طرحت بين الرثث حيث وجدت فى ملك يوشيا الصالح ، ثم قال : « والأمر مستحيل أن تبقى نسخة موسى الأصلية فى الوجود إلى الآن ، ولا نعلم ماذا كان أمرها ، والمرجح أنها فقدت مع التابوت ، لما خرب بختنصر الهيكل ، وربما ذلك سبب حديث كان جاريًا بين اليهود على أن الكتب المقدّسة فقدت ، وأن عزرا الكتاب الذى كان نبيًا جمع النسخ المتفرقة من الكتب المقدسة وأصلح غلطها ، وبذلك عادت إلى منزلتها الأصلية » (٢) .

والذى يهمنا فى هذا النص عبارة واحدة وهى : « والأمر مستحيل أن تبقى نسخة موسى الأصلية فى الوجود إلى الآن » وهو نص صريح وقطعى ولا يحتاج إلى إبانة أوشرح وأيضًا قوله : « ووقعت التوراة فى خطر لما غلبت عبادة الأصنام » وهى عبارة هامة

---

(١) هداية الحيارى ، ص ٢١٠ .

(٢) شبهات النصارى وحجج الإسلام ، ص ٤١ .

وتعنى أن ترك أمة بنى إسرائيل لصلب العقيدة وهى عبادة الله إلى عبادة غيره لدليل واضح على أن النص قد فقد ، وقد بينا فى سلسلة غزوهم بعد يوشع كيف ارتدوا إلى عبادة الآلهة التى تعبد من حولهم بسبب غزو الملوك لهم ، وبالفعل فقد اتخذنا هذا الغزو ودخول بنى إسرائيل فى دين المنتصر دليلاً على فقدهم للنص [١] .

دليل من التوراة على لزوم ضياعها :

فى الفصل الحادى والثلاثين من سفر تثنية الاشتراع ما نصه : « فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد هناك شاهد عليكم لأنى عارف تمردكم ورقابكم الصلبة ، وهوذا وأنا بعد حى معكم اليوم قد حدتم تقاومون الرب فكم بالحرب بعد موتى ، اجمعوا إلى كل شيوخ أسباطكم وعرفائكم لأنطق فى مسامعهم بهذه الكلمات ، وأشهد عليهم السماء والأرض ، لأنى عارف أنكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به، ويصيبكم الشر فى آخر الأيام؛ لأنكم تعملون الشر أمام الرب ، حتى تغيظوه بأعمال أيديكم ، فنطق موسى فى مسامع كل جماعة إسرائيل بكلمات هذا النشيد إلى تمامه » [٢].

فهذه هى التوراة التى كتبها موسى على حدة فى كتاب مخصوص وهى كلام الله الذى صدقه القرآن فأين هى ؟ ماذا فعل بها أولئك الذين قال فيهم موسى إنهم يفسدون بعده ويزيغون عن طريق الحق من فسادهم وزيفهم وغلظ رقابهم ؟

زعم يوسيفوس :

لم يبق لهم مستند لأصل دينهم إلا زعم يوسيفوس - على حد قول الأستاذ محمد رشيد رضا[٣] - بأن كل سبط من أسباط بنى إسرائيل كان عنده نسخة من التوراة .

ولكن أين هذه النسخ ؟ إن صح قوله - وهو رواية واحدة بما يؤيد دينه - فتلك النسخ هى التى أتلفها بختنصر .

---

(١) انظر : حول « فقدان اليهود للتوراة المنزلة على سيدنا موسى » : تأثر اليهود بالأديان القديمة ، رسالة دكتوراه مقدمة من : فتحى محمد الزغبى ، كلية أصول الدين بطنطا ١٩٨٧ م ، من ص ٣٤٨ ـ ٤٠٦ .

(٢) تثنيه : ٣١ : ٢٤ : ٣٠ ، ٣٣١ .

(٣) شبهات النصارى وحجج الإسلام ، ص ٤٢ .

فهل بعد ذلك ينخدع المطلع على هذه الأقوال وأمثالها ؟ يقول صاحب كتاب : «الأبحاث » : إن الكتاب كان محفوظًا بين الألوف بلغات كثيرة ، وهؤلاء علماء اللاهوت فى مذهبه يعترفون بأن اليهود فقدت منهم عبادة الله بعد أن تغلبت عبادة الأصنام ، وأن نسخة التوراة الوحيدة فقدت ويستحيل وجودها ، ويعترفون بأن اليهود كانوا يقرون بأن جميع كتبهم فقدت ؛ لأنها كانت فى الهيكل ، وقد خربه الوثنيون ، وأخذوا الكتب وأتلفوها ، فماذا يبقى بعد كل هذا ؟

ادعاء منقوض :

لا شك أن ادعاءهم بأن التوراة وحى من الله ، وأن موسى قد كتب التوراة الحالية بيده ، هو ادعاء يحتاج إلى سند ، فمما لا يقبل الشك علميًا أن الحقيقة لا تتقرر بمجرد الادعاء ، ولهذا يقول الشيخ « رحمت الله الهندى » :

« وكذلك لا نعتقد بمجرد ادعائهم ، بل نحتاج إلى دليل ؛ ولذلك طلبنا مرارًا من علمائهم الفحول السند المتصل ، فما قدروا عليه ، واعتذر بعض القسيسين فى معرض المناظرة التى كانت بينى وبينهم فقال : إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة . فاعتقاد أهل الكتاب فى هذا الباب ليس إلا اعتقادًا بلا دليل وقول بلا سند ، أما عن اعتقادنا فى انقطاع سندهم فله من الأسانيد والأدلة مالا يبقى معه شائبة ريبة ، فى أن هذا الكتاب قد تم تحريفه تحريفًا يخرج مضمونه عن مقصود الله تعالى ، حيث تفحصنا فى كتب الإسناد لهم ، فما رأينا فيها شيئًا غير الظن والتخمين . يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرائن ، وقد قلت : إن الظن فى هذا الموضوع لا يغنى من الحق شيئًا » (١) .

ويظل الشيخ رحمت الله الهندى عليه رحمه الله تعالى وراءهم بالدليل والبرهان والحجة والعقل فيقول : « وكان يكفينا بعد ذلك أن نطالبهم باتصال السند ، فإن امتنعوا فهذا كاف جدًا فى هدم دعواهم . فلا يلزمنا حينئذ بعد عجزهم أن نقيم دليلا آخر على دعوانا . فما داموا لم يأتوا بدليل شاف وسند متصل ، فمجرد المنع يكفينا وإيراد الدليل فى ذمتهم لا فى ذمتنا » (٢).

---

(١) إظهار الحق . ص ٨٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٣ ، ٨٤ .

التوراة ككتب السير عندنا :

يقول محمد رشيد رضا : « التوراة معناها الشريعة وهذه الأسفار الخمسة كتب تاريخية، يوجد فيها أحكام تلك الشريعة، مثلما يوجد فى كتب السيرة النبوية عند المسلمين، من آيات القرآن وأحكامها ، وليست السيرة هى القرآن والشرع الإسلامى ، وكما يوجد فى السيرة النبوية مع التحرى فى روايتها ما يصح وما لا يصح ، فأجدر بتاريخ موسى وغيره من أنبياء بنى إسرائيل ، أن يوجد فيها ما يصح وما لا يصح ، وهى لم يتحر فيها كاتبها بعض تحرى رواة المسلمين لسيرة نبيهم بل كاتبو تلك التواريخ مجهولون »(١) .

العهد القديم كتاب تاريخ يحتاج إلى التوثيق :

يهمنى أن أنقل هنا تلك السطور برمتها ؛ وذلك لأنها عن أحد المستشرقين ، خاصة وأنها تأتى فى نهاية مطاف المناقشة حول اتصال السند وانقطاعه كما أننى استعرت عنوانها من كلامه هو حيث يقول :

« والمؤلفات فى موضوع تأليف التوراة ، أكثر من أن تحصى وكثير منها يتضارب مع غيره ، فى تفسيره لنشوء التوراة وتاريخها ، ويعود سبب ذلك إلى غموض تاريخها ونشوئها ، وتسجيلها بشكلها النهائى المعروف اليوم ، والتوراة من هذه الزاوية ، تختلف جذريًا عن كتب الأديان السماوية الأخرى ، لا سيما المسيحية والإسلام .

فالعهد الجديد ، وهو الجزء المسيحى من الكتاب المقدس معروف التاريخ ، فقد وضع بشكله النهائى خلال فترة قصيرة جداً نسبيًا تلت نشوء المسيحية .

وكذلك فإن تاريخ القرآن الكريم معروف بدقة متناهية ، لا تدع أى مجال للتأويل أو الاجتهاد أو الخطأ .

أما العهد القديم الذى نعرفه باسم التوراة ، أى الكتاب المقدس اليهودى فهو بالواقع كتاب تاريخ يشمل فترة لا تقل عن ألفى سنة سبقت الميلاد ونشوء المسيحية ، ومؤلفوه مجهولون فى أغلب الأحيان ، وهم موضوع تخمين يفتقر إلى التوثيق الأكيد والنهائى ، وقد حرر فى معظمه بعد سنوات عديدة قد تبلغ مئات السنين ، بعد وقوع الأحداث الموصوفة فيه .

---

(١) شبهات النصارى وحجج الإسلام ، ص ٤١ .

ومعظم الفترة التى تشملها التواريخ ـ كتاريخ ـ سبقت اكتشاف الأبجديات المعروفة؛ لذلك فإن تسجيلها فى نص متكامل لم يتم إلا بعد هذه الفترة الزمنية الطويلة جداً .

ونتيجة لذلك كان على الكتبة التوراتيين أن يعتمدوا على الذاكرة الجماعية ، والأساطير، والقصص المنقولة شفاها من جيل إلى آخر ، فى عملهم الشاق الطويل . شأنهم فى ذلك شأن معظم التواريخ المعاصرة لدى الشعوب والدول القريبة والبعيدة على السواء. وقد سجل كل منهم تاريخه على طريقته الخاصة ، وبمعزل عن التواريخ المجاورة والمزامنة له»[1] .

بل إننا نراه يعترف بأنهم أى اليهود شرّحوا دينهم وجردوه من أخص صفاته وهى صفة الدين المنزل فيقول :

« والسؤال الذى يخامر القارئ العربى ويقلقه هو : ما هى غاية اليهود فى هذا التشريع القاسى للدين اليهودى ومحاولة تجريده من صفة الدين المنزل ؟ أهو لإضعاف إيمان اليهود ، بينما هم يحتفظون لأنفسهم بغير تلك التفسيرات ، إذ نراهم متعلقين بدينهم إلى درجة التزمت » [2] .

ولا شك أن وصف التشريح وتجريد دينهم من صفة الدين لن يكون مع وجود كتاب سماوى صَحيح النسبة .

---

(١) التوراة بين الوثنية والتوحيد ، ص ٤ ، ٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦ .

الفصل الثانى

سند الأناجيل

تسمى الأناجيل ورسائل الرسل : « كتب العهد الجديد » ، وأهم ما فى العهد الجديد الأناجيل الأربعة : متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا ، ومكان الأناجيل فى النصرانية مكان القطب والعماد ، إذ أنها تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح فى زعمهم والصلب والفداء ، أى أنها تشتمل على لب المسيحية (١) .

وإذا كانت هذه الأناجيل تقر عقيدة لأمة كبيرة ، فإن هذه العقيدة تتنافى مع عقيدة أمة أخرى ، هى أمة الإسلام ، ولما كان الأمر يرجع فى تقرير هذه العقيدة إلى هذه الكتب وهذه الكتب ترجع إلى مبادئ المسيح ودعوته ؛ فإن الحديث هنا يدور حول مدى صلة هذه الكتب بالمسيح ، أو مدى اتصال السند منها إليه ، فإن ثبت الاتصال كانت القضية قضية اعتقاد ودين ، لا مجال فيها لشك أو نكران ، أما إذا ثبت لدينا بالدليل انقطاع السند وعدم اتصاله ، فقد تحولت القضية من كلام الأنبياء والمرسلين المتصل بالسماء ، والذى يقرر عقيدة دين إلى قضية أخرى ، وهى تحريف الكلم عن مواضعه.

العهد الجديد لا يحدد عقيدة ، وما هو إلا وجهات نظر :

يقول : فردريك كلفتن جرانت أستاذ الدراسات اللاهوتية فى كتاب المقدس بمعهد اللاهوت الاتحادى بنيويورك : « وعندما ننظر في العهد الجديد فإننا لا نتوقع أن نجد عقيدة محددة وثابتة أو تفصيلاً كاملاً لتنظيم الكنيسة بل على العكس من ذلك تماماً »(٢) .

وأعتقد أنه لو كان وحياً أو إلهاماً من الروح القدس لحدد عقيدة ثابتة ولفصل نظاماً كاملاً لدين الكنيسة ، ويقول : « إن العهد الجديد كتاب غير متجانس ، ذلك أنه شتات

---

(١) انظر : محاضرات في النصرانية ، ص ٤٦ .

(٢) الأناجيل أصلها وتطورها ، ص ١٥ .

مجمع فهو لا يحتل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله إلى آخره ، لكنه فى الواقع يحتل وجهات نظر مختلفة »[1] .

إذن ، هذا اعتراف صريح ومؤكد ، بأن العهد الجديد ليس وحيًا ولا إلهامًا ، فما هو إلا وجهات نظر بل ومختلفة .

نظرة الطوائف المسيحية للعهد الجديد :

يقول « جون فنتون » ـ عميد كلية اللاهوت بليتشفيلد بإنجلترا ـ : « إن العقائد التى تتبناها مختلف الكنائس ومدارس الفكر اللاهوتى فيما يتعلق بالسلطة الروحية للعهد الجديد، تختلف كثيرا من واحدة لأخرى : فالكنيسة الكاثوليكية تمسك بشدة بعقيدة الإلهام التى تأكد القول بها فى مجمع الفاتيكان الذى عقد بروما عام ١٨٦٩ ـ ١٨٧٠ والذى تقرر فيه، أن الكتب القانونية لكل من العهدين : القديم والجديد كتبت بإلهام الروح القدس ، كذلك فإن طائفة المحافظين من البروتستانت يقبلون عقيدة الإلهام [2] .

بينما يعتقد الليبراليون منهم ، أن كتب العهد الجديد إنما هى وثائق بداية العقيدة المسيحية ، وهى مثل أى من الوثائق التاريخية القديمة معرضة للبحث العلمى والنقد اللغوى[3] .

متى كتبت الأناجيل :

لقد كتبت الأناجيل الأربعة القانونية على مدى فترة زمنية تقدر بأكثر من ٦٠ عامًا ، والأخطر من هذا أن أقدمها لم يكتب فى حياة المسيح ، ولا عقب رفعه مباشرة ، أو حتى بعد ذلك ببضع سنين ، لكنه كتب بعد ٣٥ عامًا مضت منذ رفع المسيح [4].

فبعد أن عاش المسيح ما يقرب من ثلاثة وثلاثين سنة ، ثم فارق الحياة ـ حسب زعمهم ـ بعدها بعشرين عامًا بدأ تسطير أولى الكتابات المسيحية ، وكانت تلك رسائل

---

(١) الأناجيل أصلها وتطورها ،ص ١٧ .

(٢) تفسير إنجيل متى لجون فنتون ، ص ٣١.

(٣) نفسه .

(٤) انظر : المسيح فى مصادر العقائد لأحمد عبد الوهاب ص ٤٧ .

بولس الذى لم يكن قط من تلاميذ المسيح ، ثم أعقب ذلك فترة أخرى تقدر بنحو الخمسة عشر عامًا ظهر بعدها أقدم الأناجيل وهو إنجيل مرقس الذى لم يكن أيضًا من تلاميذ المسيح [1].

أسباب تأخير كتابة الأناجيل :

ولأن هناك اتفاقًا على تأخير كتابة الأناجيل ، فقد جد العلماء فى البحث عن الأسباب التى أدت إلى تأخير كتابة هذه الأناجيل ، فكانت خلاصة ما وصلوا إليه هو : أن تأخير الكتابة لم يرجع إلى عامل واحد ، لكنه فى الواقع يرد إلى عدة عوامل مجتمعة هى التى جعلت التأخير أمرًا لا مفر منه ،وهذه العوامل هى :

١ ـ نجد فى المقام الأول أن المسيحيين الأوائل لم يكونوا ـ أو حتى الغالبية العظمى منهم ـ طائفة مثقفة أو متعلمة ، لكن وضعهم نجده فى قول بولس : « ليس كثيرون حكماء حسب الجسد . ليس كثيرون أقوياء . ليس كثيرون شرفاء ، بل اختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء ـ اكورنثوس ١ : ١٦ ـ لقد كانوا الحقراء والسذج والفقراء، ولا شك أن بعضًا منهم كانوا أميين » .

إن أقدم إنجيل ـ هو إنجيل مرقس ـ يرينا أى لغة إغريقية عامية خشنة كتب بها هذا الإنجيل.

٢ ـ يضاف إلى هذا أنه بالنسبة للفترة الأولى من عملية التبشير بالإنجيل فى فلسطين، فقد كانت العادة هى نقل التعاليم الدينية شفاها ، وبناء على ذلك فإن ما بقى منها فى آخر الأمر لم يزد عن فكرة باهتة لوجهة النظر العامة التى تقول بها عقائدهم ، بالإضافة إلى بعض الأقوال المبعثرة التى غالبًا ما تكون غير المتن الأصلى ، وبذلك يصعب تفسيرها .

٣ ـ والعامل الثالث كان ثمن التكاليف والمواد اللازمة للكتابة . إن ذلك قد لا يكون عائقًا بالنسبة للشخص العادى ، لكنه ولا شك يعتبر عائقًا بالنسبة للمعدمين ـ الذين كانوا يمثلون الأكثرية الساحقة من المسيحيين الأوائل .

---

(١) انظر: المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ، ص ٣٩ .

٤ ـ وثمة عامل آخر كان له أثره الفعال ، ألا وهو نفس فكرة المجيء الثانى أى عودة المسيح ثانية إلى الأرض في مجده ، فإذا كانت نهاية كل شيء وشيكة ، وإذا كان أى يوم يأتى قد يكون هو الأخير ، فمن الواضح أن أولئك الذين اشتركوا في مثل هذه الأفكار لابد وأن يفتقدوا المزاج النفسى لكتابة سجلات الماضى .

٥ ـ وأخيراً ، فقد كانت هناك الصعوبة فى جمع البيانات والمعلومات اللازمة للكتابة نظراً لحياة الاضطراب والاضطهاد التى عاشها المسيحيون فى الفترة المبكرة من حياة الكنيسة ، لقد لاقى المسيحيون الأوائل كثيراً من الأذى والاضطهاد(١) .

وإذا كانت هناك أمة الجهل فيها مطبق ،وشيوعه وذيوعه يسبق العلم ، ولا تخلو من الأمية وتستخدم فى تصويرهم ألفاظ الحقارة والسذاجة والفقر ، كما هو بين من السبب الأول ، ثم ترى هذه الأمة تعتمد فى بدء أمرها على نقل اعتقاداتها ووحيها شفاها ، كما هو مبين من السبب الثانى ، مع فقد أدوات الكتابة واضطهاد تلك الأمة اضطهاداً كبيراً ومتعمداً ومقصوداً ، كما هو مبين فى السببين الثالث والرابع ـ فماذا عساك أن تنتظر منها؟ هل القضية قضية تأخير الكتابة فحسب ؟ إن القضية قضية النص الأصلى : أين هو ؟

إن النتيجة كما وردت على لسان الدكتور فريدريك جرانت : « لم يبق من التعاليم والعقائد إلا فكرة باهتة لوجهة النظر العامة بالإضافة إلى الأقوال المبعثرة التى غالبًا ما تكون غير المتن الأصلى » .

بهذا تأخرت الكتابة ، وبهذا تبدلت الكتابة وحرفت، وضاع النص الأصلى ،وانقطع السند .

اللغة الأصلية التى كتب بها العهد الجديد :

جاء فى الموسوعة الأمريكية : « إن العهد الجديد من أوله إلى آخره هو كتاب إغريقى، فعلى الرغم من أن التعاليم الأولى الشفوية التى تختص بأعمال يسوع وأقواله ، لاشك أنها كانت متداولة بالآرامية ، وهى اللغة التى كانت سارية فى فلسطين وبعض أجزاء الشرق الأدنى ، وبالتأكيد بين اليهود ، وهى اللغة التى تكلم بها المسيح وتلاميذه ، فإنه لم يمض وقت طويل قبل أن تترجم هذه التعاليم الشفوية إلى الإغريقية الدارجة التى كانت

(١) انظر : الأناجيل أصلها وتطورها ، ص ٢٨ ـ ٣٠ .

لغةالحديث فى عالم البحر الأبيض المتحضر » [1] .

ألا يثير هذا الكلام الشك والريبة فى موضوع سند الأناجيل؟ فإذا كانت أقوال المسيح قد ترجمت من الآرامية إلى الإغريقية الدارجة ، فمعنى هذا أن النص الأول لأقواله مفقود،وقد تحدثنا سابقًا عن أن الترجمة مهما كانت قريبة من النص الأصلى ، فليست هى هو . ولا نستطيع أن نقول عن ترجمة نص : إنها عين النص .

قانونية العهد الجديد :

جاء فى الموسوعة الأمريكية : « إن كلمة قانون تعنى (بالإغريقية) مقياسًا أو معيارًا ، ولقد أطلق اللفظ (قانونى) أو (قانونيته) على قائمة الكتب التى قبلتها الكنيسة بوجه عام باعتبارها كتبت بإلهام .

ويعنى تاريخ قانونية العهد الجديد ، تاريخ الكتب التى تم فرزها بالتدريج من بقية المؤلفات المسيحية الأولى ، ثم أضيفت إلى مجموعة الكتب المقدسة اليهودية التى احتواها العهد القديم الإغريقى .

إن العهد الجديد المكتمل الذى هو بين أيدينا ، لم يتحدد موقفه تمامًا قبل القرن الرابع الميلادى ، لقد كانت محتويات العهد الجديد معروفة ــ على العموم ــ حوالى عام ٢٠٠ م، وأما المحتويات الرئيسية ، ونقصد بها الأناجيل الأربعة ، ورسائل بولس فقد قبلت على نطاق واسع ، ولقد ألحقت الريبة بثلاث أو أربع كتب من تلك التى يشتمل عليها العهد الجديد الحالى ، كما كان هناك بعض الخلاف حول إمكانية ضم كتابين أو ثلاثة من الكتب التى تم استبعادها فى آخر الأمر .

إن اختيار كتب العهد الجديد ، لم يتم عن طريق مرسوم عن سنودس أو مجمع ، بل بالمحك الدائم لاستخدامها فى الحياة اليومية ، فقد صار ينظر إليها على أنها مزيدة القيمة فى نواحى التهذيب والتعليم .

لقد كان هناك تأخير لمدة طويلة ، فيما يتعلق بقانونية كتابين رئيسيين من كتب العهد الجديد ، فرغم أن الرسالة إلى العبرانيين قد كتبت فى الغرب ، ربما فى روما ومن المحتمل

---

(١) الموسوعة الأمريكية ، سنة ١٩٥٩م ، جـ ٣ ص ٦٥٤ .

في إيطاليا ، فإنها لم تقبل في الغرب لمدة طويلة .

إن أسباب هذا التأجيل غير واضحة ، ولعلها ترجع إلى عدم التحقق من مؤلفها ، لقد اعترف أوريجين السكندرى ، بأن أحداً لم يعرف من ألف هذه الرسالة ، أو على حد تعبيره ، والله وحده أعلم ، لكنها قبلت في الشرق .

أما الكتاب الرئيسى الثانى الذى تأخر الاعتراف بقانونيته ، فقد كان رؤيا يوحنا اللاهوتى ، وفى هذه الحالة كان الشرق هو الذى تردد فى قبوله ، ومن عجب أن يكون الغرب هو الذى قبل أولا رؤيا يوحنا .

لقد جمعت الأناجيل معًا فى إنجيل رباعى حوالى عام ١٥٠م ،فكونت بذلك مجموعة رئيسية أخرى من كتب العهد الجديد ، لقد جرى العرف على رد السبب الرئيسى فى خلق شرعية العهد الجديد ، إلى المحاولة التى قام بها ماركيون حوالى عام ١٤٠م ، لجمع عدد من الكتب المسيحية المقدسة لكى يستأصل نفوذ العهد القديم ، وتتعادل مع كتبه ، وفى محاولة ماركيون لاستئصال كل آثار اليهودية من الكتب المسيحية المقدسة ، فإنه صنف عهداً جديداً ، اقتصر على لوقا ـ الذى راجعه بعنف لكى يناسب آراءه العجيبة ـ واشتمل كذلك على الرسالة ، إلى أهل غلاطية وهى معروفة بنقدها للقاموس ، ثم الرسائل الأولى والثانية لأهل كورنثوس ، وإلى أهل رومية ، والأولى والثانية إلى أهل تسالونيكى ، وإلى أهل أفسس ، وإلى أهل كولوس ، وإلى أهل فيليبى ، وإلى فليمون .

لقد كان ما عرف باسم الإنجيل والرسول ، الذى أقامه ماركيون ضد الناموس والأنبياء، التى يشتمل عليها العهد القديم ، وما من شك فى أنه كانت توجد كتب مسيحية أخرى ، أقدم من تلك التى تندرج فى العهد الجديد ، لم تعش ، وفى الواقع فإن العهد الجديد ذاته يحتوى على إشارات لمثل هذه الكتب كما فى الرسالة إلى أهل كولوس ٤ : ١٦ ، وإنجيل لوقا ١ : ١ ، ٢ .

وعلاوة على ذلك فقد كانت هناك بعض الكتب التى استخدمت كمصادر استقت منـها الكتب الحالية وقامت على أكتافها ـ وخاصة الأناجيل ـ وبمجرد أن استخدمت تلك المجموعات الأولى من الكتـب فى تصـانيف أكبر فقد بطـل نسخها ثم مـا لبثت أن اختلفت » (١) .

---

(١) الموسوعة الأمريكية ، ١٨٥٩ ، جـ ٣ ص ٦٥١ ـ ٦٥٣ .

وخلاصة القول فيما يتعلق بتحديد الزمان والمكان والكيفية التى اكتسبت بها الأناجيل الأربعة الصفة القانونية ، ومن ثم اعتبرت مقدسة ، فإن أحدا لا يدرى عن هذا الموضوع شيئًا ، ولا يملك العلماء إلا أن يقولوا :

ليس لدينا أى معرفة محددة بالنسبة للكيفية التى تشكلت بموجبها قانونية الأناجيل الأربعة ، ولا بالمكان الذى تقرر فيه ذلك .

أبعد ذلك يدعى أحد النصارى أن الأناجيل الأربعة متصلة السند بالسيد المسيح أو بالروح القدس ؟ ولِمَ لَمْ يردّوا على هؤلاء الباحثين وهم ضمن أساتذتهم ومفكريهم ؟

سند إنجيل متّى

متى كما يصوره الإنجيل

هو أحد الحواريين الاثنى عشر (١) ــ ويسميهم المسيحيون رسلاً ــ وكان قبل اتصاله بالمسيح من جباة الضرائب للرومان فـى كفر ناحوم ، من أعمال الجليل بفلسطين وكان اليهود ينظرون للحياة نظرة ازدراء ؛ لما كانت تنطوى عليه من أعمال الظلم والعنف ولأن العمل فيـها مـعين للدولة الرومانية المغتصبة ، التى تحكم البلاد بغير رضا أهلها ، وكانوا يسمونهم: « العشارين » ؛ لأنهم كـانوا فى الغالب يـأخذون عشرالمحاصيل وغيرها ضريبة لبيت المال ، وقد اختاره السيد المسيح تلميذاً له(٢) ، فقد جاء فى الإصحاح التاسع من إنجيل متّى :

« فبينما يسوع مجتاز من هناك رأى إنسانًا جالسًا عند مكان الجباية اسمه متّى فقال له: اتبعنى فقام وتبعه ، وبينما هو متكئ فى البيت ، إذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتكأوا مع يسوع وتلاميذه ، فلما نظر الفريسيون ــ فرقة من اليهود ــ قالوا لتلاميذه : لماذا يأكل معكم مع العشارين والخطاة ؟ فلما سمع يسوع قال لهم : لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى ، فاذهبوا وتعلموا ما هو ، إنى أريد رحمة لا ذبيحة لأنى لم آت لأدعو أبراراً ، بل خطاة إلى التوبة »(٣) .

وبعد نهاية المسيح ، أخذ متى يدعو إلى المسيحية مطوفًا فى كثيرمن البلاد ، ثم استقر فى الحبشة وقضى بها نحو ثلاثٍ وعشرين سنة داعيًا إلى ديانته ، ومات بها سنة ٧٠ م إثر ضرب مبرح أنزله به أحد أعوان ملك الحبشة ، أوعلى إثر طعنة برمح أصيب به سنة ٦٢ م كما جاء فى رواية أخرى . وعلى هذا تكون الحبشة هى موطن دعايته ، وإليه ينسب إنجيل من الأناجيل المعتمدة عند المسيحيين .

يهودى ولا شك

« مؤلف إنجيل متّى يهودى ولا شك ، وهو يختلف عن مرقس الذى لا يفهم اليهود ولا يتعاطف معهم إلا قليلا ، كما أنه يختلف عن لوقا الذى يفهم اليهود جيداً ، ويعرف

---

(١) متّى : ١٠ : ٣ .
(٢) انظر : محاضرات فى النصرانية ، ص ٤٩ ، والأسفار المقدسة ، ص ٧٩ .
(٣) متّى : ٩ : ٩ ــ ١٣ .

حسن إيمانهم وقوته، لكن خلفيته الثقافية تأتى من العالم الواسع للإمبراطورية ، والهللينية الشرقية . إن متى يفهم اليهود ويتعاطف مع تطلعاتهم كرجل يهودى المولد . إن حملته العنيفة ضد الفريسيين لا تحجب حقيقة الموقف تجاه الناموس وهو أنه : « لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل ـ متّى ٥ : ١٧ ـ » (١) .

هل متّى مؤلف الإنجيل ؟ :

لقد ذكر اسم متّى فى إنجيل متى مرتين ، مرة فى الإصحاح العاشر الفقرة الثالثة منه حيث ذكر اسم متّى العشار فى قائمة التلاميذ الاثنى عشر ، ومرة فى الإصحاح التاسع الفقرة التاسعة التى تقول : « وفيما يسوع مجتاز هناك رأى إنسانًا جالسًا عند مكان الجباية اسمه متّى ، فقال له : اتبعنى وتبعه » (٢) وفى هذا يقول جون فنتون فى تفسيره لهذا الإنجيل:

« لقد ذَكر المؤلف نفسه فى هذه الفقرة ، أو بالأحرى فإنه يصف دعوة شخص يدعى متّى ، على الرغم من أن ربط شخصيته كمؤلف بهذا التلميذ ، وإنما هى بالتأكيد محض خيال » (٣) .

ويقول « جون فنتون » ـ مؤكدًا أن مؤلف إنجيل متى شخص مجهول نسب علمه إلى متّى ـ :

« لقد حذف متى قول مرقس ، ثم خرج أيضًا إلى البحر وأتى إليه كل الجمع فعلمهم»(٤) .

بينما نسمع قوله ـ أى قول مرقس ـ : « وفيما هو مجتاز رأى لاوى بن حلفى جالسًا عند مكان الجباية فقال له : اتبعنى فقام وتبعه » (٥) فبدلاً من قول مرقس : « رأى لاوى » نجد متّى قد غيره إلى : « رأى إنسانًا جالسًا عند مكان الجباية اسمه متّى » ، والذى يقرأ القصة كاملة بين متى ومرقس ، يجدها قصة واحدة لا تغيير فيها إلا فى اسم لاوى حيث تحول إلى متّى . إن اسم لاوى لم يذكر فى مرقس مرة واحدة ، كما أنه لم يندرج فى قائمة الاثنى عشر تلميذًا الذين ذكرهم مرقس فى الإصحاح الثالث من فقرة ١٦ ـ ١٩ رغم أن اسم

---

(١) الأناجيل أصلها وتطورها ، ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(٢) متى ٩ : ٩ .

(٣) تفسير إنجيل متى ، ص ١٣٦ .

(٤ ، ٥) مرقس : ٢ ١٣ .

متّى قد ذكر بينهم .

لماذا أحدث مبشرنا متّى هذا التغيير هنا ؟

« إننا لا نجد أى دليل على أن اسم متى كان هواسم التنصير للاوى ، إنه من المحتمل أنه كانت هناك بعض الصلوات بين متّى التلميذ والكنيسة التى كتب من أجلها هذا الإنجيل، ولهذا فإن مؤلف هذا الإنجيل نسب عمله إلى مؤسس تلك الكنيسة ، أو معلمها الذى كان اسمه متّى ، ويحتمل أن يكون المبشر كاتب الإنجيل قد اغتنم الفرصة التى أعطاه إياها مرقس ، عند الكلام على دعوة أحد التلاميذ ، فربطها بذلك التلميذ الخاص أحد الاثنى عشر (متّى) الذى وقره باعتباره رسول الكنيسة التى يتبعها » (١) .

والذى يفهم من كلام جون فنتون السابق ـ وهو عميد كلية اللاهوت بلينشفيلد بإنجلترا ـ أن كاتب إنجيل متّى ليس هو صاحب متّى التلميذ ، ولكنه أحد التابعين للكنيسة التى أسست باسم متّى ، وعلى هذا الأساس كانت أهمية استغلال اسم صاحب الكنيسة ، بل ويفترض جون فنتون أن تغييراسم لاوى إلى اسم متّى النص السابق كان متعمداً ، وحتى يربط الكاتب دعوة التلاميذ بذلك التلميذ الخاص، باعتباره مؤسس ورسول الكنيسة التى يتبعها ، وعلى كل فالكاتب فى جميع الحالات والاحتمالات ليس هو متى التلميذ الخاص ، أحد حواريى عيسى وهذا ما يهمنا .

انقسامهم حول تحديد شخصية المؤلف :

الذى يطالع كتب المسيحية يتبين له ، أن الدارسين هناك قد انقسموا إلى ثلاث فرق تجاه هذه القضية :

أولا :

فريق يتمسك بالتقليد الكنسى الطويل ، ويقول : إن متّى العشار تلميذ المسيح هو كاتب الإنجيل ، ويعتمد هذا الفريق على أمرين :

الأول : هو أن العنوان « بحسب متّى » قديم ظهر قبل نهاية القرن الثانى الميلادى . نعم إنه لم يكن من ضمن النص الأصلى ، ولكنه مع ذلك فهو قديم جداً ظهرعلى الأقل سنة ١٢٥ م (٢) .

---

(١) انظر : تفسير إنجيل متّى ، ص ١٣٦ نقلاً عن : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية .

(٢) انظر : المدخل إلى العهد الجديد للقس فهيم عزيز ، صدر عن دار الثقافة المسيحية ط : أولى ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

الثانى : ـ الذى ينى عليه هذا القول ـ فهو قول يابياس : إن متّى كتب الأقوال باللغة العبرانية ، وكل واحد يفسرها على قدر معرفته ، ويعتقد المتمسكون به بأن يابياس «متّى» التلميذ الذى كان عشاراً ودعاه يسوع ، وجعله تلميذاً ورسولاً ـ وقد مرت النصوص الدالة على ذلك ـ وعلى هذا الأساس يقولون : إن كاتب هذا الإنجيل فى شكله الحالى هو متّى أو لاوى العشار [1].

وقبل أن أعرض للفريق الثانى الذى ينكر أن متّى رسول المسيح كانت له صلة بهذا الإنجيل ،أريد أن أشير إلى الأساس الأول وهل يمكن أن يكون أساسًا ينى عليه رأى كهذا، هل مجرد نسبة الكتاب إلى شخص مهما كان تسجيل هذه النسبة قديمًا ويعود إلى زمن بعيد تكفى لأن تكون أساسًا يعتمد عليه الشخص فى هذا الموضوع ؟ مع أنه يعترف أيضًا أن هذا العنوان لم يكن ضمن النص الأصلى ، وما قيمة ظهور هذا العنوان سنة ١٢٥م إن لم يعرف له أساس ، أعتقد أن هذا الأساس بهذه الطريقة قائم على غير أساس .

أما عن الأمر الثانى ، فإن « يابياس » لم يحدد لنا من هو متى الذى يقصده ، ولهذا اعترف المؤلف القس «عزيز فهيم » أن كل واحد يفسرها على قدر معرفته ، إذن ليس هذا دليلاً قطعيًا فى القضية يحتمل أنه « متّى » ، حيث إن يابياس لم يقل : إنه متّى التلميذ ، ولم يقل : إنه متّى العشار ، ولم يقل : إنه متّى أحد التلاميذ الاثنى عشر ، ولم يقل : إنه متّى تبع يسوع ، وعلى هذا الأساس حتى الذين تمسكوا بقول يابياس تشككوا فى نهاية الأمرهل هو متّى أو لاوى العشار ؟ فكما قلنا سابقًا : القصة واحدة ، وهى قصة أتباع أحد التلاميذ ليسوع ، لكن مرقس نسبها إلى لاوى ، ومتّى نسبها إلى متّى ، فهل هذا يعتمد عليه كأساس فى هذه القضية ؟

ونعرض للفريق الثانى الذى ينكر هذه النسبة ولعلنا نرى له رأيا أو تحليلاً لأدلة الأولين:

ثانيًا :

يقول القس فهيم عزيز: « وأما الفريق الثانى فينكر أن متّى رسول المسيح كانت له

---

(١) انظر : المدخل إلي العهد الجديد ، ص ٢٤٣ .

صلة بهذا الإنجيل ، وينكرون أن قول يابياس ينطق على هذا الإنجيل الحالى ، ولهم فى ذلك عدة أسباب :

الأول : هو أن يابياس يذكر أن متى كتب باللغة العبرية ، ولكن العارفين باللغات يقولون : إن إنجيل متّى الحالى كتب أصلاً باللغة اليونانية ، ومن السهل بمكان أن نميز كتابًا مترجمًا من لغة إلى لغة أخرى ، عن آخر كتب فى لغة أصلية ، وليس مترجمًا .

أما السبب الثانى : فهو أن متّى فى تكوينه قد اعتمد كثيرًا جدًا على إنجيل مرقس بل ويقول القس فهيم عزيز فى مكان آخر من كتابه : « يكفى هنا أن نقول : إن متّى احتوى على الغالبية العظمى من المادة التى يتكون منها إنجيل مرقس » وإذا كان علماء المسيحية أنفسهم متفقون على أن متّى ولوقا اعتمدا اعتمادًا كبيرًا على إنجيل مرقس ، واستخدماه أساسًا لكتابيهما ، فلقد كان البشيرمتّى بالذات أكثر الاثنين استخدامًا لهذا الكتاب فى ترتيب الحوادث ، وفى اقتباس جمل وكلمات كثيرة منه ، وهذه حقيقة أصبحت معروفة لدى جميع الدراسين ، وعلى حد قول فهيم عزيز ، لا ينكر عالم أن لغة إنجيل مرقس وأسلوبه فى الكتابة يظهر أنه كتب قبل الإنجيلين الآخرين ، وهنا يتساءل هذا الفريق :

لو أن لوقا اقتبس من مرقس لما كان هناك من حرج ؛ لأن مرقس بحكم شهادة التقليد الكنسى ، كان أقرب إلى الأصول من لوقا ، لأنه أخذ عنه كثيرًا من مادته من الرسول بطرس نفسه ، وهو نفسه يقول : إنه جمع مادته من مصادر متنوعة (لوقا ١ : ١ – ٣) لكن كيف يكون الحال مع متّى لو كان حقيقة تلميذ المسيح المعروف ؟ ألا يعتبر ذلك أمرًا غير محتمل ؟ هل يعتمد التلميذ ، وخصوصًا تلميذ كمتّى له عقليته المرتبة الواعية ، أن يعتمد على مصدر لم يكن له نفس القرب الذى له ؟ كيف يعتمد متى التلميذ على مرقس تلميذ التلميذ [1] ؟

وهى أغرب مما مر فى إنجيل مرقس من أن بطرس الأستاذ هو الذى كتب عن التلميذ مرقس ونسبه إلى مرقس ، أهذا كلام يعقل ؟

ولهذا الفريق المنكر **سبب ثالث** يبنى على الثانى ، وهو أن من يقرأ الإنجيلين يرى اختلافًا فى حيوية الكتابة ، فإنجيل مرقس ، يؤكد أن المادة التى فيه قد خرجت من شاهد

---

(١) انظر : المدخل إلى العهد الجديد ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

عيان ، أما متى فإنه يختلف عنه ، ولكنه اختلاف الشخص الذى أخذ المادة منه ، وأجرى فيها بعض « التلميع » ـ إن جاز هذا التعبير ـ وهذا يدل على أن مرقس كتب أولاً مستقيًا مادته من شخص قريب من يسوع ، بخلاف متّى الذى أخذ من مصدر وسيط ولم يكن شاهد عيان ، ويدل أسلوبه على ذلك ، أنه أسلوب الشخص الذى جلس يفكر ويصلح ، وليس الشخص الذى شاهد بعينيه ثم ذكر ما رأى وعرف (١) .

ومادام الأسلوب الذى جلس يفكر ، إذن فليس ما كتب وحيًا ولا إلهامًا ، بل هو فكر بشرى ، وليس هذا الفكر لأحد التلاميذ ولا لأحد الحواريين .

لهذه الأسباب الثلاثة ينكر هذا الفريق كتابة الرسول متى لهذا الإنجيل .

ثالثًا :

وأما الفريق الأخير فهو يقف موقفًا وسطًا ، إنه لا يريد أن يقلل من قيمة التقليد الكنسى الذى بدأه يابياس ، وفى نفس الوقت لا يستطيع أن يذهب إلى آخر المدى مع هذا التقليد رغم معارضته لأشياء كثيرة علمية ، هذا الفريق يربط متى الرسول بالكتاب ، ويعتقد أن «التعاليم » التى يذكرها يابياس من مجموعة التعاليم الموجودة فى متّى حاليًا ، مثل الموعظة على الجبل والأمثال وغيرها ، وقد أخذها واحد وربطها بمجموع الحوادث الموجودة فى إنجيل مرقس إلى جانب مصدر آخر أخذ منه بعض الحوادث كحوادث الميلاد، لكن من ياترى هذا الشخص الذى يقصده هذا الفريق ؟

يقول فهيم عزيز حاكيًا قولهم : « ربما كان هذا الرجل تلميذًا فى مدرسة اسمها «مدرسة متّى » وقد يكون شخصًا آخر ، وقد تكون التعاليم هذه هى نفسها المصدر ، وقد يكون كل ذلك » (٢) .

وأعتقد أن هذا الفريق لم يختلف كثيرًا عن الفريق الثانى : نعم إذا كان الفريق الثانى قد حسم القضية وأنكر نسبة الإنجيل للحوارى متّى ، واستدل على ذلك بأدلة قوية ، فإن هذا الفريق زاد الأمر شكًا وريبة ، من حيث لا يدرى أو من حيث يدرى فقد كثرت احتمالاته ، فقد يكون متىّ ، وقد يكون تلميذًا ينتسب إلى متّى ، وقد يكون شخصًا آخر ، وقد تكون التعاليم ذاتها هى المصدر ولكن هذه الاحتمالات فى مثل هذه القضايا بالذات ،

---

(١) انظر : المدخل إلى العهد الجديد، ص ٢٤٤ .

(٢) انظر : المرجع السابق .

والتى ينبغى فيها الحسم ـ بأدلة لا تقبل الانفكاك ـ مازادت الأمر إلا غموضاً وريبة ، ولهذا لابد وأن يواجهنا هذا السؤال : من هو الكاتب إذن ؟

ويرد القس فهيم عزيز على هذا التساؤل فيقول : « لا نستطيع أن نعطيه اسماً و قد يكون متى الرسول ، وقد يكون غيره ، ولكنه بدون شك هو شخص يتميز بالأمور التالية»(١) ثم يذكر بعض المميزات .

وهل يمكن لباحث أو لدارس أن يقبل بسهولة هذا التلاعب العلمى ؟ لمن تذكر هذه المميزات ، وقد قرر مثيلها مباشرة أن الكاتب مجهول ، أيمكن للإنسان أن يذكر مميزات لشخص مجهول ؟ وماذا ينفع ذكرها ؟ لاشك أنه هراء .

اللغة التى كتب بها وترجم إليها إنجيل متّى :

اتفق جمهورهم على أنه كتب إنجيله بالعبرية أو السريانية (٢) ، وربما كان سندهم فى ذلك قول يابياس : « إن متّى كتب الأقوال باللغة العبرانية » (٣). وقد سبق أن اسم متّى هنا اختلف المفسرون فيه ، وأيضاً كلمة الأقوال هنا اختلفوا حولها فهل ياترى المراد بها الإنجيل أو لا ؟

يقول فهيم عزيز : « ويقصد بكلمة الأقوال : الإنجيل كله » لكنه عندما يعرض لرأى المنكرين يقول : « وينكرون أن قول يابياس ينطبق على هذا الإنجيل الحالى ، فهل ياترى كتب الإنجيل بالعبرية أو لا ؟

على كل إذا كانوا قد اتفقوا على أنه كتب بالعبرية كما اتفقوا على غيرذلك ، فإنهم اتفقوا أيضاً على أن أقدم نسخة عرفت شائعة رائجة كانت باليونانية »(٤) ، ومعنى هذا : أنه على اعتبار كتابته بالعبرية فإن تلك النسخة الأصلية مفقودة ولا يستطيع أحدهم أن يتكهن أين هى ؟ على أن العارفين باللغات عندهم يقولون : إن إنجيل متّى الحالى كتب أصلاً باللغة اليونانية ، ومن السهل بمكان أن تميز كتاباً مترجماً من لغة إلى أخرى ، من آخر كتب فى لغة أصلية وليس مترجماً » (٥) .

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد ، ص ٢٤٥ .

(٢) محاضرات فى النصرانية ، ص ٥٠ .

(٣) المدخل إلى العهد الجديد ، ص ٢٤٣ .

(٤) محاضرات فى النصرانية ، ص ٥٠ .

(٥) المدخل إلى العهد الجديد ، ص ٢٤٣ .

وإذا كان القائلون بأنه كتب بالعبرية أغلب مفكريهم ومؤرخيهم كابن البطريق ، وجرجس زوين اللبنانى ، وصاحب ذخيرة الألباب ، والمؤرخ أوسبيدس [1] فإن الدكتور بوست فى « قاموس الكتاب المقدس » يقول مخالفًا جمهور المتقدمين : « إن هناك من يقول أنه كتب باليونانية ، ثم يرجع أنه ألف باليونانية ، مخالفًا بذلك إجماع مؤرخيهم » [2] .

فهل ياترى كتب الإنجيل بالعبرية أو اليونانية ؟ ولو كان قد كتب بالعبرية فأين هى ؟

وعلى اعتبار الإنجيل كتب بالعبرية وترجم إلى اليونانية جمعا بين هذه الروايات المختلفة، فإن السؤال الآن : من هو الشخص الذى ترجم الإنجيل إلى اليونانية ؟ وعندما نعرض لهذا السؤال ، فعلى أساس أن الترجمة هى التى وصلت . وأما عن الأصل فَقَد فُقد، يقول الدكتور على عبد الواحد وافى :

« وكثير من مؤرخى العرب إذ قرروا أن متّى قد كتب إنجيله هذا باللغة العبرية ، ولكن هذا الأصل الآرامى لم يصل إلينا ، وإنما وصلت إلينا ترجمته إلى اللغة اليونانية التى تمت عقب تأليفه مباشرة » [3] .

ولهذا فإنه ينبغى أن نتساءل من هو هذا المترجم ؟ يقول الدكتور على عبد الواحد : ولا يعرف عن طريق يقينى مترجم هذا الإنجيل إلى اللغة اليونانية » [4] .

ولكن ابن البطريق يذكر أن الذى ترجمه يوحنا مؤلف الإنجيل الرابع ، حيث يقول فى ذلك : « فى عصر قلوديوس كتب متاوس « متّى » إنجيله بالعبرانية فى بيت المقدس ، وفسره من العبرانية إلى اليونانية يوحنا صاحب الإنجيل » [5] ، لكن لا يعرف لهذا الرأى سند يعتد به [6] .

وإذا كان ابن البطريق قال ذلك ؛ فإنه يقال : إن متّى نفسه هو الذى قام بترجمته [7].

---

(١) محاضرات فى النصرانية ، ص ٥٠ ، ٥١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٥٢ .
(٣) الأسفار المقدسة ، ص ٨٦ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٨٧ .
(٥) محاضرات فى النصرانية ، ص ٥٠ .
(٦) انظر : الأسفار المقدسة ، ص ٨٧ .
(٧) نفسه .

بل إن جرجس زوين اللبنانى لم يحدد مترجمًا فى أثناء كلامه عن متّى وإنجيله ، فيقول: « لكن هذه النسخة العبرانية قد فقدت، وبعد فقدها ظهرت ترجمتها فى اليونانية»(١)، وهو هنا يعين المترجم .

أين كتب هذا الإنجيل ؟

وفيما يتعلق بمكان تأليف إنجيل متّى « فإن شواهد قوية تشير إلى أنطاكية باعتبارها موطنه الأصلى ، ولما كان من الصعب ربط الإنجيل بمدينة محددة مثل « أنطاكية » فمن المناسب إذن أن نقول بأنه يأتى من مكان في المنطقة المحيطة بها ، أو أى مكان ما يقع فى شمال فلسطين » (٢) .

يقول جرجس زوين اللبنانى فيما ترجمه عن الفرنسية : « إن متى كتب بشارته فى أورشليم على ما ذهب إليه القديس إيرنموس » (٣) .

ويقول صاحب ذخيرة الألباب : « إن متى كتب إنجيله باللغة المتعارفة يومئذ فى فلسطين » (٤) .

فهل يا ترى كتب بأنطاكية أو فى مكان من المنطقة المحيطة بها ، أو فى أى مكان يقع فى شمال فلسطين ، أم فى فلسطين نفسها ؟ يجوز كل هذا وليس هناك دليل أو برهان يقوّى لنا رأيًا من هذه الآراء على آخر .

متى كتب إنجيل متّى :

وإذا انتقلنا إلى تاريخ تدوين هذا الإنجيل نجد ميدان الخلاف فسيحًا ، فابن البطريق يذكر أنه دوّن فى عهد قلوديوس قيصر الرومان (٥) .

وهنا لم نجده يُعيِّن السنة التى كتب فيها الإنجيل ، بل عين الملك الذى كتب فى عهده، وهذا الملك لم يكن هو الذى عاصر المسيح ، ولا الذى يليه بل الذى عاصر المسيح وصلب – على زعمهم – فى عهده طيباروس ، وولى من بعده غابيوس ، وملك أربع سنين وثلاثة أشهر ، ثم جاء من بعده قلوديوس وملك أربع عشرة سنة (٦) ، فيحتمل بناء

---

(١) محاضرات فى النصرانية ،ص ٥١ .

(٢) الأناجيل أصلها وتطورها ، ص ١٤٠ .

(٣) محاضرات فى النصرانية ، ص ٥١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥١ .

(٥) انظر: المرجع السابق ، ص ٥١ .

(٦) انظر : المرجع السابق ، ص ٥١ .

على ما تقدم أن يكون تدوين هذا الإنجيل فى آخر العشرة الرابعة من ميلاد المسيح ، ويحتمل أن يكون فى أول أواخر العشرة الخامسة ، أو أوائل السادسة فكلام ابن البطريق يحتمل كل هذا .

يقول جرجس زوين اللبنانى : « إن متّى كتب بشارته فى أورشليم سنة ٣٩م»(١) .

ويقول صاحب ذخيرة الألباب : « إن القديس متّى كتب إنجيله فى السنة ٤١ للمسيح »(٢) .

وقال الدكتور بوست فى « قاموس الكتاب المقدس » « ولا بد أن هذا الإنجيل قد كتب قبل خراب أورشليم ، ويظن البعض أن الإنجيل كتب ما بين سنة ٦٠ ، وسنة ٦٥ »(٣) .

وإذا كان الخلاف على مقتضى هذه الأقوال يمتد من سنة ٣٩ وحتى سنة ٦٥ ، ولا نعرف فى أى السنوات من هذه إلى تلك كتب إنجيل متّى ، فمازالت هناك أقوال تذهب بنا إلى أبعد من ذلك ، حيث يقول القس فهيم عزيز :

« يقول إيريناوس : إن متّى كتب إنجيله عندما أراد أن يترك شعبه ليذهب إلى بلد آخر للتبشير حتى يمكن أن يحتفظوا بأفكاره وهو بعيد عنهم ، وكان ذلك عندما كان بطرس وبولس في روما يؤسسان الكنيسة هناك ، ويظن بعض العلماء أن هذا الأمر حدث فى وقت متأخر كثيراً عن زمن القيامة ، بعد حوالى ١٢ سنة ، أى أنه كتب حوالى سنة ٤٢م».

لكنه يعود لينقض هذا الرأى ، يدلل من رسالة الأعمال نفسها على بطلانه فيقول : «ولكن هذا الرأى لا يقوم على أساس من الواقع ويناقضه ما جاء فى أعمال ١٥ ، غلاطية ٢ : ١ ــ ١٥ ، حيث يظهر أن الإرسالية خارج اليهودية لم تكن إلا عن طريق بولس وبرنابا ، وكان ذلك ابتداء من سنة ٤٩ م ، أما بقية الرسل فلم يكن عندهم تفكير جدى فى اتخاذ هذه الخطوة لتقديم الإنجيل إلى الأمم ، وإلى جانب ذلك فهناك عبارات فى إنجيل متّى تدل على أنه كان قد مضى وقت طويل على حدوث الأحداث العظيمة التى يسجلها هذا الإنجيل (٢٧ : ٨ ، ٢٨ : ١٥) » .

(١ ، ٢ ، ٣) محاضرات فى النصرانية ، ص ٥١ ، ٥٢ .

ثم بعد ذلك يقول : « وإذا أخذنا فى الاعتبار أن الإنجيل يفترض أن الإرسالية قد امتدت إلى الأمم ، وأن هناك عداوة بين اليهود والمسيحيين المنتشرين فى كل العالم ، وأن جزءاً من الخطاب الرؤوى يعكس تفكير المسيحيين بعد خراب أورشليم ، إذا أخذ كل ذلك فى الاعتبار فيمكن أن نقول مع كثيرين من العلماء : إن الكتاب قد كتب بعد ٧٠ م ، وربما بين ٧٥ ـ ٨٠ م » .

ثم يختم القس فهيم عزيز حديثه هذا بهذه العبارة : « على كل حال فإن هذا رأى غير قاطع » (١) .

والحق أن باب الاختلاف فى شأن التاريخ لا يمكن سده ، وإذا كان الخلاف ينحصر ما بين سنة ٣٩ وحتى ٨٠ م فبتتبع الآراء نرى أن الهوة تزيد والرقع يتسع ، يقول جون فنتون :

وأما بالنسبة لتاريخ كتابة هذا الإنجيل يمكن القول : إنه « كتب فى حوالى الفترة من ٨٥ إلى ١٠٥ م وعلى أية حال فيمكن القول بأنه كتب فى الربع الأخير من القرن الأول أو في السنوات الأولى من القرن الثانى »(٢) .

وكما قلنا: لا يمكن سد باب الخلاف فى شأن التاريخ ، ولا ترجيح رواية على أخرى، ولا جعل تاريخ أولى من تاريخ فى الاتباع ، ولذلك يقول هورن : « الإنجيل الأول سنة ٣٧ أو سنة ٣٨ أو سنة ٤١ أو سنة ٤٣ أو سنة ٤٨ أو سنة ٦١ أو سنة ٦٢ أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٤ من الميلاد » (٣) .

أقول : ويجوز غير ذلك ، ويبدو أن سبب هذا الخلاف عدم وجود نص قاطع فى هذا الموضوع كغيره من الموضوعات الأخرى كالمكان والترجمة ، وهذا شىء عام يشمل جميع الأناجيل وليس متّى وحده .

يقول صاحب كتاب : « مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين » : « إن متّى بموجب اعتقاد المسيحيين كتب إنجيله قبل مرقس ولوقا ويوحنا . ومرقس ولوقا كتبا إنجيليهما قبل خراب أورشليم ، ولكن لا يمكن الجزم فى أى سنة كتب كل منهم بعد

---

(١) انظر : المدخل إلى العهد الجديد ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٢) تفسير إنجيل متى ، ص ١١ نقلاً عن المسيح .

(٣) محاضرات فى النصرانية ، ص ٥٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥١ .

صعود المخلص، لأنه ليس عندنا نص إلهى على ذلك (٤) .

ونستطيع بعد كل الذى سبق من الحديث عن إنجيل متّى أن نخرج بهذه النتائج :

١ ـ هناك اختلاف حول اللغة التى ألف بها ، هل هى العبرية أو اليونانية ؟

٢ ـ وعلى اعتبار أن الأولى هى الأصل وأن الثانية ترجمة لها ، فهناك اتفاق على أن هذا الأصل قد فقد تماماً ، ولم يصلنا سوى هذه الترجمة .

٣ ـ لا يعرف من هو المترجم ، فإذا كان ابن البطريق يذكر أن يوحنا هو الذى ترجمه إلى اليونانية ، فإننا لا نجد أحداً من المؤرخين أيده ، بل إن الكثيرين يقولون : « إنه لم يعرف المترجم » (١) .

٤ ـ امتدت ساحة الخلاف إلى المكان الذى ألف فيه ، واختلفوا أيضاً كما اختلفوا على الأصل والترجمة .

٥ ـ وأيضاً لم يعرف فى أى السنوات كتب ، وترددت آراء العلماء فيما بين سنة ٣٩ م وحتى سنة ١٠٥ م .

فهل يمكن بعد ذلك أن يقال : إنه كتاب وحى أو أنه بإلهام الروح القدس ؟! على أن الخلاف شمل متّى أيضاً الذى نسب إليه الإنجيل ، فلا يعرف هل هو الذى كتبه ، أم غيره وهل هو متّى التلميذ أم متّى آخر ؟

أثر الجهل بهذه الأمور :

لا شك أن جهل تاريخ تدوينه ، وجهل النسخة الأصلية التى كانت بالعبرية ، وجهل المؤلف له ، وجهل المترجم وحاله من صلاح أوغيره ، وعلمه بالدين واللغتين التى ترجم عنها والتى ترجم إليها .

كل هذا يؤدى إلى فقد حلقات فى البحث العلمى ، ولئن تسامح الباحث في تاريخ التدوين ، وتاريخ الترجمة وملابساتها ، ليمنعن العلم من الاسترسال فى التسامح ، حتى لايرى أن السلسلة تكون كاملة إذا لم يعرف الأصل الذى ترجمه .

فلقد وددنا أن نعرف ذلك الأصل ، لنعرف أكانت الترجمة طبق الأصل ، أم فيها انحراف ، ولنعرف أفهم المترجم مرامى العبارات ومعانيها ، سواء أكانت هذه المعانى تفهم

---

(١) محاضرات في النصرانية ، ص ٥٢ .

بظاهر القول أم بإشارته أم بلحن القول وتلويحاته أم بروح المؤلف وغرضه ومرماه الكلى من الكلام ؟

ولكن عز علينا العلم بالأصل ، ولقد كنا نتعزى عن ذلك لو عرفنا المترجم ، وأنه ثبتٌ ثقةٌ أمين فى النقل ، وعالم لا يتزيد على العلماء ، وفقيه فى المسيحية حجة فيها ، وعارف للغتين ، وفاهم لهما ، ومجيد فى التعبير بهما ، فعندئذ كنا نقول : ثقة روى عن ثقة بترجمته، ونسد الخلة بتلك الرواية ، ونرأب الثلمة بتلك النظرة ، ولكن قد امتنع هذا أيضًا فقال جمهرة علمائهم : « إن المترجم لم يعرف فبقيت الثلمة من غير ما يرأبها » (١) .

(١) محاضرات فى النصرانية ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

سند إنجيل مرقس

الأسئلة التى تراود أى عقل عندما يتحدث عن سند كتاب من الكتب هى : من هو المؤلف ؟ وهل لاسمه وشخصه وجود حقيقى فى التاريخ ؟ وهل الاسم الذى أطلق عليه هو اسمه حقيقة أم أنه اسم منتحل ؟ ومتى كتب ؟ وأين ؟ ومن هنا يستطيع الباحث عندما يصل إلى إجابات محددة لهذه الأسئلة ، أن يتحقق بكل سهولة من اتصال سند الكتاب بكاتبه .

وفى موضوعنا نستطيع أن نجيب عن هذه الأسئلة فيما يتعلق بكل من إنجيل مرقس ، ومتّى ، ولوقا ، ويوحنا ، وأن نعرف من أهم هؤلاء وماصلتهم بالمسيح ؟ وهل هم من الحواريين أم لا ؟ وماهى المسافة الزمنية بين كتابهم وموت المسيح ؟ وما المكان الذى تم فيه ذلك ؟ وكيف كتبوا هل بالتلقى منه مباشرة أو من غيره ؟ومن هو غيره هذا ؟ أم كانت هناك مصادر مكتوبة نقلوا عنها ؟ وأين هى ؟ ومن كتبها ؟ حتى نتحقق من سندها هى الأخرى ؟

مرقس فى نظر المسيحيين :

يقول المؤرخون : إن اسمه يوحنا ويلقب بمرقس ، ولم يكن من الحواريين الاثنى عشر الذين تتلمذوا للمسيح ،واختصهم بالزلفى إليه ، وأصله من اليهود ، وكانت أسرته بأورشليم فى وقت ظهور السيد المسيح ، وهو من أوائل الذين أجابوا دعوته ، فاختاره من بين السبعين الذين نزل عليهم روح القدس — فى اعتقادهم بعد رفعه — وألهموا بالتبشير بالمسيحية كما ألهموا مبادئها .

ويقول صاحب كتاب « الأمة القبطية » : وقد أجمعت تقاليد الطوائف المسيحية على أن الرب يسوع كان يتردد على بيته وأنه فى هذا البيت أكل الفصح مع التلاميذ ، وفى إحدى غرفه حل الروح القدس على التلاميذ » (١).

مرقس فى العهد الجديد :

لقد ورد ذكر هذا الاسم فى سفر الأعمال ثلاث مرات (٢):

(١) محاضرات فى النصرانية ، ص ٥٣ .

(٢) انظر : المدخل إلى العهد الجديد ، ٢١٨ .

الأولى :« ثم جاء ــ والحديث عن بطرس ـ وهو منتبه إلى بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس كان الكثيرون مجتمعين وهم يصلون » إصحاح ١٢:١٢ من سفر الأعمال .

فذكر أن التلاميذ كانوا يجتمعون فى هذا البيت يصلون .

الثانية :« ورجع برناباوشاول من أورشليم بعدما كملا الخدمة ، وأخذا معهما يوحنا الملقب بمرقس » إصحاح ٢٥:١٢ من سفر الأعمال .

وهنا يذكر أن شاول وبرنابا أحضرا مرقس معهما من أورشليم .

الثالثة :« وأما يوحنا ففارقهم ورجع إلى أورشليم » .

والحديث عن يوحنا مرقس الذى ترك برنابا وشاول فى رحلتهما التبشيرية وعاد إلى أورشليم .

ولقد ذكره بولس فى رسائله ثلاث مرات إيضاً :

الأولى : فى رسالة بولس إلى كورنثوس (٤ : ١٠) حيث يبلغ الكنيسة تحياته ويذكر أنه ابن أخت برنابا .

الثانية : فى فليمون (٢٤) حيث يذكر أنه يعمل معه مع آخرين .

الثالثة : فى تيموتاوس (٤ : ١١) عندما يمتدحه ويقرر أنه نافع للعمل جداً ويطلب من تيموتاوس أن يحضره معه (١) .

هذا هو يوحنا مرقس فى العهد الجديد .

مرقس فى التقليد الكنسى :

أما فى التقليد الكنسى ، فإنه يذهب إلى مصرمرتين ، الأولى حوالى سنة ٣٧ م حيث أرسله بطرس الرسول ، فدخل الإسكندرية حوالى سنة ٤٠ م ومكث هناك إلى سنة ٤٤ م ، ثم ذهب مع بطرس إلى روما وهناك كتب إنجيله وفى حوالى سنة ٤٩ م رجع إلى مصر ، وهناك بقى إلى نهاية حياته يبشر فى مصر بكل همة ونشاط (٢)

---

(١) انظر : المدخل إلي العهد الجديد ، ص٢١٨ ، ٢١٩ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص٢١٩ .

كاتب الإنجيل :

الحديث يدور فى معظم الكتب على أن مرقس الذى تحدثنا عنه هو الذى كتب الإنجيل المنسوب إليه ، يقول فهيم عزيز :

« إن يوسابيوس فى تاريخه الكنسى يقتبس ماقاله يابياس : ولقد قال الشيخ أيضاً : إن مرقس الذى صار مفسراً لبطرس قد كتب بكل دقة كل ماتذكره من أقوال وأعمال الرب ، ولكن ليس بالترتيب ،لأنه لم يسمع الرب ، ولم يتبعه ، ولكن كما قلت قبلاً عن بطرس الذى ذكر من تعاليم السيد مايوافق حاجة السابقين بدون أن يهدف إلى كتابة كل ماقاله الرب وعمله، وهكذا قصد مرقس ، أنه لم يعمل خطأ واحداً فى كل ماذكره وكتبه..».

ويعلق القس فهيم عزيزعلى هذا الكلام فيقول :« وهذه أقدم شهادة عن مرقس الذى أخذ عن بطرس كل ماكان يعلم به ، ويذكره من أقواله وأعمال الرب ، وهى شهادة أخذ بها كل الدارسين تقريباً وفى العصر الحديث لم يجد العلماء مايعترضون به على نسبة هذا الكتاب إلى مرقس »[1] .

وعلى اعتبار أنه من الممكن إقناعنا بهذا الكلام ـــ وأعنى نسبة الكتاب إلى مرقس ـ فما هى الإجابة لوأثرنا هذه التساؤلات ؟:

١ـ يذكر يابياس فى النص الذى نقله إلينا القس فهيم عزيز أن مرقس قد كتب بكل دقة كل ماتذكره من أقوال وأعمال الرب .

وهذا تصريح لايقبل الجدال ، بأن السيد مرقس كتب الإنجيل من ذاكرته أى أنه ليس وحياً ولا إلهاماً .

مع العلم بأنه أيضاً ليس من التلاميذ الاثنى عشر، فهل ياترى من الممكن أن تعتبر كتابة الذاكرة وحياً مقدساً ؟

٢ـــ يذكريابياس أن مرقس لم يسمع الرب ، ولم يتبعه إذن لم تكن له صلة زمنية بالمسيح فهو لم يقابله، ولم يكلمه لأنه لم يعاصره ، ولهذا كان كلامه غير مرتب .

٣ـ كتابته كانت عن بطرس الذى ذكر التعاليم التى توافق حاجة السامعين ،دون أن

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد ،ص٢١٨.

يهدف إلى كتابة كل ما قاله الرب وعمله .

هكذا ،فبطرس يتحكم تماماً فيما عنده من وحى أوإلهام ! فهو يختار مايشاء أن يقوله ، ويكتم مايريد ،إنه لايذكر إلامايوافق حاجة السامعين ،فبماذا يحكم العقل على ماعنده من تعاليم ،إن كانت وحياً أوإلهاماً فينبغى أن يذكرها كلها ،لأن فى كتمها خيانة للرسالة، أما ألا يذكر إلا مايوافق حاجة السامع دون قصد لذكر كل الأقوال والأعمال ، فأعتقد أنه كأى داعية دين لديه بعض المعلومات عن دينه والتى يعبرعنها بقوله وكلامه وأسلوبه، ويراعى أحوال السامعين ، وعلى هذا الأساس يدعو، لكن لايمكن لواحد أن يدعى أن كلامه وحى أو إلهام .

ومع كل هذا ، فإن ادعاء القس عزيز فهيم أن كل الدارسين أخذوا بهذه الشهادة ، ولم يجد علماء العصرالحديث ما يعترضون به على نسبة هذا الكتاب إلى مرقس ــ ادعاء ليس فى محله وذلك لمايأتى :

ــ ذكر صاحب« مرشد الطالبين »:« أن إنجيل مرقس كتب بتدبير بطرس سنة ٦١، لنفع الأمم الذين كان ينصرهم بخدمته ».

ــ وقرر الكاتب القديم أرينيوس : « أن مرقس كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس »[١] . .

ــ وابن البطريق يقرر : «أن الذى كتب الإنجيل هو بطرس عن مرقس » .

فمن الكاتب إذن ؟مرقس وحده أم مرقس بتدبير بطرس أم بطرس هو الذى كتبه عن مرقس ؟ مع أن بطرس هو الأستاذ ومرقس هو التلميذ !

ثم بعد ذلك نلفت نظر القس فهيم عزيز إلى أقوال علمائهم فى العصر الحديث عن موضوع نسبة الكتاب فليقرأ معنا للأستاذ دنيس أريك تينهام مؤلف « تفسير إنجيل مرقس» ، أستاذ اللاهوت بجامعة لندن ، ورئيس تحرير سلسلة بليكان لتفسير الإنجيل . وللدكتور فريدرك كلفتن جرانت مؤلف كتاب « الأناجيل أصلها وتطورها » ، أستاذ الدراسات اللاهوتية فى الكتاب المقدس بمعهد اللاهوت الاتحادى بنيويورك .

يقول الدكتور فريدريك جرانت : « لايزال مايرويه يابياس (حوالى عام ١٣٥ م) نقلاً عن (من يدعى) الشيخ (الذى يقال إنه يوحنا) هو نقطةالبدء فيما يتعلق

---

(١) محاضرات فى النصرانية ،ص٥٤ ،٥٥.

بالتحليل الكافى للنواحى التاريخية والأدبية فى إنجيل مرقس إذ يقول : هذا مااعتاد أن يقوله الشيخ : فى الواقع أن مرقس الذى كان ترجماناً لبطرس قد كتب بالقدر الكافى من الدقة التى سمحت بها ذاكرته ماقيل عن أعمال « يسوع » وأقواله ، ولكن دون مراعاة للنظام ، ولقد حدث ذلك لأن مرقس لم يكن قد سمع يسوع ولا كان تابعاً شخصياً له ، لكنه فى مرحلة متأخرة كما قلت أنا « يابياس » من قبل ، قد تبع بطرس الذى اعتاد التوفيق بين تعاليم المسيح والمطالب ... »

ويتفق مع قول يابياس هذا ما اقتبسه أرنيوس فى قوله : « بعد موت بطرس وبولس فى الاضطهاد الذى حدث فى روما تحت حكم نيرون ، فإن مرقس تلميذ بطرس وترجمانه سلم إلينا كتابة ماصرح به بطرس »[١].

الاختلاف فى الكاتب :

جاء فى تاريخ ابن البطريق : وفى عصر تارون قيصر كتب بطرس رئيس الحواريين إنجيل مرقس فى مدينة رومية ، ونسبه إلى مرقس »[٢].

ويقول صاحب « مرشد الطالبين » : قد زعم أن إنجيل مرقس كتب بتدبير بطرس سنة ٦١ لنفع الأمم الذين كان ينصرهم بخدمته[٣] ، وقد ذكر الأمر بلفظ الزعيم كأنه لايصدقه ،وأنه لا يراه مقبولاً .

وقد قرر الكاتب القديم أرينيوس : « أن مرقس كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس »[٤] .

فهل يا ترى يقبل قول ابن البطريق ،من أن الذى كتب الإنجيل هو بطرس عن مرقس ، ونسبه إليه فكأن بطرس راوى مرقس مع أن الأول رئيس الحواريين — كما يقول ابن البطريق — والثانى من تلاميذه كما جاء فى كتاب مدرج الأخبار فى تراجم الأبرار الذى يقول : « إن مرقس كان ينكر ألوهية المسيح هو وأستاذه بطرس الحوارى » .

وإذا كان ذلك الإنجيل خلاصة علمه بالمسيحية ، فإذا رواه عنه أستاذه فقد روى هذا عن مرقس ما ألقاه عليه وعلمه، وإن ذلك لغريب .

(١) الأناجيل أصلها وتطورها ،ص٧٣ ،٧٤ .
(٢) محاضرات فى النصرانية ، ص٥٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٤.
(٤) المرجع السابق ، ص ٥٥.

ولاشك أنه اختلاف صريح فى شخص المحرر لهذا الإنجيل ،فابن البطريق وهو من المؤرخين المسيحيين الشرقيين يقرر أن الذى كتبه هو بطرس عن مرقس ونسبه إليه، وصاحب مرشد الطالبين يقرر أن مرقس كتبه بتدبير بطرس وأرينيوس يقرر أن الذى كتبه هو مرقس من غير تدبير بطرس ؛ لأنه كتبه بعد موته .

والسؤال الآن من الكاتب إذن ؟ فليس بين أيدينامانرجح به إحدى الروايتين على الأخرى!

ولمعرفة حقيقةمرقس نجد تينهام يقول : « لم يوجد أحد بهذا الاسم عرف أنه كان على صلة وثيقة وعلاقة خاصة بـ « يسوع » ، أو كانت له شهرة خاصة فى الكنيسة الأولى .

ومن غيرالمؤكد صحة القول المأثور ، الذى يحدد مرقس كاتب الإنجيل بأنه يوحنا مرقس المذكورفى أعمال الرسل (١٢:١٢ ، ٢٥) : » « ثم جاء وهو منتبه إلى بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس ، ورجع برنابا وشاول من أورشليم بعدما كملا الخدمة ، وأخذ معها يوحنا الملقب مرقس » .

أو أنه مرقس المذكور فى رسالة بطرس الأول (٥:١٣):« تسلم عليكم التى فى بابل المختارة معكم ومرقس ابنى » .

أو أنه مرقس المذكور فى رسائل بولس : « يسلم عليكم أرسترخس المأسور معى ومرقس ابن أخت برنابا الذى أخذتم لأجله وصايا » (كولوس ٤ : ١٠) ، « لوقا وحده معى خذ مرقس وأحضره معك ؛ لأنه نافع لى للخدمة » (٢ تيموتاوس و٤:١١) ،«يسلم عليكم أبقراس المأسورمعى فى المسيح يسوع ومرقس وأرسترخس وديماس ، ولوقا العاملون معى » (فليمون ٢٤) .

لقد كان من عادة الكنيسة الأولى أن تفترض جميع الأحداث التى ترتبط باسم فرد ورد ذكره فى العهد الجديد ، إنما ترجع جميعها إلى شخص واحد له هذا الاسم ، ولكن عندما نتذكر أن اسم مرقس كان أكثر الأسماء اللاتينية شيوعاً فى الإمبراطورية الرومانية، فعندئذٍ نتحقق من مقدار الشك فى تحديد الشخصية فى هذه الحالة » (١) .

---

(١) تفسير إنجيل مرقس للأستاذ دنيس تينهام ،ص٣٩.

ومن ذلك يتضح أن أحداً لا يعرف بالضبط من هو مرقس كاتب الإنجيل ،وإن كان الرأى الشائع أنه من تلاميذ بطرس وتابعيه .

وإذا كان الرأى الشائع كذلك أن مرقس كاتب الإنجيل كان هومبشر الإسكندرية، وأول أسقف لكنيستها، فإن بعض العلماء يعتبر هذا الرأى من المأثورات العجيبة ، تماماًمثل الاستدلال الخاطئ الذى توصل إليه أوغسطين ، من أن مرقس واحداً من الذين تبعوا متى واختصروا إنجيله [1]

كذلك فإن أحداً لايعرف بالضبط من أين جاء هذا الإنجيل ؟ فالبعض يقول : أنطاكية أو مصر أوروما ،لكن الرأى الشائع أنه جاء من روما .

اللغة الأصلية لإنجيل مرقس :

يذكر بعض مؤرخى العرب أن مرقس ألف إنجيله باللغة اليونانية لا باللغة اللاتينية ،بل إن الشيخ أبوزهرة يذكر أن أحداً من المسيحيين لم يناقض ذلك ،وينقل إلينا رأى الدكتور بوست فى كتابه : « قاموس الكتاب المقدس » أنه كتب الإنجيل باليونانية وشرح فيه بعض الكلمات اللاتينية [2]

ولا أجد فى الكتب المعنية جدلاً كثيراً حول موضوع اللغة التى كتب بها هذا الإنجيل كالجدل الذى خرجنا منه دون أن نعرف من المؤلف ؟ بل ودون أن نعرف من هو مرقس المقصود ؟

تاريخ الكتابة :

يقول « دنيس تينهام » ــ أستاذ اللاهوت بجامعة لندن ، ورئيس تحرير سلسلة بليكان لتفسير الإنجيل ــ : « وبالنسبة لتاريخ كتابة هذا الإنجيل ــ والحديث عن إنجيل مرقس ــ فإنه غالباً ما يحدد فى الجزء المبكر من الفترة ٦٥ـــ ٧٥ م ، وغالباً فى عام ٦٥ أو ٦٦ م » ، لكنه ينقل لنا اعتقاداً غريباً لكثيرمن العلماء فبين أن كثيراً منهم يعتقد أن الإصحاح الثالث عشر كتبه مرقس بعد عام ٧٠ م : « ويعتقد كثير من العلماء أن ما كتبه مرقس فى الإصحاح ١٣ قد سطر بعد عام ٧٠ » [3] .

---

(١) الأناجيل أصلها وتطورها ، ص٧٤ .

(٢) محاضرات فى النصرانية ، ص٥٤ ، والأسفار ص٨٧ .

(٣) تفسير إنجيل مرقس ، ص٤١ .

وعلى كلامه فإن إصحاحاً واحداً من وسط إنجيل كامل ، يبلغ ستة عشر إصحاحاً لم يكتب إلا بعد كتابة الإصحاحات الأخرى بحوالى أربع أوخمس سنوات أو أكثر ، مع الوضع فى الاعتبار أن الإصحاح المتأخر فى كتابته ليس هو الأخير ، فلا شك أنه أمرغريب ، ولِمَ لمْ يضعه فى نهاية الإنجيل على اعتبار أنه ألف متأخراً ؟ وخاصة أنه قد سبق على لسان يابياس ، أن مرقس كتب بالقدر الكافى التى سمحت بها ذاكرته ، ماقيل من أعمال يسوع وأقواله دون مراعاة للنظام .

ويذكر الدكتور على عبد الواحد وافى رأياً قريباً من رأى تينهام فيقول : « وقد ألفه ـ أى مرقس ـ على أرجح الأقوال حوالى سنة ٦٣ أو ٦٥ .

ولكن ابن البطريق يذكر رأيا آخرترى أن الفارق الزمنى أخذ يتسع ونص عبارته : « وفى عهد نيرون قيصر امبراطور روما من سنة ٥٤ إلى سنة ٦٨ كتب بطرس رئيس الحواريين إنجيل مرقس فى مدينة رومية ، ونسبه إلى مرقس » (١) .

وقد ناقشنا ذلك سابقاً ، وهوادعاء كتابة بطرس الإنجيل ونسبته إلى تلميذه مرقس ، اللهم إلا إن كان هناك من بين الحواريين مرقس آخر ، لكن مؤرخى المسيحية لا يعرفون عنه شيئاً .

وإذا كنا لم نعرف بالضبط من الذى كتب الإنجيل ، وأصبحت شخصية مرقس مبهمة ، فإن أحداً لايعرف بالضبط ، متى كتب هذا الإنجيل .

ويقول هورن : « ألف الإنجيل الثانى سنة ٥٦ وما بعدها إلى سنة ٦٥ ، والأغلب أنه ألف سنة ٦٠ أو سنة ٦٣ .

ويقول صاحب « مرشد الطالبين » : « إنه كتب سنة ٦١ م » (٢) .

ومن الممكن فى نهاية هذا الموضوع أن أنقل رأى القس فهيم عزيز ، الذى أرى فيه تلخيصاً لكل ما سبق أوتصنيفاً حيث يقول :

هناك اختلاف فى الرأى عن التاريخ الذى كتب فيه هذا الإنجيل :

١ ـ الذين يتمسكون بالتقليد المصرى يؤكدون أن الإنجيل كتب فى منتصف الأربعينات.

---

(١) الأسفار المقدسة ، ص٨٧ .

(٢) محاضرات فى النصرانية ، ٥٥ .

٢ـ هناك عالم أسمه س . س تورى يذكر أنه كتب فيما بين سنة ٣١، ٤٠ م بانياً رأيه على العبارة :« فمتى نظرتم رجسة الخراب قائمة حيث لا ينبغى » ورجسة الخراب هى صورة كاليجولا، وقد وضعت فى الهيكل كما يعتقد هذا العالم ، ولكن هذا رأى مشكوك فى صحته .

٣ـ قال عالم آخر هارنيك : إنه كتب فى الخمسينات .

٤ـ معظم العلماء يعتقدون أنه كتب فيما بين سنة ٦٤ــ ٧٠ م ويبنون عقيدتهم على شهادة إيرينايوس الذى يقول : إن مرقس كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس » .

وفى نهاية عرضه لهذه الآراء يقول ما نصه:« هذه الآراء قوية ولايمكن أن يتجاهلها دارس » [1] .

ومن العرض السابق لآراء علماء المسيحية وغيرهم فى تاريخ كتابة إنجيل مرقس ، نرى أنه كتب فى الفترة مابين سنة ٣٩ إلى سنة ٧٥ وبين التاريخ الأول والثانى تدور حلبة الخلاف ، أى على حوالى خمسة وثلاثين عاماً ، وهى فترة طويلة جداً حيث يتوه فى وسطها تاريخ كتابة إنجيل يدعى أهله أنه كتاب وحى سماوى ينبغى تقديسه والعمل بما فيه .

وليس من المقبول عقلاً ولا علمياً أن يقول أحد جهابذة المسيحية ــ وهو القس فهيم عزيز ـ بعد كل هذا : إن هذه الآراء قوية ولايمكن أن يتجاهلها دارس . وأقول : لا يمكن أيضاً أن يمر عليها باحث مر الكرام دون أن يقول : إن كتاباً يقرر لأمة دينا ، عقيدة وشريعة وأحكاماً ، ينبغى أن يتيقن تمام التيقن من التاريخ الذى كتب فيه ، فضلاً عن التأكد من الشخصية التى ينسب إليها هذا الكتاب .

مكان كتابة إنجيل مرقس :

يذكر الدكتور بوست فى كتابه : « قاموس الكتاب المقدس » أن إنجيل مرقس كتب باليونانية ، وشرح فيه بعض الكلمات اللاتينية ، وأخذ من ذلك أنه كتب فى رومة .

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

وابن البطريق يأتي في تاريخه بمثل ذلك فيقول : وفي عصر نارون قيصر كتب بطرس إنجيل مرقس عن مرقس في مدينة رومية » (١) .

ويذهب إلى هذا الرأي كليمنت السكندري ، وأوربجين فيقولان : إن مكان كتابته روما » (٢) .

بينما نرى كريسوستم ـ بنفس ثقة الذين قرروا أنه كتب بروما ـ يقرر أنه كتب في مصر .

ولكننا نرى أن كلا من يابياس وإيرنيوس ـ وهما مؤرخان مسيحيان ـ يلوذان بالصمت . ويقرر تينهام مفسر إنجيل مرقس أن أنطاكية من الأماكن المطروحة (٣) .

وعلى هذا الأساس فهناك ثلاث نظريات بخصوص المكان الذي كتب فيه الإنجيل وبيانها ـ كما حكى عزيز فهيم ـ كالتالي :

١ـ ماقاله كريسوستم(يوحنا فم الذهب) من أن الإنجيل كتب في مصر ، ولكن هذا يناقضه إكليمندس الإسكندري وأوربخانوس .

٢ـ هناك رأي يقول : إنه كتب في أنطاكية ، فيوحنا الشيخ الذي يقتبس يابياس شهادته يسكن في الشرق، ثم إن ظهور بعض الكلمات الآرامية في الإنجيل يؤيد ذلك ، ولكن هذه الآراء غير مقنعة .

أما غالبية العلماء ، فيعتقدون أنه كتب في روما، فشهادة أيرينايوس وإكليمندس الإسكندري تؤيد ذلك (٤) .

ويأتي دنيس تينهام كي يجلي لنا سبب الخلاف حول المكان فيقول : « وأما عن مكان الكتابة ،فإن المأثورات المسيحية لاتسعفنا ، وفي غياب أي تحديد واضح تمدنا به المأثورات لمعرفة مكان الكتابة ، فقد بحث العلماء داخل الإنجيل نفسه عما يمكن أن يمدنا به ، وعلى هذا الأساس طرحت بعض الأماكن المقترحة مثل أنطاكية ، لكن روما كانت هي أكثر الأماكن قبولاً (٥)

---

(١) محاضرات في النصرانية ، ص ٥٤ .

(٢) تفسير إنجيل مرقس ،ص٤٢ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص٤٢ .

(٤) انظر : المدخل إلى العهد الجديد ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٥) تفسير إنجيل مرقس ، ص ٤٢ .

وهكذا كما أنه لم يعرف بالضبط من هو مرقس كاتب الإنجيل ، وكما أنه لم يعرف أيضاً متى كتب هذا الإنجيل ، فإن أحدا لايعرف حتى الآن شيئا عن المكان الذى كتب فيه هذا الإنجيل ، وليس لكائن من كان أن يتكهن من أين جاء هذا الإنجيل ،فالبعض يقول : أنطاكية أو مصر أو روما .

سند إنجيل لوقا

لا يخرج الحديث عن لوقا عما تحدثنا به عن غيره كمرقس ومتّى من تحقيق حول شخصية لوقا ، ومن هو؟ ومامهنته ؟ وهل فعلا كتب هذا الإنجيل أم لا ؟ وهل هو من الحواريين أم من التلاميذ أم ليس منهم ؟ وهل عاصر المسيح أم لا ، ومتى كتب هذا الإنجيل؟ وفى أى مكان كتبه ؟ وبأى لغة ؟

ولا شك أن الإجابة عن هذه التساؤلات تجلى موقف سند هذا الإنجيل ، وتبين إن كان وحياً أم كلاماً مؤلفاً .

شخصية لوقا :

يقول صاحب كتاب « الفارق » : قد اختلفت النصرانية فى لوقا اختلافاً كلياً ، لكنهم اتفقوا على أنه كان تلميذاً لبولس العدو الألد للمسيحية » (١) .

وأول اختلاف فى مسقط رأسه : هل ولد فى أنطاكية ؟ يقول بذلك معظم المؤرخين .

يقول القس عزيز فهيم : « هناك مقدمة كتب لإنجيل لوقا فيما بين ١٦٠ ــ ١٨٠ م اسمها « حتدمارسيون » فيها يقول الكاتب عن لوقا : أنه من أنطاكية فى سوريا » ، ولكنه ينقض هذا الرأى ، وفى نفس المرجع فيقول مستدلاً من الإنجيل على أنه ليس أنطاكياً كماذهب إلى ذلك الكثير فيقول :

« ومع أن الشهادة الخارجية تذكر أنه من أنطاكية سوريا ، فإن فقرات نحن توحى بأنه كان فيلبيا » (٢) .

وينقل الدكتور على وافى رأياً عن المسيحية يخالف هذين الاحتمالين ، فقد نقل : «وذهب بعضهم إلى أنه كان رومانياً نشأ بإيطاليا ، بعد ما ذكر فى حديثه عنه أنه ولد فى أنطاكية ، وهورأى بوست ،ويذكر بوست أن الذين نسبوه لأنطاكية وهموا ذلك ، أو ظنوه من اشتباهه بلوكيوس » (٣) .

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق ،ص ٣٢٥ .

(٢) المدخل إلى العهد الجديد ، ص٢٧٣ ، ٢٧٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥.

فهل ياترى هو من أنطاكية ؟ أم من فيلبى ؟ أم كان رومانى الأصل ثم نشأ بإيطاليا ؟

وإذا تركنا هذه النقطة لنرد على تساؤل آخر يقول : وماذا كان يعمل ؟ أوماهى مهنته ؟

فإننا نرى أن مهنة الطب هى التى يحاول معظم الدارسين إبرازها ، وخاصة من المسيحيين ، وكأنهم لايريدون له أن تكون له مهنة أخرى . فينقل لنا القس فهيم عزيز هذا الرأى من مقدمة كتبت لإنجيل لوقا سبق التنويه بها ويقول :

« يقول فيها الكاتب عن لوقا : إنه من أنطاكية فى سوريا ، مهنته طبيب وكان عزباً بدون زوجة » .

ويحاول القس فهيم عزيز أن يلتمس لهذا الرأى دليلاً يقويه فيقول :

« ويذكر العلماء أيضاً ، أن الإصطلاحات الطبية المذكورة فى إنجيل لوقا خاصة ،تدل على أن الكاتب كان طبيباً » بل ويذكر نصاً فى رسالة بولس إلى كولوس الإصحاح الرابع فقرة ١٤ : « يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب » (١) .

وأقول :« إن مهنة الطب تروق لهم ، حيث يستنبط القس إبراهيم سعيد من كون لوقا طبيباً معانى الرجل العلمى المدقق المحقق ، الرقيق الأسلوب ،الجميل الديباجة ، لأن الرومان لم يسمحوا فى وقتهم لأحد أن يتعاطى مهنة الطب إلا لمن جاز امتحانات عدة على جانب عظيم من الصعوبة والدقة والخطورة » (٢) .

ولكن قد يكون هذا الكلام حسناً ، لوأن مهنته موضع اتفاق، لكن الحقيقة أن مهنة الطب التى نسب إليها لوقا ، ليست موضع اتفاق بين المؤرخين المسيحيين ؛ لأن من بينهم من يقررون أنه كان مقصوراً، بل ويرجح بعضهم أنه كان مقصوراً لا طبيباً » (٣) .

لوقا تلميذ بولس :

كلهم متفقون على أن لوقا من تلاميذ بولس ورفقائه ، ولم يكن من تلاميذ المسيح

---

(١) كولوس : ٤:١٤ . (٢) محاضرات فى النصرانية ،ص ٥٦ .

(٣) محاضرات فى النصرانية ، ص ٥٦ ، والأسفار المقدسة ، ص ٨٥ .

ولا من تلاميذ حوارييه ، ولقد رافق بولس فى أسفاره وأعماله ، وجاء فى رسائل بولس مايشير إلى هذه الرفقة، وتلك الملازمة ، ففى الإصحاح الرابع من رسالته إلى كولوس يقول : « ويسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب »

وفى الإصحاح الرابع من رسالته الثانية إلى أهل تيموتاوس يقول : «لوقا وحده معى ». وقد مر بنا أن بولس هو العدو الألد للمسيحية ، وكما يقول الشيخ أبوزهرة : «ولبولس هذا شأن خطير فى المسيحية » (١) .

والنتيجة:

أن الباحثين ليسوا على يقين بمولد وصناعة هذا الكاتب الذى ينسب إليه أحد الأناجيل المعتمدة عندهم ، فمن قائل : إنه أنطاكى ولد بأنطاكية ، ومن قائل : إنه رومانى ولد بإيطاليا ، ومن قائل : إنه كان طبيباً ، ومن قائل : إنه كان مصوراً .

وكلهم متفقون على أنه من تلاميذ بولس ورفقائه ، ولم يكن من تلاميذ المسيح ، ولامن تلاميذ حوارييه .

لماذا ألف لوقا الإنجيل ولمن ؟

وبالنظر إلى بداية إنجيل لوقا ، نراه يبتدئ بجملة يحدد فيها سبب كتابته لهذا الإنجيل ، ويحدد الشخص الذى كتب له :« إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا ،كماسلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين ، وخداماً للكلمة رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق ، أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحة الكلام الذى علمت به » (٢) .

لعل هذه المقدمة الصريحة تبين لنا السبب فى كتابة هذا الإنجيل ،فلم يدع لوقا أنه كتب وحياً ،أوأن روح القدس قد حل فيه بل صرح بأنه سوف يقوم بتأليف ، ولاشك أن التأليف من سمات العقل البشرى ، ثم إنه لم يقل إنه يكتب ديناً لأمة أو لجماعة من البشر ، ولم يقل إن كلامه ينبغى أن يقدس ، إنه يكتب لشخص أو لصديق ،فهل ياترى عندما كتب لوقا إنجيله هذا ، كان يحلم أن يصل الإنجيل إلى ماوصل إليه الآن ؟

---

(١) محاضرات فى النصرانية ،ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) لوقا: ١: ١ـــ ٥.

أظن أن كلامه هو خير رد عليه ، ويهمنا الآن أن نعرف من هو ثاوفيلس هذا ؟

يقول عنه ابن البطريق :« وكتب لوقا إنجيله إلى رجل شريف من علماء الروم يقال له « ثاوفيلا » ، وكتب أيضاً الإبركسيس الذى هو أخبار التلاميذ ».

وهى — كما يقول الدكتور رؤوف شلبى — الرسالة المسماة : أعمال الرسل (١) .

وعلى هذا يكون لوقا قد كتب إنجيله « لثاوفيلس » أحد عظماء الروم .

ويرى القس إبراهيم سعيد أن لوقا كتب إنجيله لليونان ، وأن إنجيل متّى كتب لليهود ، وإنجيل مرقس للرومان ، وإنجيل يوحنا للكنيسة العامة (٢) .

وهناك من يرى أن لوقا كتب إنجيله إلى المصريين ؛لأن المسمى « ثاوفيلس » هذا مصرى لا يونانى (٣) .

إذن فمن الأمورالمجهولة ، سبب كتابة هذا الإنجيل ولمن ؟ فهل كتب للمصريين أم لليونان ؟

تاريخ التدوين :

يقول الدكتور بوست فى تاريخه : « قد كتب هذا الإنجيل قبل خراب أورشليم ، وقبل الأعمال ، ويرجح أنه كتب فى قيصرية بفلسطين، فى المدة التى كان بولس فيها أسيرًا بين عام ٥٨إلى ٦٠ من الميلاد ،غير أن البعض يظنون أنه كتب قبل ذلك»(٤) .

ومن هذا يفهم أن بوست يرجح أنه ألفه وبولس حى فى الأسر .

وقد حقق العالم لادون أنه حرر إنجيله بعد أن حرر مرقس إنجيله وذلك ، بعد موت بطرس وبولس (٥) .

والواقع أن باب الخلاف فى تاريخ تدوين هذا الإنجيل أوسع من ذلك فقد قال هورن:

---

(١) انظر :محاضرات فى النصرانية ،ص ٥٧ ، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء للدكتور رؤوف شلبى ،ط . الثانية ، سنة ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م ، الناشر دار الاعتصام ، ص١٥٧ .

(٢) انظر :محاضرات فى النصرانية ، ص ٥٦ .

(٣) انظر : يا أهل الكتاب تعالوا ، ص ١٥٨ .

(٤) المرجع السابق ،ص١٥٨ ، ومحاضرات فى النصرانية ص ٥٧ .

(٥) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، ص ٣٢٥ ٣٢٥ .

ألف الإنجيل الثالث سنة ٥٣ أو ٦٣ أو سنة ٦٤م .

لغة التدوين :

يتفق المؤرخون المسيحيون على أن لغة التدوين التى كتب بها لوقا الإنجيل الثالث هى اللغة اليونانية (١) .

وإذن فهناك نقطتان :

الأولى : متفق عليها ، وهى أن لوقا ألف كتابه باليونانية ، وأنه ليس من التلاميذ ولا من تلاميذهم .

الثانية : مختلف عليها ، وهى الكاتب والتاريخ ، والقوم الذين كتب لهم لوقا هذا الإنجيل، كل ذلك محل خلاف بين الكاتبين .

ولنا أن نتساءل الآن :

من هو كاتب الإنجيل الثالث ؟

وماهى جنسيته ؟ وماهى مهنته ؟

ومن هم القوم الذين كتب لهم هذا الإنجيل ؟

ومالزمن الذى وقع فيه تدوين هذا الإنجيل ؟

فهل يقال لمثل هذا الإنجيل ـ فاقد السند والصاحب والأصل ـ كتاب مقدس ؟

لئن قيل ذلك ، فذلك هوى تمليه منهجية العناد ! ولاتعرفه مناهج البحث العلمى، ولا اصطلاحات علماء التحليل فى تاريخ الأديان .

بل إن الرسالة التى تنسب إليه مع الإنجيل لايعرف أحد بالضبط من مؤلفها ، بل يختلفون ، هل ألفها واحد أم جماعة من الناس ؟ ونقصد هنا سفر الأعمال الذى ينسب للوقا أيضاً ، فبعضهم يظن أن مؤلف سفر الأعمال ، ليس شخصاً واحداً بل عدة أشخاص كتبوا عدة أجزاء أو كتابات ،وجاء مؤلف واحد وجمع هذه الكتابات معاً ويدلل هؤلاء على وجود ثنائيات أو تكرار فى نوعيات الكتابة (٢) .

---

(١) انظر : ياأهل الكتاب تعالوا ، ص ١٥٨

(٢) انظر : المدخل إلى العهد الجديد ، ص٢٩٨ ، ٢٩٩.

ولما كان لقضية مصادر الأناجيل أثر كبير فى الاختلاف حول كاتبيها « بأن بعض الدارسين يصفون نظرياتهم فى تعدد المصادر على تعدد الأساليب فى كتابة السفر، وهكذا خرجت نظريات كثيرة ، بنى عليها بعض العلماء تعدد المصادر التى أخذ منها سفر الأعمال ، وهؤلاء ، الذين يتمسكون بهذه النظريات ينكرون أن كاتب السفر هو لوقا ، وهو ذات الشخص الذى كان رفيقاً للرسول بولس فى سفرياته »[1] .

مقدمة إنجيل لوقا دليل على انقطاع سند الإنجيل بعيسى عليه السلام وبالروح القدس :

يبدأ إنجيل لوقا بمقدمة هامة ألقت كثيراً من الضوء على ما كان يحدث فى صدر المسيحية ، وخاصة فيما يتعلق بتأليف الأناجيل فهو يقول :

« إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة ، رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق ، أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذى علمت به، كان فى أيام هيرودوس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا ... »[2] .

ويتضح من هذه المقدمة جملة أمور ، لابد من التسليم بها وهى :

أولاً : إن لوقا يكتب رسالة شخصية إلى ثاوفيلس ، وأن هذه الرسالة تكتب على التوالى حسبما تتوفر لها إمكانيات الكتابة من وقت ومعلومات .

فهل ياترى كان الكاتب يظن وهو يكتب لصديق هذه الرسالة أنها ستصبح فى يوم ما إنجيلاً مقدساً، تقرؤه أمة وتتعبد بما فيه؟ هل كان يظن ذلك وهو يكتبها باسم شخص واحد يسمى ثاوفيلس ؟ إن الواضح من كلامه أنها كتبت لثاوفيلس وحده .

ثانياً : والواضح أن هذا العمل قام به الكاتب بدافع شخصى بحت ، بغية أن تصل المعلومات التى علم بها إلى ثاوفيلس ، ولم يدع أن هذه المعلومات أتته عن طريق الإلهام، أو كان مسوقاً فى كتابتها من الروح القدس ، أو أنه كتبها لأنه حفظها عن عيسى عليه السلام، أو حتى على أنها الحق المقدس ، بل لم يقل إن ما كتبه من فرائض الدين ومعتقداته التى ينبغى التمسك بها والعمل بمقتضاها .

---

(١) المدخل إلي العهد الجديد ، ص ٢٩٩ .

(٢) لوقا : ١ : ١ ـ ٥ .

ثالثاً: وقد قرر بصراحة أن معلوماته هنا جاءته نتيجة لاجتهاده الشخصى ؛ لأنه قد تتبع كل شىء من الأول بتدقيق .

رابعاً : ويعترف هنا لوقا أنه لم يرالمسيح ، ولم يكن من تلاميذه ، لكنه كتب رسالته إلى «ثاوفيلس» بناء على المعلومات التى تسلمها من الذين عاينوا المسيح وكانوا فى خدمته .

خامساً : يقرر أن كثيرين قد أخذوا فى تأليف أناجيل ، وكلمة تأليف التى ذكرت فى هذه المقدمة على أنها وصف طبيعى للكتاب آنذاك ، تدل دلالة واضحة على أن الذين ألفوا وكتبوا كانوا كثيرين ، وسنتبين فيما يأتى إن شاء اللّٰه الأناجيل التى ضاعت واختفت والتى لم تعترف الكنيسة بها.

وتدل أيضاً على أن الكتابة عن تأليف ، لا عن إلهام الروح القدس ،فهوتأليف وتأليف قصة فى الأمورالتى عندهم ، وهو كواحد من هؤلاء تتبع الأمور بتدقيق ثم كتب.

هذا ومن المعلوم أن سفرأعمال الرسل ــ وهوأطول أسفار العهد الجديد ــ هو الجزء الثانى من رسالة لوقا إلى ثاوفيلس ، بعد أن اعتبرالجزء الأول منها إنجيلاً صار يعرف باسم إنجيل لوقا ؛ وذلك أن سفرأعمال الرسل ، ينص على أنه بقية الرسالة الموجهة إلى ثاوفيلس حيث يبدأ بالكلام الآتى :

« الكلام الأول أنشأته ياثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ، ويعلم به إلى اليوم الذى ارتفع فيه » (١) .

وبهذا ينطبق على السفر الأمورالسابقة الذكر.

وإذا كنت قد بينت الخلاف حول شخصية لوقا وتضارب الأقوال فيه ، وأيضاً حول شخصية مؤلف سفرأعمال الرسل ، وأنه لا أحد بالضبط يعرف من مؤلف هذه الرسالة، بل هل هوواحد أم جماعة من الناس ؟

فإن العلماء قد حاولوا معرفة ثاوفيلس ذلك الذى وجه إليه لوقا رسائله، لكن جهودهم فى هذا السبيل لم تصل إلى نتيجة محققة ، ولم يتعد الأمرتقديم بعض الفروض والتخمينات

---

(١) أعمال الرسل : ١: ١ ، ٢.

حول شخصية ثاوفيلس، تماماً مثل شخصية لوقا نفسه.

يقول فريدريك جراند: «لم نخطر عمن يكون ثاوفيلس هذا، قد يمكن افتراضه موظفاً رومانياً ربما في إحدى مدن المقاطعات التي ليس من الضروري أن تكون روما، أو حتى في إيطاليا، كذلك لم نخطر عن أولئك الكثيرين الذين أخذوا في تأليف قصص مماثلة» (١).

(١) الأناجيل أصلها وتطورها، ص١٢٧، ١٢٨.

سند إنجيل يوحنا

ينسب جمهور النصارى الإنجيل الرابع إلى هذا الاسم ، ومع أن الخلاف حول الاسم ذاته قضية لا نقاش فيها ، فإن جمهورهم يقصد بيوحنا الحوارى بن زبدى الصياد الذى كان يحبه المسيح حتى إنه استودعه والدته وهوفوق الصليب ـ كما يعتقدون ـ وقد نفى فى أيام الاضطهادات الأولى ، ثم عاد إلى أفسيس ، ولبث يبشرفيها حتى توفى شيخاً هرماً ، وهذا خلاصة ما جاء فى كتاب « مرشد الطالبين » (١) .

ويذهب الأستاذ زكى شنودة هذا المذهب ، ويؤرخ ليوحنا البشيرفى إسهاب فينسبه إلى بيته فى بيت بصيدا ، من أعمال الجليل ويقول :

« هو ابن زبدى الصياد وسالومى وأخو يعقوب ، وكانت أمه العذراء مريم ، وكان يعمل هو وأخوه مع أبيهما زبدى ، فى صيد السمك فأمرهما السيد المسيح أن يتبعاه فتركا أباهما واتبعاه » .

ويقول :« وقد مضى يوحنا إلى بلاد آسيا الصغرى ، وبدأ عمله فى مدينة أفسيس، وقد أخذ السيدة العذراء معه وهناك أقام طفلاً ميتاً ، وآمن أهل المدينة على يديه ، وقد رسم لهم كهنة وأساقفة يتولون رعايتهم ، وكان يخرج من أفسيس إلى نواح أخرى فى آسيا لنشرالدعوة ، وأسس كنائس كثيرة فى تلك البقاع ، ثم حكم عليه بالنفى فى عهد الإمبراطور « دومتيانوس » إلى جزيرة بطمس « وهناك كتب سفر الرؤيا ، وبعد مقتل دومتيانوس » سنة ٩٦ م رجع يوحنا إلى أفسيس وهناك كتب إنجيله ورسائله باللغة اليونانية» (٢) .

ويحكى الدكتور على وافى كلاماً قريباً مما سبق ، حيث يذكر أن يوحنا من كبار الحواريين الاثنى عشر ، وكان أبوه زبدى من السابقين الأولين إلى المسيحية ومن كبار دعاتها ، وكانت أمه سالومى قديسة شهيرة ورد ذكرها فى الأناجيل ، وهى قريبة السيدة مريم أم المسيح ، وقد جاءت من زبدى بيوحنا وأخيه يعقوب الكبير .

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، ص ٣٤٠، ٣٤١ ، محاضرات فى النصرانية ، ص٥٨.

(٢) تاريخ الأقباط لزكى شنودة ، جـ ١ص ١٦٠.

ويقول التاريخ المسيحى : إن المسيح نفسه قد بارك هذين الأخوين لما قدمتهما إليه سالومى ، فوضع أحدهما على فخذه الأيمن والآخر على فخذه الأيسر وباركهما ، ويقول كذلك : إن يوحنا كان أحب الحواريين إلى المسيح ، وأقربهم إلى قلبه ، ومن ثم يطلق عليه اسم الحوارى الحبيب ، حتى لقد استودعه أمه وهو فوق الصليب ، وكانت مهنته صيد الأسماك كمهنة بطرس ، ووقف جهوده بعد اعتناقه المسيحية على نشرها والدعوة لها ، وتوفى بين سنة ٩٨ ، ١٠٠ بعد الميلاد ، وينسب إليه إنجيل من الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين وهو آخرها تأليفا ، وأربعة أسفار أخرى من أسفار العهد الجديد وهى ثلاثة رسائل من الرسائل الكاثوليكية والسفر النبوى أو رؤيا يوحنا [١] .

ويتضح لنا مما سبق عدة أمور :

أن يوحنا المؤلف ، هو يوحنا الذى صاحب يسوع مع يعقوب وبطرس .

وأنه أقام عدة كنائس ونشر دعوته قبل النفى، وقبل أن يؤلف إنجيله .

وأنه الذى ألف أربعة أسفار ، والسفر النبوى أو رؤيا يوحنا .

وأنه ألف الإنجيل ، بعد أن خرج من المنفى إلى أفسس ، بعد أن قتل دومتيانوس سنة ٩٦م.

ولكن هل هذا الرأى ظل سائدا فى الوسط المسيحى دون مناقضة أو دراسة ؟

ويجيبنا القس فهيم عزيز عن هذا السؤال ، وسألخص هنا ماسجله من اعتراضات على هذه النسبة :

أولا : قد أنكرت جماعة مسيحية هذا الإنجيل واعتبرته مع الرؤيا كتبا غنوصية هرطوقية .

ثانيا : وقد ظهر الاعتراض على نسبة هذا الإنجيل بشكل واسع فى نهاية القرن التاسع عشر ، فإذا كانت الكنيسة قد اعتمدت فى قبول النسبة على شهادة إيريناوس ١٨٠م الذى يقول : إنه أخذ من بوليكاريوس بعض المعلومات عن كاتب هذا الإنجيل ، وبوليكاريوس هذا عاش فى أواخر القرن الأول ، وأوائل الثانى الميلادى ، وقد عاصر يوحنا الرسول وكان تلميذا له . ومن ذلك الوقت وكل الآباء تذكر أن يوحنا التلميذ ، هو الذى كتب

(١) انظر: الأسفار المقدسة ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

هذا الإنجيل ، فإذا كان الآباء يعتمدون أصلا على هذه الشهادة فإنه ـ على حد قول القس فهيم عزيز ـ لم يثق فيها العلماء ؛ لأن المصدر الوحيد الذى يمكن أن يكون قد أخذ عنه هو بوليكاريوس ، الذى كتب رسالته إلى فيلبى ، ولكنه لم يشر إلى إنجيل يوحنا هذا ، ولم يقتبس منه (١) .

وبهذا يكون إيريناوس قد دلس فى شهادته ؛ لأنه لا يمكن للتلميذ ألا يشير إلى أستاذه المباشر ، ومصدره الوحيد وهو إنجيل أستاذه .

ثالثا : وإذا كانت هناك شواهد تبين أن الذى كتب الإنجيل ، كان شاهد عيان وحاضرا مع السيد نفسه ، وأنه يضع نفسه بين الشهود مثل : « والكلمة صار جسدا ، وحل بيننا ، ورأينا مجده مجدا » (٢) ، ثم يقول : « والذى عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم » (٣) ، ويقول : « هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وكتب هذا ، ونعلم أن شهادته حق » (٤) .

يقول القس فهيم عزيز : « هـذه الشواهد وغيرها قد تؤخذ على أن يوحنا هو الذى كتب الإنجيل ، وقد تؤخذ على العكس ، خصوصا إذا وضعنا فى الاعتبار أن يوحنا بن زيدى لم يذكر أبدا فى الإنجيل ، مع أن يوحنا المعمدان قد ذكر ، ولم يذكر الكاتب لقبه، أى يوحنا فقط دون المعمدان، وكان يجب أن يذكر اللقب، لو أراد الكاتب أن يميزه عن نفسه » .

رابعا : الصفة التى ذكرت ليوحنا فى الإنجيل تقول : « التلميذ الذى كان يسوع يحبه » ، ولكن البعض اعترض أيضا على أن يوحنا كان لابد وأن يذكر نفسه بلقب الرسول ، مثل كل الرسل ، وليس : « التلميذ الذى كان يسوع يحبه » ، لأن هذا اللقب كما يقولون : يجب أن ينسب إلى اليعازر ، وليس إلى يوحنا وإليك الشواهد :

« وكانت مريم التى كان لعازر أخوها مريضا ، هى التى دهنت الرب بطيب ومسحت رجليه بشعرها ، فأرسلت الأختان إليه قائلتين : يا سيد هو ذا الذى تحبه مريض » (٥) .

« قال هذا وبعد ذلك قال لهم ـ أى يسوع ـ لعازر حبيبنا قد نام لكنى أذهب لأوقظه » (٦) .

---

(١) انظر: المدخل إلى العهد الجديد ، ص ٥٤٧ ، ٥٤٩ .
(٢) يوحنا : ١ : ١٤ .
(٣) يوحنا : ١٩ : ٣٥ .
(٤) يوحنا : ٢١ : ٢٤ .
(٥) يوحنا : ١١ : ٢، ٣ .
(٦) يوحنا : ١١ : ١١ .

ويتحدث الإصحاح الحادى عشر من إنجيل يوحنا عن العازر هذا وعن قصة موته ، وبكاء يسوع عليه ، ولما بكى عليه يسوع قال اليهود : إنه كان يحبه : « وقال : أين وضعتموه ؟ قالوا : يا سيد ، تعال وانظر ، بكى يسوع ، فقال لليهود : انظروا كيف كان يحبه » (١) .

فإذا ما لقب كاتب الإنجيل نفسه بأنه « التلميذ الذى كان يسوع يحبه » ، فإنه كما يقول بعض علمائهم : يجب أن ينسب هذا الوصف إلى العازر وليس إلى يوحنا ، ولهذا يتساءل القس فهيم عزيز :

فهل هو اليعازر الذى كتب الإنجيل ؟ (٢) ، لكنه تساءل دون أن يجيب ونحن أيضا نسأل معه هذا السؤال .

وعلى هذا الأساس لا تصح شهادة إيريناوس الخارجية التى اعتمد عليها الآباء ، ولا شهادة الإنجيل الداخلية التى اعتمدوا عليها أيضا ؛ لأن الأول مدلس ، والشهادة الداخلية ليست قطعية الدلالة فى أن الكاتب هو يوحنا بن زبدى الصياد .

خامسا : وهناك برهان آخر ضد نسبة الإنجيل إلى القديس يوحنا تلميذ المسيح ، وهو أنه لا يستطيع أن يكتب مثل هذا الكتاب ؛ لأن الكتاب مملوء بالاصطلاحات الهلينية تجعل هناك تشابها كبيرا بينه وبين الفيلسوف الإسكندرى مثل « الكلمة ـ الحق ـ النور ـ الحياة الأبدية وغيرها » (٣) .

ولهذا ، تقول دائرة المعارف البريطانية : « وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ، ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفى الذى ألف هذا الكتاب الثانى بالحوارى يوحنا الصياد الجليلى ، فإن أعمالهم تضيع سدى لخبطهم على غير هدى » (٤) .

سادسا : يقول صاحب كتاب « الفارق » : « على أن كثيرا من علمائهم أنكروا كون هذا الإنجيل تأليف يوحنا التلميذ » ، ثم ينقل لنا رأى إستادلن ، والمحقق برطشبندر ، والمحقق المشهور كرونيس، ورأى فرق الوجين ، وما ورد فى دائرة المعارف البريطانية (٥) :

---

(١) يوحنا : ١١ : ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) انظر : المدخل إلى العهد الجديد ، ص ٥٥٠ .

(٣) نفسه .

(٤) الفارق بين المخلوق والخالق ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٥) انظر المرجع السابق ، ص ٣٤٢ .

« إن كافة إنجيل يوحنا ليست من تصنيفه ، بل صنفها طالب من طلبة المدرسة الإسكندرية » .

« إن هذا الإنجيل كله وكذا رسائل يوحنا ، ليست من تصنيفه ، بل صنفها أحد فى ابتداء القرن الثانى ونسبه إلى يوحنا ليعتبره الناس » برطشبندر .

« إن هذا الإنجيل كان عشرين بابا فألحقت كنيسة أفاس الباب الحادى والعشرين بعد موت يوحنا » المحقق المشهور كرونيس .

« وأنت تعلم أن فرق الوجين التى كانت فى القرن الثانى تنكر هذا الإنجيل وجميع تصانيف يوحنا » . ثم بعد ذلك يقول :

والبرهان القاطع فى هذا الباب ما ورد فى دائرة المعارف الكبرى ، الكتاب الذى هو زبدة أفكار خمسمائة عالم نصرانى اجتمعوا على تأليفه ، وهذا ما كتب فيه تحت عنوان « أناجيل » :

« أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ، ولاشك كتاب مزور ، وأراد صاحبه مضادة حواريين لبعضها . وهما القديسان : يوحنا ومتى ، ولقد ادعى هذا الكاتب المزور فى متن الكتاب أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح . فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ، ووضعت اسمه على الكتاب نصا ، مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه ، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ، ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفى الذى ألف هذا الكتاب فى الجيل الثانى بالحوارى يوحنا الصياد الجليلى ، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى » [1] .

سابعا : أما أقوى برهان ضد كتابة الرسول يوحنا للإنجيل هو بطء الكنيسة فى قبول الإنجيل ، فالعلماء لم يستطيعوا أن يعتمدوا على أيريناوس فى شهادته « فجاستن مارتر » وقد كتب فى منتصف القرن الثانى الميلادى لم يذكر ولم يشر إلى الإنجيل ، وعندما يتكلم عن يوحنا الرسول ، فإنه لا يشير إلى الإنجيل نفسه ، كذلك فى سنة ١٦٥ يقتبس « فيلمو » الذى من ساروس (عن آلام المسيح) من الإنجيل غفاته ولكنه لا يشير إلى كاتبه ، وحتى قائمة المورثورى لا تعطى تأكيداً قاطعًا على أن الرسول يوحنا هو الذى كتبه ، أما يابياس

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، ص ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ومحاضرات فى النصرانية ، ص ٥٨ ، ٥٩ .

الذى يقتبس يوسابيوس منه أنه كان يسأل كل من سمعوا المشايخ أندراوس وبطرس ومتى وفيلبس وتوماد يعقوب ويوحنا ..، ثم يقول : « وكذلك ماذا يقول أرستيون ويوحنا الشيخ تلميذا الرب » ويقول يوسابيوس : « الواضح أن يابياس يذكر اثنين اسمهما يوحنا الأول الرسول وقد مات ، والثانى الشيخ وهو حى ، ويلوح أنه هو الذي كتب الإنجيل » (١) .

يقول القس فهيم عزيز بعد كل هذه الأدلة : من هذا كله وغيره يظن العلماء أن يوحنا الرسول ، لا صلة له بالإنجيل « ولا يمكن أن نزيل بجرة فلم تلك الاعتراضات القائمة التى جعلت أكثرية العلماء فى العصر الحاضر ترفض أن الكاتب الفعلى للإنجيل هو يوحنا بن زبدى .

بل ويقول : « نظرا لهذا الغموض فقد ظهرت نظرية تقول : إن التلميذ الذى كان يحبه يسوع هو التلميذ المثالى الذى يمثل التلمذة الحقيقية ، ولكن لم يكن له وجود حقيقى بين التلاميذ » (٢) .

ويعنى كل ما سبق أن نسبة الإنجيل إلى يوحنا نسبة غير مؤكدة ؛ وليست لها أدلة قوية بل بالعكس ، فالأدلة القوية ضدها ، يقول جون مارسن . فى مقدمته لتفسير إنجيل يوحنا تحت عنوان : « استحالة التوكيد » :

« حين نأتى لمناقشة المشاكل الهامة والمعقدة ، التى تتعلق بالإنجيلى الرابع وإنجيله ، نجد أنه من المناسب والمفيد أن نعترف مقدما بأنه لا توجد مشكلة للتعريف « بالإنجيل وكاتبه » يمكن إيجاد حل مؤكد لها .

من كان هذا اليوحنا الذى قيل : إنه المؤلف ؟ أين عاش ؟ لمن من الجمهور كان يكتب إنجيله ؟ أى المصادر كان يعتمد عليها ؟ متى كتب مصنفه ؟ حول كل هذه الأسئلة وحول كثير غيرها توجد أحكام متباينة ، أحيانا تقرر تأكيدات قوية ، ومع ذلك فإن أيا منها لا يرقى إلى مرتبة التوكيد ، ثم يختتم جون مارسن مقدمته بقوله : « وبعد أن تفرغ كل ما فى جعبتنا نجد أنه من الصعب إن لم يكن من المستحيل ، تحقيق أى شيء أكثر من الاحتمالات حول مشاكل إنجيل يوحنا » (٣) .

وفى نهاية المطاف لابد من طرح هذا السؤال : من هو الذى كتب إنجيل يوحنا ؟

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد ، ص ٥٥١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٤ .

(٣) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ، ص ٧٠ .

ويرد بالإجابة عن هذا السؤال القس فهيم عزيز : « هـذا السؤال صعب ، والجواب عنه يتطلب دراسة واسعة غالبا ما تنتهى بالعبارة : لا يعلم إلا الله وحده من الذى كتب هذا الإنجيل » [١] .

ولا شك أننا نوافقه فى هذه الإجابة .

وعندما نريد أن نستطرد قليلا فى هذه النقطة ، نرى كلاما جديدا عند الأستاذ موريس بوكاى ، حيث ينقل لنا رأى كولمان حيث يقول عن إنجيل يوحنا :

« كل شىء يدفع للاعتقاد بأن النص المنشور حاليا ينتمى إلى أكثر من كاتب واحد ، فيحتمل أن الإنجيل بشكله الذى يملكه اليوم قد نشر بواسطة تلامذة المؤلف ، الذين أضافوا الإصحاح ٢١ ،ولا شك بعض الحواشى ،أما فيما يختص بالمرأة الزانية (الإصحاح ٧:٥٣، ٨ : ١ ـ ١١) : فالكل يتفق على الاعتراف بأن هذا نص مجهول الأصل ألحق فيما بعد .

ويعتقد كولمان أن الإضافات اللاحقة واضحة فى هذا الإنجيل » [٢] .

ويقول موريس بوكاى : « الملاحظات الصادرة عن أبرز الكتاب المسيحيين عن مشكلة مؤلف الإنجيل الرابع ، تشير إلى أننا مغمورون بالغموض والخلط فيما يتعلق بأبوة هذا الكتاب » [٣] .

تاريخ الكتابـة :

لقد اختلف المسيحيون فى تاريخ تدوين هذا الإنجيل اختلافا بينا ، فالدكتور بوست يرجح أنه كتب سنة ٩٥م أو سنة ٩٨ وقيل : سنة ٩٦م .

ويقول هورن فى تاريخ تدوين ذلك الإنجيل : « ألف الإنجيل الرابع سنة ٦٨ أو سنة ٦٩ أو سنة ٧٠ أو سنة ٨٩ أو سنة ٩٨ من الميلاد » [٤] .

وجاء فى « مرشد الطالبين » إنه لا يوجد اتفاق بين العلماء بضبط السنة التى فيها كتب يوحنا إنجيله. فإن بعضهم يزعم أنه كتبه فى سنة ٦٥ قبل خراب أورشليم وآخرون ممن يوجد فيهم بعض الأقدمين ، يرون بكتابته فى سنة ٩٨ بعد رجوعه من النفى [٥] .

وهكذا يختلف المسيحيون حول تاريخ تأليف هذا الإنجيل ، ونرى المساحة الزمنية

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد ، ص ٥٤٦ . (٢) دراسة الكتب المقدسة ، ص ٩١ .

(٣) نفسه . (٤) محاضرات فى النصرانية ، ص ٦١ .

(٥) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، ص ٣٤١ .

التى تدور حولها آراؤهم متسعة ، فهى ما بين سنة ٦٩ وسنة ٩٨ ، بل إن القس فهيم عزيز يذكر مساحة زمنية أوسع فيقول : « تتأرجح آراء العلماء بالنسبة لتاريخ كتابة الإنجيل ـ يقصد إنجيل يوحنا ـ ما بين قبل ٧٠م إلى ما بعد ١٦٠ أو ١٧٥م » (١) .

وبهذا يصبح تاريخ تدوين هذا الإنجيل مجهولا ، وتحديده بالضبط أو حتى بالتقريب من المستحيلات ، كالجهل بتحديد شخصية المؤلف تماما .

مكان الكتابة :

يربط أغلبية العلماء بين إفسس كمكان وبين هذا الإنجيل ؛ وذلك لأن التقليد يقول : إن يوحنا الرسول عاش فى إفسس ، ولكن هناك من لم يقتنع بهذا الرأى ، وبدأوا يفترضون أمكنة أخرى ، ويذكر القس فهيم عزيز بعض هذه الآراء فيقول : « كان أولهم الأب أفرايم السريانى ، الذى كتب تفسيرا على الدياطسرون ، وذكر فى أحد الملاحق أن إنجيل يوحنا كتب فى أنطاكية سورية ، وقد تمسك بعض علماء العصر الحاضر بهذه النظرية ؛ لأنهم وجدوا بعض التشابه بين رسالة إغناطيوس والإنجيل ، وإغناطيوس هذا أنطاكى .

وعلماء آخرون اقترحوا أنه كتب فى الإسكندرية ، نظرا لوجود أوراق البردى فى مصر ، ولأن فيلو الفيلسوف الإسكندرى هو الذى تكلم بإفاضة عن « اللوغرس » أى الكلمة .

وأخيرا ظن آخرون أن الإنجيل كتب فى جنوب اليهودية فى فلسطين ، نظراً لما فى الإنجيل من عناصر يهودية بارزة ، وخصوصا لمجابهة الإنجيل معهم » (٢) .

هذه بعض الآراء المختلفة والتى لا يمكن أن يعطى الشخص رأيه فيها بكل يقين وتأكيد ، فهل يستطيع أحد المسيحيين أن يحدد بالضبط أين كتب هذا الإنجيل ؟ هل كتب فى إفسس ؟ أم فى أنطاكية ؟ أم فى الإسكندرية ، أم فى جنوب اليهودية فى فلسطين ؟ .

ويزيدنا الدكتور فريدريك جرانت احتمالا جديدا فيقول : « من المحتمل أن يكون إنجيل يوحنا قد كتب فى أنطاكية أو أفسس أو الإسكندرية أو حتى روما » (٣) .

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد ، ص ٥٦٠ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٥٦٢ .

(٣) الأناجيل أصلها وتطورها ، ص ١٧٤ ، ١٧٨ نقلا عن المسيح .

لغة التدوين :

يقول الأستاذ شنودة : « سنة ٩٦ رجع يوحنا إلى أفسس وهناك كتب إنجيله ورسائله باللغة اليونانية »[١] .

تذييل :

وهكذا يبدو للعلم والتاريخ والباحث المنصف :

أولا : أن شخصية كاتب الإنجيل الرابع ، ستظل محل شك أو اختلاف بين المؤرخين .

ثانيا : أن تاريخ كتابة هذا الإنجيل مطموس الحقيقة ، وسيظل هكذا .

ثالثا : أن موطن كتابته مجهول أيضا ، لا يمكن تحديده فلا سبيل إلى التعرف على موطن كتابته ، كما أنه لا سبيل إلى التعرف على سنته، كما أنه لا سبيل إلى التعرف على كاتبه .

رابعا : أن لغة التدوين تنفى إمكان نسبته إلى يسوع الذى لم يعرف إلا لغة اليهودية والجليل وهى اللغة العبرانية[٢] .

أين بقية الأناجيل ؟

وبعد هذا العرض لسند الأناجيل المعتمدة والموجودة الآن ، هل يا ترى لم يعرف التاريخ سوى هذه الأناجيل الأربعة ؟ ، لو أنه لا يعرف ، فها هى الأناجيل الأربعة ، قد ظهر ما فيها من القصور ، وإن كان التاريخ يعرف ، فأين هذه الأناجيل ؟

وهذا الموضوع ليس جديدا على علماء المسيحية . فهم يقرون ويعترفون أنه فى الأعصر المغايرة كانت توجد أناجيل أخرى ، لكنها أخفيت ولم تعتمد ولم يعرف عنها شيء ، ولهذا سنتحدث عن هذا الموضوع ؛ لأنه إذا ثبت فعلا أن أناجيل كثيرة أخفيت ولم تظهر ، فإنه شيء يضر بسند الإنجيل .

هل كانت الأناجيل أربعة فقط ؟

الأناجيل المرفوضة :

إن كانت الأناجيل الأربعة هى التى تعترف بها الكنائس وتقرها فرق المسيحية ، فهل

---

(٢) يأهل الكتاب تعالوا ، ص ١٦٤ .

(٢) انظر المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

التاريخ لم يرو لنا أنه كانت هناك أناجيل أخرى ؟

« ما من شك فى أنه كانت توجد كتب مسيحية أخرى ، أقدم من تلك التى تندرج فى العهد الجديد لم تعش ، وفى الواقع فإن العهد الجديد ذاته يحتوى على إشارات لمثل هذه الكتب كما فى الرسالة إلى أهل كولوس (٤ : ١٦) وإنجيل لوقا (١: ١ ـ٢) ، وعلاوة على ذلك فقد كانت هناك بعض الكتب التى استخدمت كمصادر استقت منها الكتب الحالية ، وقامت على أكتافها وخاصة الأناجيل ، وبمجرد أن استخدمت تلك المجموعات الأولى من الكتب فى تصانيف أكبر ، فقد بطل نسخها ، ثم ما لبثت أن اختفت » [١] .

وفيما يتعلق بقانونية العهد الجديد ككل ، فمن الملاحظ أن عملية بنائه وتقرير شرعيته حتى كتبه ، قد استغرقت حوالى ٣٥٠ عاما ، فحتى بداية القرن الرابع كان يوجد كثير من البلبلة ، ويصف أيزيبوس هذا الوضع فيقسم الكتب إلى ثلاث طبقات [٢] :

١ ـ كتب قبلت بوجه عام .

٢ ـ كتب لا تزال موضع جدل .

٣ ـ كتب مرفوضة .

رأينا منذ قليل إشارة إلى عدد من الكتب المسيحية التى رفضتها الكنيسة ، ولم تكن تلك الكتب إلا نزرا يسيرا من قوائم طويلة ، تذكرها المصادر المسيحية المختلفة ، وفيما يلى بيان بأشهر الكتب المرفوضة ـ كما تذكرها دائرة المعارف الأمريكية ـ :

١ ـ إنجيل توما .

٢ ـ إنجيل متى الكذوب .

ومن الأناجيل العامة : توجد أربعة تسمى الأناجيل اليهودية المسيحية هى :

١ ـ إنجيل العبريين .

٢ ـ إنجيل الناصريين .

---

(١) الموسوعة الأمريكية ، جـ ٣ ص ٦٥١ ـ ٦٥٣ .

(٢) انظر الموسوعة البريطانية ، جـ ٢ ص ٥١٤ .

٣ ـ إنجيل الاثنى عشر .

٤ ـ إنجيل الأبيونيين .

٥ ـ إنجيل المصريين ، وعرف بذلك لانتشاره بينهم وقد أشار له كليمنت السكندرى وأوريجين .

٦ ـ إنجيل بطرس ، من مصدر قديم جدا ، وقيل : إنه كان يستخدم للقراءة خاصة ، أو للعبادة فى الربع الأخير من القرن الثانى .

٧ ـ إنجيل باسيليوس ، من أصل سكندرى، تكون قبل منتصف القرن الثانى .

٨ ـ إنجيل ماركيون ، نسخة من لوقا صنفها ماركيون .

٩ ـ إنجيل أبللس ، تلميذ لماركيون ، وقد فقد النص .

١٠ ـ إنجيل فاسينس ، ينسب لطائفة غنوسطية .

١١ ـ إنجيل فيليب ، ومن المحتمل أن يكون أصله قد تكون فى الربع الأخير من القرن الثانى ، وقد كانت تستخدمه طائفة غنوسطية مصرية .

١٢ ـ إنجيل مانياس .

١٣ ـ إنجيل مريم ، توجد منه ثلاث قصاصات فقط ، إحداها القبطية .

١٤ ـ إنجيل برثولماوس ، توجد منه شرائح باللاتينية والإغريقية والقبطية ، ويستفاد منه أن يسوع سمح لبرثماوس أن يرى الشيطان ويسأله ، وقد وجده ٦٠٠ ذراع طولا ، ٣٠٠ عرضا ويحرسه ٦٠٦٤ ملاكا .

١٥ ـ إنجيل نيقوديموس ، أصبح منتشرا فى الحقبة الأخيرة .

١٦ ـ إنجيل غمالائيل .

١٧ ـ إنجيل الكمال .

وبالإضافة إلى الوثائق المذكورة آنفا ، فإنه توجد وثائق أخرى ذكرها آباء الكنائس الأولى ، ولكن لا يوجد لدينا منها أى بقايا أو نصوص ، فهى مطموسة المعالم لعلماء اليوم ، ومن هذه الوثائق المطموسة :

١ ـ رسالة أعمال أندراوس .

٢ ـ إنجيل أندراوس

٣ ـ إنجيل برنابا .

٤ ـ إنجيل لانكراتين .

٥ ـ إنجيل تداوس .

٦ ـ إنجيل الحق .

هذا بالإضافة إلى رسائل أخرى كثيرة كتبت تحكى أعمال الرسل [١] .

بل إن الأناجيل المرفوضة عندهم أكثر من ذلك بكثير . يقول صاحب كتاب « الفارق » : « وأنت ترى أن نيفا وسبعين كتابا من كتب العهد الجديد ، منسوبة إلى عيسى ومريم والحواريين وتابعيهم ، قد رفضتها كنيسة كريك ، وكاثوليك ، وبروتستنت ، وادعت أن كل هذه الكتب من الأكاذيب المصطنعة ... وأن هناك كتبا من كتب العهدين رفضتها بعض الفرق وسلمت ببعضها ، وفرقة أخرى عكست ، فنفت ما أثبتته الفرقة الأولى ، وأثبتت ما نفته . فلم تتفق كلمتكم على كتاب ، وهذا كله يعلمه المطلع المنصف منكم. وأما المكابر المعاند فيكفيه جهله وعناده ، وعدم إذعانه للحق ، والحق أحق أن يتبع » [٢] .

ويقول الشيخ عبد الوهاب النجار : « وقد كثرت الأناجيل كثرة فاحشة حتى أربت على المئة ، ومعلوم أن الكنيسة رفضت ما تخالف رغبتها . وأقرت الأناجيل الأربعة المعروفة اليوم على ما هى عليه من انقطاع السند ، وعدم العلم التام بالمؤلف الحقيقى أو المترجم ، ومبلغ أمانته على الدين ، وحرصه على الصدق ، وعلى ما بينهما من الاختلاف الحقيقى المفضى إلى أن أحد الأقوال صادق وما عداه كاذب » [٣] .

ويقول الشيخ أبو زهرة : « التاريخ يروى لنا أنه كانت فى العصور المغايرة أناجيل أخرى ، قد أخذت بها فرق قديمة ، وراحت عندها ولم تعتنق كل فرقة إلا إنجيلها ، فعند كل من أصحاب مرقيون وديصان إنجيل يخالف بعض هذه الأناجيل . ولأصحاب مانى

---

(١) انظر : الموسوعة الأمريكية ، جـ ١٣ ص ٧٠ ـ ٧١ .　　(٢) الفارق بين المخلوق والخالق ، ص ٩ .

(٣) قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ، دار إحياء التراث العربى بيروت ، ط. الثانية ، ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .

إنجيل يخالف هذه الأربعة ، وهو الصحيح فى زعمهم ، وهناك إنجيل يقال له : السبعين ، ينسب إلى تلامس ، والنصارى ينكرونه ، وهناك إنجيل اشتهر باسم التذكرة ، وإنجيل سرن تهس ، ولقد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة وأجمع على ذلك مؤرخو النصرانية ، ثم أرادت الكنيسة فى آخر القرن الثالث الميلادى أو أوائل القرن الرابع أن تحافظ على الأناجيل الصادقة ـ فى اعتقادهم ـ فاختارت هذه الأناجيل الأربعة من الأناجيل الرائجة إبان ذلك (١) .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن بعد ذلك هو : ما قول النصارى فى هذه الأناجيل المرفوضة ؟ ألا يشكك رفض تلك الأناجيل فى الأناجيل الأخرى ؟ أم هل يا ترى اتضح لهم انقطاع سندها فرفضوها ، واتصال الأربعة أناجيل فأجازوها ؟ وهل يحق لمجمع من المجامع أن يقبل إنجيلا وأن يرفض الآخر ؟ وهل يصح بقرار مجمع من المجامع أن تتوارى تلك الأناجيل ولا ترى النور ؟ ولم أعقب الرفض إخفاء لها من الوجود ؟

كنا نود ونحن ندرس المسيحية وأدوارها فى التاريخ أن نعرف هذه الأناجيل التى أهملت ، وما كانت تشتمل عليه مما كان سببا فى رفضها وحمل الناس على تركها ، وخصوصا أنها كانت رائجة ويأخذ بها طوائف من المسيحيين ويتدينون هذه الديانة على مقتضاها ، فإن الاطلاع عليها يمكننا من معرفة اعتقاد الناس فى المسيح ، كيف كان ؟ وإذا أخفق التاريخ بحفظ نسخ منها ، فقد كنا نود أن تطلعنا الكنيسة على ما اشتملت عليه مما يخالفها ، وما كان من سبب رفضها ، وترينا حجة الرفض لتكون دليلا منيرا لها ، على أنها بهذا أقامت ديانة المسيح ولم تغيرها ، ولكن ضن التاريخ علينا فطوى تلك الأناجيل ، وضنت الكنيسة أيضا فطوت تلك البينات (٢) .

النص الأصلى

ومما سبق تبين أن الأناجيل كثيرة ومتعددة ، منها ما اعتمدته الكنيسة وجعلته مقدسا ، ومنها ما اختفى دون ظهور ، وذهب إلى غير رجعة ، دون إبداء أسباب مقنعة ، وعلى هذا الأساس يكون النص الأصلى للإنجيل الصحيح أو لكلام عيسى عليه السلام ، قد ضاع بين الأناجيل الظاهرة والأناجيل الخفية ، ولا أحد يستطيع أن يدعى أن شيئا من هذا هو النص الأصلى الذى نزل على عيسى عليه السلام ؛ لأنه حتما نص واحد لا اختلاف فيه ، ولو

---

(١) محاضرات فى النصرانية ، ص ٤٧ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

كان هو واحدا من هذه الأناجيل لما ظهرت الأخرى . فتعددها وكثرتها وظهور بعضها واختفاء البعض ، دليل صريح على ضياع النص الأصلى . ولهذا يحق لنا أن نطرح هذا السؤال .

أين النص الأصلى ؟

بدأ المسيح دعوته وكان له نحو ثلاثين عاما حسب رواية لوقا (٣: ٢٣) ، واستمر يدعو فترة اختلف فى تقديرها ، فبينما يرى البعض أنها عام واحد ، يرى آخرون أنها تقترب من ثلاثة أعوام .

وإذا اعتبرنا التقدير الأخير هو الأقرب للصواب ـ كما هو شائع ـ لكان معنى هذا أن المسيح استغرق الفترة من ٣٠ ـ ٣٣م وهو يبشر بالإنجيل ، ويلقى حكمه ومواعظه ويعلم تلاميذه ومريديه ، ويحاور خصومه ومعانديه .

فى كل هذا كانت الآرامية هى اللغة التى نطق بها المسيح والتلاميذ والجموع من يهود ذلك العصر ، وباختصار كانت هى اللغة الأصلية للإنجيل ولغة ذلك الجيل الأول الذى عاصر المسيح .

وبعد أن انقضت فترة تزيد على العشرين عاما سطرت أولى الكتابات ، وكانت تلك رسائل بولس الذى لم يكن قط من تلاميذ المسيح ، ثم أعقب ذلك فترة أخرى تقدر بنحو خمسة عشر عاما ، ظهر بعدها أقدم الأناجيل ، وهو إنجيل مرقس ، الذى لم يكن أيضا من تلاميذ المسيح .

وفى كل ذلك كانت الإغريقية هى اللغة التى وصلتنا بها أقدم النسخ ، من أولى الكتب المسيحية التى صارت فيما بعد كتبا مقدسة ، وبذلك تكون أقدم نسخة عرفت من الإنجيل ، إنما هى ترجمة إغريقية عن الآرامية [١] .

ثم إن العهد الجديد لم يكتسب قانونيته ، وتتحدد محتوياته على النحو الذى نعرفه اليوم ، إلا قرب نهاية القرن الرابع الميلادى [٢] ، فقد انقضى ٣٥٠ عاما بعد ميلاد المسيح ، حين أمكن الوصول إلى إجابة تقريبية للسؤال الهام : أى الكتابات المسيحية تعتبر مقدسة ،

---

(١) انظر : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية أحمد عبد الوهاب ، مكتبة وهبة ، سنة ١٩٧٨ ، ط . الأولى ، ص ٣٨ .

(٢) انظر : المصدر السابق ، ص ٣٨ .

وتجمع معا لتكون فى العهد الجديد ؟

ولكن إلى الآن ، وبعد أن اقترب الألف الثانى لميلاد المسيح ، لم يمكن الوصول إلى السؤال الأهم ، بل والأخطر ألا وهو : أى الأقوال نطق بها المسيح فى إنجيله ، وتحدث بها التلاميذ فى رسائلهم ؟

لقد ظهرت الأناجيل بنصوص مختلفة ، وكلما مرت عشرات من السنين ظهرت نفس الأناجيل بنصوص مخالفة ، لما عرفت به من قبل ، وبالمثل كان الحال مع رسائل التلاميذ .

تقول « دائرة المعارف البريطانية » : « إن النسخ الأصلية (الإغريقية) لكتب العهد الجديد فنيت منذ مدة طويلة ، حيث إن كل النسخ التى استخدمها المسيحيون فى الفترة التى سبقت مجمع نيقية قد غشيها نفس المصير، ومما يجب ذكره أنه حتى اختراع الطباعة، لم يكن قد تم الوصول إلى اتفاق كامل أى من نصوص العهد الجديد الإغريقية ، أو اللاتينية . إن السبب الرئيسى لهذه الحالة العجيبة ، يجب رده إلى التغييرات الواسعة التى انتشرت فى القرون الأولى ، فبالنسبة لرسائل بولس ، نجد أننا لو صرفنا النظر عن حوالى ست قراءات مختلفة تماما ، فإن النص يشبه أقدم إنتاج منها ، ولو أن به كثيرا من أخطاء الكتبة إلا أن التغييرات الحادثة غير ذات قيمة ، أما موقف الأناجيل فعلى العكس من ذلك ، إذ أن التغييرات الهامة قد حدثت عن قصد قبل إضافة أو إدخال فقرات بأكملها ، وبالتأكيد فإن بعضا منها قد استمد من مصدر خارجى » (١) .

ويقول فريدريك جرانت : « إن أول نص مطبوع من العهد الجديد كان ذلك الذى قدمه إرازموس عام ١٥١٦ ، وقبل هذا التاريخ كان يحفظ النص فى مخطوطات نسختها أيدى مجهولة لكتبة كثيرين ، ويوجد اليوم من هذه المخطوطات ٤٧٠٠ ما بين قصاصات من ورق إلى مخطوطات كاملة على رقائق من الجلد أو القماش .

إن نصوص جميع هذه المخطوطات تختلف اختلافا كبيرا ، ولا يمكننا الاعتقاد بأن أيا منها عديم من الخطأ ، ومهما كان الناسخ حى الضمير ، فإنه ارتكب أخطاء ، وهذه الأخطاء ألقيت فى كل النسخ التى نقلت عن نسخته الأصلية. إن أغلب النسخ الموجودة من جميع الأحجام قد تعرضت لتغييرات أخرى على أيد المصححين الذين لم يكن

---

(١) الموسوعة البريطانية ، جـ ٢ ص ٥١٩ ـ ٥٢١ .

عملهم دائما إعادة القراءة الصحيحة »[1] .

إن مشكلة النص تعتبر بحق مشكلة المشاكل التى تشغل بال العلماء اليوم والتى استخدمت بسببها دراسات وعلوم مثل النقد ، الذى يهدف أول ما يهدف إلى معرفة حقيقة النص الأصلى ، فحين يمكن تحقيق ذلك تحدد كثير من المواقف ، ويصبح فى الإمكان بعث التوحيد فى العقيدة المسيحية ويتحقق الأمل الذى يراود الكثير من المسيحيين ـ وغيرهم من المؤمنين ـ فى الاتفاق على عقيدة مسيحية واحدة بدلا من تلك العقائد المسيحية المختلفة التى عرفت ـ ولا تزال تعرف ـ منذ عرف اسم المسيح إلى اليوم .

ولقد جرت محاولات كثيرة لإمكانية استخراج نص واحد ، تتفق عليه غالبية النصوص المعروفة، لكن النتيجة كانت سلبية، واستمرت هذه المحاولات عقيمة حتى اليوم، وفى هذا تقول « دائرة المعارف البريطانية » :

« إنه أمل لا طائل من ورائه ، أن نتصور إمكانية الوصول إلى النص الأصلى ، وذلك عن طريق ترتيب النص السكندرى ، والنص الغربى القديم ، والنص الشرقى القديم ـ البيزنطى ـ ثم قبول النص الذى يتفق عليه اثنان خصم ضد الآخر »[2] .

ولا يزال السؤال الذى بدأنا به هذه النقطة يطرح نفسه ، وهو : أين النص الأصلى ؟ لكننى عندما أطالع كتابات القس فهيم عزيز أجده يجيب بكل صراحة عن هذا السؤال فيقول :

« من الأمور البديهية التى لا ينكرها أى إنسان أن النسخ الأصلية التى خرجت من يد كتاب العهد الجديد غير موجودة »[3] .

مصادر الأناجيل

إذا كان النص الأصلى مجهولا ، لا يمكن لشيخ المسيحيين اليوم أن يخرجه لنا من بين أناجيله ظاهرة كانت أو خفية ، إذن فالاحتمال الأوحد بعد ذلك أن هذه الكتب التى تسمى أناجيل ما هى إلا كتب مؤلفة ، اعتمد كاتبوها حينا على ما فى رءوسهم ، وأحيانا على مصادر أخرى ، ولهذا كان للحديث عن المصادر التى استقت منها تلك الأناجيل

---

(١) الأناجيل أصلها وتطورها ، ص ٣٢ .

(٢) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ، نقلا عن الموسوعة البريطانية ، جـ ٢ ص ٥٢١ .

(٣) المدخل إلى العهد الجديد ، ص ١١١.

مجال عند النصارى أنفسهم ، فما هى تلك المصادر إذن ؟

المصادر التى استقت منها الأناجيل :

« إن القول بأن متى ولوقا استخدما إنجيل مرقس أصبح على وجه العموم مسلما به ، ولكن بجانب إنجيل مرقس فلابد أنهما قد استخدما وثيقة أخرى ، أصبح يشار إليها الآن بالحرف (a) ويرمز هذا الحرف إلى المصدر أو الأصل ، إذ إنه من الكلمة الألمانية avelle التى تعطى هذا المعنى ، وسوف نصطلح على الرمز العربى المقابل له : ص .

ومن هذين المصدرين ـ إنجيل مرقس ، ص ـ استمد الكاتبان ـ متى ولوقا ـ أساس رواياتهما عن يوحنا المعمدان وتجربة يسوع ، وموعظة الجبل ، وقصة غلام قائد المائة وبعض الأمثال ، وبعض الأقوال عن نهاية العالم .

إننا لا نعلم ما هى الأشياء التى أغفل ذكرها هذا المصدر (ص) ، كما أننا لا نعرف خواصه ومحتوياته التى انفرد بها ، ولم ير فيها كل من « متى ولوقا » ما يناسبه لكى يضيفها إلى إنجيله .

من أجل ذلك فإننا لا نستطيع أن نخاطر بتحديد قيمته التاريخية واللاهوتية » [١] .

وبجانب هذا المصدر المفقود (ص) يرى العلماء أن هناك مصادر أخرى نقل عنها كتبة الأناجيل مثل المصدر (m) ، وعنه نقل متى المادة التى انفرد بذكرها [٢] ، وسوف نرمز له بالحرف (م) .

والمصدر (L) ومنه استقى لوقا المادة التى انفرد بها ، وهى تبلغ حوالى نصف الإنجيل [٣] ، وسوف نرمز له بالحرف (ل) .

ومما هو معلوم أن الرواية شفاها هى المصدر الأول والهام الذى نقل عنه المسيحيون الأوائل ما سطروه فى كتاباتهم ، وخاصة فى الفترة التى سبقت كتابة أولى الكتب المسيحية .

يقول دكتور فريدريك كلفتن جرانت : « إن نقل التعاليم شفاها ليس مجرد فرض

---

(١) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ، نقلا عن الموسوعة البريطانية ، ص ٥٢٣ .

(٢) انظر : تفسير إنجيل متى جون فيتون ص ١٤ .

(٣) انظر : أمثال الملكوت للدكتور تشارلز هارولد دود ، ص ١٩ .

أساسى افترضناه كمصدر للأناجيل المكتوبة ، بل إن لدينا فعلا شهادة عن وجود هذا التقليد الشفاهى فى الفترة التى سبقت كتابة أول الأناجيل ، ففى فقرة هامة فى ١ ـ كورنثوس ١٥ : ٣ نجد القديس بولس يذكر قراءة فيقول : « سلمت إليكم فى الأول ما قبلته ـ أى فى المقام الأول ـ ما تلقاه شفاها » [١] .

وعلى ذلك تكون المصادر المسيحية الأولى ، هى التعليم والروايات التى كانت تنقل شفاها طيلة عشرات السنين ، ثم مجموعة من الأناجيل والكتب المفقودة ، يرمز إلى بعض منها بالحروف : ص ، م ، ل .

ويتحدث القس فهيم عزيز عن هذه المصادر المجهولة والتى سبق أن تكلمنا عنها فيقول : « نظرية الأربعة مصادر التى أصبحت مقبولة لدى الغالبية العظمى من الدارسين » هذه النظرية تتلخص فى أن الإنجيلين الآخرين :

متى ولوقا قد اعتمدا على أربعة مصادر وهى :

١ ـ إنجيل مرقس .

٢ ـ المصدر (a) ويرمز له بالرمز (ص) .

٣ ـ ثم المصدر (ل) .

٤ ـ ثم المصدر (م) [٢] .

والحديث عن مصادر الأناجيل لا ينتهى عند هذا الحديث ، على الرغم من أن ما سقناه من مصادر لا نعرف شيئا عنها إلا بضعة رموز تشير إليها ، وهى رموز مبهمة لا توصل إلا إلى مصادر مجهولة . والحقيقة أن مسألة المجهول هذه مسألة شائعة ورائعة فى تحرير وسند الكتاب المقدس كله ، فإلى الآن الكتاب مجهولون والتواريخ مجهولة ، واللغات الأصلية مفقودة ، وأماكن التأليف غير محددة ، وفى كل مسألة من تلك المسائل ، نرى كما هائلا من الاقتراحات والاحتمالات لا تزيدنا إلا غموضا وبعدا عن حقيقة الأمر .

ويحكى لنا الأستاذ « موريس بوكاى » تلخيصا لموضوع مصادر الأناجيل فيسير بنا من عهد آباء الكنيسة إلى نهاية القرن الثامن عشر ، ثم يحكى ما استجد فى موضوع

---

(١) الأناجيل أصلها وتطورها ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) انظر : المدخل إلى العهد الجديد ، ص ٢٩٨ .

المصادر فى العصر الحديث ، ثم ما استجد منذ قرن واحد ، ثم يذكر رأى الأب بومار والذى يمثل المصادر الأصلية للأناجيل :

آباء الكنيسة :

« لقد تصدى آباء الكنيسة فى عصرهم لمشكلة المصادر بطريقة ساذجة ، ففى القرون الأولى من العصر المسيحى ، لم يكن المصدر إلا الإنجيل الذى تضعه المخطوطات الكاملة على رأسها إلا إنجيل متى فقط ، وكانت مشكلة المصادر تطرح إزاء إنجيلى مرقس ولوقا ، حيث كان إنجيل يوحنا يمثل حالة منفصلة .

كان القديس أوغسطين يعد إنجيل مرقس وهو الإنجيل الثانى فى الترتيب التقليدى لتقديم الأناجيل مستلهما من إنجيل متى ، وأنه قد لخصه ، وأن إنجيل لوقا ، وهو الثالث فى ترتيب المخطوطات المؤلفة ، قد استعان بمعطيات كل من الأول والثانى « ثم يقول بعد ذلك مؤكدا أن هذا الكلام ظل دون مناقضة حتى آخر القرن الثامن عشر : « ومن عصر آباء الكنيسة وحتى نهاية القرن الثامن عشر مر ألف وخمسمائة عام دون إثارة أى مشكلة جديدة ، مهما كانت عن مصادر المبشرين ، كان هناك امتثال للذات » [١] .

فى العصر الحديث :

« وفى العصر الحديث فقط وأمام هذه المعطيات أدرك البعض أن كل مبشر قد أنشأ رواية على طريقته الخاصة وحسب وجهات نظره الشخصية ، مع الاعتماد على المعلومات التى وجدها عند الآخرين ، عندئذ علق الباحثون أهمية كبيرة على جميع مواد الرواية ، فى التراث الشفهى للطوائف الأصلية من ناحية ، وفى مصدر مكتوب أرامى مشترك لم يعثر عليه من ناحية أخرى ، وقد كان يمكن لهذا المصدر المكتوب أن يشكل كتلة صماء أو أن يتكون من مقتطفات كثيرة لروايات شتى ، ربما تكون قد خدمت كل مبشر فى تشييد نصه الأصلى » [٢] .

ومنذ قرن تقريبا :

« ومنذ قرن تقريبا ، قادت أبحاث أكثر تعمقا إلى نظريات أكثر دقة ازدادت تعقدا بمرور الزمن ، وأول هذه النظريات الحديثة هى النظرية المسماه : « بمصدرى هولتزمان »

---

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف العلمية الحديثة ، ص ٩٤ .

(٢) نفسه .

(١٨٦٣) ، وحسب هذه النظرية كما يحدد كولمان والترجمة المسكونية ، فإن متى ولوقا قد استهلهما مرقس من ناحية، ووثيقة مشتركة مفقودة اليوم من ناحية أخرى ، وينتقد كولمان هذا البيان فيما يتعلق بالنقاط الآتية :

١ ـ ليس مؤلف مرقس الذى استخدمه لوقا ومتى هو إنجيل مرقس ، إنما هو مؤلف سابق على مرقس .

٢ ـ لا يعطى هذا أهمية كافية للذات الشفهى [1] .

أحدث أبحاث نقد النصوص الخاصة بمصادر الأناجيل :

« أما أحدث أبحاث نقد النصوص الخاصة بمصادر الأناجيل ، فقد أوضحت وجود عملية أكبر تعقيدا من تشكل النصوص ، إذ تتوه طبعة الأناجيل الأربعة المتوافقة وهى للابن بينوا ، وبومار الأستاذين بمعهد الكتاب المقدس بالقدس (١٩٧٢ ـ ١٩٧٣) تتوه بشكل خاص إلى تطور النصوص على مراحل متعددة بالتوازى مع تطور التراث ، ويجر هذا إلى نتائج يعرضها الأب « بينوا » بهذه الألفاظ » .

« إن أشكال الأقوال أو الروايات الناتجة عن تطور طويل للذات لا تتمتع بنفس صحة الأقوال أو الروايات الموجودة أصلا ، وقد يدهش بعض قراء هذا الكتاب أو قد يشعر بالحرج ، عندما يعلم أن هذا القول للمسيح أو هذا المثل أو ذاك التصريح بمصيره : لم نقل مثلما نقرأ اليوم وإن هؤلاء الذين نقلوا هذا إلينا قد أجروا عليه لمسات وتعديلات ، إن هؤلاء الذين لم يعتادوا هذا النوع من البحث التاريخى يجدون هنا مصدرا ممكنا للاندهاش بل حتى للاستنكار » [2] .

الأب بومار والمصادر الأصلية :

« هناك أربع وثائق أساسية هى أ ، ب ، ج ، ق تمثل المصادر الأصلية للأناجيل :

ـ الوثيقة (أ) نبعت من أوساط يهودية مسيحية ، وقد ألهمت متى ومرقس .

ـ الوثيقة (ب) هى المادة تفسير للوثيقة (أ) ، استخدمتها الكنائس الوثنية ـ المسيحية ـ وقد ألهمت كل البشرية ما عدا متى .

---

(١) المرجع السابق ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٥ ، ٩٦ .

ـ الوثيقة (ج) ألهمت مرقس ولوقا ويوحنا .

ـ الوثيقة (ق) تكون معظم المصادر الشائعة بين متى ولوقا .

لم تؤد أية وثيقة من هذه الوثائق الأساسية إلى تحرير النصوص النهائية التى فى حوزتنا، فبينها وبين التحرير النهائى توجد تآليف وسيطة خاصة بكل إنجيل » [1] ثم يقول بعد هذا العرض :

« إن نتائج هذا البحث الخاص بالكتاب المقدس على أهمية بالغة ، فهى تثبت أن نصوص الأناجيل التى لها تاريخ ، تتمتع أيضا حسب تعبير الأب بومار « بتاريخ ما قبل التاريخ » أى أنها قد خضعت قبل ظهور الصيغ النهائية لتعديلات ، وذلك فى مرحلة الوثائق الوسيطة ، بهذا يتضح لنا على سبيل المثال ، أن حكاية معروفة جيدا وقعت فى حياة المسيح ، حكاية معجزة الصيد تقدم ـ كما رأينا فى إنجيل لوقا ـ باعتبارها حدثا وقع فى حياة المسيح ، على حين يقدمها يوحنا كحادثة من حوادث ظهوره بعد قيامته » [2] .

النتيجة :

ونتيجة كل هذا ـ على حد تعبير موريس بوكاى ـ هو أننا لم نعد متأكدين مطلقا من أننا نتلقى كلمة المسيح بقراءة الإنجيل ، والأب بينوا يتوجه لقارئ الإنجيل ويحذره من هذا ، ويقدم تعويضا قائلا :

« وإذا كان عليه أن يتخلى فى أكثر من حالة عن سماع صوت المسيح المباشر فإنه يسمع صوت الكنيسة ، ويركن إليها » [3] .

هل يمكن بعد ذلك أن يدعى أحد النصارى ، أن الأناجيل كتبت بوحى أو بإلهام الروح القدس ؟ ، إننى أرى أن مجرد طرح قضية المصادر ، ومهما تضاربت الآراء فى هذه المصادر ، فهى دليل واضح على أن آباء الكنيسة نقلوا لا أنهم ألهموا ، وما داموا قد نقلوا فكان بالأحرى أن نعرف الأصول التى نقلوا منها واعتمدوا عليها ، ونعرف إلى من تنسب هذه الأصول ، فلا شك أنها بدورها تكون فى حاجة إلى توثيق ، ولكن المصادر لا أحد يعرف عنها شيئا ، كل الذى يعرف عنها ، أنه يرمز لها برموز مبهمة ، أما ما هى عناوينها ؟ ومن هم كتبتها ؟ومتى ألفوها ؟ وأين ؟كلها أسئلة لا إجابة لها إلا الإجابة التى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٦ .

(٢ ، ٣) المرجع السابق ، ص ٩٧ ، ٩٨ .

أجيب بها عن الأناجيل المعتمدة نفسها وهى: لا أحد غير الله يعلم من ومتى وأين ألفت؟ .

الاضطهاد

اتفقت المصادر شرقية وغربية ، دينية وغير دينية ، على أن المسيحيين نـزل بهم بعد المسيح بلايا وكوارث جعلتهم يتخفون بديانتهم ويفرون بها أحيانا ، ويصمدون للمضطهدين مستشهدين أحيانا أخرى ، وهم فى كلتا الحالتين لا شوكة لهم ولا قوة تحميهم وتحمى ديانتهم وكتبهم ، وأنه فى وسط هذه الاضطهادات يذكرون أنه دونت أناجيلهم الأربعة التى يؤمنون بها ، ودونت رسائلهم (١) .

لقد لاقى المسيحيون الأوائل ـ وفى مقدمتهم تلاميذ المسيح ـ كثيرا من الأذى والاضطهاد ، على أيدى اليهود الذين حاولوا منعهم من نشر الدعوة الجديدة ، ويحكى سفر أعمال الرسل ، وغيره من رسائلهم ، شواهد كثيرة من الاضطهاد ، وها هى بعض نصوصهم تصرح بذلك :

« بينما بطرس ويوحنا يخاطبان الشعب ، أقبل عليهما الكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيون ، متضجرين من تعليمهما الشعب فألقوا عليهما الأيادى ، ووضعوهما فى حبس إلى الغد ، وفى الغد تآمروا فيما بينهم قائلين : لئلا يشيع تعاليمهما أكثر فى الشعب ، فهددوهما تهديدا ألا يكلما أحدا من الناس فيما بعد بهذا الاسم ، فدعوهما وأوصوهما ألا ينطقا البتة ، ولا يعلما باسم يسوع » (٢) .

وكانت المشاورات التى تدور دائما حول منعهم من التبشير باسم يسوع حتى لو وصل هذا المنع إلى القتل .

يقول سفر أعمال الرسل : « وجرت على أيدى الرسل آيات وعجائب كثيرة فى الشعب ، فقام رئيس الكهنة ، وجميع الذين معه ، وهم شيعة الصدوقيين ، وامتلأوا غيرة ، فألقوا أيديهم على الرسل ، ووضعوهم فى حبس العامة وجعلوا يتشاورون أن يقتلوهم (٣) .

بل وكان الذى يقود هذه الحملات الشرسة ، فى بعض الأحيان بولس التى تقوم

---

(١) انظر : محاضرات فى النصرانية ، ص ٣٤ .

(٢) أعمال الرسل : ٤ : ١ ـ ١٨ .

(٣) أعمال الرسل : ٥ : ١٢ ـ ١٨ .

المسيحية الآن على تعاليمه ورسائله : « وحـدث فى ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التى فى أورشليم ، وتشتت الجميع فى كـور اليهودية والسامـرة : وأما شـاول « بولس » فكان يسطو على الكنيسة ، وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ، ويسلمهم إلى السجن ، فكان لم يزل ينفث تهدا وقتلا على تلاميذ الرب، فتقدم إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسا من الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم » [١] .

ولا أدرى كيف نزلت الهداية على هذا العدو اللدود مرة واحدة ، فينتقل من سفاح كبير يقتل ويشرد وينفث حقده ، إلى قديس وملهم بل وبعد موت المسيح ؟ !

ووصل الأمر إلى حد القتل بالسيف علنا ، وكأن الاضطهاد وإرادة محو هذه الفئة وطمس تعاليمها وكتبها أمر أضحى طبيعيا ومتفقا عليه .

« وفى ذلك الوقت مد هيرودوس الملك يديه ؛ ليسىء إلى أناس من الكتبة ، فقتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف ، وإذ رأى أن ذلك يرضى اليهود عاد فقبض على بطرس أيضا ، ولما أمسكه وضعه فى السجن مسلما إياه إلى أربعة أرابع من العسكر ليحرسوه ناويا أن يقدم بعد الفصح إلى الشعب » [٢] .

بهذا نرى أن رسائلهم المقدسة ، تتحدث عن موضوع الاضطهاد وحديثا صريحا ، وذلك لأن قضية اضطهادهم من الأمور التاريخية المقررة ، التى لا يمكن إنكارها بل ولا حتى تجاهلها ، ومراجعهم الأساسية تتحدث عن هذا الوضع بإسهاب .

يقـول الأستاذ حبيب سعيـد متسائلا عـن الدافع وراء اضطهاد الرومان للمسيحيين : « وما الذى دفعهم أن يوقعوا أقصى العقوبات على فريق من مواطنيهم ، اختار لنفسه نمطا مميزا مسالما فى الإيمان والعقيدة ؟

لقد وقفت السياسة الدينية فى العالم القديم موقفا عدائيا ، عنيفا ضد المسيحية ، فما انقضت ثمانون عاما ، بعد موت المسيح حتى كان رسل المسيح وتلاميذه الأبرياء ، قد حكم عليهم بالموت فى عهد وال رومانى » ، ثم يقول : « وفى الفصول التالية يدور حديث مسهب حول تلك الفظائع التى اقترفها الرومان لقتل المسيحية فى المهد » [٣] .

ويقول أيضا : « وقد نبذ المسيحيون إجماعا كل علاقة بآلهة رومية ، والإمبراطورية

---

(١) أعمال الرسل : ٨ : ١ ـ ٣ ، ٩ : ١ ـ ٩ . (٢) أعمال الرسل : ١٢ : ١ ـ ٤ .

(٣) تاريخ المسيحية ، جـ ١ ص ٥٠ .

والجنس البشرى كله ، ولذلك ثارت قائمة الوثنيين ، وفى تعصب أعمى وحقد مرير ، صوروا المسيحيين أمام الشعب جماعة من الكافرين الملحدين ، تهجموا على الدستور الدينى للإمبراطورية ، ولذلك استباحوا دماءهم وأموالهم ، وكنائسهم وعبادتهم » [١] .

سلسلة الاضطهادات :

ومما هو مقرر حتى عند المسيحيين ، أن أول اضطهاد نزل بهم كان فى عهد المسيح ، وانتهى بالخاتمة السيئة ، فلقد أخذ اليهود يكيدون له ويوسوسون للحكام بشأنه ، ويحرضون الرومان عليه ، ولكن الرومان ما كانوا يلتفتون إلى المسائل الدينية ، بل تركوها لليهود يسوونها فيما بينهم ، واليهود يريدون أن يغروا الرومان بعيسى كيفما كان الثمن ، فبثوا حوله العيون يرصدونه ، ويتسقطون قوله بشأن الحكومة والحكام ، عساهم يجدون كلمة له يتعلقون بها ، وينقلون بها للحاكم الرومانى، فلم يجدوا لأن المسيح ما كان يدعو إلا إلى إصلاح الجانب النفسى الخلقى ، ولم يكن قد اتجه إلى إصلاح الحكومة بعد ، ولما ضاقت بهم الحيلة كذبوا عليه ، وانتهى الأمر إلى أن تمكنوا من حمل الحاكم الرومانى ، على أن يصدر الأمر بالقبض عليه والحكم عليه بالإعدام صلبا [٢] .

ولقد نزلت من بعده الشدائد بالمسيحيين ، بما يتفق مع هذا الاعتداء :

أولا :

لقد جاء قيصران بعد طيباروس الذى عاصر المسيح ، كانا شديدين على تلاميذه ، وقتلا منهم قتلا ذريعا ، وفى زمن ثانيهما دون متى إنجيله بالعبرية ، وترجم يوحنا صاحب الإنجيل إلى اليونانية ، على رواية ابن البطريق ، ولم يكن الاضطهاد فى عهد هذين القيصرين من الرومان فقط ، بل كان من اليهود أيضا ، وأذاهم أمكن ، وتنقيهم عن العقيدة أدخل لأنهم من الشعب ومخالطوهم ومعاشروهم فهم بداخلهم أعرف [٣] .

ثانيا :

وأشد ما نزل من أذى كان فى عهد نيرون سنة ٦٤م ، الذى هاج الشر عليهم ، وأنزل البلاء والعذاب بهم ، واتهمهم بأنهم الذين أحرقوا روما فأخذهم بجريرتها ،

---

(١) المرجع السابق ص ٥٣ .
(٢) انظر محاضرات فى النصرانية ، ص ٢٨ .
(٣) انظر : المرجع السابق ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

وكانت السنوات الأربع الأخيرة عذابا أليما لهم ، فقد تفنن هو وأشياعه فى هذا العذاب ، حتى لقد كانوا يضعون بعضهم فى جلود الحيوانات ويطرحونهم للكلاب ، فتنهشهم ، وصلبوا بعضهم وألبسوا بعضهم ثيابا مطلية بالقار ، وجعلوهم مشاعل يستضاء بها ، وكان هو نفسه يسير فى ضوء تلك المشاعل الإنسانية .

وفى عصر نيرون هذا دون إنجيل مرقس سنة ٦١ على روايته وكان بمصر ، وقد كتبه عند بطرس وهو برومة ، وكتب أيضا لوقا إنجيله فى عهد هذا القيصر ، وفى ابتداء هذا الإنجيل ينص على أنه يراسل به « ثاوفيلس » ليؤكد به صحة الكلام ، « وثاوفيلس » هذا رجل من عظماء الروم وأشرافهم ، وفى عصر هذا القيصر أو بعده دون يوحنا إنجيله [1] .

ثالثا : فى عهد تراجان سنة ١٠٦م :

نزلت بهم آلام ؛ لأنهم قد جرت عادتهم بالصلاة فى الخفاء هربا من الاضطهاد ، وقد أمر تراجان بمنع الاجتماعات السرية ، فأنزل بهم الذل والعذاب لذلك ؛ ولأنهم مسيحيون ولا يدينون بدين القيصر .

جاء فى كتاب « تاريخ الحضارة » : « لقد كتب بلين ـ وكان واليا فى آسيا إلى الإمبراطور تراجان كتابا ، يدل على الطريقة التى كان بها المسيحيون قال : « جربت مع من اتهموا بأنهم نصارى على الطريقة الآتية ، وهو أنى أسألهم إذا كانوا مسيحيين ، فإذا أقروا أعيد عليهم السؤال ثانية وثالثة مهددا بالقتل ، فإذا أصروا نفذت فيهم عقوبة الإعدام، مقتنعا بأن غلطهم الشنيع وعنادهم الشديد يستحقان هذه العقوبة ، وقد وجهت التهمة إلى كثيرين بكتب لم تذيل بأسماء أصحابها ، فأنكروا أنهم نصارى ، وكرروا الصلاة على الأرباب الذين ذكرت لهم أسماءهم ، وقدموا الخمور والبخور لتمثال أتيت به عمدا مع تماثيل الأرباب ، بل إنهم شتموا المسيح ورأيت من الضرورى لمعرفة الحقيقة أن أعذب امرأتين ذكروا أنهما خادمتا الكنيسة ، بيد أنى لم أقف على شىء سوى خرافة سخيفة مبالغ فيها » [2] .

ولاشك أن هذا الكتاب كاشف كل الكشف ، عما كان يحدث للنصارى فى عهد ذلك القيصر ، من اضطهاد وتعذيب وتنقيب عن القلب وخبيئة النفس .

---

(١) انظر : (المرجع السابق) ، ص ٣٥ .

(٢) (محاضرات فى النصرانية) ، ص ٣٦ .

ويتحدث عن بلين هذا وعن قوانينه ، التى وضعها فى القضاء على المسيحية كعقيدة ، وكما بدا من كتابه السابق الأستاذ حبيب سعيد حيث يقول :

« وقد ظن بلين حاكم ولاية بثينة ، الذى أشار بوضع هذا القانون أن فيه القضاء على المسيحية ، وذلك لأن المسيحى إذا تمنع عن تقديم البخور لتمثال الإمبراطور يحكم عليه بالموت ، لا بسبب مسيحيته فى الظاهر ، ولا بسبب سلوكه الشخصى ، بل بتهمة الخيانة العظمى للدولة ، وكانت أدلته فى اتهام المسيحيين تدور كلها حول هذه الخيانة بالذات دون تعرض للعقيدة ، وفى هذا من المكر والخداع والقسوة المهذبة ما يغنى عن البيان ، والواقع أن اضطهاد الدولة لم يوجه إلى عمل معين بالذات ، ولا إلى جريمة محدودة المعالم، بل إلى عقيدة المسيحية التى أبت عبادة أى شىء أرضى » [1] .

« لقد نظمت الإجراءات ضد المسيحيين فى عهد الإمبراطور تراجان ، فكانوا يضطهدون ، ويحكم عليهم لتهمة خاصة لا بسبب مسيحيتهم ، وظل هذا القانون معمولا به إلى أواخر القرن الثالث عشر ، على أن هذا القانون وإن بدت عليه فى ظاهره مسحة التسامح ، فإنه انطوى على فكرة خبيثة ؛ وذلك لأنه أباح الحرية للمسيحى إذا ارتضى أن يقدم بخورا لتمثال الإمبراطور ، أما إذا تأبى فإنه يعرض نفسه لحكم الموت ، فكأنما جثمت وراء هذا اللين الظاهرى قسوة شريرة ، وكانت التجربة رهيبة مريعة ، فإن كثيرين من ذوى العزائم الخائرة استسلموا إليها » [2] .

ومن هؤلاء الذين قتلوا فى عصر تراجان ، رجل من أبرز رجال المسيحية فى القرن الأول ، هو القديس إغناطيوس أسقف أنطاكية سورية ، وكانت قد حلت بالبلاد بعض النكبات ، فثارت ثائرة الشعب ، وأخذ يتصارع ضد المسيحيين ، بحجة أنهم أغضبوا الآلهة ، ووجه الغاهل الرومانى ضربته ، إلى زعيم المسيحيين استرضاء لصيحات الرأى العام ، ولذلك ألقى القبض على إغناطيوس وجىء به أمام محكمة الإمبراطور ، ومن تبادل حديث مأثور معه أصدر الإمبراطور حكمه وهذا نصه : « بما أن إغناطيوس قد اعترف بأنه يحمل فى صدره ذاك الذى صلب ، فإننا نحكم عليه بأن يربط ويرسل إلى رومية العظيمة محقورا ، هناك يطرح أمام الوحوش الضارية لتسلية جماهير الشعب » [3] .

---

(١) تاريخ المسيحية ، جـ ١ ص ٦٠ .
(٢) نفسه .
(٣) المرجع السابق ، جـ ١ ص ٦١ ، ٦٢ .

رابعا : فى عهد ديسيوس (٢٤٩ ــ ٢٥١ م) :

ولم ينقطع الاضطهاد بعد تراجان ، بل استمر ــ وإن أخذت الرأفة بعض القياصرة ــ خلفاً من بعد خلفاً ، ينزلون عذابا مرا يزيل أثر كل رحمة سابقة كانت نسبية ، حتى جاء ديسيوس فأنزل بهم من البلاء ما تقشعر من هوله الأبدان ، ولنترك القلم لبطريرك الإسكندرية يصف بعض ما عاين من ديسيوس بعد أن ذاق بعض الرحمة من سابقه :

« لم نكد نتنفس الصعداء ، حتى حلق بنا الخوف ، وخفنا الخطر ، عندما بدل ذلك الملك الذى كان أرق جانبا وأقل شرا من غيره ، وجاء مكانه ملك آخر ، ربما لا يجلس على كرسى المملكة حتى يوجه أنظاره نحونا فيعمل على اضطهادنا ، وقد تحقق حدسنا ، عندما أصدر أمرا شديد الوطأة ، فعم الخوف الجميع ، وفر البعض ، وقد أبعد كل مسيحى من خدمة الدولة ، مهما يكن ذكاؤه ، وكل مسيحى ستر عنه يؤتى به على عجل ، ويقدم إلى هيكل الأوثان ، ويطلب منه تقديم ذبيحة للصنم ، وعقاب من يرفض تقديم الذبيحة أن يكون هو الذبيحة ، بعد أن يجتهدوا فى حمله بالترهيب ... ومن ضعاف الإيمان من أنكر مسيحيته ، واقتدى به البعض ومنهم من تمسك بأذيال الفرار ، أو من زج به فى غيابات السجون » [١] .

خامسا : فى عهد دقلديانوس :

« ولى بعد ديسيوس من أوقع البلاء وأنزله بالمسيحيين ، ولكن كان أشد هؤلاء وأبلغهم أذى وأنكاهم بطشا دقلديانوس ... وكان شديدا وخاصة على المصريين، وذلك لأن المصريين رأوا أنما تحللت من حكم الرومان، وفكوا أغلاله فاقتدوا بهم، ونزعوا إلى السير فى طريق الاستقلال، وعقدوا الأمر، لواحد منهم، فجاء دقلديانوس إلى مصر وأنزل بها البلاء ، وأزال استقلالها ، وأعاد فتحها، وكانت كثرتها فى ذلك الإبان مسيحية، وقد أمر بهدم الكنائس، وإحراق الكتب، وأصدر أمرا بالقبض على الأساقفة والدعاة وزجهم فى غيابات السجن، وقهر المسيحيين وحملهم علي إنكار دينهم، وقد استشهد فى هذا الوقت، عدد كبير من الأقباط تجاوزت عدتهم أربعين ومائة ألف، وعدهم بعض المؤرخين ثلاثمائة ألف، ولكثرة ما استشهد من شهداء، وما نزل بهم من بلاء كانت ولاية

---

(١) تاريخ الأمة القبطية ، جـ ١ ص ١٠٤ ــ ١٠٦ ، نقلا عن كتاب محاضرات فى النصرانية للشيخ أبو زهرة، ص ٣٧.

دقلديانوس حادثا خطرا فى شأن مصر، فجعلوه مبدأ تقويمهم وذلك فى سنة ٢٨٤م»[١] .

لقد كان الاضطهاد اليهودى للمسيحيين شديدا ثم مالبث هؤلاء أن تعرضوا للمذابح على أيدى حكام روما وسواء أكانت اليد الخفية وراء ذلك الاضطهاد الروماني هي يد اليهود كما هو شائع عما حدث فى روما تحت حكم نيرون أم لم تكن فالذى يعنينا هو أن تلك السنوات الأولى الهامة، والحاسمة فى تشكيل العقيدة المسيحية، قد اتسمت من قبل السلطات المسئولة سواء كانت دينية يهودية أو دنيوية رومانية ـ باضطهاد دموي ومطاردات وتشريد، وهو الأمر الذى ساعد على صد الطائفة المسيحية الجديدة عن الاهتمام بالكتابة، وإعاقتها عن التسجيل فاكتفت بمعتقداتها فى المجيء الثانى، وقعدت تنظر الخلاص الوشيك .

ولكن لمَّا أوشك الجيل الأول الذي عاصر المسيحيين على الانقراض، وتباعد الأمل فى تحقيق المجيء الثانى، ظهرت الحاجة ماسة إلى تدوين الذكريات وكان هذا العمل من نصيب الجيل الثانى في المسيحية، وهكذا بدأت كتابة الأناجيل بعد عشرات السنين من رحيل صاحب الدعوة، وقتل وتشريد أغلب تلاميذه ومريديه، وسط أجواء تغلبها الكآبة ويسودها الاضطراب. [٢] .

تعقيب:

هذه السلسلة من الاضطهادات للمسيحية والمسيحيين تؤدى حتما إلى ضياع أناجيلهم وفقد سندها بل إن علماءهم أنفسهم اعتذروا بفقد السند، وإن سبب فقدانه توالى وقوع المصائب والفتن .

يقول صاحب كتاب « الفارق » : « أنت تعلم أن الكتاب السماوى الذى يجب الخضوع له، والائتمار بأوامره والانتهاء بنواهيه، لا يكفى فى إسناده إلى شخص ذى إلهام مجرد الظن والوهم ، كما أن مجرد ادعاء فرقة أو فرق غير كاف، وهذا مسلم عندكم ، وإذن فلابد وأن يثبت ذلك الكتاب، وأنه كتاب الله الذى أنزله علي النبى الفلاني بسند متصل في جميع طبقاته، متواتر فى عامة مراتبه بحيث يكون قد رواه الجم الغفير عن الجم الغفير، الذى يؤمن تواطؤهم على الكذب بلا تغيير ولا تبديل ولا زيادة ولانقصان، بأن تكون كل طبقة بكثرة عظيمة مختلفة الأمكنة خالية عن الغرض والعلة والجهل،

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٣٧، ٣٨ .

(٢) انظر المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص٥١ .

وقد طلب علماؤنا من علمائكم السند فاعتذروا بفقده وإن سبب فقدانه توالى وقوع المصائب والفتن علي المسيحيين إلى أثناء القرن الرابع من بعد المسيح »[1] .

فهل ياترى يقبل هذا الاعتذار فى قضية كهذه يتوقف عليها صحة دين من بطلانه، وصحة كلام الله تعالى من عدمه ؟ أظن أن هذا العذر غير مقبول، وأن وقوع الفتن والمصائب ليست عذرا، إنما هي سبب أساسى فى الضياع وفقدان السند .

الأناجيل فى نظر علمائهم

إذا كنا قد تحدثنا عن كل إنجيل على حدة، وظهر بما لا يدع مجالا للشك أنها تفتقر إلى صحة السند واتصاله، وأن قطع سندها يعتبر بعد هذه الدراسة من القضايا المتفق عليها، فإنني سأنقل هنا كلاما على ألسنة علمائهم عن سند العهد القديم ككل، أو عن الأناجيل على وجه العموم .

يقول القس حنا جرجس الخضرى :

« ظهرت مدرسة ألمانية يمكننا أن نلخص تعاليمها عن يسوع فى النقاط الآتية :

١ ـ إن قصص الأناجيل عبارة عن عناصر متناثرة لاتتبع تسلسلا عضويا تكوينيا وأنها سطحية .

٢ ـ عدم اعتبار الأناجيل كمستندات تاريخية بحتة؛ لأنها لم تؤلف وتحفظ كى تعطى فكرة عن يسوع الذى عاش وعلم فى الجليل واليهودية، والذى مات فى أورشليم .

٣ ـ إن مواد الإنجيل تبدو كأنها كتبت لتملأ الوظائف المتنوعة المختلطة فى حياة الكنيسة الأولى وحاجاتها .

ولقد كتب بولتمان يقول : إنه ليس فى استطاعتنا أن نعرف سمات يسوع وحياته الشخصية، إذ لا يمكن أن نثبت صحة أى كلمة من كلامه، وكل ما يمكن أن نقوله عن حياة يسوع وشخصيته هو ألا نقول شيئا، يرجع ذلك إلى عدم التأكد من الوثائق التى لدينا، وخصوصا أنها قليلة فمن الصعب التأكد مما إذا كانت هذه الأقوال فعلا أقوال

(١) الفارق بين المخلوق والخالق، ص ٩، وراجع : « غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام » ص ٢٩٨ ـ ٣٠٠ تحت عنوان : « فقدان السند لكتبهم » رسالة ماجستير مقدمة لكلية أصول الدين بطنطا شعبة العقيدة والفلسفة للباحث فتحى محمد الزغبى، ١٩٨٥ .

المسيح، أم هي إضافات من الكنيسة الأولى » [1] .

ويقول القس إنسلم تورميدا :

« اعلموا رحمكم الله أن الذين كتبوا الأناجيل الأربعة هم متي، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، وهؤلاء هم الذين أفسدوا دين عيسى، وزادوا ونقصوا وبدلوا كلام الله تعالى .

أما متى ، وهو الأول منهم فما أدرك عيسى ولا رآه قط ...

وأما لوقا ، فلم يدرك عيسى ولا رآه أبدا ، وإنما تنصر بعد رفع عيسى ، وكان تنصره على يد بولس الإسرائيلى ، وبولس أيضا لم يدرك عيسى ولا رآه ، وكان من كبار أعداء النصارى...

وأما مرقس ، فما رأى أيضا عيسى قط ، وكان دخوله فى دين النصارى كذلك بعد أن رفع عيسى ، وتنصر على يد بترو الحوارى ، ومرقس هذا قد خالف أصحابه الثلاثة الذين كتبوا الأناجيل فى مسائل جمة ...

وأما يوحنا ، فهذا ابن خالة عيسى عليه السلام ، ويزعم النصارى أن عيسى حضر فى عرس يوحنا ، وأنه حول الماء خمرا فى ذلك العرس ، وأن يوحنا لما رأى ذلك ترك زوجته، وتبع عيسى على دينه وسياحته .

فهؤلاء الأربعة ، هم الذين كتبوا الأناجيل الأربعة ، وحرفوها وبدلوها وكذبوا فيها ، وما كان الذى جاء به عيسى إلا إنجيلا لا تدافع فيه ولا اضطراب ، ولا اختلاف ، وهؤلاء الأربعة ظهر عندهم وبينهم من التدافع والاضطراب والاختلاف، والكذب على الله تعالى، وعلى نبيه عيسى عليه السلام ما هو معلوم ومشهور ، لايقدر النصارى على إنكاره » [2] .

ويقول المسيوشارل جنيبر :

« ويجب علينا أن ننظر إلى الكتب التى تدعى سرد سيرة عيسى على أنها مؤلفات

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى للدكتور القس حنا جرجس الخضرى، دار الثقافة المسيحية بالقاهرة ليس عليه رقم الطبعة جـ ١ ص . ١٦ .

(٢) تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب للقس إنسلم تورميدا ، دار المعارف ، ط. الثانية ، سنة ١٩٨٤، ص ٦١ ـ ٦٧ .

تستند إلى الكثير من التحكم والنزعات الذاتية » [1] .

إن أغلب الفقرات التى يظهر فيها ، من فيها من الأناجيل يبدو أنها صدرت عن محررى هذه الأناجيل ، لاعن عيسى ، أما تلك التى ترجح أنها مبنية على حديث صحيح له ، فلا تعدو الأربع أو الخمس ، ولا يمكن أن نصفها بأقل من أنها خاطئة أساسا ، فى ترجمتها للنص الأصلى، ويجب إبدال تعبير (أين الإنسان) فيها بكلمة (إنسان) [2].

« ومن المرجح كذلك ، أن الأحداث الخاصة بالصلب ، كانت قد فقدت الكثير من وضوحها فى ذاكرة المؤمنين ، قبل تحرير الأناجيل ، وأنها تأثرت فى مخيلتهم بالأساطير الشائعة فى الشرق » [3] .

« وكانت هذه الكتيبات ، وأهمها مجموعة الأحاديث المنسوبة إلى متى ، والروايات المنسوبة إلى مرقس ـ المصادر الأولى لأناجيلنا ، إلا أنها لم تكن لتقيم سوى عناصر شتى مشوشة ، عن حياة عيسى كما تصورها المسيحيون ، عندما أوشك جيل أصحابه على الانقراض ، وقد حاول المحررون المتتابعون لتلك الأناجيل ، خلال الثلث الأخير من القرن الأول المسيحى ، أن ينسقوا رواياتهم ويدخلوا عليها شيئا من الانسجام ، ولكنهم وجدوا أنفسهم أمام مادة يصعب مراسها ، فضلا عن شبه استحالة تحقيق الواقع وتخليصه ، من الإضافات الخيالية التى كانت فى طيات الروايات » [4] .

وأخيرا يقول المسيوشارل جنبير : « وتصفح الأناجيل وحده ، يكفى لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى تركيبات واضحة التعارض لنفس الأحداث والأحاديث ، مما يتحتم معه القول ، بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية ، ولم يستلهموا تاريخا ثابتا يفرض تسلسل حوادثه عليهم ، بل على العكس من ذلك اتبع كل هواه وخطته الخاصة فى تنسيق وترتيب مؤلفه ... وإننا لنلحظ فى ثنايا هذه السيرة الإنجيلية نقصا كثيرا وفجوات خطيرة ، نلحظها حتى فى إنجيل مرقس ، الذى بلغ به الحرص أنه تحاشى الحديث عن مولد عيسى وطفولته » [5] .

فالمسيو شارل يرى :

ـ أن عديدا من الألفاظ التى أطلقت على المسيح فى الأناجيل ، هى من بنات أفكار

(١) المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبر ، دار المعارف ، ص ٣٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٧ ، ٣٨ .

محررى الأناجيل ، وأن الأحداث الخاصة بالصلب قد حررت بعد أن فقدت ذاكرة المؤرخين كثيرا من الوضوح ، فيما يتعلق بوقائعها .

ـ وأن ما جاء فى الأناجيل خاصة متى ومرقس عن حياة عيسى ، إنما هى نصوص مشوشة، لم يجد المحررون سبيلا إلى تنسيقها وانسجام وقائع أحداثها .

ـ مثل ذلك ، يؤدى إلى النتيجة التى تظهر من النص الأخير ، وهى وجود نقص كبير وفجوات خطيرة فى ثنايا هذه السيرة الإنجيلية .

وهذه شهادة كافية فى انقطاع السند بأسلوب النقد التحليلى للنصوص .

رأى فاستس :

يقول الدكتور رءوف شلبى : « ويأتينا صوت الناقد الجرىء « فاستس » من أعظم علماء فرقة « مانى كيز » من جوف سنى القرن الرابع الميلادى يدوى قائلا :

« إن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون ، بل صنفه رجل مجهول الاسم إلى الحواريين ورفقاء الحواريين ، ليعتبر الناس ، وقد آذى بذلك الدين من يعيش إيذاء بليغا ، فقد ألف الكتب التى تمتلئ بالأغلاط والمتناقضات » [1] .

---

(١) يأهل الكتاب تعالوا ، ص ١٦٨ .

الفصل الثالث

سند القرآن الكريم

وقبل الحديث عن كتابة القرآن الكريم في عهد محمد ﷺ، وجمعه في عهد أبي بكر وفي عهد عثمان، ينبغي أن نقدم لهذا بكلمة عن تنزلات القرآن الكريم من اللوح إلى السماء، ثم منها إلى رسول الله ﷺ .

والمشهور عند علماء علوم القرآن، أن نزول القرآن قد مر بمرحلتين :

الأولى:

نزوله دفعة واحدة، من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا، يقول تعالى: ﴿**بل هو قرآن مجيد. في لوح محفوظ**﴾ (1)، فالآيتان تشيران إلى أن القرآن الكريم كان موجودا في اللوح المحفوظ، وكان هذا التنزيل في شهر رمضان، ليلة القدر، الموصوفة بأنها ليلة مباركة قال تعالى: ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس**﴾ (2)، وقال ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾ (3)، وقال: ﴿**إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين**﴾ (4) .

فهذه الآيات الثلاث مجتمعة، تفيد أن القرآن أنزل دفعة واحدة في شهر رمضان ليلة القدر الموصوفة بأنها ليلة مباركة (5) .

الثانية:

نزوله منجما على النبي ﷺ في ثلاث وعشرين سنة خلال مدة بعثته موزعا على الحوادث والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿**وقال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا**﴾ (6)، وقوله تعالى: ﴿**وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا**﴾(7) .

---

(1) البروج: ٢١ ، ٢٢.
(2) البقرة : ١٨٥ .
(3) القدر : ١ .
(4) الدخان : ٣ .
(5) انظر: تاريخ القرآن الكريم لمحمد سالم محسن، ص ٨٥.
(6) الفرقان : ٣٢ .
(7) الإسراء : ١٠٦ .

فهاتان الآيتان تدلان دلالة واضحة على أن القرآن لم ينزل على النبى ﷺ دفعة واحدة، وإنما نزل منجما حسب الوقائع والحوادث [1] .

لكننا نرى الشيخ الزرقانى فى كتابه: «مناهل العرفان» يذكر للقرآن تنزلات ثلاثة حيث يقول: «شرف الله هذا القرآن بأن جعل له ثلاثة تنزلات» [2] .

ثم يذكر التنزلات الثلاثة فيقول: « التنزل الأول إلى اللوح المحفوظ، ودليله قوله تعالى: ﴿**بل هو قرآن مجيد. فى لوح محفوظ**﴾ [3]، وكان هذا الوجود فى اللوح بطريقة وفى وقت لا يعلمه إلا الله، وكان جملة لا مفرقا؛ لأنه الظاهر من اللفظ عند الإطلاق، ولا صارف عنه» [4] ثم يذكر بعد ذلك التنزلين السابقين وهما: نزوله إلى بيت العزة، ثم نزوله على النبى ﷺ، ومعنى هذا أنه جعل وجود القرآن باللوح المحفوظ تنزلا أولا أى من الله إلى اللوح، ومن اللوح إلى بيت العزة، ومنه إلى قلب المصطفى ﷺ، وقد سرد لذلك نفس الأدلة التى مر ذكرها.

وفى هذا أحاديث مروية عن الرسول ﷺ:

١ ـ أخرج الحاكم بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: «فصل القرآن من الذكر، فوضع فى بيت العزة من السماء الدنيا ، فجعل جبريل ينزل به على النبى ﷺ» [5].

٢ ـ وأخرج النسائى والحاكم والبيهقى من طريق داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: «أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك فى عشرين سنة» [6] ثم قرأ: ﴿**ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق. وأحسن تفسيراً**﴾ [7]، ﴿**وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا**﴾ [8].

---

(١) نفسه.

(٢) مناهل العرفان، جـ١ ص ٤٣ .

(٣) البروج: ٢١، ٢٢.

(٤) مناهل العرفان، جـ١ ص ٤٣.

(٥) أخرجه الحاكم فى المستدرك، كتاب التفسير ٢/ ٢٢٣، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال الذهبى فى التلخيص ٢/ ٢٢٣: صحيح ورواه ابن أبى شيبة، قاله الحافظ فى الفتح ٩/ ٣، وصححه الزركشى فى البرهان ١/ ٢٣٩، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧/ ٥٧: رواه الطبرانى.

(٦) أخرجه الحاكم فى المستدرك، كتاب التفسير ٢/ ٢٢٢، وقال: صحيح الإسناد، وقال الذهبى فى تلخيص المستدرك ٢/ ٢٢٢: صحيح، وأخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات ص ٢٠٣، وقال الحافظ فى الفتح ٩/ ٣، والشوكانى فى فتح القدير ٣/ ٢٦٥: أخرجه النسائى.

(٧) الفرقان: ٣٣.

(٨) الإسراء: ١٠٦ .

٣ ـ وأخرج الحاكم والبيهقي وغيرهما، من طريق منصور عن ابن عباس قال: «أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم، وكان الله ينزله على رسوله ﷺ بعضه فى إثر بعض» (١).

ويقول الله تعالى فى التنزل الأخير: **﴿نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين﴾** (٢).

الحكمة من هذا النزول:

ويستنبط الشيخ الزرقانى حكمة هذا النزول حيث يقول: «والحكمة من هذا النزول تفخيم أمر القرآن، وأمر من نزل عليه بإعلان سكان السموات السبع، أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم، وبإنزاله مرتين مرة جملة، وأخرى مفرقا، بخلاف الكتب السابقة فقد كانت جملة مرة واحدة» (٣).

فترة نزول القرآن:

روى البخارى عن عائشة وابن عباس قالا: «لبث النبى ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشرا» (٤).

وقدر بعضهم مدة نزول القرآن بخمس وعشرين سنة وبنوا هذا على أن إقامته ﷺ بمكة بعد البعثة كانت عشر سنين أو خمس عشرة سنة.

نزوله على سبعة أحرف:

روى البخارى فى باب نزول القرآن على سبعة أحرف عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأنى جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف» (٥).

روى البخارى عن عبد الرحمن بن عبد القارى أنه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك، كتاب التفسير ٢/ ٢٢٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه، والبيهقى فى الأسماء والصفات ص ٣٠٣، وابن جرير فى التفسير ٣٠/ ١٦٦، ١٦٧.

(٢) الشعراء ١٩٣، ١٩٤.

(٣) مناهل العرفان، جـ ١ ص ٤٦ .

(٤) صحيح البخارى، جـ ٣ ص ١٦٠ .

(٥) صحيح البخارى، جـ١ص ١٦١، ١٦٢ .

ما أقرؤها، وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها، وكدت أن أعجل عليه، ثم أمهلته حتى انصرف، ثم لببّته بردائه، فجئت به رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ، على غير ما أقرأتنيها فقال لى: «أرسله» ثم قال له: « اقرأ » فقرأ. قال : « هكذا أنزلت » ، ثم قال لى: « اقرأ » فقرأت ، فقال: « هكذا أنزلت. إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرأوا منه ما تيسر » (١).

والذى يثير الانتباه هنا هو هذا التحرى عن كل ما يتعلق بالقرآن مهما صغر حجمه، والرجوع إلى الرسول فى مثل هذه الأمور، فهو الذى نزل عليه القرآن، وتوقف الرسول عن الحكم حتى يسمع من هذا، ويسمع من ذاك.

لغة القرآن :

نصوص القرآن الكريم قطعية الدلالة فى أنه أنزل باللغة العربية، وهى اللغة التى كان يتكلم بها العرب ومحمد ﷺ منهم، ولهذا تحدى الله تعالى العرب جميعا أن يأتوا بمثله، أو يأتوا بعشر سور مثله أو يأتوا بسورة مثله لكنهم عجزوا، وفى لغة القرآن يقول تعالى ﴿ **الر تلك آيات الكتاب المبين . إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون**﴾ (٢) ، ويقول تعالى: ﴿**نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربى مبين**﴾ (٣).

وروى البخارى عن أنس بن مالك قال: «أمر عثمان زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أن ينسخوها فى المصاحف، وقال لهم: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش فإن القرآن أنزل بلسانهم ففعلوا» (٤).

عرض القرآن على النبى :

روى البخارى فى باب كان جبريل يعرض القرآن على النبى ﷺ ،عن فاطمة عليها السلام أنها قالت: « أسرّ إلى النبى ﷺ : أن جبريل يعارضنى بالقرآن كل سنة، وأنه عارضنى العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلى» (٥).

وروى أيضا عن ابن عباس قال: «كان النبى ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون

---

(١) صحيح البخارى، جـ ٦ ص ٢٢٨.
(٢) يوسف: ١، ٢ .
(٣) الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥ .
(٤) صحيح البخارى، جـ ٤ ص ٢١٩ .
(٥) البخارى ، جـ ٦ص ٢٢٩ .

في شهر رمضان؛ لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرضه عليه مرتين في العام الذى قبض» (١).

كتابة القرآن في عهد النبي ﷺ :

كان لرسول الله ﷺ كتاب يسمون كتاب الوحى، وكان من بينهم على بن أبى طالب وزيد بن ثابت، مما يدل على أن القرآن كتب في عهده ﷺ، وكتب كله، يقول الإمام السيوطى: «وقد كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله ﷺ، لكن غير مجموع في موضع واحد، ولا مرتب السور» (٢).

«والقرآن كان ينزل على النبي ﷺ فيحفظه ويبلغه للناس، ويأمر كتاب الوحى بكتابته، ويدلهم على موضع المكتوب من سورته فيقول لهم: ضعوا هذه السورة بجانب تلك السورة، وهذه الآية بإزاء تلك الآية، ولم ينتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله كان مكتوبا في العصر النبوى» (٣).

ومما هو معلوم أن الرسول ﷺ قد اتخذ له كتابا يكتبون القرآن الكريم، يقول الشيخ الزرقانى: «فها هو ذا رسول الله ﷺ قد اتخذ للوحى كتابا، كلما نزل شىء من القرآن أمرهم بكتابته مبالغة في تسجيله وتقييده، وزيادة في التوثق والضبط والاحتياط في كتاب الله تعالى، حتى تظاهر الكتابة الحفظ ويعاضد النقش اللفظ، وكان هؤلاء الكتاب من خيرة الصحابة، فيهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، ومعاوية، وأبان بن سعيد، وخالد ابن الوليد، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وثابت بن قيس، وغيرهم، وكان ﷺ يدلهم على موضع المكتوب من سورته» (٤).

روى ابن عباس أنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال: «ضعوا هذه السورة في الموضع الذى يذكر فيه كذا وكذا.. » (٥).

وعن زيد بن ثابت قال: «كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع» (٦).

---

(١) المرجع السابق .	(٢) الإتقان في علوم القرآن، جـ ١ ص ٧٦.

(٣) تاريخ كتابة القرآن، ص ١٢٨، ١٢٩.

(٤) مناهل العرفان جـ ١ ص ٢٤٦.

(٥ ، ٦) أخرجهما أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب من جهر بها جـ ٢ ص ٤٩٥ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

وكان هذا التأليف عبارة عن ترتيب الآيات حسب إرشاد النبى ﷺ، وكان هذا الترتيب بتوقيف من جبريل عليه السلام، يقول الزرقانى:

«فقد ورد أن جبريل عليه السلام كان يقول: «ضعوا كذا فى موضع كذا» (١). ولا ريب أن جبريل كان لا يصدر فى ذلك إلا عن أمر الله عز وجل.

وصفوة القول، أن القرآن كان مكتوبا كله على عهد رسول الله ﷺ، وكانت كتابته ملحوظا فيها أن تشمل الأحرف السبعة التى نزل عليها.

الوسائل التى كانوا يكتبون عليها:

مما هو ثابت تاريخيا، أن صناعة الورق لم تبدأ فى العهود إلا فى عهد قريب؛ لذلك فقد كان الكتاب فى العصور المتقدمة وقبل ظهور الورق يختلفون فى الوسائل التى يسجلون عليها أفكارهم وتاريخهم، فمنهم من كان يستخدم الأحجار فينقش عليها كل ما يريد، ومنهم من كان يستخدم الجلود، أو غيرها لهذا الهدف النبيل .

أما كتاب القرآن الكريم، فإن التاريخ يحدثنا أنهم كانوا يكتبون القرآن الكريم على الوسائل الآتية:

١ ـ العسب. ٢ ـ اللخاف . ٣ ـ الرقاع . ٤ ـ الكرانيف .

٥ ـ الأكتاف . ٦ ـ الأقتاب . ٧ ـ الأضلاع .

يقول الشيخ الزرقانى : «ويكتبون فيما يسهل عليهم من العسب (٢) واللخاف (٣) والرقاع (٤)، وقطع الأديم (٥)، وعظام الأكتاف والأضلاع، ثم يوضع المكتوب فى بيت رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه، كتاب الصلاة، باب من جهر بها جـ ٢ ص ٤٩٥ مع اختلاف فى بعض الألفاظ.

(٢) العسب ـ بضم العين والسين ـ جمع عسيب وهو جريد النخل، كانوا يكشفون الخوص ويكتبون فى الطرف العريض .

(٣) اللخاف ـ بكسر اللام ـ جمع لَخْفَه ـ بفتح اللام وسكون الخاء ـ وهى الحجارة الرقيقة، وقال الخطابى: هى صفائح الحجارة.

(٤) الرقاع: جمع رُقْعه وقد تكون من جلد أو ورق.

(٥) الأديم: وهو الجلد.

ويقول الإمام السيوطى: «وقد تقدم فى حديث زيد أنه جمع القرآن من العسب واللخاف، وفى رواية: والرقاع، وفى أخرى: وقطع الأديم، وفى أخرى: والأكتاف [١]، وفى أخرى: والأضلاع، وفى أخرى: والأقتاب [٢].

وأخرج الحاكم بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت قال: «كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع» [٣].

جمع القرآن

«كلمة (جمع القرآن) تارة يراد منها حفظه واستظهاره فى الصدور، وتطلق تارة أخرى ويراد منها كتابته كله حروفا وكلمات وآيات وسور، هذا جمع فى الصحائف والسطور، وذاك جمع فى القلوب والصدور» [٤].

ثم إن جمعه بمعنى كتابته، حدث فى الصدر الأول ثلاث مرات الأولى: فى عهده ﷺ، والثانية: فى خلافة أبى بكر، والثالثة: فى خلافة عثمان، وفى هذه المرة الأخيرة وحدها نسخت المصاحف وأرسلت إلى الآفاق .

حفظه واستظهاره فى الصدور

إذا كنا فى الفصول السابقة، ناقشنا سند التوراة والإنجيل، فهى مناقشة حول الكتابة والتسطير لهما، ومع ذلك لم نصل ـ بعد التحقيق والبحث ـ إلى سند متصل. أما عن الحفظ فى الصدور، فهى بالنسبة للتوراة والإنجيل غير واردة على الإطلاق؛ إذن الاعتماد على نقل الوحى وحفظه فى الصدور هو أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة، بل إنه ينبغى أن يكون الاعتماد أساسا على هذا النوع؛ لأنه هو أساس الكتابة لا محالة، فالكتابة لن تكون إلا بعد حفظ ووعى، والحفظ والنقل هو وسيلة جبريل من اللوح المحفوظ وهى وسيلة النبى ﷺ عن جبريل.

يقول الزرقانى: «قال المحقق ابن الجزرى: ثم إن الاعتماد فى نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على خط المصاحف والكتب».

---

(١) الأكتاف: وهو جمع كتف وهو العظم الذى للبعير أو الشاة.

(٢) الأقتاب: جمع قتب وهو الخشب الذى يوضع على ظهر البعير ليركب عليه.

(٣) الإتقان، جـ ١ ص ٧٦ .

(٤) مناهل العرفان، جـ ١ ص ٢٣٩ .

ففى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم، أن النبى ﷺ قال: «إن ربى قال لى: قم فى قريش فأنذرهم، فقلت له: أى رب، إذن يبلغوا رأسى حتى يدعوه خبزة فقال: إنى مبتليك ومبتل بك، ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان، فابعث جندا أبعث مثلهم، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، وأنفق أنفق عليك» (١).

فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج فى حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء بل يقرأ فى كل حال كما جاء فى صفة أمته: «أناجيلهم صدورهم» وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا فى الكتب ولا يقرءونه كله إلا نظرا لا عن ظهر قلب» (٢).

ويقول الدكتور محمد عبد الله دراز: «روعى فى تسميته قرآنا كونه متلوا بالألسن، كما روعى فى تسميته كتابا كونه مدونا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية شىء بالمعنى الواقع عليه، وفى تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه فى موضعين لا فى موضع واحد، أعنى أنه يجب حفظه فى الصدور والسطور جميعا، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر» (٣).

جمعه فى قلب رسول الله ﷺ:

والجمع بمعنى حفظه واستظهاره، وجد منذ عصر رسول الله ﷺ ومازال متوارثا إلى عصرنا هذا، لقد تمثل ذلك الجمع فى رسول الله ﷺ، ثم فى صحابته رضوان الله عليهم من بعده، وعلى هذا فإننا نقرأ كثيرا فى كتب علوم القرآن أسماء الحفاظ والقراء فى عهد النبى ﷺ.

حفظه فى صدر النبى ﷺ :

يقول تعالى: ﴿**هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته**﴾(٤).

فإذا كان النبى أميا والأمة التى بعث إليها أمة أمية، إذن فالوسيلة الأولى فى النقل هى

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الجنة باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار جـ ٤ ص ١٦ طبعة الحلبى تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

(٢) مناهل العرفان، جـ ١ ص ٢٤٢ .

(٣) النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز، ط. الرابعة، سنة ١٩٧٧ دار القلم بالكويت، ص ١٢ .

(٤) الجمعة : ٣ .

الكلام الذى لا يأتى إلا بعد الحفظ، ولهذا فمن المنطق بعد قوله : ﴿**فى الأمين رسولا منهم**﴾ أن يقول: ﴿**يتلو عليهم آياته**﴾ والتلاوة لا تكون إلا عن حفظ ووعى، فلم يقل: يكتب؛ لأن الحفظ والتلاوة ـ كما سبق ـ هما الأساس.

يقول الشيخ الزرقانى: «نزل القرآن على النبى ﷺ، فكانت همته بادئ ذى بدء منصرفة إلى أن يحفظه ويستظهره. ثم يقرأه على الناس ليحفظوه ويستظهروه، ضرورة أنه أمى بعث فى الأميين، ومن شأن الأمى أن يعول على حافظته فيما يهمه أمره، ويعنيه استظهاره وجمعه، خصوصا إذا أوتى من قوة الحفظ والاستظهار ما يسر له هذا الجمع والاستحضار»(١) بل ويقول عن الأمة التى بعثَ إليها:

«وكذلك كانت الأمة العربية على عهد نزول القرآن، وهى متمتعة بخصائص العروبة الكاملة التى منها سرعة الحفظ، وسيلان الأذهان حتى كانت قلوبهم أناجيلهم، وعقولهم سجلات أنسابهم وأيامهم، وحوافظهم دواوين شعرهم ومفاخرهم، حتى جاء القرآن فبصرهم بقوة بيانه، وأخذ عليهم مشاعرهم بسطوة سلطانه، واستأثر بكريم مواهبهم فى لفظه ومعناه، فخلعوا عليه حياتهم حين علموا أنه روح الحياة» (٢).

ويعمق الدكتور دراز هذا المعنى فيقول: « نقرأ فى هذا الكتاب ذاته أنه ليس من عمل صاحبه، وإنما هو قول رسول كريم، ذى قوة عند ذى العرش مكين، مطاع ثم أمين، ذلكم هو جبريل عليه السلام، تلقاه من لدن حكيم عليم، ثم أنزله بلسان عربى مبين على قلب محمد ﷺ، فتلقنه محمد منه كما يتلقن التلميذ عن أستاذه نصا من النصوص، ولم يكن له فيه عمل بعد ذلك إلا الوعى والحفظ، ثم الحكاية والتبليغ، ثم البيان والتفسير ثم التطبيق والتنفيذ»(٣).

ولا شك أن ما ذكره بعد الحفظ من الحكاية والبيان والتطبيق، لهى عوامل أساسية فى استدامة حفظه، وتمكينه من قلوب الصحابة.

ألفاظ القرآن تأمر النبى ﷺ بتلاوته :

عندما ننظر إلى كثير من الأوامر الموجهة لرسول الله ﷺ فى القرآن، تحثه على

---

(١) مناهل العرفان، ص ٢٤٠ .   (٢) نفسه .

(٣) النبأ العظيم ص ٢٠ .

حفظه ووعيه، نراها أوامر بالقراءة والتلاوة والترتيل، وكل ذلك يخالف الكتابة والتسجيل.

يقول تعالى: ﴿**اقرأ باسم ربك الذى خلق**﴾ [1] وهذا أمر بالقراءة.

وقال تعالى: ﴿**واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا**﴾ [2] وهذا أمر بالتلاوة.

وقال تعالى: ﴿**ورتل القرآن ترتيلا . إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا**﴾ [3] وهذا أمر بالترتيل.

بل إن الله وعده بعدم نسيانه له، وبأنه سيجمعه فى قلبه وسيقرئه إياه يقول تعالى: ﴿**سنقرئك فلا تنسى**﴾ [4]. أى فلن تنسى، وهذا وعد إلهى بعدم نسيان النبى له، ويقول: ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به. إن علينا جمعه وقرآنه. فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم إن علينا بيانه**﴾[5]. والكلمة هنا «قرآنه» بمعنى قراءته .

يقول الشيخ الزرقانى: « بلغ من حرص النبى ﷺ وحفظه للقرآن، أنه كان يحرك به لسانه فى أشد حالات شدته، وهو يعانى ما يعانيه من الوحى وسطوته، وجبريل فى هبوطه عليه لقوته، يفعل الرسول كل ذلك استعجالا لحفظه وجمعه فى قلبه، مخافة أن تفوته كلمة أو يفلت منه حرف ومازال ﷺ كذلك حتى طمأنه الله بأن وعده أن يجمعه له فى صدره، وأنه يسهل له قراءة لفظه، وفهم معناه» [6] ثم ذكر الآية السابقة وقوله تعالى: ﴿**ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه**﴾ [7] .

النتيجة:

إن النبى ﷺ كان جامعا للقرآن فى قلبه الشريف، وكان يقرؤه على الناس على مكث، وسيد الحفاظ فى عصره، ومرجع المسلمين فى كل ما يعنيهم من أمر القرآن وعلومه، بل وكان يحيى به الليل ويزين به صلاته، وكان جبريل يعارضه به فى كل عام مرة، وعارضه فى العام الأخير مرتين.

---

(١) العلق : ١.	(٢) الكهف : ٢٧ .	(٣) المزمل : ٤ ، ٥ .
(٤) الأعلى: ٦ .	(٥) القيامة : ١٦ ــ ١٩ .
(٦) مناهل العرفان، جـ ١ ص ٢٤٠ .	(٧) طه : ١١٤ .

روت عائشة عن فاطمة رضى الله عنهما :أسر إلى رسول الله ﷺ : « إن جبريل كان يعارضنى القرآن كل سنة ، وإنه عارضنى العام مرتين ، ولا أراه إلا حضر أجلى »[1] .

بل إننى أستنتج من هذا الحديث أن كتاب الوحى كانوا يكتبون القرآن مرتب الآيات والسور كما هو الآن، وخاصة أن جبريل كان يعارض النبى به مرة كل عام، وأنه عارضه مرتين فى آخر أعوامه تأكيدا على حفظ كتاب الله تعالى بهيئته، وترتيب حروفه وكلماته وآياته وسوره، فمما لا ريب فيه أن جبريل كان يعارضه كل عام بما أوحى إليه مرتبا فى أماكنه، فلما كان العام الأخير عارضه بالقرآن مرتبا مرتين.

حفظه فى صدور الصحابة :

من الأمور البديهية أن العرب كانوا يعتمدون فى نقل علومهم على الرواية والحفظ، وهذا أمر مقرر وخاصة عند دارسى الأدب والشعر الجاهلى .

يقول الدكتور عبد الحميد الشلقانى: «لم تكن الكتابة فى هذه الجزيرة عنصرا يعول عليه فى نقل ما تجود به قرائح أبنائها» [2] .

وتعتبر الرواية هى مراجعهم، والرواة هم الكتب التى نقشت فيها علومهم وكتبت كتب عن الرواية والرواة فى الجزيرة العربية، وأساس الرواية شيئان: هى حمل الكلام، واستظهاره.

يقول الدكتور الشلقانى: «والحمل والاستظهار هما عنصرا الرواية، ومن ثم فقد أصبح ناقل الشعر والأنساب والقراءات، والحديث واللغة والقصص والغزوات إلى غير ذلك تحت شرط الاستظهار رواية» [3] .

ويقول الدكتور شوقى ضيف: «ومن يرجع إلى شعرهم يجد شعراءهم يذكرون دائما الرواية، وأنها وسيلة انتشاره فى القبائل، فهى الوسيلة التى كانوا يعرفونها» [4] .

وهكذا كان الأخلاف دائماً ينقلون عن الأسلاف حتى صار الحفظ والنقل عندهم

---

(١) الحديث رواه البخارى، كتاب فضائل القرآن جـ ٩ ص ٣٥ من فتح البارى .

(٢) الأعراب الرواة للدكتور عبد الحميد الشلقانى، دار المعارف، سنة ١٩٧٧ م ص ١٧ .

(٣) نفسه.

(٤) العصر الجاهلى للدكتور شوقى ضيف دار المعارف، ط . العاشرة ، سنة ١٩٨٢ م ص ١٤٢ .

ملكة وسجية لا تتوفر لغيرهم .

يقول الدكتور ضيف: «إن شعراء القبيلة الواحدة كان يروى خلفهم شعر سلفهم، ونص القدماء على ذلك فى غير شاعر» (١) .

والرواية عن المتقدمين كانت عندهم برهانا قويا، ودليلا يقدمونه على الإنشاء والقول بالأهواء.

يقول أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحى البصرى: «إذا اختلف الرواة وقالوا بآرائهم وقالت العشائر بأهوائها، فلا تضع الناس فى ذلك إلا الرواية عَمَّن من تقدم» (٢).

هذا هو دينهم وتلك سجيتهم، بالنسبة للشعر والأدب، فماذا عسى أن يكون حالهم بالنسبة لكتاب يعلمون أنه دستور حياتهم ومركز دينهم، وفيه سعادة الدينا والآخرة، ماذا عساهم أن يتلقوا هذا الكتاب، لا شك أنه سينال من العناية بحفظه واستظهاره ونقله، مالم ينله فن من فنون علمهم من قبل، وقد قدمت للصحابة بالذات بهذه المقدمة، حتى نعلم أن مسألة الحفظ والنقل والرواية، ماهى إلا طبيعة لازمت العرب قبل الإسلام، وامتدت جذورها مع الإسلام .

يقول الشيخ الزرقانى: « وأما الصحابة رضوان الله عليهم، فقد كان كتاب الله فى المحل الأول من عنايتهم، يتنافسون فى استظهاره، وحفظه، ويتسابقون إلى مدارسته وتفهمه، ويتفاضلون فيما بينهم على مقدار ما يحفظون منه، وربما كانت قرة عين السيدة منهم أن يكون مهرها فى زواجها سورة من سور القرآن يعلمها إياها زوجها، وكانوا يهجرون لذة النوم، وراحة الهجود، إيثارا للذة القيام به فى الليل، حتى لقد كان الذى يمر ببيوت الصحابة فى غسق الدجى، يسمع فيها دويا كدوى النحل بالقرآن، وكان الرسول ﷺ يزكى فيهم روح هذه العناية بالتنزيل، ويبعث إلى من كان بعيد الدار منهم من يعلمهم ويقرئهم، كما بعث مصعب بن عمير وابن أم كلثوم إلى أهل المدينة قبل هجرته يعلمانهم الإسلام، ويقرئانهم القرآن، كما أرسل معاذ بن جبل إلى مكة بعد هجرته للتحفيظ والإقراء» (٣).

---

(١) المرجع السابق، ص ١٤٣ .

(٢) طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين للدكتور شوقى ضيف، المكتبة المحمودية التجارية، ط. الثانية، سنة ١٩٦٨م، ص ١١ .

(٣) مناهل العرفان، جـ١ ص ٢٤٦ .

قال عبادة بن الصامت رضى الله عنه: «كان الرجل إذا هاجر دفعه النبى ﷺ إلى رجل منا نعلمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله ﷺ ضجة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله ﷺأن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا» .

فضل القراءة عن ظهر قلب :

يقول الحافظ ابن كثير: « إنما أورد البخارى فى هذه الترجمة حديث أبى حازم بن سهل بن سعد، وفيه أنه عليه السلام قال للرجل: « فما معك من القرآن » قال : معى سورة كذا وسورة كذا ، لسور عدها قال : « أتقرأهن عن ظهر قلب ؟ » قال : نعم ، قال: كذا وكذا، قال: قد ملكتكها بما معك من القرآن [١]. ثم يقول ابن كثير: « وهذه الترجمة من البخارى رحمه الله مشعرة بأن قراءة القرآن عن ظهر قلب أفضل، والله أعلم » [٢].

ومن هذا كثر الحفاظ والقراء من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

الحفاظ من الصحابة :

كان حفاظ القرآن من المهاجرين ، فى حياة الرسول ﷺ جما غفيرا، ويذكر الشيخ الزرقانى منهم الأربعة الخلفاء، وطلحة، وسعد، وابن مسعود، وحذيفة، وسالم مولى أبى حذيفة، وأبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله، ومعاوية وابن الزبير، وعبد الله بن السائب، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة، وهؤلاء كلهم من المهاجرين» [٣] .

وحفظ القرآن من الأنصار فى حياته ﷺ كثير يذكر منهم الشيخ الزرقانى:

«أبى بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، ومجمع بن حارثة، وأنس بن مالك، وأبو زيد الذى سئل عنه أنس فقال: إنه أحد عمومتى رضى الله عنهم أجمعين، وقيل: إن بعض هؤلاء أكمل القرآن بعد وفاته ﷺ، وأيا ما تكن الحال، فإن الذين حفظوا القرآن من الصحابة كانوا كثيرين، حتى كان عدد القتلى منهم ببئر معونة ويوم اليمامة أربعين ومائة، قال القرطبى: «قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء، وقتل فى عهد رسول الله ﷺ ببئر معونة مثل هذا العدد» [٤] .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى، كتاب النكاح باب السلطان ولى جـ ١٩ ص ٢٢٩، طبعة الكليات الأزهرية.

(٢) فضائل القرآن للحافظ ابن كثير الدمشقى، ط الأولى، سنة ١٤٠١ هـ ص ٦١ .

(٣) مناهل العرفان، جـ ١ ص ٢٤٢ .

(٤) نفسه .

المشهورون بإقراء القرآن :

وقد أتم حفظ القرآن آلاف مؤلفة من الصحابة واشتهر بإقراء القرآن من بينهم سبعة :

«عثمان، وعلى، وأبى بن كعب، وأبو الدرداء، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعرى، كلهم جمعوا التنزيل بين حنايا صدورهم، وأقرءوه لكثير غيرهم جازاهم الله أحسن الجزاء » (١) .

عـن عبد الله بن مسعـود قال: سمعت النبى ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبى بن كعب» (٢)، أما عن أبى رضى الله عنه، فيحكى عنه البخارى أنه يقول: «أخذته من فى رسول الله ﷺ» (٣) .

ولقد خطب عبد الله بن مسعود يوما فقال: «لقد أخذت من فى رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة » (٤) .

هذا كله يدل على مدى عناية الصحابة بالقرآن الكريم، وقراءتهم له، واستظهارهم به، وأخذهم من فى الرسول مباشرة .

اهتمام الصحابة بالقرآن :

يجسد لنا هذا الاهتمام البالغ الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود، والذى يحكى لنا عن نفسه حديثا يسترعى الانتباه، وما هـو إلا نمـوذج مـن نماذج كثيرة جدا تشبهه، وتنهج نهجه، ففى صحيح الإمام البخارى عـن عبد الله بـن مسعـود رضى الله عنه قال: «والله الذى لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه » (٥) .

وهذا الحديث يدل دلالة واضحة على مدى اهتمام الصحابة رضوان الله عليهم بالقرآن الكريم واعتنائهم بحفظه وتلاوته عن ظهر قلب .

ومن هنا نكون قد وقفنا على بداية الطريق لحفظه، وهذه البداية هى الأساس الذى

---

(١) المصدر السابق، جـ ١ ص ٢٤٥ .
(٢) صحيح البخارى ، جـ ٣ ص ١٦٣ .
(٣) المصدر السابق، جـ ٣ ص ١٦٣ .
(٤) نفسه .
(٥) صحيح البخارى ، جـ ٣ ص ١٦٣ .

يقوم عليه الجمع فى صحف أو مصاحف بعد ذلك، فقبل أن يكون على السطور ينبغى حتما أن يكون فى القلوب والصدور، كما اتضح لنا، ولهذا ننتقل إلى النقطة التالية، لما سبق مباشرة وهى قضية جمعه فى المصاحف.

جمع القرآن فى المصاحف

تقديم:

إن كلام الله تعالى المنزل على محمد ﷺ سورا وآيات متفرقة على مدى عشرين عاما أو يزيد، والمنقول إلينا تواترا والمتعبد بتلاوته، والمجموع بين دفتى المصحف، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس، كان فى أول الأمر وعلى عهد رسول الله ﷺ ـ كما سبق ـ مكتوبا على رقاع متفرقة من الجلد أو العظم أو جريد النخل، أو قطع الحجارة، كما كان محفوظا فى صدور الصحابة عن ظهر قلب، فلما قامت حروب الردة فى خلافة الصديق أبى بكر وقتل فيها أكثر المجيدين لحفظ القرآن، هال هذا الأمر عمر، وأشار على أبى بكر بجمع الرقاع ونسخها، فاستجاب أبو بكر لذلك، وأمر زيد بن ثابت، وهو من أبرز كتاب الوحى، أن يقوم بجمع القرآن الكريم من الرقاع المكتوب عليها، ومن صدور الحفاظ فنسخه، وحفظت هذه الأصول المنسوخة عند أبى بكر، فلما مات حفظتها السيدة حفصة ابنة عمر عندها، وفى عهد عثمان ظهرت بعض اختلافات فى القراءات بين المسلمين، فرأى عثمان منعا لهذه الاختلافات، أن يدون مصحفا واحدا مأخوذا من الأصول المحفوظة عند حفصة، وأن ينسخ منها عدة مصاحف أعدها وأرسلها إلى الأمصار الإسلامية، ثم أحرق جميع الرقاع الأخرى، كما أعدم كل ما سوى المصحف الموحد حتى لا يفتح باب الزيادة، أو النقص، أو التحريف فى كتاب الله، خاصة بعد اختلاط العرب بأهالى البلاد، غير العربية التى فتحوها، وبذلك تحقق قول الله تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ (١).

وإذا كان جمعه فى صدر النبى ﷺ وصحابته الكرام، وكتابته فى عهده ﷺ على يد كتاب الوحى يعتبر جمعا أولا لكتاب الله تعالى، فإن جمعه فى السطور والمصاحف فى عهد أبى بكر وعثمان يعتبر جمعا ثانياً، لكنه مر بمرحلتين: الأولى: فى عهد أبى بكر، والثانية: فى عهد عثمان، وإن كان اصطلاح علماء علوم القرآن قد جرى على أن يطلق على المرحلة الأولى جمعه فى عهد أبى بكر وعلى الثانية جمعه فى عهد عثمان رضى الله

---

(١) الحجر: ٩.

عنه، وحتى لا نخرج عن المألوف فسأسير على ماساروا عليه .

أولا: جمع القرآن فى عهد أبى بكر الصديق :

لما كان الحديث فى موضوع السند بالذات يعتمد على المنقول لا على تخمين العقول، فإنى سأستهل هذا الموضوع بما ورد فى أصح كتب الحديث عندنا ألا وهو كتاب البخارى، فتحت باب جمع القرآن يقول البخارى:

« حدثنا موسى بن إسماعيل عن إبراهيم بن سعد، حدثنا ابن شهاب عن عبيد بن السباق، أن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: أرسل أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة فإذا عمر ابن الخطاب عنده قال أبو بكر رضى الله عنه: إن عمر أتانى فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعنى، حتى شرح الله صدرى لذلك، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ قال: هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعنى، حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما. فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره: ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم**﴾ حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر فى حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنها »(١) .

ولا أستطيع أن أمر على هذا الحديث ، حتى أسجل ملاحظاتى وهى تتلخص فيما يلى:

١ـ راوى الحديث هو الإمام محمد بن إسماعيل البخارى، والذى روى عنه رجال كثيرون، وعظمة العلماء وأطلق عليه طبيب الحديث فى علله، وكان كلما دخل عليه الإمام مسلم يقول له: «دعنى أقبل رجليك ياطبيب الحديث فى علله، وياسيد

---

(١) صحيح البخارى، جـ٣ ص ١٦١ .

المحدثين» [1].

٢ ـ إنَّ الدافع لهذا الجمع كان كثرة قتل قراء القرآن فى حرب اليمامة، وهذا يعنى أن القراء كانوا كثيرين جدا وأن قتل بعضهم قد حرك عمر رضى الله عنه لجمعه وهم كثير، ولا شك أنه عندما يجمع فى وسط هؤلاء يكون أوثق وأوكد .

٣ ـ توقف أبو بكر حتى شرح الله صدره، وتوقف زيد حتى شرح الله صدره، والتوقف فى عملية الجمع على أنه شيء لم يفعله رسول الله ﷺ إذا كان حرصهم واتباعهم وصل إلى هذه الدرجة، وخوفهم من جمعه مجرد جمعه فى مصحف واحد؛ لأن الرسول ﷺ لم يفعل هذا، فماذا عسى أن يكون حفظهم لنصه وحروفه وكلماته وآياته وسوره، هل الذى يتوقف فى مجرد جمع نص لأن إمامه لم يفعل هذا يتطرق إليه مجرد شك فى التصرف فى هذا النص بزيادة أو نقص أو تحريف ؟

٤ ـ ماهى مؤهلات زيد كى يقوم بهذه المهمة؟ وعلى أى أساس تم اختيار أبى بكر له؟ يقول أبو بكر لزيد: «إنك رجل شاب عاقل لانتهمك، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ» . إنه رجل وللرجولة شأن فى مثل هذه المسائل، ففى قوله تعالى: ﴿**وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى**﴾[2] . يقول ابن كثير: «وصفه بالرجولة؛ لأنه خالف الطريق فسلك طريقا أقرب من طريق الذين بعثوا وراءه فسبق إلى موسى »[3].
وشاب هنا تعنى أنه قوى وقادر على القيام بهذه المهمة الصعبة والتى تحتاج إلى قوة الشباب فليس الأمر بسهل ولاهين «وعاقل»، شرط أساسى فيمن يقوم بتلك المهمة أيضا، فالعاقل سيتريث ولن يتسرع. «لانتهمك» وتكفى هذه الشهادة من أبى بكر لزيد بن ثابت أنه ثقة عندهم وغير متهم فى كبير أو صغير من أمور دينه . وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ وهذه كافية، فإذا كان أبو بكر سيختاره اليوم ليجمع القرآن، فقد اختاره الرسول من قبل ليكتب القرآن، ثم إنه كتبه من قبل، فلا شك أنه يعرف عن القرآن كل شيء، فإذا ما اتفق ما عنده على ما فى صدور الصحابة على ما هو مكتوب فى العسب وغيرها ، زاد اليقين عنده يقينا ، والمؤكد تأكداً ، والقرآن توثيقا .

---

(١) ترجمة الإمام البخارى فى صدر صحيحه، جـ ١ ص ٣ .

(٢) القصص : ٢٠ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٣٨٣ .

٥ ـ إن أبا بكر الذى كان يقود الأمة والذى كلف زيدا بهذه المهمة، هو الخليفة الأول للرسول ﷺ الذى نزل عليه هذا الكتاب .

لمن أولية جمع القرآن؟ :

هل يفهم مما سبق أن أحداً من الصحابة قبل أبى بكر لم يجمع القرآن؟ وإن كان قد جمعه بعضهم فهل يكون أبو بكر أول من جمعه؟

ويجيب على هذين السؤالين الشيخ الزرقانى فيقول: «جَمْعُ القرآن فى صحف أو مصحف على ذلك النمط الآنف لمزاياه السابقة، التى ذكرناها لم يعرف لأحد قبل أبى بكر رضى الله عنه، وذلك لا يتنافى مع ما اشتهر من أن الصحابة كانت لهم صحف، أو مصاحف كتبوا فيها القرآن من قبل، لكنها لم تظفر بما ظفرت به الصحف المجموعة على عهد أبى بكر من دقة البحث والتحرى، ومن الاقتصار على ما لم تنسخ تلاوته، ومن بلوغها حد التواتر، ومن إجماع الأمة عليها، ومن شمولها للأحرف السبعة، وإذن لا يضيرنا فى هذا البحث أن يقال: إن عليا أول من جمع القرآن بعد رسول الله ﷺ على ما نقله السيوطى، فقصارى هذه الرواية وأشبهها، تثبت أن عليا أو بعض الصحابة، كان قد كتب القرآن فى مصحف، لكنها لا تعطى هذا المصحف تلك الصفة الإجمالية، ولا تخلع عليه تلك المزايا التى للصحف المجموعة فى عهد أبى بكر، فجمع أبى بكر هو الأول من نوعه، وقد اعترف عليّ بهذه الحقيقة إذ قال: أعظم الناس أجرا فى المصاحف أبو بكر، رحمة الله على أبى بكر، هو أول من جمع كتاب الله» (١) .

يقول الإمام السيوطى: «أخرج ابن أبى داود فى المصاحف، بسند حسن عن عبد خير قال: سمعت عليا يقول : أعظم الناس أجرا أبو بكر، رحمة الله على أبى بكر، هو أول من جمع كتاب الله» (٢).

تنفيذ أبى بكر للفكرة :

سبق أن نقلنا عن البخارى قول أبى بكر لعمر: «كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ لكن عمر لم يزل يراجع أبا بكر ويقول له : «هذا والله خير حتى شرح الله صدره»، وقد روى البخارى أن أبا بكر قال: «لم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك

---

(١) مناهل العرفان، جـ ١ ص ٢٥٤، ٢٥٥.

(٢) الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٧٦ .

ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر»[1] .

اهتم أبو بكر بتحقيق هذه الرغبة ولمست الفكرة شغاف قلبه ورأى بنور الله أن يبدأ فى تنفيذها .

يقول الإمام السيوطى: «فلما قضى نزوله بوفاته ﷺ ألهم الله الخلفاء الراشدين جمع القرآن وفاء بوعده الصادق لضمان حفظه على هذه الأمة فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر» [2] .

وكان اختيار أبى بكر للصحابى الجليل زيد بن ثابت لتنفيذ هذه الفكرة.

من هـو زيد ؟ :

هو زيد بن ثابت الضحاك الأنصارى خارجة الخزرجى، كان شابا ذكيا تعلم السريانية فى تسعة عشر يوماً، وحفظ القرآن كله عن ظهر قلب فى حياة النبى ﷺ وكان من كتاب الوحى لرسول الله ﷺ مشهورا بالصدق، والفقه والأمانة، وتعلم وتفقه فى الدين حتى أصبح رأسا بالمدينة فى القضاء والفتوى والقراءة والفرائض، قال فيه النبى ﷺ: «أفرض أمتى زيد بن ثابت» .

وروى البخارى تحت باب كاتب النبى ﷺ: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب أن ابن السبّاق قال: «إن زيد بن ثابت قال: أرسل إلىَّ أبو بكر رضى الله عنه قال: إنك كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فاتبع القرآن. فتتبعت».

وروى البخارى أيضا تحت نفس الباب عن البراء قال: لما نزلت : **﴿لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله﴾** قال النبى ﷺ: «ادع لى زيدا وليجئ باللوح والدواء والكنف أو الكتف والدواء» ثم قال: «اكتب، لا يستوى القاعدون» [3] .

لِمَ اختـار أبو بكـر زيـدا ؟ :

اختاره لما سبق من روايات البخارى التى بينت أن زيدا كان كاتبا للوحى، وكان حافظا للقرآن عن ظهر قلب ولما رآه فيه أبو بكر من الرجولة والشباب والعقل، وللثقة التى

---

(١) صحيح البخارى، جـ ٣ ص ١٦١ .   (٢) الإتقان فى علوم القرآن، جـ ١ ص ٧٦ .

(٣) انظر: تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٢٩ ، والإصابة، جـ ١ ص ٥٦١ ، وغاية النهاية، جـ ١ ص ٢٩٦، وتهذيب التهذيب، جـ ٣ ص ٣٩٩، وصحيح البخارى، جـ ٣ ص ١٦١.

جعلت أبا بكر يقول له: «لانتهمك»، فقد اجتمع فيه من المواهب ذات الأثر فى جمع القرآن، ما لم يجتمع فى غيره من الرجال، وشهد العرضة الأخيرة للقرآن فى ختام حياته ﷺ، وكان فوق ذلك معروفا بخصوبة عقله وشدة ورعه، وعظمة أمانته، وكمال خلقه، واستقامة دينه، وقد مر أن زيدا تردد. يقول الزرقاني: «والحديث يدل على مبلغ اهتمام كبار الصحابة بالمحافظة على القرآن، وعلى مبلغ ثقة أبى بكر وعمر بزيد بن ثابت، وعلى جدارة زيد بهذه الثقة لتوافر تلك المناقب التى ذكرها فيه أبو بكر »[(1)] .

ومما يؤيد ورعه ودينه وأمانته قوله الوارد فى البخـارى: «فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن » .

ويشهد لوفرة عقله تردده وتوقفه أول الأمر، ومناقشته لأبى بكر حتى راجعه أبو بكر وأقنعه بوجه الصواب، وينطق بدقة تحرير قوله الوارد فى البخارى أيضا: «فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال »[(2)] .

ومن أهم الأسباب التى من أجلها وقع اختيار أبى بكر الصديق على زيد بن ثابت أن زيدا شهد العرضة الأخيرة للقرآن الكريم، والعرضة الأخيرة للقرآن كانت فى شهر رمضان فى العام الذى قبض فيه ﷺ، فقد روى البخارى رضى الله عنه قال: حدثنا خالد ابن يزيد، حدثنا أبو بكر، عن أبى حصين ، عـن أبى صالح، عـن أبى هريرة قال : « كان يعـرض على النبى ﷺالقرآن كل عــام مــرة، فعـرض عليــه مرتين فى العـام الذى قبـض فيه » [(3)].

قال الإمام السيوطى: «قال البغوى فى شرح السنة: يقال: إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التى بين فيها ما نسخ وما بقى وكتبها الرسول ﷺ وقرأها عليه، وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر وجمعه، وولاه عثمان كتب المصاحف»[(4)] .

دستور أبى بكر فى كتابة الصحف :

يقول الإمام السيوطى: « أخرج ابن أبى داود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: قدم عمر فقال:من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئا من القرآن فليأت به...

---

(١) مناهل العرفان، جـ ١ ص ٢٥١ .
(٢) صحيح البخارى، جـ ٣ ص ١٦١ .
(٣) المصدر السابق، جـ ٣ ص ١٦٢ .
(٤) الإتقان فى علوم القرآن ، جـ ١ ص ٦٧ .

وكانوا يكتبون ذلك فى الصحف والألواح والخشب، وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شاهدان» .

وروى أيضا أن أبا داود أخرج ولكن من طريق هشام بن عمروة عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر ولزيد: اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما يشاهدين على شىء من كتاب الله فاكتابه» [1] .

بهذه الطريقة يكون أبو بكر رضى الله عنه، وضع لزيد طريقة دقيقة محكمة، فيها ضمان لحياطة كتاب الله بما يليق به، من تثبيت بالغ وحذر دقيق وتحريات شاملة، فلم يكتف بما حفظ فى قلبه، ولا بما كتب بيده، وأن يكون هناك شهود عيان سمعوا تلك الآيات من الرسول ﷺ .

بهذا يكون قد اعتمد على مصدرين فى جمع القرآن، أحدهما: ما كتب بين يدى رسول الله ﷺ .

والثانى: ما كان محفوظا فى صدور الرجال، وبلغ من مبالغته فى الحيطة والحذر أنه لم يقبل شيئا من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب بين يدى رسول الله ﷺ [2] .

وعلى هذا الدستور الرشيد، تم جمع القرآن بإشراف أبى بكر وعمر وأكابر الصحابة.

وسواء كان المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب، فإن المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التى نزل بها القرآن، وعلى أن ذلك المكتوب كتب بين يدى رسول الله ﷺ كما قال السخارى فى «جمال القراء» فإن الغرض ألا يكتب إلا من بين ما كتب بين يدى النبى ﷺ لا من مجرد الحفظ، ولذلك قال فى آخر سورة التوبة: لم توجد إلا مع أبى خزيمة بن ثابت فقال : « اكتبوها، فإن رسول الله ﷺ جعل شهادته شهادة رجلين »[3] .

وبعد عرض الإمام السيوطى لهذه الآراء فى الشاهدين يقول: «والمراد أنهما يشهدان على أن ذلك مما عرض على النبى ﷺ عام وفاته» [4].

---

(١) المصدر السابق، جـ ١ ص ٧٧ .

(٢) انظر: مناهل العرفان ، جـ ١ ص ٢٥ .

(٣) انظر : الإتقان للسيوطى، جـ ١ ص ٧٨.

(٤) المصدر السابق، جـ ١ ص ٧٨ .

فإن قيل: كيف وقعت الثقة بأصحاب الرقاع وصدور الرجال؟ قيل: لأنهم كانوا يبدون عن تأليف معجز، ونظم معروف قد شاهدوا تلاوته مع النبى ﷺ عشرين سنة، فكان تزوير ما ليس منه مأمونا، وما كان الخوف من ذهاب شيء من صحفه.

باقتراح عمر، وتنفيذ أبى بكر، واختيار زيد وإجماع الأمة دون نكير، وبهذا الدستور العظيم تم جمع القرآن الكريم، وكان ذلك منقبة لأبى بكر فى الإشراف، ولعمر فى الاقتراح، ولزيد فى التنفيذ، وللصحابة فى المعاونة والإقرار، وقد قوبلت تلك الصحف التى جمعها زيد بما يستحق من عناية فائقة، ثم حفظها عمر بعده، ثم حفظتها حفصة بعد وفاة عمر، حتى طلبها خليفة المسلمين عثمان، حيث اعتمد عليها فى استنساخ مصاحف القرآن.

مزايا صحف أبى بكر :

امتازت هذه الصحف بعدة مزايا:

١ ـ أنها جمعت القرآن الكريم على أدق وجوه البحث والتحرى، وأسلم أصول التثبت العلمى.

٢ ـ كان يعتمد على الصدور والسطور وكان يستشهد على كل آية حتى يستوثق ويتيقن أنه:

* مما كتب بين يدى رسول الله ﷺ.

* وأنه مما لم تنسخ تلاوته .

* وأنه مما ثبت فى العرضة الأخيرة . [١] .

٣ ـ ظفرت تلك الصحف بإجماع الأمة عليها، وتواتر ما فيها ولا يطعن فى ذلك التواتر ما مر عليك، من أن آخر سورة براءة لم يوجد إلا عند أبى خزيمة، فإن المراد أنه لم يوجد مكتوبا إلا عنده، وذلك لا يتنافى أنه وجد محفوظا عند كثرة غامرة من الصحابة بلغت حد التواتر، وقد قلنا: إن المعول عليه وقتئذ، هو الحفظ والاستظهار، وإنما اعتمد على الكتابة كمصدر من المصادر زيادة فى الاحتياط، ومبالغة فى الدقة والحذر [٢] .

(١، ٢) انظر: مناهل العرفان، جـ ١ ص ٢٥٣ ، ٢٥٤، وتاريخ كتابة القرآن ص ٣٧ ١.

ثانياً : جمع القرآن فى عهد عثمان رضى الله عنه :

مر بنا فيما رواه الإمام البخارى أن عمر رضى الله عنه اقترح على أبى بكر جمع القرآن الكريم بسبب مقتل أهل اليمامة، وأبو بكر توقف فى هذا الأمر حتى راجعه عمر، وظل يراجعه حتى شرح الله صدره، وأتى أبو بكر بزيد بن ثابت وعرض عليه اقتراح عمر، وتوقف أيضا زيد وظل أبو بكر يراجعه حتى شرح الله صدره، وقام زيد بالمهمة خير قيام حيث تحرى وتروى، وكان لا يقبل شيئا من القرآن إلا بشاهدى عدل علاوة على حفظه هو وكتابته سابقا، وجمع القرآن الكريم فى صحف، ثم يختم البخارى هذه الرواية بتلك العبارة : « فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر فى حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنها» (١) .

نفهم منن هذا أن آخر مطاف الصحف عند السيدة حفصة بنت عمر إحدى زوجات المصطفى ﷺ وذلك بعد وفاة أبى بكر رضى الله عنه ووفاة عمر رضى الله عنه، وهذا مما ينبغى معرفته قبل أن ندخل على قضية جمع عثمان للقرآن، ومما ينبغى معرفته قبل الدخول على هذا الموضوع هو أن القرآن قد نزل على سبعة أحرف، وأن صحف أبى بكر كان تشمل أحرف القرآن السبعة، ولعل ذلك قد مضى ذكره والأدلة على هذا كثيرة:

نفهم من هذا أن آخر مطاف الصحف عند السيدة حفصة بنت عمر إحدى زوجات المصطفى ﷺ وذلك بعد وفاة أبى بكر رضى الله عنه ووفاة عمر رضى الله عنه، وهذا مما ينبغى معرفته قبل أن ندخل على قضية جمع عثمان للقرآن، ومما ينبغى معرفته قبل الدخول على هذا الموضوع هو أن القرآن قد نزل على سبعة أحرف، وأن صحف أبى بكر كان تشمل أحرف القرآن السبعة، ولعل ذلك قد مضى ذكره والأدلة على هذا كثيرة:

فقد روى البخارى تحت باب «أنزل القرآن على سبعة أحرف» قال: حدثنا سعيد بن عفير قال : حدثنى الليث ، قال : حدثنى عقيل ، عن ابن شهاب قال : حدثنى عبد الله بن عبد الله أن ابن عباس رضى الله عنهما حدثه أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأنى جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيد فى حتى انتهى إلى سبع أحرف» (٢).

وقد روى تحت نفس الباب أيضا أن رسول الله ﷺ قال لعمر بن الخطاب: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه» (٣).

---

(١) صحيح البخارى، جـ ٣ ص ١٦١ . (٢) المصدر السابق جـ ٣ ص ١٦٢ . (٣) نفسه .

كما أنه من المعلوم أن الفتوحات الإسلامية فى عهد عثمان قد اتسعت ويذكر البخارى أن حذيفة بن اليمان، كان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق (١)، ولأن الفتوحات قد اتسعت فإن القراء قد تفرقوا فى الأمصار، وأخذ كل أهل مصر القراءة عمن وفد إليهم من الصحابة.

بعد هذه المقدمة أصبح من الممكن الآن أن أذكر الأسباب التى جعلت عثمان رضى الله عنه يقوم بجمع القرآن الكريم.

الدواعى التى أدت إلى جمع القرآن فى عهد عثمان رضى الله عنه:

لعل العرض السابق يقرب إلينا الأسباب التى من أجلها أمر عثمان رضى الله عنه بجمع المسلمين على مصحف واحد، فالقرآن ـ كما سبق بيانه ـ نزل على سبعة أحرف، والقراءة تختلف من حرف لآخر، فهناك عدة وجوه للقراءة، كما أنه من جانب آخر اتسعت فتوحات المسلمين، والذين دخلوا فى الإسلام لا يعرفون ما عرفه الذين صاحبوا رسول الله ﷺ ومن وجوه القراءات، وتفرق القراء فى الأمصار، وأخذ أهل كل مصر القراءة عمن وفدوا إليهم من الصحابة، وكان ذلك فى عهد عثمان رضى الله عنه.

ومن هذا الفتح نبتت ناشئة جديدة كانت بحاجة إلى دراسة القرآن، وكما قلنا: صار كل إقليم يأخذ القراءة ممن اشتهر بينهم من الصحابة: فأهل الشام يقرأون بقراءة أبى بن كعب (ت ٢٠ هـ)، وأهل الكوفة يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود (ت ٣٢ هـ)، وغيرهم يقرأون بقراءة أبى موسى الأشعرى (ت ٤٤ هـ) (٢)، ومما هو معروف أن وجوه القراءة التى كانوا يقرأون بها كانت مختلفة وفقا للأحرف التى نزلت على رسول الله ﷺ فكانوا إذا ضمهم مجمع أو موطن من مواطن الفتح عجب البعض من وجود هذا الاختلاف، حتى ظهر التساؤل بين المسلمين وبخاصة الذين لم يسمعوا من النبى ﷺ مباشرة القراءات القرآنية فيدور الكلام حول فصيح القراءات وأفصحها (٣) .

أضف إلى ذلك أن الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن لم تكن معروفة لأهل تلك الأمصار، إنما كان كل صحابى يقرئهم بما يعرف فقط من الحروف التى نزل عليها القرآن، ولم يكن بين أيديهم مصحف جامع يرجعون إليه فيما شجر بينهم من هذا الخلاف(٤) .

---

(١) انظر: المصدر السابق، جـ ٣ ص ١٦١ .

(٢) انظر : مناهل العرفان، جـ ١ ص ٢٥٥ .

(٣) انظر : تاريخ القرآن الكريم. ص ١٤٢ .

(٤) انظر: مناهل العرفان، جـ ١ ص ٢٥٦ .

وكان حذيفة بن اليمان (ت ٣٦ هـ) رجل حصيفا ، فلما رأى اختلافا كثيرا بين المسلمين في وجوه القراءة وسمح ما كانت تنطق به ألسنتهم من كلمات التجريح والتأثيم استعظم ذلك، ففزع إلى عثمان رضى الله عنه، وأخبره بما رأى، وأشار عليه أن يدرك الناس قبل أن يختلفوا فى كتابهم الذى هو أصل رشيعتهم، ودعامة الدين، كما اختلفت اليهود والنصارى، وأدرك عثمان رضى الله عنه أن هذه الفتنة إن لم تعالج بالحكمة والحزم، ستجر ـ لا محالة ـ إلى أسوأ العواقب، ففكر فى علاجها قبل أن يتفاقم شرها، واستشار أعلام الصحابة، فأجمعوا على أن تنسخ الصحف الأولى التى جمعها زيد بن ثابت فى عهد أبى بكر الصديق فى مصاحف متعددة، ثم يرسل إلى كل مصر مصحفا منها يكون مرجعا يعود الناس إليه عند الخلاف، وعلى إحراق كل ما هداها، وبذلك يتدارك الخرق قبل أن يتسع على الراقع، ويستأصل الداء قبل أن يعز على الدواء.

يروى الإمام البخارى: حدثنا موسى ، حدثنا إبراهيم ، حدثنا ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع زهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقالك حذيفة لعثمان: ياأمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب، اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فنسخوها فى المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شيء من اقرآن، فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق» (١).

تعليق :

الذى أريد أن أؤكد عليه استنتاجا من الحديث الذى رواه البخارى عدة نقاط:

١ ـ حرص الصحابة الشديد على القرآن الكريم وخوفهم عليه من أن ينقص فيه أو يزاد، وخشيتهم من زن يختلف المسلمون حول دستورهم ومنهجهم، مما أدى حذيفة بن

---

(١) صحيح البخارى ، جـ ٣ ص ١٦١ .

اليمان المشغول بقضية الفتح الإسلامى ألا يتناسى ما هو أهم وزن يذهب إلى أمير المؤمنين، فيصف له حال المسلمين تجاه الوحى بكل صدق .

٢ ـ خوف الصحابة أن يختلف المسلمون حول كتابهم اختلاف اليهود والنصارى ، وذلك بسبب ضيع سندها كما مر وهما الأمتان اللتان كانتا تحيطان بالمسلمين آنذاك، وهذا يعنى أيضا أن قضية اختلاف أهل الكتاب حولى كتابهم قضية محسومة، منذ عهد رسول الله ﷺ .

٣ ـ أن عثمان رضى الله عنه حينما أراد أن يتحرك لم يتحرك من تلقاء نفسه، بل تحرك بمشورة جمع من الصحابة وحسبما رزوا، والأهم من هذا أنه تحرك ليدرك الموقف فى حدود لا يستطيع أن يخرج عنها قيد أنملة، فالصحف التى جمعها أبو بكر وأجمع على تواترها جميع الصحابة آنذاك لا زالت موجودة، والرجل الذى كلف بالمهمة فى المرة الأولى مازال على قيد الحياة، اذن فهما المرجع الوحيد. نعم قد يحتاج زيد بن ثابت لمن يعيننه على هذه المهمة، لكن الجميع محكوم بنص مجمع عليه.

٤ ـ أن الذين اختارهم عثمان وعهد إليهم مع زيد بن ثابت رضى الله عنه من خيرة الصحابة، وثقات الحفاظ، وهم عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وهؤلاء الثلاثة الآخرون من قريش، وجاء فى بعض الروايات أن الذين ندبوا لنسخ المصاحف كانوا اثنى عشر رجلاً، وما كانوا يكتبون شيئاً إلا بعد أن يعرض على الصحابة، ويقرون أن رسول الله ﷺ قرأ على هذا النحو الذى نجده الآن فى المصاحف (١) .

فقد أخرج ابن أبى داود من طريق محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال: لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثنى عشر رجلا من قريش والأنصار فبعثوا إلى الريعة التى فى بيت عمر فجاء بها، وكان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا اندروا فى شيء أخروه. قال محمد: فظننت أنما كانوا يؤخرونه لينظروا أحدثهم عهدا بالعوضة الأ]يرة فيكتبونه على قوله.

---

(١) انظر : مناهل العرفان ، جـ ١ ص ٢٥٧ .

دستور عثمان فى كتابة المصحف:

١ ـ قد مر أنه راعى فى ذلك ما ثبت فى العرضة الأخيرة للقرآن الكريم على رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام فمما تواضع عليه الصحابة أنهم كانوا لا يكتبون فى هذه المصاحف ـ والحديث عن مصاحف عثمان ـ إلا ما تحققوا أنه قرآن، وعلموا أنه قد استقر فى العرضة الأخيرة، وما أيقنوا صحته عن النبى ﷺ [١] .

٢ ـ نسخ تلك الصحف فى مصحف واحد مرتبا لسوره[٢]. ويفهم من هذا أن صحف أبى بكر رضى الله عنه لم تكن مرتبة السور، ولكن قد يحتمل هذا القول أنه رتب ما فعله أبى بكر فى مصحف واحد بدلا من صحف متعددة .

٣ ـ وكان من الدستور الذى وضعه عثمان رضى الله عنه لهم فى هذا الجمع أيضا، أنه قال لهؤلاء القرشيين: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم» [٣] يقول الإمام السيوطى: «واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم» [٤] .

٤ ـ جعلها ـ أى المصاحف ـ التى كتبها مشتملة على الأحرف السبعة، قال القاضى أبو بكر فى «الانتصار» : لم يقصد عثمان قصد أبى بكر فى جمع نص القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبى ﷺ، وإلغاء ما ليس كذلك » [٥]. وكتبوها متفاوتة فى إثبات وحذف وبدل وغيرها؛ لأنه رضى الله عنه قصد اشتمالها على الأحرف السبعة، وجعلوها خالية من النقط والشكل ، تحقيقا لهذا الاحتمال أيضا، وكانت الطريقة أن اللفظ الذى لا يختلف فيه وجوه القراءات، كانوا يرسمونه بصورة واحدة لا محالة، والذى تختلف وجوه القراءات فيه، فإنهم يكتبونه برسم يوافق بعض الوجوه فى مصحف، ثم يكتبونه برسم آخر يوافق بعض الوجوه الأخرى فى مصحف آخر، حيث لا يمكن رسمه فى الخط محتملا لتلك الوجوه كلها، وكانوا يتحاشون أن يكتبوه بالرسمين فى مصحف واحد، خشية أن يتوهم أن

---

(١) انظر : مناهل العرفان، جـ ١ ص ٢٥٨ .

(٢) انظر : الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٧٩ .

(٣) مناهل العرفان، جـ ١ ص ٢٥٨ .

(٤) الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٨٠ .

(٥) الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٢٥٨ .

اللفظ نزل مكررا بالوجهين فى قراءة واحدة، وليس كذلك، بل هما قراءتان نزل اللفظ فى إحداهما بوجه وفى الثانية بوجه آخر، وكذلك كانوا يتحاشون أن يكتبوا هذا اللفظ فى مصحف واحد برسمين، أحدهما فى الأصل والآخر فى الحاشية، لئلا يتوهم أن الثانى تصحيح للأول، أضف إلى ذلك أن كتابة أحدهما فى الأصل والآخر فى الحاشية، دون العكس، تحكم أو ترجيح بلا مرجح (١) . أما اللفظ الذى تختلف فيه القراءات، ويدل عليه الرسم بصورة واحدة، تحتمل الإختلاف، ويساعدهم عليه ترك الإعجام والشكل نحو « فتبينوا وتنشرها» فتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين مسببة بدلالة المشترك اللفظى على كلا المنقولين (٢).

ولا شك أن الذى دعاهم إلى ذلك أنهم تلقوا القرآن عن رسول الله ﷺ بجميع وجوه قراءاته، وبكافة حروفه التى نزل عليها، فكانت هذه الطريقة أدنى إلى الإحاطة بالقرآن على وجوهه كلها.

٥ ـ تجريد هذه المصاحف من كل ما ليس قرآنا كالذى كان يكتبه بعض الصحابة فى مصاحفهم الخاصة شرحا لمعنى أو بيانا لناسخ ومنسوخ، ونحو ذلك، والاقتصار على ما ثبت بالتواتر دون ما كانت قراءته آحاداً (٣) .

عدد المصاحف التى أرسل بها عثمان إلى الآفاق :

اختلف فى عدد المصاحف التى أرسل بها عثمان إلى الآفاق، والمشهور أنها خمسة، وأخرج ابن أبى داود من طريق حمزة الزيات قال: أرسل عثمان أربعة مصاحف. قال ابن أبى داود: وسمعت أبا حاتم السجستانى يقول: «كتب سبعة مصاحف فأرسل إلى مكة، والشام، وإلى اليمن، وإلى البحرين، وإلى البصرة، وإلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحدا» (٤).

والاختلاف من أربعة إلى خمسة إلى سبعة، بل قيل: إنها ثمانية، خمسة متفق عليها: الكوفى، والبصرى، والشامى، والمدنى العام، والمدنى الخاص، وثلاثة مختلف فيها: المكى، ومصحف البحرين، ومصحف اليمن (٥) .

---

(١) انظر: مناهل العرفان، جـ ١ ص ٢٥٨ .

(٢) انظر : المصدر السابق، ص ٢٥٩ .

(٣) انظر : مناهل العرفان، جـ ١ ص ٢٦٠ .

(٤) الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٨٠ .

(٥) انظر: التبيان فى علوم القرآن للدكتور القصبى محمود زلط، ص ٧٦ .

هذا الاختلاف بل وهذه الأعداد البسيطة لا تريح النفس ولهذا فإنا نذهب إلى من يقول: إن عثمان قد أرسل بنسخة من المصحف إلى كل قطر فتحه المسلمون آنذاك، يدل على ذلك العقل والنقل.

أما العقل: فإن الغرض من إرسال المصاحف إلى الأمصار، هو القضاء على الفتنة التى كانت قائمة حينئذ، بسبب اختلاف المسلمين فى القراءة، والمنع من حدوث مثلها مرة أخرى، فى أقطار المسلمين، وهذا الغرض لا يتحقق إلا بإرسال المصاحف إلى جميع الأمصار.

وأما النقل: فهو حديث أنس الذى رواه البخارى، والذى يقول أنس فى نهايته: «وحتى إذا نسخوا ـ يقصد الكتاب ـ الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة، أو مصحف أن يحرق فكلمة «أفق» تدل بعمومها على أنه أرسل المصاحف إلى جميع الأمصار، إلى بعضها دون البعض [1].

ورضى الله عن عثمان بن عفان، فقد أرضى ربه بذلك العمل الجليل، وحافظ على القرآن، وجمع كلمة الأمة، وأغلق باب الفتنة، ولا يبرح المسلمون يقطفون ثمار صنيعة هذا إلى اليوم، وما بعد اليوم، ولن يقدح فى عمله هذا أنه أحرق المصاحف، والصحف المخالفة للمصاحف العثمانية، فقد علمت وجهة نظره فى ذلك على أنه لم يفعل ما فعل من هذا الأمر الجليل إلا بعد أن استشار الصحابة، واكتسب موافقتهم، بل وظفر بمعاونتهم وتأييدهم قال على بن أبى طالب: «لو كنت الوالى وقت عثمان لفعلت فى المصاحف مثل الذى فعل عثمان» وقال: «والله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ» [2].

الصدور مع السطور:

إن عثمان بن عفان رضى الله عنه حين أرسل إلى كل من مراكز الإسلام نسخا من القرآن صحيحة لم يكتف بذلك، بل أرسل مع كل نسخة قارئا ليحافظ على شكل قراءته الصحيحة التى علمهم الرسول بنفسه أن يقرأوها.

---

(١) انظر: التبيان فى علوم القرآن ص ٧٧، وعلوم القرآن للشيخ الكومى، ص ١١٧.

(٢) مناهل العرفان، جـ ١ ص ٢٦٢.

بما أن نقل القرآن الكريم يعتمد على التلقى والأخذ من الأفواه ثقة عن ثقة وإماما عن إمام حتى يوصل السند بالنبى ﷺ وهو المعبر عنه بصحة السند وهو أحد شروط القراءة الصحيحة، لهذا رأى عثمان بن عفان إرسال المصاحف إلى الأمصار، وأرسل مع كل مصحف أحد الأئمة القراء الخيار العدول مع ملاحظة أن تكون قراءته موافقة لخط المصحف .

فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمصحف المدنى ، وأرسل عبد الله بن السائب (ت ٧٠هـ) مع المصحف المكى، والمغيرة بن شهاب (ت ٩١ هـ) مع المصحف الشامى، وأبا عبد الرحمن السلمى (ت٧٣ هـ) مع المصحف الكوفى، وعامر بن قيس مع المصحف البصرى (١) .

وليس بعد هذا التحرى وذلك التوثيق شىء آخر يمكن أن يقال ولا مأخذ يمكن أن يؤخذ.

موقف الصحابة وعامة المسلمين من صنيع عثمان :

لم ينفرد عثمان رضى الله عنه وحده، وإنما جمع مشاهير الصحابة وتشاور معهم، وهذا أشبه ما يكون بالمؤتمرات العامة، التى يدعى إليها أهل الخبرة ورجاحة العقل، وذلك أخذا بمبدأ الشورى وعملا بقوله تعالى ﴿**وشاورهم فى الأمر**﴾ (٢)، ومن هذا يظهر بجلاء أن عثمان رضى الله عنه، إنما كان منفذا لقرار اتخذه جماهير الصحابة، ومما لا شك فيه أن هذا الأمر ما كان وراءه من هؤلاء الصحابة سوى الرضا والقبول والتأييد والإجماع، وقد أخرج ابن أبى داود بسند صحيح قول على بن أبى طالب: «لا تقولوا فى عثمان إلا خيرا فوالله ما فعل الذى فعل فى المصاحف إلا عن ملأ منا، قال: ما تقولون فى هذه القراءة فقد بلغنى أن بعضهم يقول: إن قراءتى خير من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفرا، قلنا فماذا ترى؟ قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف قلنا: نعم ما رأيت » (٣) .

أما عامة المسلمين من أهل الأمصار والأقاليم، فقد وقفوا من هذا العمل موقف الرضا والتأييد، وذلك لأنهم علموا أن كتابة المصاحف لم تكن عملا فرديا استقل به عثمان

---

(١) انظر : تاريخ القرآن الكريم، ص ١٥٠ ، ١٥١، والمصحف الشريف أبحاث فى تاريخه وأحكامه للشيخ عبد الفتاح القاضى.

(٢) آل عمران : ١٥٩ .

(٣) ابن أبى داود .

وحده، وإنما هو عمل تم بإجماع الصحابة رضى الله عنهم الذين قال النبى ﷺ فيهم : «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، عضّوا عليها بالنواجذ» (١).

وقال: « أصحابى كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم» (٢). أخرجه ابن أبى داود بإسناد صحيح .

الفرق بين مرات الجمع الثلاث:

بقليل من التأمل فيما سبق نستطيع أن نقول: إن القرآن الكريم جمع بمعنى كتب ثلاث مرات :

الأولى: فى العهد النبوى الشريف.

الثانية: فى عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

الثالثة: فى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه .

أما عن الكتابة فى عهد النبى ﷺ، فكان عبارة عن كتابة الآيات، وترتيبها ووضعها فى مكانها الخاص من سورها ، ولكن مع بعثرة الكتابة وتفرقها بين عسب وعظام وغيرها - كما تقدم - حسبما تيسرت لهم أدوات الكتابة وقتئذ، وكان الغرض من هذا الجمع زيادة التوثيق للقرآن وزيادة التحرى فى ضبط ألفاظه، وحفظ كلماته فوق ما فى ذلك من تقديس للقرآن، والتنبيه على سمو قدره ورفعة شأنه، كما هو الشأن فى تقييد الأشياء النفيسة، وإن كان التعويل أيامئذ على الحفظ والاستظهار (٣) .

وإذا كان القرآن فى عهد المصطفى ﷺ قد كتب متفرقا فى العسب والرقاع ، فلا شك أنه كان مرتب الآيات، فقد روى عن أنس رضى الله عنه «كنا حول رسول الله ﷺ نؤلف القرآن فى الرقاع » .

وهذا الحديث أخرجه البيهقى فى الدلائل والحاكم فى المستدرك وقال عنه الحاكم:

---

(١) رواه الترمذى فى سننه، كتاب العلم، باب ما جاء بالأخذ بالسنة واجتناب البدع، جـ ٥ ص ٤٤ ، ص ٤٥ طبعة إحياء التراث العربى تحقيق أحمد شاكر وغيره، بيروت وقال عنه الترمذى: حديث حسن صحيح .

(٢) ذكره الإمام المناوى رحمه الله فى «كنوز الحقائق» المطبوع على هامش الجامع الصغير ص ٢٧ ونسبه للبيهقى .

(٣) انظر : مناهل العرفان، جـ ١ ص ٢٦٢ ، والمصحف الشريف أبحاث فى تاريخه وأحكامه، ص ٧٢.

صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه والتأليف يقصد به الترتيب، فليس المراد به مطلق الكتابة، وإنما المراد به الكتابة بل وجه معين مقصود بذاته يتحقق فيه معنى الترتيب.

ويؤيد هذا قول البيهقى فى تعقيبه على الحديث السابق: وهذا يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة فى سورها وجمعها فيها بإشارة النبى ﷺ.

بيد أنه إذا تم ترتيب سورة بتوفيق من الله سبحانه، أمر الرسول أصحابه بكتابتها مرة ثانية، حسب هذا الترتيب، وهكذا حتى كتبت كل سور القرآن على هذا الأساس، لكنها بقيت موزعة على أدوات الكتابة المستعملة فى ذلك الوقت، فقد كان الترتيب على الصورة التى نراها اليوم متعذرا [١].

وأما فى عهد أبى بكر، فقد كان عبارة عن نقل القرآن وكتابته فى صحف مرتب الآيات مقتصرا على مالم تنسخ تلاوته، مستوثقا له بالتواتر والإجماع وكان الغرض منه تسجيل القرآن وتقييده بالكتابة مجموعا مرتبا خشية ذهاب شىء منه بموت حفاظه، وهو يختلف عن كتابته فى عهد المصطفى ﷺ فى أن الأول كان مفرقا فى أكثر من مكان، أما فى عهد أبى بكر فكان المقصود جمعه فى صحف وفى مكان واحد [٢].

أما فى عهد عثمان، فكان عبارة عن نقل ما فى تلك الصحف فى مصحف واحد إمام، واستنساخ مصاحف منه ترسل إلى الآفاق الإسلامية، ملاحظا فيها مزايا الجمع السابق مع ترتيب سوره وآياته جميعا، وكان الغرض منه إطفاء الفتنة التي اشتعلت بين المسلمين حين اختلفوا فى قراءة القرآن، وجمع شملهم وتوحيد كلمتهم، والمحافظة على كتاب الله تعالى[٣]، وتكون هذه المصاحف مرجع المسلمين يحتكمون إليها عند الاختلاف ويلجئون إليها عند التنازع.

قال القاضى أبو بكر الباقلانى: «لم يقصد عثمان قصد أبى بكر فى نفس جمع القرآن بين لوحين وإنما قصد جمع المسلمين على القراءات الثابتة المعروفة عن النبى ﷺ، وإلقاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه، ومفروض قراءته وحفظه، خشية دخول الفساد

---

(١) انظر: التبيان فى علوم القرآن، ص ٦٢، ٦٣ .

(٢) انظر: مناهل العرفان، جـ ١ ص ٢٦٢ والمصحف الشريف، ص ٧٢ .

(٣) انظر: مناهل العرفان، جـ ١ ص ٢٦٣ .

والشبهة على من يأتى بعده»[1] .

وأستطيع أن أقول بعد ذلك: إن كتابة القرآن الكريم كما نزل على رسول الله ﷺ قد نقلت مشافهـة منه إلى كتاب الوحى ، وعلـى ما استقرت عليه العرضة الأخيرة ، وإن كل ما حدث بعد ذلك من جمع فى عهد أبى بكر وفى عهد عثمان قد بنى على هذا الأساس، واعتمد على هذه الأصول وتلك الأوراق التى نسخت فى عهد المصطفى ﷺ وبإملائه هو نفسه.

ويعنى هذا أن أبا بكر أراد أن يجمع القرآن المتفرق هنا وهناك فى صحف، حتى يكون فى مكان واحد، وأن عثمان من بعده أراد أن يجمع ما فى هذه الصحف فى مصحف واحد. إذن من عسب ورقاع وغيرها إلى صحف ومن صحف إلى مصحف.

قال ابن التين وغيره: «الفرق بين جمع أبى بكر وجمع عثمان: أن جمع أبى بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شىء بذهاب حملته؛ لأنه لم يكن مجموعا فى موضع واحد، فجمعه فى صحائف مرتبا لآيات سوره على ما وقفهـم عليهـم النبى ﷺ ، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف فى وجـوه القـراءة حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك إلى بعضهم إلى تخطئة بعض فخشى من تفاقم الأمر، فنسخ تلك الصحف فى مصحف واحـد، مرتبا السورة واقتصر مـن سائـر اللغات على لغة قريش، محتجا أنه نزل بلغتهم ، وإن كان قد وسع فى قراءته بلغة غيرهم، رفعا للحرج والمشقة فى ابتداء الأمر، فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة »[2].

أقدم نسخة من المصحف الشريف:

من المستحيل إذا ما طالبنا أهل الكتاب باطلاعنا على النسخة الأولى من التوراة أو الإنجيل، أن يقدروا على تحقيق مطلبنا، وخاصة أنه قد تبين من الدراسة السابقة، أن موسى عليه السلام لا علاقة بينه وبين تلك الكتب، التى يطلق عليها الآن التوراه، وأن عيسى عليه السلام أيضا لا علاقة بينه وبين ما يطلق عليه الآن أناجيل، بل إن تعدد كتب التوراة والإنجيل لدليل واضح على أن التوراة الأصلية والإنجيل الأصلى أصبحا فى حيز العدم، فمما لا يختلف عليه اثنان أن موسى أنزل عليه توراة واحدة، وأن عيسى أنزل عليه إنجيل واحد، فلم هذه الكتب المتعددة ولمن تكون ؟

---

(١) إعجاز القرآن للباقلانى، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط الرابعة، ص ٤٠ .

(٢) الإتقان جـ ١ ص ٧٩ ، ٨٠ .

فضلا عن أننا أثبتنا أن تحرير هذه الكتب بينه وبين موسى وعيسى فترة زمنية كبيرة، وكافية لإساءة الظن فيها، بل إن نسبتها حتى إلى كاتبيها مشكوك فيها، بل هؤلاء الكتاب مجهولون، وإذا كنا تتبعنا موضوع السند فى التوراة والإنجيل والقرآن الكريم ، فليست هناك مقارنة على الإطلاق، فبينما تهتز الثقة فى سند التوراة والإنجيل حتى تصل إلى اليقين بانقطاع السند وعدم اتصاله، نرى أن السرد التاريخى لطريقة نقل القرآن مشافهة ، وكتابته وجمعه منذ عهد المصطفى ﷺ وحتى يومنا هذا، لم تدع مجالا للشك فى أنه قد توفر لهذا الكتاب من وسائل الحفظ والصون، وعدم ضياع حرف واحد منه، مالم يتوفر لغيره على الإطلاق، ولهذا نجعل فى ختام هذا الموضوع هذا السؤال:

أين توجد أقدم نسخة من القرآن الكريم فى العالم؟ وفى أى دولة؟ وفى أى مدينة؟

«إن المصحف الشريف الذى كتب في عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه، هو أول نسخة من القرآن، وتوجد منه فيما علمنا فى دار الكتب المصرية، فى مصر الإسلامية فى القاهرة، وتوجد كذلك نسخة من هذا المصحف فى تركيا فى استانبول، والمهم أن نعلم أن القرآن الكريم متواتر لسوره وآياته وألفاظه، فقد تلقاه المسلمون جيلا بعد جيل، وعلم الآباء للأبناء والأبناء للحفدة وتوارثوه عصرا بعد عصر، وعكفوا عليه بالتلاوة والترتيل والحفظ والتفسير، وغير ذلك من وجوه العناية والرعاية، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[(١)] » [(٢)].

ويقول الإمام ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) وهو دمشقى: «وأما المصاحف العثمانية الأئمة، فأشهرها اليوم الذى فى الشام بجامع دمشق عند الركن شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله، وقد كان قديما بمدينة طبرية، ثم نقل منها إلى دمشق فى حدود ثمانى عشرة وخمسمائة، وقد رأيته كتابا عزيزا جليلا عظيما بخط حسن معين قوى بجلد محكم، فى رق أظنه من جلود الإبل والله أعلم، زداه الله تشريفا وتعظيما وتكريما» [(٣)].

نقل المسلمين ونقل غيرهم:

يقول الأستاذ محمد رشيد رضا: «إن نقل المسلمين أصح من نقل غيرهم لوجوه كثيرة:

---

(١) الحجر : ٩ .

(٢) يسألونك فى الدين والحياة الدكتور / أحمد الشرباصى، الناشر دار الجيل بيروت جـ ٦ ص ٢١٩، ٢٢٢ .

(٣) فضائل القرآن لابن كثير، ص ٢٤ .

أولا: إن العلم والتأليف والرواية معروفة لديهم من القرن الأول إلى الآن.

ثانياً: إنه لم يقلب عليهم عدو حرق كتبهم، وطمس معالم الثقة بدينهم وتاريخهم.

ثالثا: إنهم هم الذين اخترعوا وضع التاريخ للرجال من أجل معرفة صحة الرواية من عدمها، ولم يكن لليهود ولا النصارى مثل هذه المزايا (١).

النتيجة:

إن القرآن الموجود فى العالم كله اليوم، هو النسخة الصحيحة من القرآن الذى أصدر أبو بكر أمره بجمعه، والذى أرسل منه عثمان بن عفان رسميا نسخا عديدة منه إلى أماكن مختلفة من العالم، ومن به شك فى صون القرآن وبقائه حصينا ضد التغيير والإبدال، فليقارن أيًا من النسخ بالنسخة القديمة ليطمئن قلبه، إلى جانب أنه لو ابتاع نسخة من القرآن من إحدى مكتبات الجزائر فى غرب إفريقيا مثلا، وقارنها بنسخة يحصل عليها من دار للكتب فى جاوة فى أقصى الشرق، لوجد النسختين متطابقتين تمام الانطباق على بعضهما، وعلى النسخ التى كتبت ووزعت فى عهد عثمان بن عفان، ولو كان الشك لا يزال يرين على قلبه فليأخذ نسخة من القرآن من أى بقعة فى العالم، ويطلب إلى واحد من الملايين الذين يحفظونه أن يتلوه عليه كلمة كلمة من الألف إلى الياء، وسيجد أن التلاوة لابد مطابقة للنص المكتوب بحذافيره، وهذا دليل لا يأتيه الدحض من بين يديه ولا من خلفه، على أن القرآن الذى بين أيدينا اليوم هو نفس القرآن الذى جاء به محمد ﷺ إلى العالم، إذ ليس فى تاريخ الإنسانية شيء أصح وأصدق من القول بأن القرآن الذى معنا الآن، هو بعينه الذى أتى به محمد ﷺ إلى العالم (٢).

---

(١) انظر: شبهات النصارى وحجج الإسلام، ص ١٠.

(٢) انظر: تفهيم القرآن للمودودى، المقدمة، ص ٢١.

الباب الثاني

الاتساق الذاتي

الفصل الأول

انعدام الاتساق الذاتي في التوراة

لكل دين من الأديان كتابه الذى يختص به، وتشكل هذه الوثائق أساس الإيمان لدى كل مؤمن يهوديا كان أو مسيحيا أو مسلما، وكل مؤمن يعد كتابه تسجيلا ماديا لوحى إلهى، ولكن هذا كلام وادعاء لا يقبل على علته، بل لابد من الدراسة والتمحيص، وإذا كنت فى الباب الأول بينت سند هذه الكتب الثلاثة، ووقفنا على ما انقطع منها سنده، وما كان سنده متصلا، وهذه دراسة خارجية لأنها دراسة خارج نص الكتاب ذاته لمعرفة ما إذا كانت متصلة الإسناد أم منقطعة، ولما كانت دراسة سند الكتاب دراسة خارجية، فإننا فى حاجة إلى دراسة داخلية أى من داخل الكتاب ذاته، حتى تكتمل الدائرة، فإنه لا ينبغي لمؤلف عاقل، أن يكتب كتابا واحدا أو كتبا متعددة وفيها أمور متناقضة ومتضاربة .

ولا شك أنه لو تحقق ذلك، لاتهم المؤلف بالغباء والاضطراب، ولاشك أن كتابا ينسب إلى السماء أو إلى الله تعالى، لا يمكن أن يتناقض مع نفسه ولا يليق نسبته عند تحقق التناقض إلى الله تعالى فهو أحكم الحاكمين .

وإذا كان الاتساق الذاتي يعنى أن يخلو الكتاب من أى تناقض فى نصوصه ومعانيه، فإننا سندرس فى هذا الفصل نصوص التوراة دراسة تحليلية، لنعرف ما إذا كان الكتاب متسقا أم أنه يخلو من هذا الاتساق، وقبل أن أدخل فى التوراة وأحقق اتساقها من عدمه، ينبغى أن نقدم هنا بكلمة عن معني لفظة اتساق :

الاتساق: من مادة كلمة وسق، ويقال: وسق الشيء: ضمه وجمعه، يقال: وسق الليل الأشياء.

وواسقه مواسقة ووساقا : عارضه فكان مثله ولم يكن دونه، ويقال: هو لا يواسق فلانا : لا يعادله .

وسق الحب بالتضعيف : أى جعله وسقا وسقا .

واتسق الشيء : اجتمع وانضم وانتظم، واتسق القمر : استوى وامتلأ .

واستوسق الأمر : انتظم [1] .

وكل من انضم فقد اتسق، واتسق القمر : استوى، وفى التنزيل: ﴿**والقمر اذا اتسق**﴾ [2]، واتساق القمر: امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة، وقيل: إلى ست عشرة [3] .

والاتساق: الانتظام، ووسقت الحنطة توسيقا: أى جعلتها وسقا وسقا [4].

وهذه المعانى هى المرادة هنا، فالإجماع والاستواء والانتظام والتمام والكمال الذى يوصف به الليل أو القمر أو التى فى تمام وانتظام هي المعانى المرادة هنا، فلا شك أن الكتاب السماوي كتاب مستو ومنتظم وتام ومتسق، وعندما يقوم البرهان على أن به خللا أو تناقضا أو اختلافا فلا شك أن انتظامه واستواءه واتساقه، كل ذلك سينهدم.

ونبدأ بعد ذلك لنرى اتساق التوراة من عدمه .

تناقضات فى التوراة :

١ ـ تناقض فى بيان أولاد بنيامين :

يوجد الاختلاف بين الإصحاح السابع، وبين الإصحاح الثامن من أخبار الأيام الأول، وبينهما وبين الإصحاح السادس والأربعين من سفر التكوين، والاختلاف الوارد فى هذه الإصحاحات فى بيان أولاد بنيامين .

فقد ورد فى أخبار الأيام الأول الإصحاح السابع : « لبنيامين بالع، وباكر، ويد يعئيل. ثلاثة » [5] .

وورد فى نفس السفر الإصحاح الثامن : « وبنيامين ولد بالع بكره، وأشبيل الثانى، وأخرخ الثالث، ونوحة الرابع ورافا الخامس » [6] .

وورد فى سفر التكوين الإصحاح السادس والأربعين : « وبنو بنيامين بالع، وباكر، وأشبيل، وجيرا، ونعمان، وايحى، ورُوش، ونعيم، وحفيم، وأرد » [7] .

---

(١) انظر المعجم الوسيط، جـ ٢ ص ١٠٣٢ مجمع اللغة العربية .

(٢) الانشقاق : ١٨ .

(٣) لسان العرب ص ٤٨٣٦ .

(٤) انظر: المرجع السابق ص٤٨٣٧ .

(٥) سفر أخبار الأيام الأول : ٧:٦ .

(٦) السفر السابق : ٨ : ١ .

(٧) سفر التكوين : ٤٦: ٢١ .

وبين العبارات الثلاث السابقة اختلاف من وجهين، الأول: فى الأسماء، فقد ذكر فى العبارة الأولى اسم يديعئيل، ولم يأت له ذكر فى العبارتين التي إحداهما فى أخبار الأيام والثانية فى سفر التكوين .

وفى العبارة الثانية ذكر أخرخ، ونوحة، ورافا، ولم تذكر العبارة الأولى ولا الثالثة واحدا منهم .

وفى العبارة الثالثة ذكر جيرا، ونعمان، وايحى، وروش، ونعيم، وحفيم وأرد ولاذكر لواحد من هؤلاء فى العبارة الأولى والثانية .

إذن فأول اختلاف هنا فى الأسماء كما رأينا .

أما الوجه الثانى : فهو فى العدد، فالذى يفهم من العبارة الأولى أن أولاد بنيامين ثلاثة.

بل إن عبارة الإصحاح صرحت بذلك، والذى يفهم من الثانية أنهم خمسة ويفهم من العبارة الثالثة أنهم عشرة .

وإذا كانت هذه الأسفار مقدسة لديهم وكتبت بإلهام الروح القدس على حد قولهم فلا ينبغي أن يكون بها هذا التناقض الصريح وخاصة إن العبارة الأولى والثانية من سفر واحد أي أن الكاتب للسفر مؤلف واحد، فلو كان ذلك وحيا لما وقع فيه هذا الاختلاف، ولا شك أن إحدى العبارات عندهم تكون صادقة والباقيتين تكونان كاذبتين .

وتحير علماء أهل الكتاب فى هذا الغلط واضطروا إلى نسب الخطأ إلى عزرا. قال آدم كلارك : « التوثيق فى مثل هذه الاختلافات غير مفيد » .

وعلماء اليهود يقولون : « إن عزرا الذى كتب هذا السفر ماكان له علم بأن بعض هؤلاء بنون أم بنو الأبناء » .

ويقولون أيضا : « إن أوراق العشب التى نقل عنها عزرا عليه السلام كانت أكثرها ناقصة، ولابد أن تترك أمثال هذه الاختلافات » .

يقول الشيخ رحمت الله الهندى : « فانظر أيها اللبيب ههنا كيف اضطر أهل الكتاب طرا سواء كانوا من اليهود أو من المسيحيين إلى الإقرار بأن ما كتب عزرا غلط، ولما لم يحصل له التمييز بين الأبناء وأبناء الأبناء كتب ما كتب، والمفسر لما أيس من التوفيق قال أولا: التوفيق فى مثل هذه الاختلافات غير مفيد وقال ثانيا: لابد لنا أن نترك أمثال هذه

الاختلافات (١) .

وتعقيبا على ذلك وخاصة رد أهل الكتاب بأن الأسماء هنا لا تفرقة فيها بين الأبناء وأبناء الأبناء ـ أقول: كيف ذلك والعبارة الأولى التى ذكرت فى الإصحاح السابع من سفر أخبار الأيام الأول ذكرت أولاد الأبناء بعد ذكرها للأبناء وليس واحدا منهم من بين الذين ذكروا فى العبارتين الآخريين فقد ورد فى هذا الإصحاح :

« لبنيامين بالع، وباكر، ويديعئيل، ثلاثة، وبنو بالع أصبون، وعزى، وعزئيل، ويريموت، وعيرى خمسة رءوس بيوت آباء جبابرة بأس ...

وبنو باكر زميرة، ويوعاس، والهيزر، وأليو عيناى، وعمرى، ويريموت، وأبيا وعناثوث، وعلامت كل هؤلاء بنو باكر ...

وابن يديعئيل بلهان » (٢) .

فكيف يدعى أن هناك خلطا بين أسماء الأبناء وأبناء الأبناء فها هى أسماء أبناء الأبناء وردت فى نفس السفر، وعقب العبارة الأولى وليس هناك وجه شبه بينهما فضلا عن تكرار اسم واحد .

بل إن العبارة الثانية ذكرت أيضا بعض أبناء الأبناء فذكرت أولاد بالع البكر حيث تقول :« وبنيامين ولد بالع بكره، وإشبيل الثانى، وأخرخ الثالث ونوحة الرابع، ورافا الخامس » ثم يأتى عقب ذلك مباشرة :

«وكان بنو بالع أدار، وجيرا، وأبيهود، وأبيشوع، ونعمان، وخوخ، وحيرا وشفوقان، وحوارم » .

ومعنى ذكر الإصحاح السابع لأولاد الأبناء، وذكر الإصحاح الثامن لأولاد البكر منهم، أن الكاتب فرق بين هؤلاء وهؤلاء إذن يبقى إثباتنا للتناقض فى أولاد بنيامين، سواء من ناحية الأسماء أو من ناحية العدد، وهذا يعنى أن الكاتب مختلف حتى فى السفر الواحد، أو أن الكاتب واحد لكنه كان ينقل دون أن يعى، ويكتب دون أن يمحص .

أما من هو الكاتب، ومن أى شىء كان ينقل ؟ فلن نجد عندهم إجابة عن هذا السؤال .

---

(١) إظهار الحق، ص ٢١٣ .

(٢) سفر أخبار الأيام : ٧:٦ ـ ١١ .

٢ ـ تناقض فى ميراث موسى لأرض بنى عمون :

بين الإصحاح الثانى من سفر التثنية وبين الإصحاح الثالث عشر من سفر يشوع، اختلاف وتناقض فى ميراث سبط جاد من نسل موسى لأرض بنى عمون، فبينما يثبت سفر يشوع أن لسبط جاد من نسل موسى ميراثا فى هذه الأرض، بل وعددها، بنفى سفر التثنية أن لموسى فى هذه الأرض ميراثا بالمرة لأن الله قد أعطاها لبنى لوط .

إذن فليس لأبناء موسى فى هذه الأرض شىء .

وإليك نص سفر التثنية : «كلمنى الرب قائلا:، أنت مار بتخم مؤاب بعار، فمتى قربت إلى تجاه بنى عمون لا تعادهم، ولاتهجموا عليهم، لأنى لا أعطيك من أرض بنى عمون ميراثا، لأنى لبنى لوط قد أعطيتها ميراثا » (١) .

وفي هذه العبارة نفى قاطع أن يكون لبنى موسى ميراثا فى هذه الأرض وفى سفر التثنية التي يدعي أنه من كتابة موسى .

لكننا نقرأ فى سفر يشوع الذى ينسب لأحد الأنبياء عندهم ما يلي : « وأعطى موسى لسبط جاد بنى جاد حسب عشائرهم، فكان تخمهم بعزير وكل مدن جلعاد، ونصف أرض بني عمون إلي عرو عير التى هي أمام ربه ... » إلى أن قال : « هذا نصيب بنى جاد حسب عشائرهم المدن وضياعها » (٢) .

وفى هذه العبارة ميراث لبنى موسى فى أرض بنى عمون وهو ما نفاه بالقطع سفر التثنية، بل جاء فى سفر التثنية أيضا تأكيد لذلك النفى :

« الجميع دفعه الرب إلهنا أمامنا، ولكن أرض بنى عمون لم تقربها » (٣) .

فهل يمكن أن تتسم التوراة بالاتساق الذاتى، وبها هذا التناقض؟ إن بين السفرين تخالفاً وتناقضاً فكما يقول الشيخ رحمت الله الهندى :

«لو كانت هذه التوراة المشهورة من تصنيف موسى عليه السلام، كما هو زعمهم ماكان يخالفها يشوع، ويغلط فى المعاملة التى كانت فى حضوره، ولا يتصور الغلط من شخص إلهامى آخر أيضا، وعلى ذلك لا يخلو: إما ألا تكون هذه التوراة المشهورة من

---

(١) سفر التثنية : ٢ : ١٦ ـ ٢٠ .
(٢) سفر يشوع ١٣ : ٢٤ : ٢٨ .
(٣) سفر التثنية ٢ : ٣٧ .

تصنيف موسى عليه السلام، أو لا يكون سفر يشوع من تصنيفه، بل لا يكون من تصنيف رجل إلهامي آخر أيضا » (١) .

٣ ـ تناقض فى سفر التكوين :

بين الإصحاح السادس من سفر التكوين وبين الإصحاح السابع من نفس السفر اختلاف .

ففى الإصحاح السادس : « فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك، ومن كل حي من كل ذى جسد اثنين، من كل تدخل إلى الفلك لا ستبقائها معك، تكون ذكرا وأنثى من الطيور كأجناسها، ومن البهائم كأجناسها، ومن كل دبابات الأرض كأجناسها، اثنين من كل تدخل إليك لاستبقائها، وأنت فخذ لنفسك من كل طعام يؤكل، واجمعه عندك فيكون لها ولك طعاما، ففعل نوح حسب كل ما أمره به الله هكذا فعل » (٢) .

وورد فى الإصحاح السابع من سفر التكوين : « ومن البهائم الطاهرة والبهائم التى ليست بطاهرة، ومن الطيور وكل ما يدب على الأرض، دخل اثنان اثنان إلى نوح إلى الفلك ذكرا وأنثى، كما أمر الله نوحا » (٣).

والعبارة الثانية تعتبر مكملة للأولى ومعنى العبارتين أن الله أمر نوحا أن يأخذ من كل صنوف الدواب اثنين اثنين إلى السفينة، وأنه لم يفرق بين ما هو طاهر من الحيوان وبين ماهو غير طاهر، لكننا عندما نقرأ فى الإصحاح السابع أيضا من نفس السفر نجد عبارة تتعارض مع هاتين العبارتين .

ففى سفر التكوين الإصحاح السابع : « ومن جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكرا وأنثى، ومن البهائم التى ليست بطاهرة اثنين ذكرا وأنثى، ومن طيور السماء أيضا سبعة سبعة ذكرا وأنثى، لاستبقاء نسل علي وجه الأرض، لأنى بعد سبعة أيام أمطر علي الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة، وأمحو عن وجه الأرض كل قائم عملته، ففعل نوح حسب كل ما أمره به الرب » (٤) .

---

(١) إظهار الحق : ١٢، ١٣ .

(٢) سفر التكوين : ٦: ١٨ ـ ٢٢ .

(٣) المرجع السابق : ٧: ٨ ـ ١٠.

(٤) سفر التكوين : ٧ : ٢ ـ ٦ .

فالأمر الإلهى لنوح هنا قد اختلف عما أمره به فى العبارات السابقة من جهتين :

الأولى : أن الأمر هناك : أن يأخذ من الكل اثنين اثنين، والأمر هنا : أن يأخذ سبعة سبعة.

الثانى : أنه هناك: لم يفرق بين جميع الدواب، ولكنه هنا: فرق بين الطاهر فيها وغير الطاهر، وعلى هذا يكون الإصحاح السابع من سفر التكوين متضارباً مع نفسه أولا ومتضارب مع الإصحاح السادس ثانيا .

والعجيب أن ذيل العبارة الأولى :« ففعل نوح حسب كل ما أمره به الله » ، وذيل العبارة الثانية : « كما أمر الله نوحا» ، وذيل العبارة الثالثة : « ففعل نوح حسب كل ما أمره به الرب » .

فأى أمر من الثلاثة كان من الله؛ لأنه من المحال أن تكون الأوامر الثلاثة منه، وإلا للزم أن بأمر التضاد والتناقض ، وخاصة أن النسخ لا ينفع هنا ففى الأولى تزيلت بقوله : «ففعل نوح »، وفى الثانية : « دخل اثنان اثنان إلى نوح »، وفى الثالثة: «ففعل نوح حسب كل ما أمره الرب » .

فالعبارات المتضارية تنص علي أن الفعل قد تم، وأن نوحا فعل ما أمره به الرب فأى الأوامر فعل ياترى ؟

٤ ـ الفلك وجبال أراراط :

فى سفر التكوين وفى إصحاح واحد تناقض بين آيتين متتابعتين، وهذا أمر مدهش ففى الإصحاح الثامن ورد : « واستقر الفلك فى الشهر السابع فى اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراراط »(١) .

وفى نفس الإصحاح في الآية التى تليها : « وكانت المياه تنقص نقصا متواليا إلى الشهر العاشر، وفى العاشر فى أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال » (٢) .

والنص الأول يفيد أن السفينة قد استقرت والسفينة لن تستقر إلا بعد جفاف المياه، وإظهار رؤوس الجبال، وأن هذا الاستقرار كان فى اليوم السابع عشر من الشهر السابع وأن استقرارها كان على رؤوس جبال أراراط .

---

(١) سفر التكوين : ٨: ٤ . (٢) سفر التكوين : ٨: ٥ .

فكيف تم ذلك والعبارة الثانية تقطع بأن المياه تناقصت وظهرت رؤوس الجبال فى أول الشهر العاشر .؟

٥ ـ تناقض بسفر الخروج :

في الإصحاح التاسع من هذا السفر وردت هذه العبارة : «ففعل الرب هذا الأمر فى الغد، فماتت جميع مواشى المصريين وأما مواشى بنى إسرائيل، فلم يمت منها واحد» (١) .

وفى نفس الإصحاح هذه العبارة : « فالذي خاف كلمة الرب من عبيد فرعون هرب بعبيده ومواشيه إلى البيوت، وأما الذي لم يوجه قلبه إلى كلمة الرب فترك عبيده ومواشيه فى الحقل» (٢) .

فالأولى يفهم منها أن جميع مواشى المصريين ماتت، ولم يبق من بهائمهم شيء ، لكن العبارة الثانية يفهم منها غير ذلك فبينهما اختلاف .

٦ ـ تناقض بين العدد والقضاة :

بين سفر العدد وسفر القضاة تناقض واضح، فبينما يذكر سفر العدد أمرا تاريخيا يذكر سفر القضاة ما يستحيل تحققه مع وقوع الأول .

فقد ورد فى سفر العدد ما نصه : « وكلم الرب موسى قائلا: انتقم نقمة لبنى إسرائيل من المديانيين، ثم تُضَمّ إلى قومك، فكلم موسى الشعب قائلا: جردوا منكم رجالا للجند فيكونون على مديان ليجعلوا نقمة الرب على مديان ألفا واحدا من كل سبط من جميع أسباط إسرائيل ترسلون للحرب، فاختير من ألوف إسرائيل ألف من كل سبط، اثنا عشر ألفا مجردون للحرب فأرسلهم موسى ألفا من كل سبط إلى الحرب وهمّ فنجاس بن العازار الكاهن إلى الحرب وأمتعة القدس وأبواق الهتاف فى يده، فتجندوا علي مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكورة وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم ، أوى وراقم، وصور، وحور، ورابع خمسة ملوك مديان وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف، وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ، ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم، وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم، وجميع حصونهم بالنار، وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس

(١) سفر الخروج : ٩: ٦ .
(٢) خروج : ٩: ٢٠ ـ ٢١ .

والبهائم وأتوا إلى موسى»[1] .

وهذه العبارة ـ من سفر العدد ـ يفهم منها صراحة أن بنى إسرائيل قد أفنوا المديانيين في عهد موسى عليه السلام، وقتلوا ذكورهم بل ونساءهم وما بقى من النساء والأموال أخذوه سبيا وقتلوا ملوكهم، وذلك منتهى الغلبة والانتقام، بل وحرقوا مدنهم بمساكنهم، وجميع حصونهم.

فهل ياترى متى ستقوم لهؤلاء قائمة بعد هذا الاستئصال ؟ إن النص هنا صرح بإفناء جميع الفئات من رجال ونساء وأطفال وملوك فحتى لو ظن أنه قد بقيت منهم بقية فلن تقوم لها قائمة إلا بعد مئات السنين حتى يعود نسلهم وتصبح لهم دولة مرة أخري لكننا نقرأ في سفر القضاة أمرا عجيبا يناقض كل هذا فقد ورد فيه ما يلى :

« وعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين، فاعتزت يد مديان على إسرائيل . بسبب المديانيين عمل بنو إسرائيل لأنفسهم الكهوف التى في الجبال، والمقابر والحصون، وإذا زرع إسرائيل كان يصعد المديانيون والعمالقة وبنو المشرق، يصعدون عليهم وينزلون عليهم ويتلفون غلة الأرض إلى مجيئك إلى غزة ولا يتركون لإسرائيل قوت الحياة ولا غنما ولا بقرا ولا حميرا؛ لأنهم كانوا يصعدون بمواشيهم وخيامهم، ويجيئون كالجراد في الكثرة، وليس لهم ولجمالهم عدد ودخلوا الأرض لكى يخربوها، فذل إسرائيل جدا من قبل المديانيين وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب، وكان لما صرخ بنوا إسرائيل إلى الرب بسبب المديانيين أن الرب أرسل رجلا نبيا إلى بني إسرائيل »[2] .

فهل النصان هنا متسقان ومنتظمان ؟ وهل في هذه الفترة الوجيزة وهي ما بين موسي وعهد القضاة واستطاع المديانيون بعد نسفهم واستئصالهم بهذه الطريقة الشنيعة التى قرأناها أن يستعيدوا قوتهم بحيث يصيرون في عهد القضاة ذا قوة عظيمة وبطش شديد يتمكنون به من السيطرة على بنى إسرائيل سبع سنين، ويصبحون من الكثرة كالجراد، لا يحصى عددهم ولاعداد مواشيهم.

والسؤال الآن: هل يمكن لكتاب سماوى أن يكون بهذه الطريقة ؟ وهل موسى هو الذى كتب ذلك ؟

٧ ـ تناقض في سفر التكوين :

جاء في سفر التكوين مانصه: « فمحا الله كل قائم كان علي وجه الأرض : الناس

---

(١) سفر العدد : ٣١ : ١ ـ ١٢ .

(٢) سفر القضاة : ٦: ١ ـ ٨ .

والبهائم، والدبابات وطيور السماء، فانمحت من الأرض، وتبقى نوح والذين معه فى الفلك فقط» (١).

يستدل من هذا النص على أن الله نجي نوحا والذين معه فى الفلك والكاتب يقصد بمن معه فى الفلك امرأته، وبنيه، ونساء بنيه فهم الذين كانوا معه فى الفلك على ماورد فى سفر التكوين أيضا فقد جاء فيه:

« اخــرج من الفلك أنت وامرأتــك وبنوك ونساء بنيك معك، وكل الحيوانـات التى معك من كل ذى جسد الطيور والبهائم، وكل الدبــابــات التى تدب على الأرض أخرجـها معك » (٢) .

فهؤلاء الذين كانوا مع نوح، وعلي هذه النصوص لن تتحقق لغيرهم وخاصة إذا ما علمنا أن سفر التكوين ينص علي أن طوفان نوح عليه السلام عم الكرة الأرضية كلها، ولم ينج من الكون إلا نوح، وهؤلاء الذين ذكروا معه .

أما عن شمول الطوفان للكرة الأرضية كلها فقد جاء فى سفر التكوين : « فمات كل ذى جسد كان يدب على الأرض من الطيور والبهائم والوحوش، وكل الزحافات التي كانت تزحف على الأرض وجميع الناس، كل ما فى أنفسه نسمة روح حياة، وكل ما فى اليابسة مات » .

من هذا النص يعلم أن الطوفان كان شاملا لكل اليابسة .

ويستخلص مما سبق أنه بعد الطوفان لم يبق أى نسل سوى نسل نوح عليه السلام؛ لأن الكل قد فنى ومات، ولم ينج إلا من كانوا فى السفينة وهم أبناؤه ونساء بنيه وزوجته .

لكننا عندما نقرأ فى سفر التكوين ذاته نري ما يناقض ذلك. فقد جاء فيه أن: لامك قد ظل نسله قائما لم ينقطع وأنه قد اتخذ لنفسه امرأتين: اسم الواحدة عادة واسم الأخرى صلة، فولدت عادة يابال الذي كان أبا لساكني الخيام ورعاة المواشى، واسم أخيه يوبال الذي كان أبا لكل ضارب بالعود والمزمار، وصلة أيضا ولدت توبال قابين الضارب كل أنه ونحاس وحديد » (٣) .

---

(١) سفر التكوين : ٧ : ٢٣ .

(٢) تكوين ٨ : ١٦ ـ ١٨ .

(٣) تكوين : ٤: ١٩ ـ ٢٢ .

ويفهم من هذا النص، أن لامك لم ينقطع نسله، وأن الذي كان أبا لساكنى الخيام ورعاة المواشى من نسله، وأيضا الذى كان أبا لكل ضارب بالعود والمزمار من نسله وإذن فنسل لامك ممتد ولم ينقطع، فكيف ذلك مع أنه لم يكن من بين الذين فى الفلك ، فسلسلة النسب تنقطع بين هؤلاء الناس، وبين لامك ، وهذا تضارب بين نصين فى سفر واحد، ويلزم من هذا الاعتراف بأحد أمرين :

الأول : إما أن يكون الطوفان خاصا، وهذا مالم تنص عليه التوراة :

الثانى : وإما أن يكون الكاتب قد نسي أن يذكر فريقا من المؤمنين من غير أبناء نوح قد دخل السفينة، ومنهم لامك (١) . وهذا النسيان أو غيره هو سبب وقوعهم فى هذا التناقض، فعلى النصوص الأولى «لامك» لم ينج لأنه ليس من بين المعدودين فى الفلك .

ومن النصوص الثانية « لامك» نجي واستمر نسله وبقي فكيف نوفق بينهما ؟

٨ ـ بين التكوين والخروج :

ورد فى سفر التكوين : « فقال لإبراهيم: اعلم يقينا أن نسلك سيكون غريبا فى أرض ليست لهم، ويستعبدون لهم فيذلونهم أربعمائة سنة، ثم الأمة التى يستعبدون لها أنا أدينها، وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة، وأما أنت فتمضى إلى آبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة، وفى الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا » (٢) .

هذا النص يدل على أن نسل إبراهيم سيستعبد فى مصر ويذل بها أربعمائة سنة وهى مدة إقامتهم فى مصر .

ولكن الذى جاء فى سفر الخروج عن مدة إقامتهم مخالف لذلك فقد جاء فيه :« وأما إقامة بني إسرائيل التى أقاموها في مصر فكانت أربعمائة وثلاثين سنة، وكان عند نهاية أربعمائة وثلاثين سنة فى ذلك اليوم عينه أن جميع أجناد الرب خرجت من أرض مصر »(٣).

والنص هنا فى سفر الخروج، يذكر مدة إقامة بنى إسرائيل فى مصر بزيادة ثلاثين

---

(١) انظر : نقد التوراة أسفار موسى الخمسة ، للدكتور/ أحمد حجازى السقا، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، ص ٩٦ .

(٢) التكوين : ١٥: ١٣ ـ ١٦ .

سنة، عما ذكره سفر التكوين، فهل أقاموا فى مصر أربعمائة سنة فقط كما ذكر التكوين أم أن إقامتهم بلغت أربعمائة وثلاثين على ماذكره سفر الخروج ؟ .

٩ ـ تناقض فى سفر التكوين :

ورد فى سفر التكوين عن زوجات عيسو بن إسحاق ما يلى : « ولما كان عيسو ابن أربعين سنة اتخذ زوجة يهوديت ابنة بيري الحثى، وبسمة ابنة إيلون الحثى ، فكانتا مرارة نفس لإسحاق ورفقه » (١) .

وجـاء فى سفر التكوين أيـضا : فذهب عيسو إلى إسماعيل وأخـذ محلـة بنت إسماعيل بن إبراهيم أخت بنايوت زوجة له على نسائه »(٢) .

وورد أيضا فى نفس السفر ما يلى : « أخذ عيسو نساءه من بنات كنعان : عدا بنت إيلون الحثى، وأهـو ليبامـة بنت عني، بنت صبعون الحـوى، وبسمة بنت إسماعيل أخـت بنايوت فولدت عدا لعيسو » (٣) .

فترى الكاتب هنا قد وقع فى عدة تناقضات أثناء سرده لزوجات عيسو بن إسحاق، فقد ذكر فى النص الأول: أنه تزوج بيهوديت ابنة بيرى الحثى، ثم رجع فى النص الأخير فذكر: أنها ليست بيهوديت لكنها عدا بنت إيلون الحثى، فهل هى يهوديت ابنة بيرى، أم هى عدا بنت إيلون ؟

ثم قال: إنه تـزوج بسمة ابنة إيلون الحثى، ثم عاد فقال: إنها ليست بسمة بل اسمها عدا، فهل بنت إيلون الحثى بسمة أم عدا ؟

ثم عاد فقال: إن بسمة ليست بنت إيلون إنها بنت إسماعيل عليه السلام ثم ناقض نفسه فذكر أن بنت إسماعيل اسمها محلة لابسمة، ثم أضاف على نساء عيسو: أهو ليبامة.

فهل كان الكاتب لهذا السفر واحدا لكنه لايعى ما يقوله أو أنه ينقل دون تمحيص أو تنقيح، أم أنه كان أكثر من كاتب، وكل كاتب كتب حسب ما يعرف ؟ على كلا الأمرين فهذا الكلام لايصح أن ينسب إلى الله، أو نبى ينقل عن الله ، ولهذا فلا يجوز أن يكون كلاما مقدسا .

---

(١) سفر التكوين : ٢٦ : ٣٤ ـ ٣٥ .

(٢) التكوين : ٢٨ : ٠٩ .

(٣) التكوين : ٣٦ : ٢ ـ ٤ .

١٠ ـ بين الخروج والعدد والقضاة :

ورد في سفر الخروج: « وكان لكاهن مديان سبع بنات، فأتين واستقين وملأن الأجران ليسقين غنماً أبيض فأتى الرعاء وطردوهن، فنهض موسى وأنجدهن وسقى غنمهن، فلما أتين رعوئيل أبيهن قال: ما بالكن أسرعتن في المجيء اليوم ، فقلن: رجل مصرى أنقذنا من أيدى الرعاة، وإنه استقي لنا أيضا، وسقى الغنم فقال لبناته: وأين هو، فلم تركتن الرجل ؟ ادعونه ليأكل طعامنا ، فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل، فأعطى موسى صفورة ابنته فولدت ابنا فدعي اسمه جرشوم» (١) .

يفهم من هذا النص صراحة أن حما موسى والذى تزوج موسى ابنته يسمى رعوئيل.

لكن القارئ يرى عجبا عندما يقرأ الإصحاح التالى لهذا الإصحاح مباشرة فقد جاء فيه: « وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حمية كاهن مديان، فساق الغنم إلى وراء البرية، وجاء إلى جبل الله حوريب، وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة» (٢)، وفيه أيضا: « فمضى موسى ورجع إلى يثرون حميه » (٣) .

ويصرح هذا النص بأن حما موسى يسمى يثرون، ولم يتطرق مطلقا لاسم رعوئيل، والغريب أن النصين في سفر واحد، وفى إصحاحين متتاليين فمن منهما ياترى أب لزوجة موسى عليه السلام » .

ولعل قائلا يقول: لعلهما اسمان لمسمى واحد، ولكن لانسلم لهذا الاعتراض إلا بدليل فليس في التوراة دليل على رعوئيل هو بعينه يثرون، وهو حمو موسى عليه السلام، ثم إن الوحى عندما يتحدث عن شخص ما ينبغى أن يتحدث عنه باسم واحد لا بأسماء متعددة وإلا اختلطت الأمور .

بل إننا نجد لحمى موسى اسما ثالثا في سفر العدد وفى سفر القضاة فقد ورد في سفر العدد ما يلى : « وقال موسى لحوباب بن رعوئيل المديانى حمي موسى : إنا راحلون إلى المكان الذي قال الرب أعطيكم إياه »(٤) .

وقد ورد أيضا في سفر القضاة : « وجار الغينى انفرد من قاين من بنى حوباب حمى

---

(١) خروج : ٢: ١٦ ـ ٢٣ .
(٢) خروج : ٣ : ١ ـ ٣ .
(٣) خروج : ٤ : ١٨ .
(٣) عدد : ١٠ : ٢٩ .

موسى وخيم حتى إلى بلوطه فى صعايم التى عند قادش» [١].

وفى سفرى اللعدد والقضاة مما رأينا يسمى حمو موسى بحوباب، وهذا تناقض بين السفرين وسفر الخروج، وقد بينا من قبل تناقض الخروج مع نفسه فى هذه المسألة فهل ياترى ما اسم حمى موسى هل هو رعوئيل أم يثرون، أم حوباب ؟ ويستحيل أن يكون هو الثلاثة .

١١ ـ تناقض فى رؤية الله بسفر الخروج :

ورد فى هذا السفر: «ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، ورأف إله إسرائيل وتحت رجليه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السماء فى النقاوة ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل، فرأوا الله وأكلوا وشربوا» [٢] .

ويصرح النص هنا مرتين إن الشيوخ من بنى إسرائيل الذين صعدوا مع موسى وهارون قد رأوا الله تعالى، وبالتأكيد موسى رأى كما رأى الشيوخ فهو رسول الله إليهم وقد صعدوا معه ومع هارون، وهو الذى يعرف الطريق فهل يجوز أن تثبت الرؤية لمن معه دونه ؟

لكننا نقرأ عجبا بعد ذلك فى نفس السفر فقد ورد فيه : « فقال: أرنى مجدك فقال: أجيد كل جودتى قدامك وأنادى باسم الرب قدامك، وأترأف على من أترأف ، وأرحم من أرحم، وقال : لا تقدر أن ترى وجهى ؛ لأن الإنسان لا يرانى ويعيش، وقال الرب: هو ذا عندى مكان فتقف على الصخرة ويكون متى اجتاز مجدى أنى أضعك فى نقرة من الصخرة وأشدك بيدى حتى أجتازه، ثم أرفع يدى، فتنظر ورائى، وأما وجهى فلا يرى» [٢] .

فهنا ثلاث عبارات الأولى: « لا تقدر أن ترى وجهى»، ومثلها فى نهاية النص ، « وأما وجهى فلا يرى » وكلتا العبارتين تمنعان رؤية موسى لله تعالى وهذا تناقض مع ما سبق من ناحيتين:

الأولى : أن موسى حتما لابد وأنه رأى كما يؤخذ من النص السابق فكيف يثبت هنا ضد ذلك ؟ ! .

---

(١) قضاة : ٤ : ١١ .　(٢) خروج : ٢٤: ٩ ـ ١٣ .　(٣) خروج : ٣٣: ١٨ ـ ٢٤ .

الثانية : أنه حتي لو لم ير مع الشيوخ الذين رأوا فكيف تثبت الرؤية لهم، وتمنع عن موسى؟

ولعل قائلا يقول: إن الرؤية فى النص الأول لله وإن الممنوع فى هذا النص هى الرؤية لوجه الله .

وردا على ذلك أقول : إن النص الأخير فيه عبارة عامة ومطلقة فى استحالة رؤية الله دون ذكر للوجه، والعبارة تقول « إن الإنسان لا يرانى ويعيش » وهى العبارة الثالثة فى هذا النص التى تمنع رؤية البشر لله، فأى النصوص أصح : التى تثبت الرؤية، أم التى تنفى الرؤية؟

١٢ ـ بين سفرى الخروج والعدد :

ورد فى سفر الخروج: « لكل من اجتاز المعدودين من ابن عشرين سنة فصاعدا ، لست مئة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين » (١) .

وجميع المعدودين هنا من ابن عشرين سنة فصاعدا (٦٠٣٥٥٠) كما تنص على ذلك العبارة السابقة .

وكان هذا العدد فى الشهر الثالث بعد خروج بنى إسرائيل من مصر (٢) .

ومن هنا نعلم أن الإحصاء الأول لمن هو ابن عشرين سنة فصاعدا بلغ (٦٠٣٥٥٠)، وأن هذا الإحصاء كان فى الشهر الثالث لخروج بنى إسرائيل من مصر .

ولنقرأ فى سفر العدد لنعرف عدد الإحصاء الثانى وموعده، فقد جاء فيه : « وكلم الرب موسى فى برية سيناء فى خيمة الاجتماع فى أول الشهر الثاني فى السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلا : أحصوا كل جماعة بني إسرائيل بعشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء كل ذكر برأسه من أبناء عشرين سنة فصاعدا كل خارج للحرب فى إسرائيل تحسبهم أنت وهارون حسب أجنادهم ويكن معكما رجل لكل سبط رجل هو رأس لبيت أبيه » (٣) .

ومن هذا النص نعرف أن الله أمر موسى وهارون بإحصاء أبناء بنى إسرائيل، من

---

(١) خروج : ٣٨ : ٢٦ . (٢) خروج : ١٩ : ١ .

(٢) عددا : ١ : ١ ـ ٥ .

عشرين سنة فصاعدا وهو الإحصاء الثاني ، وكان فى العام الثانى فى الشهر الثانى منه لخروجهم من مصر أى بعد الإحصاء الأول بسنة تقريبا، فماذا كان عددهم فى هذا الإحصاء؟ لنقرأ فى نفس السفر: فكان جميع المعدودين من بني إسرائيل حسب بيوت آبائهم من ابن العشرين سنة فصاعدا كل خارج للحرب فى إسرائيل كان جميع المعدودين ستة مائة ألف وثلاث آلاف وخمسمائة وخمسين » (١)، وهذا الإحصاء مذكور عقب أمر الله لموسى بالإحصاء الثانى ، فالإصحاح الأول من سفر العدد يتحدث كيف قام موسى وهارون، بإحصائهم الإحصاء الثانى، فى نهاية الإصحاح ذكر هذا النص الذى بـه العدد النهائى لهم .

والسؤال الآن : كيف يتفق الإحصاء الأول مع الثانى ويتساوى العدد فيهما بلا زيادة ولانقصان مع أن بينهما عاما كاملا؟ ألا يمكن فى هذه المدة أن يزاد العدد أو ينقص؟ فلماذا اتفق ويقبل القسمة علي عشرة بدون باق ؟ (٢) .

بل إن سفر الخروج نفسه يذكر العدد مرة أخرى وبلا تحديد فيقول : « فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت نحو ست مائة ألف مابين الرجال عدا الأولاد »(٣).

ثم يعود سفر العدد مرة أخرى ليذكر الإحصاء بزيادة كبيرة فيقول : « هؤلاء المعدودون من بنى إسرائيل ست مائة ألف وألف وسبعمائة وثلاثون » (٤) .

فهل يمكن أن يكون ذلك وحيا من السماء ؟

١٣ ـ بين أسفار اللاويين والعدد والتثنية :

ورد فى سفر اللاويين : « وكل عشر الأرض من حبوب الأرض وأثمار الشجر فهو للرب، قدسى للرب، وإن فك إنسان بعض عشره يزيد خمسه عليه، وأما كل عشر البقر والغنم فكل ما يعبر تحت العصا يكون العاشر قدسا للرب، لا يفحص أجيد هو أم ردىء، ولا يبدله، وإن أبدله يكون هو وبديله قدسا لا يفك » (٥) .

يفهم من هذا أن عشر ما يخرج من الأرض وأثمار الشجر يكون زكاة أى « قدس للرب » وهكذا فى البقرة والغنم حيث يأخذون بعد عد كل عشرة العاشر دون نظر إلى

---

(١) عدد : ١: ٤٥ ـ ٤٧ .

(٢) نقد التوراة أسفار موسى الخمسة ص ١١٦ .

(٣) خروج : ١٢: ٣٧ .

(٤) عدد : ٢٦ : ٥١ .

(٥) لاويين : ٢٧ : ٣٠ ـ ٣٤ .

كونه ذكرا أو أنثى جيدا أم رديئا (١) .

المهم هنا أن ماكان قدسا للرب وخاصة من الغنم والبقر لا يفك ولا يستبدل فلا تدفع قيمته ولا يستبدل بغيره (٢) ، ولو جاز الفك أى دفع القيمة فى حبوب الأرض وأثمار الشجر فيدفع الخمس فوق القيمة، إذن لا يجوز للمالك أن يتصرف فى هذا القدس إلا لأجل الرب، ولا ينبغي أن يفكه إن كان من الثمار والزروع إلا بشرط ، ولا يجوز الفك معلقا فى البقر والغنم ولا الاستبدال، وعلى هذا فلا يجوز أن يأكل من هذا ولا من ذلك مهما كانت الظروف .

لكننا نقرأ فى التثنية خلاف ذلك : « وتأكل أمام الرب إلهك فى المكان الذى يختاره ليحل اسمه فيه عشر حنطتك وخمرك وزيتك وأبكار بقرك وغنمك » ، « ولكن إذا طال عليك الطريق حتي لاتقدر أن تحمله إذا كان بعيدا عليك المكان الذى يختاره الرب إلهك، ليجعل اسمه فيه إذ يباركك الرب فبعه بفضة وخذ الفضة فى يدك واذهب إلى المكان الذى يختاره الرب إلهك، وأنفق الفضة فى كل ما تشتهي نفسك فى البقر، والغنم، والخمر، والمسكر، وكل ما تطلب منك نفسك، وكل هناك أمام الرب إلهك، واخرج أنت وبيتك » (٣) .

وهنا يباح لصاحب القدس والعشور أن يتصرف فيها كيف يشاء فيأكل منها أو يبيعها بفضة ويتصرف فى الفضة كما يريد فيأكل غنما أو بقرا ويشرب خمرا ومسكرا وكل ذلك أمام الرب .

أليس هذا تناقضا ؟ من قدس لا يفك ولا يستبدل إلى إنفاق فى المسكر وكل ما تشتهى النفس ؟

أما هذا القدس وذاك العشور فيصرف لمن ؟ ومن يستحقه ؟ فهذا ما سنجد النصوص قد تضاربت حوله أيضا فهل هوحق للهارونيين أم أنه حق للاويين ؟ سنرى تناقضا فى هذا الموضوع .

فقد ورد فى سفر العدد : « وقال الرب لهارون، وهأنذا قد أعطيتك حراسة رفائعى مع جميع أقداس بنى إسرائيل، لك أعطيتها حق المسحة ولبنيك فريضة وهدية، هذا يكون

(١ ، ٢) نقد التوراة ص ١١٦، ١١٧ .

(٣) تثنية : ١٤ : ٢٣ ـ ٢٧ .

لك من قدس الأقداس من النار كل قرابينهم مع كل تقدما تهم ، وكل ذبائح خطاياهم وكل ذبائح آثامهم التي يردونها لي قدس أقداس هي لك ولبنيك ... وهذه لك كل رفيعة من عطاياهم ... لك أعطيتها ولبنيك وبناتك معك فريضة دهرية كل طاهر في بيتك يأكل منها، كل دسم الزيت وكل دسم المسطار الحنطة أبكارهن التي يعطونها للرب لك أعطيتها » (١) .

فقدس الرب، وجميع الأقداس التي هي ذبائح أو عشور حنطة وثمار خالصة لهارون وبنيه وبناته ، حقه وحده.

لكن عندما نقرأ في نفس السفر نرى ما يلي : « إن عشور بني إسرائيل التي يرفعونها للرب رفيعة قد أعطيتها للاويين نصيبا » (٢) .

وهذا تناقض مع ما سبق فهل هو للهارونيين أم أنه للاويين ؟

١٤ ـ بين العدد والتثنية :

عن رحلات بني إسرائيل في سيناء بعد خروجهم من مصر :

ففي سفر العدد : « ثم ارتحلوا من حشمونة ونزلوا في مسيروت، ثم ارتحلوا من مسيروت ونزلوا في بني يعقان، ثم ارتحلوا من بني يعقان، ونزلوا في حور الجد جاد ثم ارتحلوا من حور الجد جاد ونزلوا في يطبات، ثم ارتحلوا من يطبات ونزلوا في عيرونه، ثم ارتحلوا من عيرونة ونزلوا في عصيون جابر ثم ارتحلوا من عصيون جابر ونزلوا في برية حين، وهي قادش ثم ارتحلوا من قادش ونزلوا في جبل هور في طرف أرض آدوم فصعد هارون الكاهن إلى جبل هور حسب قول الرب ومات هناك في السنة الأربعين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر » (٣) .

وجاء في التثنية : « وبنو إسرائيل ارتحلوا من آبار بني يعقان إلى موسير هناك مات هارون وهناك دفن فكهن العازار ابنه عوضا عنه من هناك ارتحلوا إلى الجدجود، ومن الجد جود إلي يطبات أرض أنهار ماء » (٤) .

فالتناقض بينهم في نقطتين :

---

(١) عدد : ١٨ : ٨ ـ ١٣ .

(٢) عدد : ١٨ : ٢٤ .

(٣) عدد : ٣٣ : ٣٠ ـ ٣٧ .

(٤) تثنية : ١٠ : ٦ ـ ٨ .

الأولى : المكان الذى مات فيه هارون فهل هو هور ومات بعد صعوده الجبل كما جاء فى سفر العدد أم أنه مات فى موسير ودفن هناك دون صعود لجبل أو غيره كما جاء فى سفر التثنية ؟

الثانية : اختلاف النصين فى ذكر سير الرحلة ففى سفر التثنية وضعت موسير مكان مسيروت التي بسفر العدد، ووضعت الجدجود مكان الجدجاد بسفر العدد ولم يتفق السفران إلا فى يطبات فأين الحق إذن ؟

١٥ ـ هل الأبناء يؤخذون بذنب الآباء أم لا ؟

ورد فى سفر الخروج والتثنية والعدد ما يقرر أن الأبناء يؤخذون بذنب الآباء حتى الجيل الثالث والرابع، وهاك نص العبارة :

فى سفر الخروج : « ولكن لن يبرئ إبراء، مفتقد إثم الآباء فى الأبناء وفى أبناء الأبناء فى الجيل الثالث والرابع » (١).

وفى سفر التثنية : « افتقد ذنوب الآباء فى الأبناء وفي الجيل الثالث والرابع من الذين يبغضوننى » (٢).

وفى سفر العدد : « الرب طويل الروح كثير الإحسان يغفر الذنب والسيئة، لكنه لا يبرئ بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع » (٣).

ولكن ورد فى سفر حز قيال ما يعارض هذا الاتجاه فقد جاء فيه : « وأنتم تقولون : لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب، أما الابن فقد فعل حقا وعدلا، حفظ جميع فرائضى وعمل بها، فحياة يحيا ، النفس التى تخطئ هى تموت، الابن لايحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، وبر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون » (٤).

١٦ ـ اختلاف فى سفر الأيام الأول :

فى الإصحاح الثامن من سفر أخبار الأيام الأول ورد :«وفى جبعون سكن أبو جبعون واسم امرأته معكة، وابنه البكر عبدون ثم صور وقيس وبعل وثاواب، وجدور وأخيو وزاكر ، ومقلوث ولد شماة وهم أيضا مع إخوتهم سكنوا فى أورشليم مقابل إخوتهم .

---

(١) خروج : ٣٤ : ٧ .
(٢) تثنية : ٥ : ٩ .
(٣) عدد : ١٤ : ١٨ .
(٤) حزقيال : ١٨ : ١٩ ـ ٢١ .

ونير ولد قيس، وقيس ولد شاول، وشاول ولد يهوناثان، ومكيشوع، وأبيناداب وأشبعل، وابن يهوناثان ومريبعل ولد ميخا، وبنو ميخا فيثون ومالك، وثاريع وآحاز، وآحاز ولد يهوعدة، ويهوعدة ولد علمث وعزموث وزمرى، وزمري ولد موصا، وموصا ولد بنعة، ورافة ابنه وألعاسة ابنه وأصيل ابنه، ولأصيل ستة بنين وهذه أسماؤهم عزريقام وبكرو وإسماعيل وشعريا وعوبديا وحانان، كل هؤلاء بنو أصيل » (١) .

ولكن هذه الأسماء وردت فى نفس السفر، وفى الإصحاح التابع للإصحاح السابق، ومع ذلك فبينهما اختلاف واضح، فقد ورد فى الإصحاح التاسع من سفر أخبار الأيام الأول ما نصه : « وفى جعبون سكن أبو جعبون يعوئيل واسم امرأته معكة، وابنه البكر عبدون ثم صو وقيس وبعل وفير وناداب، وحدور وأخيو وزكريا ومقلوث، ومقلوث ولد شمام، وهم أيضا سكنوا مقابل إخوتهم فى أورشليم مع إخوتهم .

ونير ولد قيس، وقيس ولد شاول، وشاول ولد يهوناثان، وملكيشوع وأبيناداب وإشبعل، وابن يهوناثان مريبعل ومريبعل ولد ميخا، وبنو ميخا فيثون ومالك، وتخريع، وآحاز، وآحاز ولد يعرة، ويعرة ولد تطمث وعزموث وزمرى، وزمرى ولد موصا، وموصا ولد نيعا، ورفايا ابنه ، وألعسه ابنه وأصيل ابنه، وكان لأصيل ستة بنين، وهذه أسماؤهم عزريقام، وبكرو ثم إسماعيل وسفريادعون ويا وجاثان، هؤلاء بنو أصيل » (٢) .

فالعبارة الثانية تزيد على العبارة الأولى اسما وهو اسم غير الذى بين بعل وناداب، وتختلف العبارة الثانية عن العبارة الأولى فى ذكر ثمانية أسماء فبينما هي فى العبارة الأولى « جدور، وزاكر، وشماه، وتاريع، ويهوعدة مرتين، ونبعة، ورافة، وألعاسة» نراها فى الإصحاح التاسع هكذا : « حدور بالحاء لا بالجيم، وزكريا، وشمام، وتمريع، وبعرة مرتين، ونيعا، ورفايا، وألعسه » .

فهل الأسماء فى الإصحاح الثامن أصح أو أن الصحيح فى الإصحاح التاسع ؟ ولعل معترضا يعترض بأن هذه ترجمة عربية ولعله خطأ فى الترجمة. نقول هذا الكلام يصح لو أنهم أنفسهم لم يعرفوا بهذا الخطأ .

---

(١) سفر أخبار الأيام : ٨ : ٢٩ ـ ٣٩ .

(٢) سفر أخبار الأيام : ٩ : ٣٥ ـ ٤٤ .

لكن آدم كلارك فى المجلد الثانى من تفسيره يقول : « إن علماء اليهود يقولون: إن عزرا وجد سفرين توجد فيهما هذه الفقرات باختلاف الأسماء، ولم يحصل له تمييز بأن أيهما أحسن فنقلهما » (١) .

إذا كان عزرا الذى كتب التوراة علي زعمهم بواسطة الروح القدس لم يستطع التمييز فمن الذى سيميز ؟ وعند عدم الوصول إلى التمييز سيظل الحق ملبوساً بالباطل .

١٧ ـ فى سفر أخبار الأيام الأول ورد :

« ووقف الشيطان ضد إسرائيل وأغوى داود ليحصى إسرائيل» (٢).

ومن هذا النص، يعلم أن الشيطان قام بإغراء داود ليحصى إسرائيل، وهذا الكلام متفق وعقيدة اليهود فى أن الله لايخلق الشر، فالشر هنا جاء من الشيطان .

لكننا عندما نقرأ فى سفر صموئيل الثانى نجد أن الذي أغوى وأهاج داود ضد إسرائيل هو الله، لا الشيطان والعبارة تقول : « وعاد فحمي غضب الرب على إسرائيل، فأهاج عليهم داود قائلا : امض ، وأحص إسرائيل » (٣) .

والمعنى فى العبارتين يختلف تماما، مع أن العبارتين تحكيان حادثة واحدة، وهى الأمر الذي وصل داود بإحصاء إسرائيل فبينما الإغـواء فى سفر أخبار الأيام من الشيطان نراه فى سفـر صموئيل مـن الله، وعلى عقيدتهـم فى أن الشر ليس مـن الله يلزم الاختلاف القوى هنا .

١٨ ـ ورد فى سفر الملوك الأول :

« وكان لسليمان أربعون ألف مذود يربى عليها خيلا للمراكب واثني عشر ألف فارس» (٤) .

وبين هذه العبارة وبين عبارة وردت فى سفر أخبار الأيام الثانى تناقض صريح، حيث ورد فى سفر أخبار الأيام الثانى هكذا : « وكان لسليمان أربعة آلاف مذود خيل ومركبات واثنا عشر ألف فارس » (٥)، وبدلا من أن يلجأ آدم كلارك هذه المرة إلى التأويلات غير المعقولة يعترف بوقوع التحريف فيقول : « الأحسن أن نعترف بوقوع التحريف فى العدد نظرا إلى هذه الاختلافات » (٦) .

---

(١) إظهار الحق ، ص ١٠٦ .
(٢) سفر أخبار الأيام الأول ٢١ : ١ .
(٣) سفر صموئيل الثانى : ٢٤ : ١ .
(٤) سفر الملوك الأول : ٤ : ٢٦ .
(٥) سفر أخبار الأيام الثانى : ٩: ٢٥ .
(٦) إظهار الحق ص ١١٠ .

١٩ ـ ورد فى سفر الملوك الأول :

« ماعدا رؤساء الوكلاء لسليمان الذين على العمل ثلاثة آلاف وثلاث مئة المتسلطين على الشعب العاملين العمل » (١) .

فعدد الموكلين على هذه العبارة ثلاثة آلاف وثلاثمائة، ولكن عدد الموكلين فى سفر أخبار الأيام الثاني أكبر من هذا حيث ورد :

« وأحصى سليمان سبعين ألف رجل حمال، وثمانية آلاف رجل نحات فى الجبل ووكلاء عليهم ثلاثة آلاف وستمائة » (٢) .

ولكن فى محاولة من النصارى لاتحاد العدد وعدم إظهار هذا التضارب لجأوا إلى وسيلة يعرفونها جيدا وهي وسيلة التحريف فى الترجمة وفعلا فعلوا ذلك فى الترجمة اليونانية، وحرف مترجمو الترجمة اليونانية فى سفر الملوك فكتبوا ثلاثة آلاف وستمائة » (٣) .

٢٠ ـ وفى سفر الملوك الأول ورد :

« والبحر عليها من فوق، وجميع أعجازها إلي داخل، وغلظه شبر، وشفته كعمل شفة كأس بزهرسوسن، يسع ألفى بث »(٤) .

وهذا يعني أن البحر يسع ألفى بث، ولكن نفس العبارة وردت بما يناقض ذلك، فى سفر أخبار الأيام الثانى فقد ورد فيه :

« والبحر عليها من فوق ، وجميع أعجازها إلى داخل، وغلظه شبر، وشفته كعمل شفة كأس بزهرسوسن، يأخذ ويسع ثلاثة آلاف بث » (٥) .

فأى الخبرين صادق وأيهما كاذب؟ لابد أن واحدا منهما كاذب إن لم يكن الاثنان فهل يستطيع أحدهم أن يرجح خبرا على الثانى؟ ولكن الترجيح هنا ليس له معنى، فالترجيح من المجتهدين عندما يختلفون فى الآراء جائز لكن هذا اختلاف فى إخبار عن شيء ولابد وأن يكون الصحيح واحدا .

---

(١) سفر الملوك الأول ٥: ١٦ .

(٢) سفر أخبار الأيام الثانى : ٢: ٢ .

(٣) انظر: إظهار الحق، ص١١٣ .

(٤) سفر الملوك الأول : ٧: ٢٥، ٢٦ .

(٥) سفر أخبار الأيام الثانى : ٤: ٥، ٦ .

٢١ ـ بين أخبار الأيام الثانى والملوك الأول :

وردت فى سفر الملوك الأول هذه العبارة : « فى السنة الثالثة لآسا ملك يهوذا ملك بعشا بن أخيا على جميع إسرائيل فى ترصة أربعا وعشرين سنة » (١) .

وورد فى سفر أخبار الأيام الثاني هذه العبارة : « وفى السنة السادسة والثلاثين لملك آسا، صعد بعشا ملك إسرائيل على يهوذا » (٢) .

فتقرر العبارة الأولى أن بعشا مات فى السنة السادسة والعشرين لآسا، ويعني هذا، أنه فى السنة السادسة والثلاثين لآسا كان قد مر على موت بعشا عشر سنين، فكيف تقرر العبارة الثانية من سفر أخبار الأيام الثانى أنه فى هذه السنة التي مر فيها على موته عشر سنين قد صعد على يهوذا ؟

وحول هذا الاختلاف فى الظاهر اختلفت تأويلات مفسريهم قال جامعو تفسير هنرى واسكات ذيل عبارة سفر الأيام: « الظاهر أن هذا التاريخ غلط »

وقال « أشر» الذي هو من كبار علماء المسيحية :«إن هذا العام هو السادس والثلاثون من الانقسام الذى وقع فى عهد سلطنة يوربعام لا من سلطنة آسا »(٣) .

وهذا تسليم منهم أن عبارة سفر أخبار الأيام غلط فإما قد وقع لفظ السادسة والثلاثين موقع لفظ السادسة والعشرين، أو وقع لفظ الملك آسا موقع لفظ من انقسام السلطنة فى عهد يوربعام .

٢٢ ـ ورد فى سفر أخبار الأيام الثانى مانصه :

«كان يهورام ابن اثنتين وثلاثين سنة، حين ملك، وملك ثمانى سنين فى أورشليم »(٤) .

« وأهاج الرب على يهورام روح الفلسطينيين والعرب الذين بجانب الكوشيين فصعدوا إلى يهوذا وافتتحوا وسبوا كل الأموال الموجودة فى بيت الملك مع بنيه ونسائه أيضا، ولم يبق له ابن إلا يهو آحاز أصغر بنيه »(٥) .

« وبعد هذا كله ضربه الرب فى أمعائه بمرض ليس له شفاء، وكان من يوم إلى يوم،

---

(١) سفر الملوك الأول : ١٥ : ٣٤

(٢) سفر أخبار الأيام الثانى : ١٦ : ١ .

(٣) إظهار الحق، ص ١١٢ .

(٤) سفر أخبار الأيام الثانى : ٢١ : ٥ .

(٥) المرجع السابق : ٢١ : ١٦ ـ ١٨ .

وحسب ذهاب المدة عند نهاية سنتين أن أمعائه خرجت بسبب مرضه، فمات بأمراض ردية، ولم يعمل له شعبه حريقة كحريقة آبائه، كان ابن اثنتين وثلاثين سنة، حين ملك وملك ثماني سنين في أورشليم، وذهب غير مأسوف عليه، ودفنوه في مدينة داود، ولكن ليس في قبور الملوك » (١) .

وورد في الإصحاح الذي يليه مباشرة: « وملك سكان أورشليم أخزيا ابنه الأصغر عوضا عنه، لأن جميع الأولين قتلهم الغزاة الذين جاءوا مع العرب إلى المحلة، فملك أخزيا ابن يهورام ملك يهوذا » (٢) .

« كان أخزيا ابن اثنتين وأربعين سنة، حين ملك، وملك سنة واحدة في أورشليم»(٣).

من هذه النصوص نعلم :

أولا : يهورام ملك على أورشليم وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة .

ثانيا : أن الغزاة هجموا عليه وقتلوا أبناءه جميعا إلا الأصغر منهم وهو آجاز .

ثالثا : مرض يهورام مرضا ليس له شفاء ومات ولم يدفن في مقابر الملوك، وذهب غير مأسوف عليه بعد ثماني سنين ملكا، وقد ملكْ وهو ابن اثنتين وثلاثين، وإذن فقد مات وهو ابن أربعين عاما .

وهذا كله يؤخذ من نصوص الإصحاح الحادى والعشرين من سفر أخبار الأيام الثاني.

رابعا : خلفه ابنه الأصغر الذى أفلت من الموت وحده واسم هذا الابن آحاز .

خامسا : كان سن آحاز وقت تنصيبه الحكم بدلا من أبيه اثنين وأربعين عاما .

والذي أريد أن أصل إليه هنا، أن هذا الكلام يلزم منه أن آحاز أكبر من أبيه يهورام بسنين، وهذا محال فلا يعقل أن يموت الأب ابن أربعين عاما ويتولى الابن مكانه وهو فوق الأربعين بسنتين.

وهكذا نرى في سفر واحد، وفي إصحاحين متتابعين أمرا متناقضا غير مقبول بالمرة .

وليت الأمر عند هذا الحد، بل نري تناقضا آخر في نفس الموضوع بين سفر أخبار

---

(١) سفر أخبار الأيام الثانى : ٢١ : ٨ ـ ٣٠ .
(٢، ٣) المرجع السابق : ٢٢ : ١ ـ ٣ .

الأيام الثاني وبين سفر الملوك الثانى، فقد مر فى سفر أخبار الأيام الثاني ما يلى :

« كان أخزيا ابن اثنتين وأربعين سنة، حين ملك وملك سنة واحدة، في أورشليم» (١) .

وورد فى سفر الملوك الثانى ما يناقض ذلك صراحة فقد ورد فيه : « وكان أخزيا ابن اثنتين وعشرين سنة، حين ملك، وملك سنة واحدة فى أورشليم »(٢) .

فلا شك أن أحدهما خطأ إن لم يكن كلاهما ، فهل ملك أخزيا في سن اثنين وأربعين عاما أم فى سن الثانية والعشرين ؟

وللخروج من هذا المأزق يحاول بعض شراحهم التأويل والاختلاق وينتهون كما ـ يقول سبينوزا ـ إلي إفساد اللغة نفسها .

يقول سبينوزا : « فعندما يذكر مثلا فى سفر أخبار الأيام الثانى، كان عمر أخزيا اثنين وأربعين عاما عندما حكم، يتصور بعض الشراح أن هذه السنين تبدأ من حكم «عمرى » (٣) ، لامن ميلاد أخزيا، ولو استطاع أحد أن يثبت أن هذا هو قصد مؤلف سفر أخبار الأيام لما ترددت في القول : إنه لايعرف كيف يتحدث وبنفس الطريقة يختلقون شروحا كثيرة تضطرنى إلى القول: لو كانت هذه الشروح صحيحة بأن قدماء العبرانيين قد جهلوا تماما لغتهم ولم تكن لديهم أى فكرة عن ترتيب الرواية، كما تضطرني إلى أن أعترف بأنه لم يكن هناك أى منهج أو قاعدة لتفسير الكتاب، بل كان بإمكانهم اختلاق أى شيء حسب هواهم » (٤) .

٢٣ ـ وورد في سفر صموئيل الثانى :

« قد دفع يوآب جملة عدد الشعب إلى الملك فكان إسرائيل ثمانمائة ألف رجل ذى بأس مستلى السيف ورجال يهوذا خمسمائة ألف رجل (٥) .

فها هو يوآب قد رفع إلى الملك وهو داود أنذاك عدد بنى إسرائيل، وعدد يهوذا كما رأينا .

---

(١) سفر أخبار الأيام الثانى : ٢٢ : ٢ .

(٢) الملوك الثاني : ٨ : ٢٦ .

(٣) هو سادس ملوك إسرائيل، ومؤسس الأسرة الرابعة، نصب ملكا على أن قبل الملك زمرى الملك إيله .

(٤) رسالة فى اللاهوت والسياسة لسبينوزا ، ترجمة د. حسن حنفى، دار وهدان للطباعة والنشر ، ص ٢٩٧ .

(٥) صموئيل الثانى : ٢٤ : ٩ .

ولكننا عندما نقرأ فى سفر أخبار الأيام الأول، نجد أن يوآب دفع إلى الملك عدد بنى إسرائيل وعدد يهوذا، والعدد مختلف تماما عن العدد المذكور هنا، ففى سفر الأخبار :

« فرفع يوآب جملة عدد الشعب إلي داود ، فكان كل إسرائيل ألف ألف ومائة ألف رجل، مستلى السيف، ويهوذا أربعمائة وسبعين ألف رجل مستلى السيف » (١) .

وبين النصين تناقض صريح، حيث إن النص الأول فى سفر صموئيل الثانى يذكر عدد بنى إسرائيل بأقل مما ذكره سفر أخبار الأيام الأول بثلاثمائة ألف ويزيد فى عدد يهوذا عن السفر الثانى بثلاثين ألفا .

وهذا يعنى أن سفر أخبار الأيام الأول، زاد عن سفر صموئيل فى عدد بنى إسرائيل بثلاثمائة ألف رجل، ونقص عنه فى عدد يهوذا بثلاثين ألف رجل .

وأقول : إن التناقض هنا واضح وصريح، فالحادثة واحدة حيث إن يوآب فى النصين هو الذي دفعهم إلى الملك، وأن بنى إسرائيل المعدودين فى النصين مقرونون بعبارة « مستلى السيف » وكأن الرجال الذين دفعهم يوآب للملك على هذه الصورة من استلال السيف، وهذه قيود تجعل حديث العبارة عن واقعة واحدة .

٢٤ ـ وورد فى سفر صموئيل الثانى :

« وأتى جاد إلي داود وأخبره وقال له : أتأتى عليك سبع سنين فى أرضك أم تهرب ثلاثة أشهر أمام أعدائك وهم يتبعونك أم يكون ثلاثة أيام ويأتى أرضك؟ فالآن أعرف وأنظر ماذا أرد جوابا على مرسلى » (٢).

لكننا نقرأ نفس كلام جاد إلى داود فى سفر أخبار الأيام الأول بطريقة مختلفة حيث يقول: فجاء جاد إلى داود وقال له: هكذا قال الرب أقبل لنفسك إما ثلاث سنين جوع أو ثلاثة أشهر هلاك أمام مضايقيك ، وسيف أعدائك يدركك أو ثلاثة أيام يكون فيها سيف الرب ووباء فى الأرض وملاك الرب يعثو فى كل تخوم إسرائيل فانظر الآن ماذا أرد جوابا لمرسلى » (٣) .

---

(١) سفر أخبار الأيام الأول : ٢١ : ٥ .

(٢) سفر صموئيل الثانى : ٢٤: ١٣ .

(٣) سفر أخبار الأيام : ٢١ : ١١: ١٢ .

ففى نص سفر صموئيل الثانى يذكر جـاد لدواد ويخبره أنه ستأتى عليه سبع سنين جوع، ولكن جاء في نص سفر أخبار الأيام الأول يخبر داود أنها ثلاث سنين فقط، هذا خلاف مابين النصين من تباين في الأمور الأخري، فهل ماقاله جاد لداود سبع سنين جوع أم ثلاث فقط ؟

يقول صاحب « إظهار الحق » : وقد أقر مفسروهم أن الأول غلط (١)، وذلك لأن الثاني يناقضه صراحة .

٢٥ ـ بين صموئيل الثانى وأخبار الأيام الأول .

الذى يقرأ الإصحاح الخامس والسادس من سفر صموئيل الثانى، يرى أن داود عليه السلام حارب الفلسطينيين علي مانص عليه الإصحاح الخامس، وبعد محاربته الفلسطينيين ذهب هو وجميع الشعب ليأتوا بتابوت الرب، وهذا يعني أنهم حاربوا الفلسطينيين أولا، ثم جاءوا بالتابوت ثانيا .

ولكن الإصحاح الثالث عشر والرابع عشر من سفر أخبار الأيام الأول يعلم أنهم جاءوا بالتابوت أولا كما يفهم من الإصحاح الثالث عشر وحاربوا الفلسطينيين بعد ذلك، كما يفهم من الإصحاح الرابع عشر، ولنعد إلى النصوص ففى سفر صموئيل الثانى :

أولا: حرب الفلسطينيين :

« وسأل داود من الرب قائلا: أصعد إلى الفلسطينيين أتدفعهم ليدى، فقال الرب لداود: اصعد لأنى دفعا أدفع الفلسطينيين ليدك، فجاء داود إلي بعل فراحيم مصر وضربهم داود هناك » .

«ثم عاد الفلسطينيون فصعدوا أيضا وانتشروا فى وادى الرفائيين، فسأل داود من الرب فقال: لاتصعد بل در من ورائهم وهلم عليهم، مقابل أشجار البكا، وعندما تسمع صوت خطوات فى رءوس أشجار البكا، حينئذ احترس لأنـه إذ ذاك يخرج الرب أمامك لضرب محلة الفلسطينيين ، ففعل داود كذلك كما أمره الرب، وضرب الفلسطينيين من جميع إلى مدخل جازر» (٢) .

---

(١) إظهار الحق، ص ١٠٧ .

(٢) الإصحاح الخامس من سفر صموئيل الثاني : ١٨ ـ ٢٥ .

ثانيا : المجيء بالتابوت :

« وجمع داود أيضا جميع المنتخبين فى إسرائيل ثلاثين ألفا، وقام داود وذهب هو وجميع الشعب الذين معه، من بعلة يهوذا، ليصعدوا من هناك تابوت الله الذى يدعى عليه بالاسم اسم رب الجنود الجالس على الكروبيم، فأركبوا تابوت الله على عجلة جديدة وحملوه من بيت أبيناداب الذى في الأكمة وكان عزا وأخيو يسوقان العجلة الجديدة ... وداود وكل بيت إسرائيل يلعبون أمام الرب » .

«ولم يشأ داود أن ينقل تابوت الرب إليه إلى مدينة داود، فمال به داود إلى بيت عوبيد آدوم النبى» (١) .

يفهم من النصوص السابقة أن نقل التابوت كان عقب الحرب مع الفلسطينيين .

لكننا عندما نعود إلي نصوص سفر أخبار الأيام الأول نرى أن التابوت جيء به أولا وأن الحرب مع الفلسطينيين قامت بعد ذلك .

أولا: نقل التابوت :

« وجمع داود كل إسرائيل من شيخور مصر إلى مدخل حماة ليأتوا بتابوت الله من قرية بعاريم، وصعد داود وكل إسرائيل إلي بلعة إلي قرية بعاريم التى ليهوذا ليصعدوا من هناك تابوت الله الرب الجالس على الكر وبيم الذى دعى بالاسم، وأركبوا تابوت الله على عجلة جديدة من بيت أبيناداب وكان عـزا وأخيو يسوقان العجلة وداود، وكل إسرائيل يلعبون أمام الله » .

« ولم ينقل داود التابوت إليه إلى مدينة داود، بل مال به إلى بيت عوبيد آدوم النبى»(٢) .

ثانيا : حرب الفلسطينيين :

«فجاء الفلسطينيون وانتشروا فى وادى الرفائيين فسأل داود من الله قائلا: أأصعد على الفلسطينيين فتدفعهم ليدى، فقال له الرب: اصعد فأدفعهم ليدك، فصعدوا إلى بعل فراحييم وضربهم داود هناك وقال داود قد اقتحم الله أعدائى بيدى » .

---

(١) الإصحاح السادس من سفر صموئيل الثانى : ١ ـ ١٩ .

(٢) سفر أخبار الأيام الأول : ١٣ : ٥ ـ ١٤ .

« ثم عاد الفلسطينيون أيضا وانتشروا في الوادى فسأل أيضا داود من الله فقال له الله لا تصعدوا وراءهم تحول عنهم وهلم عليهم مقابل أشجار البكا، وعندما تسمع صوت خطوات فى رءوس أشجار البكا فاخرج حينئذ للحرب، لأن الله يخرج أمامك لضرب محلة الفلسطينيين، ففعل داود كما أمره الله، وضربوا محلة الفلسطينيين من جيعون إلى جاذر » (١).

ويفهم من هذه النصوص أن نقل التابوت كان أولا، وأن الحرب كانت ثانية، وهذا بخلاف ما ساقته لنا نصوص سفر صموئيل الثانى، ولاشك فى أن الحادثة واحدة، والقرائن فى النصوص على اتحاد الحادثة كثيرة ، فالتابوت نقل من بيت أبيناداب، ونقل على عجلة جديدة، واللذان يسوقان العجلة هما عزا وأخيو، وداود وكل إسرائيل يلعبون أمام الرب، وهذه القرائن سيقت فى السفرين على السواء .

وأيضا القرائن فى حرب الفلسطينيين واحدة ففى السفرين :

فداود سأل الرب أن يدفعهم ليده، فاستجاب له، وضربهم داود فى مكان يسمى بعل فراحييم، على ما حكاه السفران، وعاد الفلسطينيون وانتشروا فى وادى الرفائيين وأمره الله بعدم الصعود إليهم، وأن يلم عليهم من وراء شجرة البكا على ما حكاه السفران، أيضا، وألا يخرج لحربهم إلا إذا سمع صوت خطوات فى رءوس أشجار البكا على ما حكاه السفران أيضا، وضربوا محلة الفلسطينيين من جيع إلى جاذر .

كل هذه القرائن واحدة إذن فالحادثة واحدة، وعلى هذا يكون بين سفر صموئيل الثانى وسفر أخبار الأيام الأول تناقض فى سرد هذه القصة .

٢٦ ـ تناقض في سن الملك يهوياكين :

ففى الملوك الثاني : « كان يهوياكين ابن ثمانى عشرة سنة حين ملك ، وملك ثلاثة أشهر فى أورشليم واسم أمه نحوشتا بنت الناثان من أورشليم، وعمل الشر فى عيني الرب(٢) .

لكن الذى جاء فى سفر أخبار الأيام الثاني يناقض ذلك فقد جاء فيه مانصه : « كان

---

(١) المرجع السابق : ١٤ : ٩ ـ ١٧ .

(٢) سفر الملوك الثانى : ٢٤ : ٨ ـ ٩ .

يهوياكين ابن ثماني سنين حين ملك، وملك ثلاثة أشهر وعشرة أيام في أورشليم، وعمل الشر في عيني الرب » (١) .

فالحديث في السفرين عن ملك واحد يسمي يهوياكين لكن الحديث عنه في سفر الملوك الثاني يناقض تماما الحديث عنه في سفر أخبار الأيام الثاني، والتناقض في نقطتين :

الأولى : هل كان سنه حينما ملك ثماني عشرة سنة كما ورد في الملوك الثاني، أم كان ثماني سنين فقط كما ورد في أخبار الأيام الثاني ؟

فلا بد أن أحدهما صحيح والآخر خطأ، اللهم إن لم يعتر الخطأ النصين، وهم معترفون بالتحريف هنا .

يقول آدم كلارك في المجلد الثاني من تفسيره ديل عبارة سفر الملوك : « وقع في الآية التاسعة من الإصحاح السادس والثلاثين من السفر الثاني من أخبار الأيام (ثمانية) وهو غلط البتة لأن سلطنته كانت إلى (ثلاثة أشهر) ثم ذهب إلى بابل أسيرا، وكان في المحبس وأزواجه معه، والغالب أنه لايكون لابن ثماني أو تسع سنين أزواج، ويشكل أيضا أن يقال لمثل هذا الصغير أنه فعل ما كان قبيحا عند الله، فهذا الموضع من السفر محرف (٢) .

الثانية : التناقض في فترة ملكه ففي الملوك الثاني أنه ملك ثلاثة أشهر في أورشليم فقط، وفي سفر أخبار الأيام الثاني أنه ملك في أورشليم ثلاثة أشهر وعشرة أيام فقط .

هل بعد هذا يعقل أن يقال على هذه النصوص إنها مقدسة أو أنها من وحي السماء ؟

٢٧ ـ بين صموئيل الثاني وأخبار الأيام الأول :

ففي سفر صموئيل الثاني : « هذه أسماء الأبطال الذين لداود يوشيب بشبت التحكموني، رئيس الثلاثة، هو هز رمحه على ثمان مائة قتلهم دفعة واحدة » (٣) .

وفي سفر أخبار الأيام الأول : « وهذا هو عدد الأبطال الذين لداود، يشبعام بن حكموني، رئيس الثوالث هو هز رمحه على ثلاث مائة قتلهم دفعة واحدة » (٤) .

---

(١) سفر أخبار الأيام الثاني : ٣٦ : ٩ ـ ١٠ .
(٢) إظهار الحق، ص٢١٦، ٢١٧ .
(٣) صموئيل الثاني : ٢٣ : ٨ .
(٤) أخبار الأيام الثاني : ١١ : ١١ .

وهنا نتساءل: هل رئيس الثلاثة هو يوشيب أم يشبعام ؟ وهل هو ابن بشبث أم ابن حكموني ؟ وهل الذين قتلهم ثمان مائة أم ثلاث مائة ؟

فبالا فتراض الأول نطق سفر صموئيل، وبالتالى نطق سفر أخبار الأيام الأول .

وفى ذيل شرح عبارة صموئيل يقول «آدم كلارك » : « قال الدكتور كنى كات : إن فى هذه الآية ثلاثة تحريفات جسيمة »[1] .

فما الذي نقوله نحن بعد ذلك ؟

٢٨ ـ تناقض فى سفر الملوك الثانى :

ورد فى هذا السفر فى الإصحاح الأول فيه: « وملك يورام بن أحآب عوضا عنه فى السنة الثانية ليهورام بن يهوشا فاط ملك يهوذا لأنه لم يكن له ابن »[2] .

ويفهم من هذا النص أن يورام بن أحآب قد ابتدأ حكمه فى السنة الثانية من حكم يهورام بن يهوشافاط .

لكن ورد فى نفس السفر ما يناقض هذا الكلام تماما فقد ورد فيه : « وفى السنة الخامسة ليورام بن أحآب ملك إسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا ملك يهورام بن يهوشافاط ملك يهوذا »[3] .

ويفهم من هذا النص أن يهورام بن يهوشافاط قد ابتدأ حكمه فى السنة الخامسة من حكم يورام بن أحآب، مع أن النص السابق ينص على أن يورام بن أحآب هو الذى بدأ حكمه بعد مضى سنتين، من حكم يهورام بين يهوشافاط على يهوذا .

فمن منهما حكم أولا ؟

ويعترف سبينوزا بهذا التناقض فيقول : « ففى أخبار ملوك إسرائيل يذكر أن يورام بن أحآب بدأ حكمه في السنة الثانية من حكم يهوام بن يهوشافاط، على حين يذكر فى أخبار ملوك يهوذا أن يهورام بن يهوشافاط بدأ حكمه في السنة الخامسة من حكم يورام بن أحآب »[4] .

---

(١) إظهار الحق، ص ١٠٧ .

(٢) سفر الملوك الثانى : ١ : ١٧ .

(٣) المرجع السابق : ص ٨ : ١٦ .

(٤) رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٢٩٦ .

٢٩ ـ تناقض فى أخبار الأيام الثانى :

فى هذا السفر وفى الإصحاح الحادى عشر نجد هذا النص : واتخذ رحبعام لنفسه امرأة محلة بنت يريموث بن داود، وأبيحايل بنت إلياب بن يس فولدت له بنين يعوش ، وشيريا، وزاعم .

ثم بعدها أخذ معكة بنت أبشالوم فولدت له أبيا وعتاى وزيزا وشلوميث، وأحب رحبعام معكة بنت أبشالوم أكثر من جميع نسائه وسراريه ... وأقام رحبعام أبيا ابن معكة رئيسا وقائدا بين إخوته لكى يملكه » (١) .

وهذا النص يدل علي أن أبيا ابن لمعكة بنت أبشالوم زوجة رحبعام، وعلي أن أبيا هذا كان ذا مكانة عند أبيه، وكان أبوه يهيئه ليكون رئيسا وقائدا بعده .

فإذا ما انتقلنا إلى الإصحاح الثاني عشر والثالث لنرى حديثهم عن أبيا ـ هذا الذى خلف أباه فى الملك سنرى عجبا حيث ورد فى الإصحاحين مايلى :

« ثم اضطجع رحبعام مع آبائه ودفن فى مدينة داود، وملك أبيا ابنه عوضا عنه، وفى السنة الثامنة عشرة للملك يربعام ملك أبيا على يهوذا ، ملك ثلاث سنين فى أورشليم، واسم أمه ميخايا بنت أوربئيل من جبعة » (٢) .

وهذا النص يعتبر تكملة للنص السابق فقد تحقق ما كان يصبوا إليه رحبعام من رئاسة ولده الحبيب أبيا، وملك أبيا بعد دفن أبيه بجانب أجداده، لكن التناقض فى اسم أم أبيا، فهى فى الإصحاح الحادى عشر وكما ظهر من النص السابق معكة بنت أبشالوم، لكنها هنا ميخايا بنت أوربئيل، فأى القولين خطأ ؟ وهل يكون كلاهما واقعين فى الخطأ على السواء ؟ المهم أن السفر هنا يتناقض مع نفسه .

ولكننا عندما نتتبع هذه القضية فى الأسفار نجد نصا آخر ينص على أن أم أبيا هى معكة بنت أبشالوم .

ففى الملوك الأول : « ملك أبيا على يهوذا ، ملك ثلاث سنين فى أورشليم واسم أمه معكة بنت أبشالوم » (٣) ، فهنا يذكر النص أن اسم أمه معكة بنت أبشالوم .

---

(١) أخبار الأيام الثانى : ١١ : ١٨ ـ ٢٣ .

(٢) المرجع السابق : ١٢ : ١٦، ١٣ : ١ .

(٣) الملوك الأول : ١٥ : ١-٣ .

بهذا نكون قد عثرنا على نقطتين أو نصين يدلان على أن الأم تسمى معكة بنت أبشالوم ونقطة واحدة على أن اسمها ميخايا بنت أوربئيل، وبهذا ربما يغلب الاحتمال الأول على الثاني، ونستطيع أن نقول : إن أمه معكة بنت أبشالوم لتضافر الأدلة علي ذلك؟

لكن العجيب نراه عندما نقرأ نصا يحصر لنا أولاد أبشالوم حيث يقول : « وولد لأبشالوم ثلاثة بنين وبنت واحدة اسمها ثامار » (١) .

ويفهم من هذا أن أبشالوم كانت له بنت واحدة واسمها ثامار وليس اسمها معكة، ولانجد فى الكتاب المقدس كله أن لأبشالوم بنات أخريات، ولو كان لذكرت أسماؤهن كما أننا لم نعثر على نص يقول : إن ابنته الوحيدة كان لها اسمان، وهذان الاسمان هما : ثامار ومعكة .

٣٠ ـ ورد فى صموئيل الثانى :

« ولما أخذ داود جميع كل إسرائيل وعبر الأردن وجاء إلى حبلام فاصطف آرام للقاء داود وحاربوه، وهرب آرام من أمام إسرائيل، وقتل داود من آرام سبع مئة مركبة وأربعين ألف فارس، وضرب شويك رئيس جيشه فمات هناك » (٢) .

ونفس الحادثة يحكيها سفر أخبار الأيام الأول، ولكن باختلاف شديد عما سبق حيث ورد فيه : « ولما أخبر داود جمع كل إسرائيل ، وعبر الأردن وجاء إليهم واصطف ضدهم، اصطف داود للقاء آرام فى الحرب فحاربوه، وهرب آرام من أمام إسرائيل وقتل داود من آرام سبعة آلاف مركبة وأربعين ألف راجل، وقتل شويك رئيس الجيش» (٣) .

فالنصوص هنا تكاد تنطبق تماما على بعضها، حتى فى ترقيم الآيات، فهى الآيات ١٧ ، ١٨ فى السفرين، والحادثة واحدة ولا اعتراض على ذلك ومع هذا فبينها اختلاف شديد فى نقطتين :

الأولى: فى صموئيل الثانى أنه قتل من آرام سبع مئة مركبة، وفى أخبار الأيام الأول أن داود قتل من آرام سبع آلاف مركبة .

---

(١) صموئيل الثانى : ١٤ : ٢٧ .

(٢) صموئيل الثانى : ١٠ : ١٧ ـ ١٩ .

(٣) أخبار الأيام الأول : ١٩: ١٧ ـ ١٩ .

الثانية : فى صموئيل الثانى أن داود قتل من آرام أربعين ألف فارس، وفى أخبار الأيام الأول أنه قتل أربعين ألف راجل، والفارس هو من يمتطى جواده، والراجل هو من يمشى على قدميه .

فأيهما يكون مخطئا ؟ وهل يكون كلاهما مخطئين ؟ على كل حال لا يجوز أن يكون كلاهما صحيحين .

٣١ ـ جاء فى الملوك الثانى :

« فجاء ياهو إلى يزرعيل، ولما سمعت إيزابل كحلت بالإثمد عينيها، وزينت رأسها، وتطلعت من الكوة، وعند دخول ياهو الباب قالت: أسلام لزمرى قاتل سيده، فرفع وجهه نحو الكوة، وقال: من معى فأشرف عليه اثنان أو ثلاثة من الخصيان، فقال: اطرحوها»[١].

هل يمكن لوحى نزل من السماء أن يروى بهذا الشك ؟ ولايدرى كاتب الوحى أو راويه أن الذين أشرفوا على ياهو اثنان أو ثلاثة، أهذا كلام مقدس وموحى به من عند الله تعالى، لو كان كذلك لعلم بالضبط عدد الخصيان هل هم اثنان أو ثلاثة ؟

إن هذا يصح فى الحديث عن النبى أو الرسول ولأن الكلام الذى يحمل الشك ليس من كلام الله، بل ولا من كلام الرسول إنه من كلام الراوى، ولهذا يقال بعده : « شك من الراوى »، أما أن يكون ذلك فى كلام يدعى أنه من الله فلا .

٣٢ ـ عدة اختلافات :

بين أخبار الأيام الأول [٢]، وبين صموئيل الثانى [٣] :

وسأذكر النص من صموئيل، ثم أعقبه بما يناقضه من أخبار الأيام الأول وهكذا :

أولا:

فقد ورد فى سفر صموئيل: « وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذلهم وأخذ داود زمام القصبة من يد الفلسطينيين » .

وفى أخبار الأيام الأول : « وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذلهم وأخذ جت وقراها من يد الفلسطينيين » .

---

(١) الملوك الثانى : ٩ : ٣٠ ـ ٣٤ .

(٢) أخبار الأيام الأول : ١٨ : ١ ـ ٩ .

(٣) صموئيل الثانى : ص ٨ : ١ ـ ٩ .

فالاختلاف هنا واقع فى اسم المكان الذى أخـذه داود فعلى النص الأول يكون قد أخذ زمام القصبة، وعلى النص الثانى يكون قد أخذ جت وقراها .

ثانيا :

ورد فى صموئيل : « فأخـذ داود منه ألفا وسبع مائة فارس، وعشرين ألف راجل وعرقب داود جميع خيل المركبات » .

وفى أخبار الأيام : « وأخذ داود منه ألف مركبة، وسبعة آلاف فارس، وعشرين ألف راجل، وعرقب داود كل خيل المركبات » .

والاختلاف هنا فى نقطتين :

١ ـ لم يذكر صموئيل أى عدد من المركبة ولم يتعرض لمجرد ذكرها على الإطلاق .

٢ـ اختلفوا فى عدد الفرسان فهى عند صموئيل ألف وسبعمائة فارس وعند أخبار الأيام سبعة آلاف فارس، والبون بين العددين شاسع .

ثالثا :

ورد فى صموئيل: « ومـن باطح، ومـن بيروثاى مدينتى هـدد عـزر أخذ الملك داود نحاسا كثيرا جدا » .

وفى أخبار الأيام : « ومـن طبحـة وخون مدينتى هـدد عـزر أخـذ داود نحاسا كثيرا جدا» .

والاختلاف هنا في اسم المدينتين اللتين أخذ منهما داود النحاس الكثير ففى صمويل أنهما باطح، وبيروثاى، وفى سفر أخبار الأيام الأول أنهما طبحة وخون، فأيهما أصدق من الآخر، أو بمعني أصح : أيهما صادق وأيهما كاذب ؟

٣٣ ـ اختلاف فى عدد أولاد داود :

ورد فى صموئيل الثانى : « وأخـذ داود أيضـا سرارى ونساء من أورشليم بعد مجيئة من جدون، فولد أيضا لدواد بنون وبنات، وهذه أسماء الذين ولدوا له فى أورشليم، شموع، وشوباب، وناثان، وسليمان، وبيحار، وأليشوع، ونافج، ويافيع، واليشمع، وأليدع، وأليقلط » (١) .

---

(١) صموئيل الثاني : ٥ : ١٣ ـ ١٧ .

وأولاد داود بناء على هذا النص أحد عشر ولدا، ولدوا فى أورشليم، لكننا إذا قرأنا سفر أخبار الأيام الأول، سنجد العدد أكثر من هذا ففى سفر أخبار الأيام الأول : « وأخذ داود نساء فى أورشليم وولد أيضا داود بنين وبنات وهذه أسماء الأولاد الذين كانوا له فى أورشليم، شموع، وشوبات، وناثان وسليمان، وبيحار، وأليشوع، وألفالط، ونوجه، ونافج، ويافيع، وأليشمع، وبعليا داع، واليفلط » (١) .

ولو قمنا بعدد أولاد داود هنا الذين ولدوا له فى أورشليم لكانوا ثلاثة عشر أى قد زيد فيها اسمان وهما ألفالط ونوجه، فبين النصين اختلاف فى :

أولا : زاد النص الثانى عن النص الأول أثناء حصره لأولاد داود إذ قد زاد النص الثانى عن الأول اسمين هما ألفالط، ونوجه .

ثانيا : أن بعض الأسماء اختلفت من سفر إلى آخر فمثلا تري اسم اليدع المذكور فى صموئيل الثانى يذكر فى أخبار الأيام الأول على أنه بعليا داع .

فهل هذا من علامات الإهمال ؟ أو هل هو خطأ تام ؟ وأيهما الصحيح ؟ وعلى كلّ فالله تعالي لايهمل ولا يخطئ أبدا (٢) .

---

(١) أخبار الأيام الأول : ١٤ : ٣ ـ ٨ .

(٢) راجع فى تبديل التوراة واختلافها : « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » لابن تيمية جـ ٢ ص ١٨ ـ ٢٠ .

نسخ التوراة

ذكر أبو المعالى رحمه الله تعالى أن نسخ التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ثلاث نسخ :

الأولى : العبرانية، وهى التي بأيدى اليهود الآن .

الثانية : التى بأيدى النصارى، وقد اصطلح علم مقارنة الأديان على تسميتها بالتوراة اليونانية أو السبعينية .

الثالثة : التوراة السامرية . [1] .

أما كيف تعددت نسخ التوراة هكذا فإن التوراة قد ظلت على حالها مع بنى إسرائيل إلى سنة ٥٨٦ ق.م، وفى سنة ٥٨٦ ق.م جاء نبوخذ نصر ملك بابل وحارب بني إسرائيل، وهزمهم وساق الأعيان ووجهاء البلاد أسرى إلى بابل، وفكروا ما عسى يمكن أن يفعلوا، وبعد تفكير عميق اتفق العلماء الذين اتخذوا لهم مكانة بالمكر والخداع فى بلاط الحاكم الفاتح على تحريف التوراة، وكتابتها من جديد .

وكانت لجنة من العلماء قامت بكتابة التوراة الجديدة، ونظم أحوال اليهود، ولما رجع عزرا من بابل مع المسبيين بالتوراة الجديدة، حدث نزاع بين اليهود السامريين، انفصلوا بسببه عن اليهود العبرانيين إلى اليوم، ثم لكى يتهموا العبرانيين بالتحريف فى التوراة غيروا آيات من توراة عزرا ـ هكذا يقول العبرانيون عنهم ـ وهم يقولون عن العبرانيين نفس الشىء، وسميت توراتهم بالسامرية، وتوراة الفريق الآخر بالعبرانية .

وفى سنة ٢٨٥ ـ ٢٤٧ ق.م فى عهد بطليموس وفى مدينة الإسكندرية ترجمت التوراة العبرانية إلى اللغة اليونانية على يد سبعين عالما من علماء اليهود، وقد تعمد المترجمون إحداث تغيير فى بعض معانى آيات لتصير الترجمة غير معتبرة، وغير مقدسة، وبذلك يرجع الناس إلى العبرانية، وسميت هذه التوراة السبعينية أو اليونانية، ولما اعترف الرومان بالنصرانية مذهبا، اعترفوا بصحة اليونانية، وفضلوها على غيرها، ولذلك هى

(١) شفاء الغليل في بيان ماوقع فى التوراة والإنجيل من التبديل ص ١٠ .

مقدسة عند النصارى إلي هذا اليوم »[1] .

وإذا كنت قد بينت انعدام الاتساق الذاتي فى العهد القديم وهو يشمل التوراة لاشك وأقمت على ذلك الحجة ببيان كثرة كثيرة من التناقضات بين نصوصه فإنني أبرهن هنا على أن هذه النسخ الثلاث من التوراة متضاربة فيما بينها أيضا فانعدام الاتساق متحقق فى العهد القديم، وفى نسخ التوراة المتعددة .

تناقض نسخ التوراة الثلاث

أولا: اختلافها فى أولاد موسى عليه السلام :

ففى سفر الخروج : أن صفورة ولدت لموسى ابنا فدعا اسمه جرشون والنص هكذا : « فارتضى موسي أن يسكن مع الرجل، فأعطى موسى صفورة ابنته فولدت ابنا فدعا اسمه جرشون» [2].

وجاء فى نفس السفر ما يخالف ذلك فقد ورد فيه : « فأخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير ورجع إلى أرض مصر » [3] .

فقوله: « بنيه » وفى النص السابق لم يرزق إلا بجرشون خطأ .

وفى الأصل العبرى : « وأركبهم على الحمار » وفى الذى سبق : « على الحمير»، والحمار يناسب الأم والولد، والحمير بالجمع يناسب الأم والأبناء الكثيرين فأيهما صحيح ؟

وفى السامرية « وابنيه » بالتثنية، وفى اليونانية « أنه أنجب له ولدا ثانيا اسمه العازار»[4].

فهل هو ولد واحد أو أنهما ولدان أو أنهم أبناء كثيرون، وعلى هذا هل الذى ركبوه حمار واحدا أم أكثر من حمار ؟ وبكل رأى من هذه الآراء قالت توراة من الثلاثة .

ثانيا : اختلافهم فى عدد بنى إسرائيل :

فقد جاء فى سفر التكوين: « وجميع نفوس بيت يعقوب التى جاءت إلى مصر سبعون » [5].

---

(١) شفاء الغليل ص ١١ (المقدمة) .

(٢) خروج : ٢: ٢١، ٢٢ .

(٣) خروج : ٤: ٢٠ .

(٤) نقد التوراة ص ١٠٧ .

(٥) تكوين : ٤٦ : ٢٧ .

يقول صاحب نقد التوراة : « وفى التوراة اليونانية : خمس وسبعون » (١) .

حتى إننا نرى أن سفر الأعمال قد استشهد بالتوراة اليونانية فقد ورد فيه : « فأرسل يوسف واستدعى أباه يعقوب وجميع عشيرته خمسة وسبعين نفسا » (٢) .

ثالثا : آدم وأوراق التين :

ورد فى سفر التكوين : « فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا أوراق تين، وصنعا لأنفسهما مآزر» (٣) .

كيف خاط آدم أوراق التين، وورق التين صغير الحجم، وهما لم يعرفا بعد هذه الصنعة ؟ .

ولذلك نرى مترجم السريانية قد انتبه لذلك ـ وصعب عليه إثبات أن حواء كانت تعرف الخياطة وتحكمها، ولذلك ترجم هذه العبارة بقوله : « لصقا أوراق تين » والحق أن الكلمة العبرية تعني عملا أكثر من هذا (٤) .

رابعا : أين استقرت سفينة نوح ؟

فى سفر التكوين أنها استقرت على جبال أراراط، لكن فى العبرانية والسامرية استقرت السفينة على جبل سرنديب .

ففى سفر التكوين: « واستقر الفلك فى الشهر السابع فى اليوم السابع عشر من الشهر على جبل أراراط، وكانت المياه تنقص نقصا متواليا إلى الشهر العاشر، وفى الشهر العاشر فى أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال » (٥) .

لكن فى التوراة العبرانية وفى السامرية استقرت السفينة على جبال سرنديب (٦) .

خامسا :

يقول صاحب كتاب « نقد التوراة » : « ومما زاد الطين بلة : أن التوراة السامرية

---

(١) نقد التوراة ، ص ١٠٦ .
(٢) أعمال الرسل : ٧: ١٤ .
(٣) تكوين : ٣: ٧ .
(٤) انظر : السنن القويم ص ٥٥ .
(٥) تكوين : ٨: ٤ ـ ٥ .
(٦) انظر: نقد التوراة ص ٩٧ .

ذكرت وصية ليس لها ذكر فى وصايا التوراة العبرانية واليونانية، وهى تقديس جبل «جرزيم» فى نابلس، وعلي ذلك فلا بد من الاعتراف بأن الكاتب لم يكن معتدلا فى سرد الحقائق» (١) .

بين العبرانية واليونانية والسامرية فى أعمار الآباء الأول :

يقول إمام الحرمين الجوينى رحمه الله : « وأما ماوقع من التصريح بالكذب فى نسخ التوراة التى بيد اليهود، والنصارى فلذلك ألجأ إلى القول بوقوعه فهم فى ذلك كما قيل : « من لم يمت غبطة يمت هرما » .

وسبب وقوع هذا الاختلاف أن النصارى تزعم أن نصوص التوراة شاهدة بإرسال المسيح عليه السلام فى الزمن الذى أرسل فيه، وما بأيديهم من نسخ التوراة شاهد لهم بصحة ما زعموا، ، ويزعمون أن اليهود بدلوا ما بأيديهم من نسخ التوراة عنادا وحذرا من الاعتراف بإرسال المسيح عليه السلام، واليهود يزعمون أن النصارى بدلوا ما بأيديهم من النسخ، وأن المسيح عليه السلام إنما يأتى فى آخر الدور السابع، وما بأيديهم من نسخها موافق لما ادعوه (٢) .

فقد أجمع الفريقان على القول بوقوع التبديل، وكل طائفة تجعله صفدا فى عنق الأخرى .

وسوف أذكر هنا اختلاف النسختين فى أعمار الآباء الأول من آدم إلى نوح ومن نوح إلى إبراهيم عليهم السلام ـ كما جاء فى « شفاء الغليل » ـ :

ـ فى التوراة التى بيد اليهود : أن آدم عليه السلام حين أتى عليه مائة وثلاثون سنة ولد له شيث .

وفي التى بيد النصارى : أنه أتى عليه مائتان وثلاثون سنة ولد له شيث (٣) .

ـ وفى التوراة التى بيد اليهود : أن شيثا ولد له أنوش حين أتى عليه مائة وخمس سنين .

وفى التى بيد النصارى : أن أنوش ولد لشيث حين أتى عليه مائتان وخمس سنين (٤).

---

(١) نقد التوراة ،ص ١١٢ .

(٢) انظر شفاء الغليل فى بيان ماوقع فى التوراة والإنجيل من التبديل، ص ٣٢، ٣٣ .

(٣) انظر المصدر السابق. ص ٣٣ .

(٤) انظر الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ ٢ ص ٧ ، وانظر الإصحاح ٥ من سفر التكوين .

- وفي التوراة التي بيد اليهود : أن أنوش حين مضى عليه تسعون سنة ولد له : قينان .

وفي التي بيد النصارى : أن قينان ولد حين مضي على أنوش مائة وتسعون سنة [1] .

- وفي التوراة التي بيد اليهود : أن قينان حين أتى عليه سبعون سنة ولد له : مهللئيل .

وفي التي بيد النصارى، : أن قينان حين مضى عليه مائة وسبعون سنة ولد له مهللئيل [2] .

- وفي التي بيد اليهود : أن مهللئيل حين عاش خمسا وستين سنة ولد له : يارد [3] .

وفي التي بيد النصارى : أن يارد ولد له حين أتى على مهللئيل مائة وخمس وستون سنة . [4]

- واختلفت النسخ الثلاث على عمر يارد حين ولد له إخنوخ، ففي النسخة العبرانية كان عمره مائة واثنتين وستين سنة، وفي السامرية : اثنان وستون فقط، وفي اليونانية : مائتان واثنتان وستون لاغير [5] .

- وفي التوراة التي بيد اليهود : أن إخنوخ حين أتى عليه خمس وستون سنة ولد له متوشالح.

وفي التي بيد النصارى : أن متوشالح ولد حين أتى على إخنوخ مائة وخمس وستون سنة، وأن جميع عمر إخنوخ ثلاثمائة سنة وخمس وستين سنة على الأول، لكن عمره على الثانية كل خمسمائة سنة وخمسا وستين سنة [6] .

- واتفقت العبرانية واليونانية على عمر متوشالح حين ولد له لامك، ولكن اختلفت السامرية عنهما ، ففي العبرانية واليونانية كان عمره مائة وسبعا وثمانين سنة، وفي السامرية : سبع وستون فقط [7] .

- واختلفت النسخ الثلاث في عمر لامك حين ولد له نوح، ففي العبرانية : مائة واثنتان وثمانون، وفي السامرية : ثلاث وخمسون، وفي اليونانية: مائة وثمان وثمانون [8] .

---

(١) انظر :شفاء الغليل ، ص ٣٣، ٣٤ .

(٢) انظر : المصدر السابق، ص ٣٤ .

(٣) انظر : المصدر السابق ص ٣٤ .

(٤) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ٢ ص ٧ .

(٥) انظر : هامش شفاء الغليل ، ص ٣٤ .

(٦) انظر : شفاء الغليل ، ص ٣٥ ، والفصل جـ ٢ ص ٧ ، ٨.

(٧) انظر : هامش شفاء الغليل ، ص ٣٥ .

(٨) انظر : المصدر السابق : ص ٣٥ .

ـ ونوح ولد له سام حين مضى من عمره خمسمائة سنة وهم متفقون فى ذلك ، وكذلك أيضا وقع اتفاق علي أن ساما حين ولد له أرفكشاد كان عمره مائة سنة.

وفى كتب النصارى القديمة المنقولة عن الحواريين مخالفة لجميع ذلك [١]، وعاش أرفكشاد خمسا وثلاثين سنة وولد له: شالح وعاش بعد ذلك أربعمائة وثلاث سنين .

ـ وفى التى بيد اليهود: أن شالح عاش ثلاثين سنة وولد له عابر، ومدة حياة شالح أربعمائة وثلاث وثلاثون سنة .

وفى التى بيد النصارى : أن عابر ولد حين أتى على شالح: مائة وثلاثون سنة وأن مدة حياته أربعمائة وستون سنة [٢].

ففى هذا الفصل تكاذب بين الطائفتين فى موضعين: أحدهما : سن شالح، إذ ولد له عابر، والثانى : كمية عمر شالح .

ـ وفى التوراة التى بيد اليهود : أن عابر لما بلغ أربعا وثلاثين سنة ولد له فالج .

وفى التى بيد النصارى: أن فالج ولد له حين مضى من عمره مائة وأربع وثلاثون سنة.

ـ وفى التى بيد اليهود : أن فالج لما بلغ ثلاثين سنة ولد له رعو.

وفى التى بيد النصارى : أن فالج لما بلغ مائة وثلاثين سنة ولد له رعو .

ـ وفى التوراة التى بيد اليهود: أن رعو حين بلغ اثنتين وثلاثين سنة ولد له سروج.

وفى التى بيد النصارى : أن رعو حين عاش مائة واثنتين وثلاثين سنة ولد له سروج .

ـ وفى التوراة التى بيد اليهود : أن سروج حين بلغ ثلاثين سنة ولد له ناحور، وأن عمر سروج كله مائتا عام وثلاثون عاما .

وفى التى بيد النصارى : أن سروج حين بلغ مائة وثلاثين سنة ولد له ناحور، وأن عمر سروج كله كان ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة [٣] .

ـ وفى التوراة التى بيد اليهود: أن ناحور حين عاش تسعا وعشرين سنة ولد له تارح .

وفى التى بيد النصارى : أن ناحور حين بلغ تسعا وسبعين سنة ولد له تارح وهو أبو إبراهيم عليه السلام وولد له إبراهيم حين مضى من عمره سبعون سنة [٤] .

---

(١) انظر : شفاء الغليل : ص ٣٥ . (٢) انظر : المصدر السابق، ص ٣٦ .

(٣ ، ٤) انظر : المصدر السابق، ص ٣٦، ٣٧، والفصل جـ٢ ص ٨ .

وعقب كل هذا يقول الشيخ أبو المعالى إمام الحرمين رحمه الله: « فانظر إلي قبح هذا الاختلاف وغرابته، بين هاتين الطائفتين فى أمر ليس من قبيل الظنونات التى تختلف باختلاف مآخذ العلماء الناشئة عن اختلاف مراتب الظنون، بل كل طائفة تزعم أن مابيدها هو المنزل على موسى عليه السلام، وهذا عين التبديل والتغيير .

وإذا كان أغلب هذه الاختلافات بين التوراة العبرانية واليونانية، فإن توراة السامريين تتكون من خمسة أسفار، والأسفار الموسوية وهى : التكوين ـ الخروج ـ اللاويين والأخبار ـ العدد ـ التثنية ، ويقدسون سفرى يشوع والقضاة على أنهما سفران تاريخيان، وتوراتهم مختلفة عن توراة العبرانيين فى بعض المعانى، وكلتا التوراتين مختلفتان فى المعانى عن التوراة اليونانية، وتوراة العبرانيين تشتمل على تسعة وثلاثين سفرا منهم خمسة أسفار موسى والباقون يسمون بالتوراة مجازا أو أسفار الأنبياء، واليونانية تشتمل على ستة وأربعين سفرا منهم خمسة أسفار موسى عليه السلام » (١) .

ومن التناقضات بين النسخة العبرانية والنسخة اليونانية، أنه قد ورد فى المزمور الخامس بعد المائة : « جعل شعبه مثمرا جدا وأعزه على أعدائه ، حول قلوبهم ليبغضوا شعبه ، ليحتالوا على عبيده ، أرسل موسى عبده هارون ، الذى اختاره إماما بينهم كلام آبائه وعجائب فى أرض جام ، أرسل ظلمة فأظلمت، ولم يعصوا كلام »(٢)، هذا ماورد فى النسخة العبرانية.

وفى النسخة اليونانية : « وقد عصوا كلامه » وأحدهما خطأ يقينا وقد اعترف بذلك مفسرو العهد القديم من الغربيين (٣) .

وقد اتضح لنا من الأدلة السابقة انعدام الاتساق بين هذه النسخ .

يقول أبو محمد ابن حزم الظاهرى : « فتولد من الاختلاف المذكور بين الطائفتين زيادة عن ألف عام وثلثمائة عام وخمسين عاما عند النصارى فى تاريخ الدنيا ، على ما هو عند اليهود فى تاريخهم، وهى تسعة عشر موضعا كما أوردنا، فوضح اختلاف التوراة عندهم، ومثل هذا من التكاذب، لا يجوز أن يكون من عند الله أصلا، ولا من قول نبى البتة، ، ولا من قول صادق عالم من عرض الناس، فبطل بهذا بلا شك أن تكون التوراة

---

(١) هامش شفاء الغليل ، ص ٣٨ . (٢) مزمور : ١٠٥ : ٢٤ ـ ٢٩ .

(٣) انظر : اليهودية للدكتور أحمد شلبى، مكتبة النهضة المصرية . ط. السابقة ، سنة ١٩٨٤م ، ص ٢٦٢ .

وراجع موضوع اختلاف نسخ التوراة في : « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » لابن تيمية، جـ ١ ص ٣٨٠ ـ ٣٨٤ .

وتلك الكتب منقولة نقلا يوجب صحة العلم، لكن نقلا فاسدا مدخولا مضطربا، ولابد للنصارى ضرورة من أحد خمسة أوجه لامخرج لهم عند أحدهم :

إما أن يصدقوا نقل اليهود للتوراة وأنها صحيحة عن موسى عن الله تعالى، ولكتبهم، وهذه طريقتهم فى الحجاج والمناظرة فإن فعلوا فقد أقروا على أنفسهم وعلى أسلافهم الذين نقلوا عنهم دينهم بالكذب إذ خالفوا أقوال الله تعالى وقول موسى عليه السلام، أو يكذبوا موسى عليه السلام فيما نقل عن الله عزوجل وهم لا يفعلون هذا .

أو يكذبوا نقل اليهود للتوراة ولكتبهم، فيبطل تعلقهم بما فى تلك الكتب، مما يقولون: إنه إنذار بالمسيح عليه السلام، ولا يجوز لأحد أن يحتج بما لايصح نقله، أو يقولون كما قال بعضهم : إنهم إنما عولوا فيما عندهم من ترجمة سبعين شيخا الذين ترجموا التوراة، وكتب الأنبياء عليهم السلام لبطليموس، فإن قالوا هذا فإنهم لا يخلون ضرورة من أحد وجهين :

إما أن يكونوا صادقين فى ذلك ، أو يكونوا كاذبين فى ذلك، فإن كانوا كاذبين فى ذلك، فقد سقط أمرهم والحمد لله رب العالمين، إذ لم يرجعوا إلا إلى المجاهرة بالكذب، وإن كانوا صادقين فى ذلك فقد، حصلت توراتان مختلفتان متكاذبتان متعارضتان، توراة السبعين شيخا، وتوراة عزرا .

ومن الباطل الممتنع كونهما جميعا حقا من عند الله، واليهود والنصارى كلهم مصدق مؤمن بها تين التوراتين معا سوى توراة السامرية، ولابد ضرورة من أن تكون إحداهما حقا والأخرى مكذوبة، فأيهما كانت المكذوبة، فقد حصلت الطائفتان على الإيمان بالباطل ضرورة، ولا خير فى أمة تؤمن بيقين الباطل، وإن كانت توراة السبعين شيخا المكذوبة، فلقد كانوا شيوخ سوء كذابين ملعونين، إذ حرفوا كلام الله وبدلوه ، ومن هذه صفته، فلا يحل أخذ الدين عنه، ولايقبل نقله .

وإن كانت توراة عزرا هى المكذوبة ، فقد كان كاذبا إذ حرف كلام الله تعالى ولايحل أخذ شىء من الدين عن كاذب، ولابد من أحد الأمرين، أو يكون أحدهما كاذبا، وهذا هو الحق اليقين الذى لاشك فيه، لما قدمنا مافيه من الكذب الفاضح الموجب للقطع بأنها مبدلة محرفة، وسقطت الطائفتان معا وبطل دينهم الذى إنما مرجعه إلى تلك الكتب المكذوبة، ونعوذ بالله من الخذلان » (١) .

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل، جـ٢ ص ٩، ١٠ .

الفصل الثانى

انعدام الاتساق الذاتى فى الأناجيل

لقد تبين لنا فى دراستنا للعهد القديم ـ دراسة نقدية ـ أن أكثر نصوصه تتعارض مع بعضها وتختلف ، مما يؤكد لنا أن يد التحريف والتغيير قد امتدت إلى التوراة الحقة ، فتحولت إلى عدة أسفار وكتب ، لا تعرف لها مصدراً ولا تمت إلى موسى عليه السلام بصلة ، ولكن قام بتأليفها ـ كما مر ـ رجال مجهولون ، ونقلوا من مصادر مجهولة ، وكان لا يهمهم وهم ينقلون أن يخيروا بين الغث والسمين ، ولا بين الصحيح والسقيم ، فوقعوا فى تلك التناقضات التى ظهرت لنا في الفصل السابق .

وهنا سنقوم بما قمنا به فى الفصل السابق ، من دراسة نقدية لنصوص العهد الجديد ، وبخاصة الأناجيل الأربعة ، فهى الأساس عندهم وهى القطب والعماد ، فإذا ما تهاوت وتساقطت تهاوى ما دونها من أسفار أخرى .

يقول القس إنسلم تورميدا : « الأربعة الذين كتبوا الأناجيل اختلفوا فى أشياء كثيرة ، وذلك دليل على كذبهم ، فلو كانوا على الحق ما اختلفوا فى شىء » [١] .

وهو كلام عظيم ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا** ﴾ [٢] . فجعل الاختلاف دليلاً على الكذب على الله ؛ لأن كل ما هو من عند الله لا تختلف معانيه ولا تضطرب مبانيه ، وكلما كذب الكاذبون عليه ، لابد أن يفضحهم بوجود الاختلاف والاضطراب فيما كذبوه ؛ ليميز الله الخبيث من الطيب .

وأعتقد أن قوله تعالى : ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرا** ﴾ من الممكن أن نلتقى جميعًا عليها مسلمين وأهل كتاب ، فلو لم تكن الآية قرآنًا لكانت قانونًا عادلاً محكما ، فليكن ميزاننا الذى سنزن به ، والقانون الذى نحكم به جميعًا ، هو أن ما

---

(١) تحفة الأريب فى الردعلى أهل الصليب للقس إنسلم تورميدا ، الناشر دار المعارف ط . الثانية ، سنة ١٩٨٤ ، ص ١١١ . وقد أسلم ولقب بعبد الله الترجمان ، والكتاب تحقيق وتعليق الدكتور : محمود على حماية .

(٢) النساء : ٨٢ .

فيه اختلاف لا ينسب إلى الله تعالى .

وانعدام الاتساق الذاتى بتحقق التعارض فى نصوص الأناجيل ، أمر بين وواضح ومعترف به عندهم ، يقول الأستاذ : شارل جنبيير : « وتصفح الأناجيل وحده يكفى لإقناعنا بأن مؤلفيها ، قد توصلوا إلى تركيبات واضحة التعارض لنفس الأحداث والأحاديث ، مما يتحتم معه القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية ، ولم يستلهموا تاريخا ثابتا ، يفرض تسلسل حوادثه عليهم » .

ويقول ــ أيضًا ــ : « إننا لنلحظ فى ثنايا هذه السيرة الإنجيلية ، نقصًا كثيرًا وفجوات خطيرة » (١) .

ويقول موريس بوكاى: « وأما بالنسبة للأناجيل ، فما نكاد نفتح الصفحة الأولى منها، حتى نجد أنفسنا دفعة واحدة فى مواجهة مشكلة خطيرة ، ونعنى بها شجرة أنساب المسيح، وذلك أن نص إنجيل متى يناقض بشكل جلى إنجيل لوقا ، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمرا ، لا يتفق مع المعارف العلمية الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض ، غير أن وجود هذه الأمور المتناقضة ، وتلك التى لا يحتملها التصديق ، وتلك الأخرى التى لا تتفق والعلم ، لا يبدو لى أنها تستطيع أن تضعف الإيمان بالله ، ولا تقع المسئولية فيها إلا على البشر ، ولا يستطيع أحد أن يقول : كيف كانت النصوص الأصلية ، وما نصيب الخيال والهوى فى عملية تحريرها ، أو ما نصيب التحريف المقصود من قبل كتبة هذه النصوص ؟ أو ما نصيب التعديلات غير الواعية التى أدخلت على الكتب المقدسة ؟ ، وأن ما يصدمنا حقا فى أيامنا هذه ، أن نرى المتخصصين في دراسة النصوص ليتجاهلون ذلك التناقض والتعارض » (٢) .

ولعلنا نستنبط من كلام الأستاذ موريس بوكاى هذه الحقائق :

أولا : إن الأناجيل مليئة بالأمور التى تتناقض مع نفسها والنصوص المتضادة .

ثانيًا : إن هناك قضايا معروضة فى الأناجيل ، لا يمكن للعقل البشرى تصورها ولا تصديقها .

ثالثًا : هناك أمور أخرى لا تتفق مع معطيات العلم الحديث .

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ، ترجمة الدكتور : عبد الحليم محمود ، ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف العلمية الحديثة ، ص ١٣ ، ١٤ .

رابعـا : إن قـضيـة الإيمان بالله لا يمكن أن تهـزها مثل هذه الأمـور ولكن المسئوليـة الحقيقية تقع على كاهل البشر الذين قاموا بكتابتها وتحريفها وتناقضها .

خامسًا : لا يمكن لكائن بشرى ، ولا يستطيع أحد أن يتكهن أو يخمن ، كيف كانت النصـوص الأصلية ، كـما لا يمكن أيضًا التـخمين بمعـرفة مـقدار التحـريف الذى أصـاب الأناجـيل ، ومـا نصيب هـذه الأناجيـل من الخيـال والهـوى ، ومـعنى هذا ، أن الحق قد التـبس بالبـاطل ، بل وامتـزج به ، فلا تسـتطيع أن تفصل الحق عن الباطل ، ولا البـاطل عن الحق ، وهذا وحده كاف بضرورة استبعاد هذه النصوص .

سادسًا : إن الطامة الكبرى ، هى تجاهـل الدارسـين والمتـخصصـين المسـيحيين ، فى دراسة النصوص لهذه الأمـور المتناقضة ، وليتهم اكتفـوا بالتجاهل ، بل إنهم صـاروا يزينون الباطل بكـلمات المدح والثناء ، واسـتـخدام الصـيغ البراقـة للتستر عليه .

يقـول موريـس بـوكاى : « وما يصدمـنا حقـا ، استخـدام بعـض كبار المفسـرين لصيغ براقة دفـاعًا عن إنجيلى متـى ويوحنا ومدحهـم لهـما ، وإن استخدام هـذه الوسائل للتستر على تناقض ، أو علـى أمـر بعيد التصديـق مما يسمونه « صعوبة » استحياء ، قد كان ناجحًا في كثير من الأحيان » [١] .

سابعًا : والنقطة السابقـة ، هـى التى تفـسر لنا كيف ظل المسيحـيـون يجهلون نقاط الضعف فى كثير من نصوص كتبهـم المقدسة ، سواء كانت فى العهد القديم أو العهد الجديد .

يقول موريس بوكاى: « وهذا ما يفسر لنا كيف أن كثيرًا من المسيحيين ظلوا يجهلون نقاط الضعف الخطيرة، فى كثير من المقاطع فى العهد القديم وفى الأناجيل » [٢] .

ولقـد قدمت هذه المقـدمـة بين يدى هذا الفصل ، حـتى لا يتـعجب أحـد من كثـرة الأمور المختلفـة والمتناقضة [٣] ، التى سأقـوم بعرضـها ، وبالتالى لا يتـشكك . فهم أنفـسهم يقررون ذلك ويعترفون به ، ولنبدأ بتوفيق الله فى تجلية أمثال هذه الأمور :

---

(١) دراسة الكتب المقدسة ، ص ١٤ .　　(٢) نفسه .

(٣) راجع فى تناقضـات الأناجيل وتحـريفها : « الجـواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » لابن تيمية ، جـ ٢ ص ٣٨٠ – ٣٨٤ .

أولاً : تناقض متى ولوقا فى نسب المسيح :

يقول متى فى أول إنجيله : « كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم :

إبراهيم ولد إسحق ، وإسحق ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يهوذا وإخوته ، ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار ، وفارص ولد حصرون ، وحصرون ولد آرام ، وآرام ولد عميناداب، وعمينا داب ولد نحشون، ونحشون ولد سلمون ، وسلمون ولد بوعز من راحاب، وبوعز ولد عوبيد من راعوث ، وعوبيد ولد يسى ، ويسى ولد داود الملك ، وداود الملك ولد سليمان من التى لأوريا ، وسليمان ولد رحبعام ، ورحبعام ولد آبيا ، وآبيا ولد آسا ، وآسا ولد يهوشافاط، ويهوشافاط ولد يورام ، ويورام ولد عزيا ، وعزيا ولد بوثام، وبوثام ولد آحاز ، وأحاز ولد حزقيا ، وحزقيا ولد منسى ، ومنسى ولد آمون ، وآمون ولد يوشيا ، ويوشيا ولد يكينا وإخوته عند سبى بابل وبعد سبى بابل يكينا ولد شالتئيل ، وشالتئيل ولد زربابل ، وزربابل ولد أبيجور ، وأبيجور ولد الباقيم ، والباقيم ولد عازور ، وعازور ولد صادوق ، وصادوق ولد آخيم ، وآخيم ولد أليود ، وأليود ولد اليعازر ، واليعازر ولد متان ، ومتان ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح ، فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً ، ومن داود إلى سبى بابل أربعة عشر جيلاً ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا » (١) .

وقبل أن ندخل فى المقارنة بين متى ولوقا ينبغى أن أشير هنا إلى أن متى قد تناقض مع نفسه ، حيث صرح أن جميع الأجيال فى العصور الثلاثة أربعة عشر جيلاً لكنه لم يذكر فى العصر الأخير من سبى بابل إلى المسيح سوى ثلاثة عشر جيلاً ، يقول جون فينتون :

« يشير متى إلى أنه فى كل العصور الثلاثة ، يوجد أربعة عشر جيلاً رغم أنه فى الحقيقة لم يذكر سوى ثلاثة عشر اسماً فى الجيل الأخير ابتداء من متى ١ : ١٢ – ١٦ » (٢) .

ويقول موريس بوكاى موضحًا هذه النقطة : « يقول لنا متى : إنه قد اكتشف أن أسلاف المسيح ينقسمون ابتداء من إبراهيم إلى ثلاث مجموعات ، يحتوى كل منها على

---

(١) متى : ١ : ١ – ١٨ .

(٢) تفسير إنجيل متى ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

١٤ اسما ، المجموعة الأولى من إبراهيم إلى داود ، والمجموعة الثانية من داود إلى النفى إلى بابل ، والمجموعة الثالثة من النفى إلى بابل حتى المسيح ، ويحتوى نص متى فعلاً على ١٤ اسماً في كل من المجموعتين الأوليين ، ولكن المجموعة الثالثة من النفى إلى بابل ، حتى المسيح ، لا تحتوى إلا على ١٣ اسماً ، وليس ١٤ اسماً كما كان منتظراً ، وليست هناك أى نسخة مختلفة أخرى لمتى تحتوي على ١٤ اسماً فى هذه المجموعة » [١] .

ننتقل بعد ذلك لعرض نسب المسيح عند لوقا ، ونقارن بينه وبين متى فى هذه النقطة ، ونسب المسيح حسب رواية لوقا كما يلى :

« ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة ، وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالى ابن منتاب بن لاوى بن ملكى بن ينا بن يوسف بن متاثيا بن عاموص بن ناحوم بن حسلى ابن نجاى بن مآث بن متاثيا بن شمعى بن يوسف بن يهوذا بن يوحنا بن ريسا بن زربابل بن شالتئيل بن نيرى بن ملكى بن أدّى بن قصم بن المودام بن عير بن يوسى بن اليعازر بن يوريم بن متثات ابن لاوى بن شمعون بن يهوذا بن يوسف بن يونان بن الياقيم بن مليا بن مينان بن متاثا بن ناثان بن داود بن يس بن عوبيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عميناداب بن آرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج ابن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن قينان بن أرفكشاد بن سام ابن نوح بن لامك بن متوشالح بن أخنوخ بن يارو بن مهللئيل بن قينان بن أنوش بن شيت ابن آدم بن الله » [٢] .

هذا هو نسب المسيح حسب رواية لوقا ، وقد مر نسبه حسب رواية متى والآن نذكر ما بين الروايتين من تباين :

١ ـ ذكر متى نسب المسيح وتوقف به عند إبراهيم عليه السلام ، أما لوقا فقد وصل بنسب المسيح حتى آدم . إن لوقا فقط هو الذى يعطى معلومات عن أسلاف إبراهيم حتى آدم ، فيذكر لوقا قبل إبراهيم عشرين اسما ولو اعتبرنا العهد القديم هو مصدر لوقا فى هذه النقطة فإن العهد القديم لا يذكر إلا تسعة عشر اسماً فقط ، فقد أضاف لوقا بعد أرفكشاد وهو الاسم ١٢ عنده رجلا يدعى قينان رقم ١٣ لا نجد له أى أثر فى سفر التكوين باعتباره ابن (ارفكشاد) [٣] .

---

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ، ص ١١٤ .

(٢) لوقا : ٣ : ٢٣ ـ ٣٨ . (٣) انظر : دراسة الكتب المقدسة ، ص ١١١ .

وهنا تتسع دائرة الاختلاف ؛ لتشمل متى ولوقا وسفر التكوين بالعهد القديم .

٢ ـ يلاحظ أيضًا أن هذين النسبين للمسيح من جهة الرجال ، وهو شيء معدوم المعنى فيما يتعلق بالمسيح ، ولو كان من الضرورى إعطاء المسيح نسبًا وهو وحيد مريم أمه، وليس له أب بيولوجى منجب أن يكون ذلك النسب من جهة مريم فقط [١] .

٣ ـ لو طرحنا الزيادة التى عند لوقا من إبراهيم لآدم ، وقارنا بين متى ولوقا فى نسب المسيح حتى إبراهيم ، فإنه ينبغى أن نقسم النسب إلى فترتين الأولى من إبراهيم إلى داود ، والثانية من داود إلى المسيح .

الفروق فى الفترة الأولى :

١ ـ يذكر متى من إبراهيم إلى داود أربعة عشر اسما ، ويتفق معه لوقا فى العدد ، بينما نرى بينهما اختلاف فى بعض الأسماء ، والاختلاف فى الأسماء ـ على ما ذكره موريس بوكاى ـ على أن ما نقله عن لوقا يزيد اسما عن متى ، وهذا الاسم يدعى «أدمنى» ذكره لوقا بن آرام وعميناداب ، ولكن بمراجعتى لنسخة الكتاب المقدس وجدت متى ولوقا متفقين تماما فى العدد والتسمية ، من إبراهيم إلى داود ، وأعتقد أن هذا دليل على تغيير المسيحيين للنصوص أحيانا عند ترجمتها .

الفروق فى الفترة الثانية : من داود إلى عيسى :

١ ـ يعلم من متى أن عيسى ينحدر من أولاد سليمان بن داود ، بينما يعلم من لوقا أن عيسى ينحدر من أولاد ناثان بن داود ، وهذا اختلاف جوهرى أدى إلى التناقض الكامل ، والمغايرة التامة في عدد الأسماء وفى الأسماء ذاتها بين متى ولوقا .

٢ ـ النسب من داود إلى المسيح على ما ذكره متى سبعة وعشرون اسما ، لكنه على ما ذكره لوقا اثنان وأربعون اسما ، إذًا فعدد أسلاف المسيح مختلف فى الإنجيلين . يقول موريس بوكاى : « تحتوى شجرة نسب المسيح عند لوقا على أربعين اسما بعد داود وحتى المسيح ، أما متى فيشير إلى سبع وعشرين اسما بعد داود حتى

---

(١) دراسة الكتب المقدسة ، ص ١١٥ .

المسيح ، إذًا فعدد أسلاف المسيح « الاعتباريين » بعد داود مختلف في الإنجيلين، ويضاف إلى ذلك أن الأسماء نفسها مختلفة » (١) .

وأرى أن في هذا دليلاً واضحًا على أن كلا من متى ولوقا ينقل أنسابه عن مصادر مختلفة ، ولهذا تراكمت الأخطاء .

٣ ـ ذكر متى أن شالتئيل ابن يكنبا ، بينما ذكر لوقا أن شالتئيل ابن نيرى .

٤ ـ وذكر متى أيضًا أن ابن زربابل أبيهود ، ولكن لوقا يذكر أن ابن زربابل يسمى ريسا .

٥ ـ ذكر متى أن يوسف بن يعقوب ، ولكن لوقا ذكر أن يوسف بن هالى .

٦ ـ يقول صاحب « إظهار الحق» : « يعلم من متى أن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورون ومن لوقا أنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان » (٢) .

ولما كان الاختلاف بين البيانين ظاهرا بادى التأمل ، تحير فيهما علماء المسيحية من زمان اشتهار هذين الإنجيلين إلى اليوم ووجهوا توجيهات ضعيفة ، ولذلك اعترف جماعة من المحققين مثل « إكهارن ، وكيسر ، وهيس ، وديوت ، ووى تروقرش ، وغيرهم بأنهما مختلفان اختلافًا معنويا » (٣) .

ثانيًا : اختلاف الأناجيل في أسماء التلاميذ :

يقول متى فى إنجيله : « وأما أسماء الاثنى عشر رسولا فهى هذه : الأول سمعان الذى يقال له بطرس ، وأندراوس أخوه ، ويعقوب بن زبدى ، ويوحنا أخوه وفيلبس ، وبرثولماوس توما ، ومتى العشار ، ويعقوب بن حلقى ، ولباوس الملقب تداوس ، وسمعان القانونى ، ويهوذا الأسخريوطى الذى أسلمه » (٤) .

وتتفق رواية مرقس عن التلاميذ تقريبًا مع رواية متى ، حيث ذكرهم فى الإصحاح

---

(١) دراسة الكتب المقدسة ، ص ١١٤ .
(٢) إظهار الحق ، ص ١١٤ .
(٣) نفسه .
(٤) متى : ١٠ : ٣ ـ ٥ .

الثالث[1] ، وإذا كان متى ومرقس متفقين تقريبًا فى أسماء التلاميذ فإن لوقا ويوحنا يختلفان عنهما، ففى إنجيل لوقا: « لما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثنى عشر ، الذين سماهم أيضًا رسلا سمعان الذى سماه أيضًا بطرس وأندرواس أخاه ، ويعقوب ، ويوحنا فيلبس ، وبرثولماوس متى وتوما يعقوب بن حلفى ، وسمعان الذى يدعى الغيور، ويهوذا أخا يعقوب ويهوذا الأسخريوطى الذى صار مُسلّما أيضًا » [2] .

ويذكر يوحنا أسماء بعض التلاميذ ، من بينهم ـ كما يقول يوحنا ـ : « يهوذا ليس الأسخريوطى » [3] .

ومن هذه الروايات يتضح الخلاف فيما يلى :

١ ـ بينما يذكر متى ومرقس من بين التلاميذ اسم لباوس الملقب تداوس ، نرى أن هذا الاسم لم يرد مطلقًا ، بين التلاميذ الذين ذكر أسماءهم لوقا ويوحنا .

٢ ـ وبينما يذكر لوقا ويوحنا اسم يهوذا أخا يعقوب ، نرى أن مرقس ومتى لا يتعرضان لهذا الاسم مطلقًا .

يقول الدكتور جورج كيرد : « ومن الواضح أن هناك اختلافا بين ما ذكره متى ومرقس من جانب وبين لوقا ويوحنا من جانب آخر ، فعندما كتب الإنجيل ، لم يكن هناك مجرد التحقيق الكامل من شخصية التلاميذ . إن يهوذا بن يعقوب لا يظهر في القائمة المذكورة فى إنجيل كل من مرقس ومتى ، بينما شغل مكانه لباوس الملقب تداوس ، وأكثر من هذا ، فإن يهوذا « غير الخائن » يذكر فى التراجم المعتمدة لإنجيل لوقا باسم يهوذا أخى يعقوب ، ومرة أخرى باسم يهوذا بن يعقوب » [4] .

ثالثًا : هل الكلمة عند الله أم هو الكلمة ؟

فى إنجيل يوحنا يظهر التناقض في العبارة الأولى من الإصحاح الأول والتى تقول : « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، هذا كان فى البدء عند الله ، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان ، فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس » [5] .

---

(١) انظر مرقس : ٣ : ١٦ ـ ٢٠ .
(٢) لوقا : ٦ : ١٣ ـ ١٧ .
(٣) يوحنا : ١٤ : ٢٢ .
(٤) تفسير إنجيل لوقا ، ص ١٠١ .
(٥) يوحنا : ١ : ١ ـ ٥ .

يقول ابن حزم : « فهل سمع بأعظم سخفًا وأتم تناقضًا من هذا الكلام ؟ كيف تكون الكلمة هى الله وتكون عند الله ؟ فالله إذاً كان عند نفسه» .

ثم قوله: « إن الذى خلق بالكلمة هو حياة فيها ، فعلى هذا حياة الله مخلوقة ، فروح القدس على نص كلام هذا الرجل مخلوق ؛ لأن روح القدس عند جميعهم هو حياة الله، وهذا خلاف قول جميع النصارى ؛ لأن الحياة التى فى الكلمة مخلوقة بنص كلام يوحنا ، والله بنص كلام يوحنا هو الكلمة ، وهذا هدم لملة النصارى من قرب ، ثم أهم من هذا كله ، إذا كانت حياة الكلمة مخلوقة ، والكلمة هى الله ، فالله حامل لأغراض مخلوقة فيه ، فاعجبوا ثم اعجبوا » (١) .

والأغرب من هذا أن يوحنا نفسه يقول بعد ذلك بسطور : « والكلمة صار جسدا » (٢) .

وقد مر أنها الله ، وهذا يعنى أن الله بشر فهل هذا يجوز عندهم ؟

رابعًا : رؤية الله وسماع كلامه :

لقد بينا فى الفصل السابق تناقض الأسفار الخمسة في موضوع رؤية الله ، وفى نفس الموضوع تتناقض الأناجيل ، وتتعارض أقوال علمائهم مع نصوصهم المقدسة .

ففى يوحنا : « والأب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى ، لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته » (٣) .

وفى رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس : « الذى وحده له عدم الموت ساكنا ، فى نور لا يدنى منه الذى لم يره أحد من الناس ، ولا يقدر أن يراه الذى له الكرامة والقدرة الأبدية » (٤) .

ولكن متى يخالفه فى اللفظ والمعنى ، ففيه أن عيسى طلع على الجبل ومعه بطرس «يعقوب» ، ويوحنا ، فلما استقروا فوق الجبل ، إذ وجه المسيح يضىء كأنه كالشمس ، وثيابه بيضاء كالنور ، وسمعوا صوت الأب من السماء .

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، جـ ٢ ص ٦١ ، ٦٢ .

(٢) يوحنا : ١ : ١٤ .　　　(٣) يوحنا : ٥ : ٣٧ .

(٤) تيموثاوس الأولى : ٦ : ١٦ .

يقول متى : « وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم ، وصوت من السحابة قائلاً : هذا ابنى الحبيب الذى به سررت ، له اسمعوا » (١) .

وهنا تصريح بسماع كلام الله .

والأب « ميخائيل مينا » يعتقد خلاف ما ورد فى أناجيله المقدسة ، حيث يقول : « إن الصالحين يشاهدون الذات الإلهية وجهًا لوجه ، ويعرفون الله بمقدار المعرفة التى يعرف تعالى بها ذاته بمرأى لاهوتى » (٢) .

وفى يوحنا : « ليس أحدًا رأى الأب إلا الذى من الله » (٣) .

وفى يوحنا أيضًا : « ومن الآن تعرفون وقد رأيتموه ، قال له فيليبس : يا سيد أرنا الأب ، وكفانا ، قال له يسوع : والذى رآنى فقد رأى الأب » (٤) .

يقول تورميدا: « وهذا من الاختلاف الظاهر ، والكفر الفاحش ، أما الاختلاف فبين ما قاله يوحنا عن المسيح ، أن الذى أرسله يشهد له بصحة نبوته ورسالته ، ولا سمع أحد صوته ولا رآه ، وبين ما قال يوحنا المذكور : إن المسيح قال للحواريين : أنتم رأيتم أبى وعرفتموه ، من رآنى قد رأى أبى ؛ وكذلك قصة جبل طابور ، وأن الذين كانوا مع عيسى سمعوا كلام الأب رب العباد ـ تبارك وتعالي عن قولهم ـ وأنه قال لهم عن المسيح : هذا ولدى الذى اصطفيته لنفسى ، وحاشا لله أن يسمع مخلوقاته كلامه ، وتقدس عن الصاحبة والولد ، فكيف يشهد عيسى أنه ولد الله ؟ بل هذا من بهتانهم وجرأتهم على الله فى الكذب عليه وعلى رسوله عيسى ، ومقصودهم بجمع هذه الأكاذيب ترويج عقائدهم في ألوهية المسيح ، وكونه ولد الله ـ تعالى الله عن ذلك ـ ثم أوقعهم الله بعظيم قدرته وباهر حكمته فى التناقض وتداخل اللفظ والمعنى » (٥) .

خامسًا : هل يسوع عظيم وملكه إلى الأبد أم ذليل مهان ؟

إذا وصفت الأناجيل عيسى بأحد هذين الوصفين فليس من المعقول أن تصفه مرة

---

(١) متى : ١٧ : ٥ ، ومرقس : ٩ : ٧ .

(٢) علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة الأرثوذكسية للأب ميخائيل مينا ، مطبعة رمسيس ، سنة ١٩٧٤ م . جـ ٢ ص ٦٠ .

(٣) يوحنا : ٦ : ٤٦ . (٤) يوحنا : ١٤ : ٨ ـ ١٠ .

(٥) تحفة الأريب ، ص ١١٩ .

أخرى بالنقيض ، وإلا كان هذا تناقضًا بينًا ، والغريب هذه المرة أن هذين الوصفين المتناقضين يوصف بهما المسيح فى إنجيل واحد . فقد جاء فى لوقا : « وفى الشهر السادس ، أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل ، اسمها ناصرة على عذراء، مخطوبة ... فقال لها الملاك : لا تخافى يا مريم ؛ لأنك قد وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع ، هذا يكون عظيمًا وابن العلى يدعى ، ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية » (١) .

ويذكر لوقا نفسه بعد ذلك ، أن يسوع حمل إلى بيلاطس مذلولاً مهينا : « فقام كل جمهورهم وجاءوا به إلى بيلاطس ... وأما هيرودس ، فلما رأى يسوع ... وسأله بكلام كثير ، فلم يجبه بشىء ، ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد ، فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به » (٢) .

وهذا تناقض ؛ لأن أحد النصين يجعل يسوع عليه السلام ملكًا عظيمًا والآخر يصفه بالذل والمهانة » (٣) .

شهادة المسيح :

يتحدث يوحنا عن شهادة المسيح ، ولكنه يسوق حديثًا متناقضًا فمرة يذكر على لسان المسيح أن شهادته حق ومقبولة ، ومرة أخرى يذكر أنها باطل وغير مقبولة ، والمراد فى الحالتين شهادته لنفسه .

يقول يوحنا : « أجاب يسوع وقال لهم : وإن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق؛ لأنى أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب ، وأما أنتم فلا تعلمون من أين آتى ولا إلى أين أذهب » (٤) .

لكنه ينقض هذا الكلام بقوله عن المسيح أيضًا : « وإن كنت أشهد لنفسى ، فشهادتى ليست حقا، الذى يشهد لى هو آخر، وأنا أعلم أن شهادته التى يشهدها لى هى حق» (٥).

---

(١) لوقا : ١ : ٢٦ ـ ٣٣ . (٢) لوقا : ٢٣ : ٨ ـ ١١ .

(٣) انظر هامش : بين الإسلام والمسيحية لأبى عبيدة الخزرجى ، تحقيق وتعليق الدكتور : محمد شامة ، مكتبة وهبة ، ص ١٤٣ .

(٤) يوحنا : ٨ : ١٤ ـ ١٥ . (٥) يوحنا : ٥ : ٣٣ .

يقول أبو عبيدة الخزرجي : « أخبرني : كيف تكون شهادته حقًا وباطلاً ومقبولة وغير مقبولة ؟ ، وكيف يجمع بين هذين في كتاب منسوب إلى الله تعالى ؟ » (١) .

ويقول ابن قيم الجوزية : « كل من متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، يزيد وينقص ويخالف إنجيله إنجيل أصحابه في أشياء ، وفيها ذكر القول ونقيضه ، ففيه أنه قال : « إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي غير مقبولة » ، وقال في موضع آخر : « إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق » (٢) .

سابعًا : نقض الهيكل وبناؤه :

في يوحنا : أن المسيح يوما قد نهاهم عن التجارة في بيت المقدس ، وطلب منه اليهود أن يظهر لهم برهانا أنه المسيح :

« وقال لباعة الحمام : ارفعوا هذه من هنا ، لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة ، فتذكر تلاميذه أنه مكتوب غيرة بيتك أكلتني ، فأجاب اليهود وقالوا له : أية آية ترينا حتى نفعل هذا ؟ أجاب يسوع وقال لهم : انقضوا هذا الهيكل . وفي ثلاثة أيام أقيمه ، فقال اليهود : في ست وأربعين سنة بني هذا الهيكل ، أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه » ؟ (٣) .

ويذكر متى أن المسيح لما حمل إلى بلاط عامل قيصر ، وجاء شاهدان وشهدا بأنهما سمعاه يقول : أنا قادر على بنيان بيت المقدس في ثلاثة أيام . أطلق متى على الشاهدين أنهما شاهدا زور يقول متى : « فلم يجدوا ، ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا ، ولكن أخيرًا تقدم شاهدا زور وقالا : هذا قال : إني أقدر أن أنقض هيكل الله وفي ثلاثة أيام أبنيه » (٤) .

يقول أبو عبيدة : « أخبرني : كيف استجزتم أن تسموهما شاهدي زور وقد شهدا نص كتابكم أنه قال ذلك ؟ فإن قلت : إن اليهود ظنوا بهذا القول غير ما عنى عيسى ، فإن الشاهدين لم يشهدا على تأويل ، إنما شهدا على لفظه وما نطق به لسانه ، وما هو في كتابكم منصوص ، وأي تأويل لهذا غير ما يظهر من فحوى مجاوبة اليهود ، من أن البيت المعني في كلامه هو بيت المقدس ؟

---

(١) بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٤٦ .

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ص٢١٢ .

(٣) يوحنا : ٢ : ١٦ – ٢١ .　　(٤) متى : ٢٦ : ٦٠ – ٦٢ .

فقلتم : إنما أراد جسمه وإنه قام بعد ما صلب بثلاثة أيام ، وأن الخمسة والأربعين هو عدد أرقام اسم آدم بحساب الجُمّل ، وهكذا من الهذيانات التى لم تعرف اليهود منها شىء وما سمعت أن أسلافها جرى بينهم وبين عيسى عليه السلام هذا المجلس ولا سوى ذلك مما تصفونه من خرافات كتبكم (١) .

« فيا لله العجب كيف يدعى أن تلك المعجزة والقدرة له ، ويدعى أن الشاهدين عليه بها شاهدا زور » (٢) .

ثامنًا : هل بعث المسيح رحمة أم نقمة ؟

يتناقض متى مع نفسه فى تصويره الغاية التى بعث من أجلها المسيح ، فقد حكى على لسان المسيح قوله : « طوبى للرحماء لأنهم يرحمون ، طوبى للأتقياء القلب ؛ لأنهم يعاينون الله ، طوبى لصانعى السلام ؛ لأنهم أبناء الله يدعون » (٣) .

يقول أبو عبيدة : « وفى الإنجيل أيضًا عنه أنه قال : إنما قدمت لتحيوا وتزدادوا خيرا ، وأصلح بين الناس » (٤) .

وفى متى : « وأما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول إليه الآخر أيضًا ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضًا ، ومن سخرك ميلاً واحدا فاذهب معه اثنين ... أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى من يبغضكم » (٥) .

هذه النصوص كلها دعوة إلى الرحمة والتسامح ، وبيان للغاية من إرسال المسيح وتحديد للهدف من رسالته .

لكن متى نفسه يفاجئنا بما يناقض ذلك فيقول : « لا تظنوا أنى جئت لألقى سلامًا على الأرض ، ما جئت لألقى سلامًا بل سيفًا ، فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها ، والكنة ضد حماتها ، وأعداء الإنسان أهل بيته »(٦) .

---

(١) بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٤٩ .

(٢) هداية الحيارى ، ص ٢١٣ .

(٣) متى : ٥ : ٧ ــ ١٠ .

(٤) بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٥٤ ، والنص ترجمة لما تحتويه موعظة الجبل .

(٥) متى : ٥ : ٣٩ ــ ٤٤ .

(٦) متى : ١٠ : ٢٤ ــ ٢٧ .

ومع أن المسيحيين يدعون دائمًا ، أن دينهم دعوة للحب والتسامح ، إلا أنهم يسلكون المسلك المناقض ، عندما يتعاملون مع أهل الديانات الأخرى ، وخاصة الإسلام .

تاسعًا : تناقض فى وصايا المسيح للحواريين :

فى إنجيل متى : « هؤلاء الاثنى عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً : ... اشفوا المرضى، طهروا برصا ، أقيموا موتى ، أخرجوا شياطين مجانا ، أخذتم مجانا أعطوا ، لا تقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا فى مناطقكم ، ولا مزودا للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا ؛ لأن الفاعل مستحق طعامه » (١) .

وهنا ينهاهم المسيح عن أخذ المزود والحذاء ، والعصا للطريق أى أن العصا دخلت فى الأمور المنهى عنها .

ولوقا يتفق مع متى فى النهى عن أخذ العصا ، وقد جاء فى إنجيله : « ودعا تلاميذه الاثنى عشر ، وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ، ويشفوا المرضى وقال لهم : لا تحملوا شيئًا للطريق لا عصا ، ولا مزودا ، ولا خبزا ، ولا فضة ولا يكون للواحد ثوبان » (٢) .

لكن مرقس يخالف متى ولوقا ، فينقل أن المسيح أمرهم بأخذ العصا فى الطريق ، فهى من الأمور المأمور بها لا المنهى عنها .

ففى إنجيل مرقس : « ودعا الاثنى عشر ابتداء يرسلهم اثنين اثنين ، وأعطاهم سلطانا على الأرواح النجسة ، وأوصاهم ألا يحملوا شيئًا للطريق غير عصا فقط ، لا مزودا ولا خبزا ولا نحاسا فى المنطقة ، بل يكونوا مشددين بنعال ولا يلبسوا ثوبين » (٣) .

عاشرا : هيرودوس وأهل أورشليم :

الذى يقرأ الإصحاح الثانى من إنجيل متى ، يعرف من كلامه أن أهل أورشليم وهيرودوس ، ما كانوا عالمين بولادة المسيح قبل إخبار المجوس ، وأن هيرودوس اضطرب هو وأهل أورشليم عندما علم ، واتخذ الحيلة لقتله ، لكن ملاك الرب ظهر ليوسف النجار وأمره أن يهرب بالولد وأمه إلى مصر ، وظلا هناك حتى مات الملك هيرودس ، وبعد موته إذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ليوسف فى مصر ، آمرا له أن يعود بالصبى إلى أرض إسرائيل .

---

(١) متى : ١٠ : ٥ – ١٠ .   (٢) مرقس : ٦ : ٧ – ١٠ .

(٣) مرقس .

يقـول مـتى : « ولما ولد يسـوع فى بيت لحـم اليـهـودية فى أيام هيـرودس الملك ، إذا مجوس من الشـرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين : أين هو المولود ملك اليـهود ؟ فإننا رأينا نجمه فـي الشرق وأتينا لنسجد له ، فلمـا سمع هيرودس الملك اضطرب وجـميع أورشليم معه ، فـجمع كل رؤساء الكهنة وكتبـة السفر وسألهم أين يولد المسـيح ؟ فقالوا : فى بيت لحم ... وبعدما انصرفوا ، إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلاً : قم فخذ الصبى وأمـه واهـرب إلى مـصـر ، وكـن هناك حـتى أقـول لك لأن هيـرودس مـزمع أن يطلـب الصبى ليـهلكه ، فقام وأخـذ الصبى وأمه ليلاً وانصـرف إلى مصر ، وكـان هناك إلى وفاة هيرودس ... فلما مات هيرودس إذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ليوسف فى مصر قائلاً : قم وخذ الصبى وأمـه واذهب إلى أرض إسرائيل ؛ لأنه قد مات الذين كـانوا يطلبون نفس الصبى » (١) .

لكن لوقـا يخبـرنا بما يناقض هذا الكـلام ، ويذكر أن أبوى المسـيح ذهبـا بالطفل إلى أورشليم ، بعـد مدة النفاس لتـقديم الذبيـحة ، وأن الكل هناك عـرف بخبـر المسيح ؛ لأن سمعـان الذى كان رجلاً صالحًا وممتلئًا بروح القـدس أخذ عيسى على ذراعيـه في الهيكل وبين أوصافه ، وكذلك أخذته حنة النبية ، ووقفت تسبح الرب فى تلك الساعة ، وأخبرت جميع المنتظرين فى أورشليم ، ولو كان الملك هيرودس وأهل أورشليم معاندين للمسيح ، وحريصين على هلاكه لما حدث ذلك ، وكيف حـدث ذلك وكلام متى يصرح بأن ملاك الرب أمرهم أى أبوى المسيح بـأخذه خفية والهـرب به إلى مصر قبل إشاعـة أمره ، وعدم الرجوع به إلى أرض إسرائيل إلا بعد وفاة هيرودس .

يقول لوقـا : « ولما تمت أيام تطهرها حسب شـريعة موسى ، صـعدوا به إلى أورشليم ليقدمـوه للرب ... ولكى يقدموا ذبيـحة كما قيل فى نامـوس الرب ، ... وكان رجل فى أورشليم اسمـه سمعـان . وهذا الرجل كان بارًا تقـيًا ينتظر تعزية إسـرائيل والروح القدس كـان عليه ، وكـان قد أوحـى إليه بالروح القـدس ، أنه لا يرى الموت قـبل أن يرى مسيح الرب ، فأتى بالروح إلى الهيكل ، وعندما دخل بالصبى يسوع أبواه ليصنعا له حسب عادة الناموس أخـذه على ذراعيه ، وبارك الله وقال : الآن : تطلق عـبدك يا سيد حـسب قولك بسلام ؛ لأن عينى قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته قدام وجه جميع الشعوب ... وكانت نبيـة حنة بنت فنوئيل من سبط أشير ، وهى متـقدمة في أيام كـثيرة ، قـد عاشت مع زوج

(١) متى : ٢ : ١ – ٢١ .

سبع سنين بعد بكورتها ، وهى أرملة نحو أربع وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً ، فهى فى تلك الساعة وقفت تسبح الرب وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداء فى أورشليم ... وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم فى عيد الفصح » [١] .

فهل هذا الكلام يتسق مع ما ساقه متى ، من أنهم أمروا أن يهربوا بالطفل بعيداً عن أورشليم وعن الملك هيرودس ، الذى صار يذبح الأطفال ويتحسس أخبار ولادتهم لقتلهم ، كما أخبر بذلك متى ؟

يقول متى : « حينئذ لما رأى هيرودس أن المجوس سخروا به غضب جداً ، فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم وفى كل تخومها » [٢] .

فلابد أن أحدهما خطأ والثانى صحيح ، إن لم يتطرق الخطأ إليهما ، وخاصة إذا عرفنا أن أورشليم كانت هى دار السلطنة لهيرودس ، وقد اعترف المسيحيون بأن بيان متى غلط على لسان الفاضل (نورتن) محام عن الإنجيل ، لكنه سلم ههنا الاختلاف الحقيقى بين البيانين ، وحكم بأن بيان متى غلط ، وبيان لوقا صحيح [٣] .

حادى عشر : كذب متى فى ذكره سبب خروج أم عيسى به إلى مصر :

كتب متى عن مولد عيسى ، وما ظهر عند ولادته من العجائب كما كتب عن خروج أمه به إلى أرض مصر خائفة من الملك هيرودس الذى أراد قتله ، وسبب ذلك ما ذكره متى فى إنجيله :

« ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودس الملك ، إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين : أين هو المولود ملك اليهود ؟ فإننا رأينا نجمه فى المشرق ، وآتينا لنسجد له ، فلما سمع هيرودس الملك ، اضطرب وجميع أورشليم معه ، فجمع كل رؤساء الكهنة ، وكتبة الشعب وسألهم : أين يولد المسيح ؟ فقالوا : فى بيت لحم اليهودية ؛ لأنه هكذا مكتوب بالنبى ، وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا ، ليست الصغرى بين رؤساء يهوذا ؛ لأنه منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل ، حينئذ دعا هيرودس المجوس سراً ، وتحقق منهم زمان النجم الذى ظهر ، ثم أرسلهم إلى بيت لحم وقال : اذهبوا

---

(١) لوقا : ٢ : ١ ـ ٤٢ .   (٢) متى : ٢ : ١٦ .

(٣) انظر : إظهار الحق ، ص ١١٧ .

وافحصوا بالتدقيق عن الصبى ، ومتى وجدتموه فأخبرونى لكى آتى أنا أيضًا وأسجد له ، فلما سمعوا من الملك ذهبوا ، وإذا النجم الذى رأوه فى المشرق يتقدمهم ، حتى جاء ووقف فوق، حيث كان الصبى، فلما رأوا النجم فرحوا فرحًا عظيمًا جدًا، وأتوا إلى البيت، ورأوا الصبى مع مريم أمه ، فخروا وسجدوا له ... ثم أوحى إليهم فى حلم ألا يرجعوا إلى هيرودس انصرفوا فى طريق آخر إلى كورتهم ، وبعدما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلاً : قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر ، وكن هناك حتى أقول لك ، لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه » (١) .

يقول القس إنسلم تورميدا : « هذا كلام متى فى إنجيله ، وهذا باطل وكذب وزور ، وبيان ذلك :

أن بيت لحم بينه وبين بيت المقدس خمسة أميال ، فلو كان الملك هيرودس خائفا من هذا المولود باحثًا عنه لسار بنفسه مع المجوس ، أو يبعث معهم من ثقاته من ينصحه في البحث عن المولود على أتم الوجوه ، فهذا دليل على كذب متى فى هذه الحكاية ، وأيضًا فإن لوقا ومرقس ويوحنا لم يذكروا شيئًا عن هذا فى أناجيلهم ، ومتى لم يحضر المولود ، ولكنه نقله عن كذاب افتعله على ما نقله » (٢) .

وكلام « تورميدا » منطقى ، وخاصة إذا عرفنا أن الملوك قديما ، كان لهم شأوهم ، وكان كل ملك يعمل بشتى الطرق على عدم زوال ملكه ويقضى على أى خطر يهدد ذلك الملك ، ويتخذ أية وسيلة ولو كانت القتل .

ثانى عشر : هل يوحنا هو إيليا أم لا ؟ :

اختلفت الأناجيل وتناقضت في الرد على هذا السؤال ، فمتى يصرح لنا أن يوحنا يحيى هو إيليا ، ولكن إنجيل يوحنا ينفى ذلك على لسان يحيى نفسه :

ففى متى : « وسأله تلاميذه قائلين : فلماذا يقول الكتبة إن إيليا ينبغى أن يأتى أولا ؟ فأجاب يسوع وقال لهم : إن إيليا يأتى أولا ويرد كل شىء ، ولكنى أقول لكم : إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا ، كذلك ابن الإنسان أيضًا سوف يتألم منهم ، حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان » (٣) .

---

(١) متى : ٢ : ١ ـ ١٤ .

(٢) تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ، ص ٦٤ .

(٣) متى : ١٧ : ٩ ـ ١٤ .

وقول عيسى هنا ـ على زعمهم ـ يصرح بأن إيليا هو يوحنا المعمدان ، ويتحدث عيسى أيضا ـ في زعمهم ـ عن يحيى فيقول :

« وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتى » (١) .

لكن يوحنا ينقل على لسان يحيى ـ فى زعمهم ـ أنه ليس إيليا .

ففى إنجيل يوحنا : « وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ، ليسألوه من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر وأقر أنى لست أنا المسيح ، فسألوه : إذًا ماذا .. إيليا أنت ؟ فقال : لست أنا .. النبى أنت ؟ فأجاب : لا » (٢) .

وعلى هذا يلزم التناقض بين ما نقله متى عن عيسى فى حق يحيى وبين ما نقله يوحنا عن يحيى فى حق نفسه ، فعلى كلام عيسى يكون يحيى هو إيليا ، ولكن كلام يحيى ينفى ذلك فلزم التناقض فى قول يحيى وعيسى .

ثالث عشر : يوحنا يعرف المسيح ولا يعرفه :

تجمع الأناجيل الأربعة على أن يوحنا المعمدان والمسيح يعرف كل واحد منهما الآخر معرفة وثيقة ، ولا غرابة فى ذلك فهما نبيان تعاصرا وتقابلا . علاوة على أنهما أقرباء ، فحين بشر الملاك مريم بحملها قال لها :

« هو ذا اليصابات ، زوجة زكريا ، نسيبتك هى أيضًا حبلى بابن فى شيخوختها ، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا ؛ لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله » (٣) .

ولقد بشر يوحنا بالمسيح وعمده فى ماء الأردن وكان ذلك إيذانًا ببدء دعوة المسيح الذى تحقق يوحنا من شخصيته ، حين رأى الروح نازلاً عليه من السماء ، ففى إنجيل يوحنا على لسان يوحنا المعمدان :

« أنا أعمد بماء ولكن في وصفكم قائم الذى لستم تعرفونه هو الذى يأتى بعدى الذى صار قدامى ، الذى لست بمستحق أن أحل سيور حذائه ، هذا كان فى بيت عبره فى عبر الأردن حيث كان يوحنا يعمد ، وفى الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال : هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم ، هوذا الذى قلت عنه يأتى بعدى رجل صار قدامى ...

---

(١) متى : ١١ : ١٤ .

(٢) يوحنا : ١ : ١٩ ـ ٢٢ .

(٣) لوقا : ١ : ٣٦ ـ ٣٨ .

وشهد يوحنا قائلاً : إنى قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه » (١) .

وعن هذه المعرفة والتعميد يقول مرقس فى إنجيله : « وفى تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل ، واعتمد من يوحنا في الأردن » (٢) .

وفى إنجيل لوقا : – فى نفس المعنى أيضًا – يقول عن يوحنا : « ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضًا » (٣) .

وأيضًا فى متى: « حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه » (٤).

مما سبق يتبين لنا أن جميع الأناجيل تجمع على أن يوحنا كان يعلم تمامًا أنه يعمد المسيح المنتظر ، لكن متى ولوقا نسيا ذلك كله وعادا ليخبرانا بأن يوحنا بعد أن سجن ، أرسل بعض تلاميذه ليسألوا عن يسوع ، عما إذا كان هو المسيح المنتظر أم لا .

ففى متى : « وأما يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه وقال له : أنت هو الآتى أم ننتظر غيره ؟ فأجاب يسوع : اذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران ، العمى يبصرون والعرج يمشون ... » (٥) .

وفى لوقا : « فدعا يوحنا اثنين من تلاميذه ، وأرسل إلى يسوع قائلاً : أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟ ... » (٦) .

وجدير بالذكر ، أن الاضطهاد الذى لقيه يوحنا المعمدان ، حدث على يد هيرودس الحاكم ، الذى كان قد أرسل وأمسك يوحنا وأوثقه فى السجن ، من أجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه ، إذ كان قد تزوج بها ؛ لأن يوحنا كان يقول لهيرودس : « لا يحل أن تكون لك امرأة أخيك » (٧) .

ويعلق جون فينتون على هذه الفقرة قائلاً : « لقد كان مرقس مخطئًا بالتأكيد فى قوله: إن هيروديا كانت زوجة لفيلبس ، فقد كانت زوجه لهيرود آخر الذى كان أخا غير شقيق لهيرود انتبياس ، إن حذف اسم فيلبس من نصوص بعض المراجع المعتمدة قد تكون

---

(١) يوحنا : ١ : ٢٦ – ٣٣ .
(٢) مرقس : ١ : ٧ – ١٠ .
(٣) لوقا : ٣ : ١٦ – ٢٢ .
(٤) متى : ٣ : ١٣ .
(٥) متى : ١١ : ٢ – ٦ .
(٦) لوقا : ٧ : ١٩ – ٢٢ .
(٧) متى : ١٤ : ٣ – ٤ ، ومرقس : ٦ : ١٧ ، ١٨ .

محاولة متأخرة ، لإصلاح الخطأ الذى وقع فيه متى حين اقتفى أثر مرقس » (١) .

رابع عشر : صرح متى فى إنجيله :

« ولما قربوا من أورشليم وجاءوا إلي بيت فاجى عند جبل الزيتون ، حينئذ أرسل يسوع تلميذين قائلاً لهما : اذهبا إلى القرية التى أمامكما ، فللوقت تجدان أتانا مربوطة وجحشًا معها ، فحلاهما وأتيانى بهما . وإن قال لكما أحد شيئًا فقولا : الرب محتاج إليهما ، فللوقت يرسلهما فكان هذا كله ، لكى يتم ما قيل بالنبى القائل : قولوا لابنة صهيون ، هوذا ملكك يأتيك وديعا راكبا على أتان وجحش ابن أتان . فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع ، وأتيا بالأتان والجحش ، ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما » (٢) .

وعن نفس الحادث يصرح مرقس فى إنجيله فيقول : « ولما قربوا من أورشليم إلى بيت فاجى وبين عينيا ، عند جبل الزيتون أرسل اثنين من تلاميذه وقال لهما : اذهبا إلى القرية التى أمامكما ، فللوقت وأنتما داخلان تجدان جحشًا مربوطا ، لم يجلس عليه أحد من الناس فحلاه وأتيا به ، وإن قال لكما أحد : لماذا تفعلان هذا ؟ فقولا : الرب محتاج إليه ، فللوقت يرسله إلى هنا ، فمضيا ووجدا الجحش مربوطا عند الباب خارجا على الطريق ، فحلاه فقال لهما قوم من القيام هناك : ماذا تفعلان ؟ تحلان الجحش ؟ فقالا لهم كما أوصى يسوع فتركوهما ، فأتيا بالجحش إلى يسوع وألقيا عليه ثيابهما فجلس عليه » (٣) .

وتتفق رواية لوقا فى المعنى مع رواية مرقس ، وإن كان بينهما اختلاف فى بعض الألفاظ .

مفارقات :

بالنظر إلى نص متى وإلى نص مرقس ولوقا نجد اختلافا بين النصوص ، فعلى رواية متى أمر عيسى التلميذين أن يذهبا إلى القرية فسيجدان أتانا وجحشا ، فذهبا ووجدا الأتان والجحش وأتيا بهما إلى يسوع .

ولكن على رواية مرقس ولوقا نجد الأمر يختلف، فيسوع يأمرهما بالذهاب إلى القرية فسيجدا هناك جحشًا مربوطا دون ذكر للأتان ، فذهبا وأتيا بالجحش كما قال يسوع .

---

(١) تفسير إنجيل متى ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .   (٢) متى : ٢١ من ١ ـ ٨ .

(٣) مرقس : ١١ : ١ ـ ٨ .

يقول إمام الحرمين الجويني : « إن أحد هذين النصين قد لاح كذبه ؛ لأن متى صرح في إنجيله بأن تلميذيه حين أمرهما ، كان أمره لهما مقيداً بالإتيان بأتان وجحش معها ، ووصفهما بقوله : « ووضعا عليهما ثيابهما » ، « فجلس عليهما » .

لكن مرقس يصرح في إنجيله : إن الأمر للتلميذين كان مقيداً بالإتيان بجحش وأنهما أتيا به وأن المسيح جلس عليه [1] .

ثم تأتي رواية يوحنا لتخالف روايات متى ومرقس ولوقا ، حيث يصرح في إنجيله أنه : « وجد يسوع جحشاً فجلس عليه » [2] .

فالذي وجد الجحش هو يسوع ، لا التلاميذ كما ذكر غيره .

وهكذا نرى اختلافا وتبايناً في القصة الواحدة ، ولا يصح الاعتراض هنا بتكرر الحادثة ؛ لأن النصوص هنا بها عدة قيود ، تبين وتدل على أنها حادثة واحدة ، النصوص ذكرت في البداية قرب المسيح وتلاميذه من أورشليم ، كما ذكر مجيئه إلى بيت فاجي القريب من جبل الزيتون ، مما يدل على أن الحكاية واحدة .

ومما يؤخذ على رواية متى تصريحه ، بأن يسوع جلس عليهما أي على الأتان والجحش ولا أستطيع أن أتخيل ذلك .

فأعجب من هذه الواقعة المتحدة نسبتها كيف تباينت معانيها واختلفت حكايتها ؟ وأعجب من ذلك غفلتهم عن هذه النصوص وأمثالها وركونهم إلى أن جميعها جار على السداد ، حتى لو تفوه أحد منهم بما يوهم خللا في معانيها ، حكموا بسخافة عقله .

يقول جون فنتون: « إن قول متى: « أتانا مربوطة وجحشاً معها » يخالف قول مرقس ولوقا : « جحشا مربوطا لم يجلس عليه أحد من الناس » [3] .

خامس عشر : هل بطرس مفوض عن المسيح أم شيطان ؟ :

تتحدث الأناجيل حديثًا متناقضاً عن بطرس ، فبينما نعرف من مرقس ومتى أنه من أخص التلاميذ ، بل إنه مفوض من قبل المسيح أن يقول ويفعل ما يشاء ، نرى مرقس يبين أن المسيح زجره ونهره ، بل وأطلق عليه أنه شيطان .

---

(١) انظر : شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل ، ص ٥٢ .

(٢) يوحنا : ١٢ : ١٤ .

(٣) تفسير إنجيل متى ، ص ٣٢٩ .

ففى الإنجيل أن المسيح خرج وتلاميذه إلى قرى قيصره فيلبس وسأل تلاميذه قائلاً : «من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان فقالوا : قوم يوحنا المعمدان ، وآخرون إيليا ، وآخرون أرميا ، أو واحد من الأنبياء قال لهم : وأنتم من تقولون إنى أنا فأجاب سمعان بطرس وقال : أنت هو المسيح ابن الله الحى ، فأجاب يسوع وقال له : طوبى لك يا سمعان ابن يونا » (١) .

ويزيد إنجيل متى على ذلك ، أن المسيح كافأ بطرس على تلك الشهادة بقوله : « وأنا أقول لك أيضًا أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابنى كنيستى وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السموات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات » (٢) .

من ذلك يتضح أن بطرس من التلاميذ ، وأن المسيح أعطاه تفويضًا مطلقًا ، فى أن يحل ويربط كيفما يشاء ، وهذا التفويض من المسيح إلى بطرس انفرد به متى ، ولكن وبعد هذا الكلام مباشرة يعود متى ليناقض نفسه ، بل ويتفق معه مرقس فيقول :

« من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه ، أنه ينبغى أن يذهب إلى أورشليم ، ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل ، وفى اليوم الثالث يقوم ، فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينهره قائلا : حاشاك يا رب لا يكون لك هذا فالتفت وقال لبطرس : اذهب عنى يا شيطان ، أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس » (٣) .

لقد نسى كاتب إنجيل متى التوفيق بين ما سطره في صفحة واحدة افتتحها بجعل بطرس وكيلا للمسيح يحل ويربط كما يشاء ، لكنه ما لبث أن اختتمها بجعل بطرس أيضا: « شيطانا ومعثرة للمسيح » (٤) .

سادس عشر : وتتناقض الأناجيل فى الحديث عن بطرس مرة أخرى :

وقف المسيح بين تلاميذه الاثنى عشر وأولهم بطرس ، ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر . وأما أسماء الاثنى عشر رسولا فهى هذه الأول سمعان الذى يقال له بطرس (٥) .

---

(١) متى : ١٦ : ١٣ ـ ١٧ ، ومرقس : ٨ : ٢٧ ـ ٣٠ .

(٢) متى : ١٦ : ١٨ ـ ٢٠ .

(٣) متى : ١٦ : ٢١ ـ ٢٤ ، ومرقس : ٨ : ٣١ ـ ٣٤ .

(٤) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية .

(٥) متى : ١٠ : ١ ـ ٣ .

وكان المسيح يلقنهم تعاليم الرسالة ، ويحدد الصفات التى يجب أن يتحلى بها المرسلون وكان من جملة ما قاله :

« فكل من يعترف بى قدام الناس ، أعترف أنا أيضًا به قدام أبى الذى فى السموات ، ولكن من ينكرنى قدام الناس ، أنكره أنا أيضا قدام أبى الذى في السموات » (١) .

وفى لوقا : « وأقول لكم : كل من اعترف بى قدام الناس ، يعترف به دين الإنسان قدام ملائكة الله ، ومن أنكرنى قدام الناس ينكر قدام ملائكة الله » (٢) .

وفى ختام الدعوة ، جلس المسيح بين تلاميذه الاثنى عشر – ومنهم بطرس – ودار حديث بين بطرس والمسيح حيث قال له بطرس : « وإن شك فيك الجميع ، فأنا لا أشك أبدا قال له يسوع : الحق أقول لك : إنك فى هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرنى ، ثلاث مرات ، قال له بطرس : ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك » (٣) .

وتجمع الأناجيل أن نبوءة المسيح فى بطرس ، قد تحققت وفى الساعة العصيبة تركه التلاميذ وهربوا ، ولكن بطرس تبعه من بعيد إلى دار رئيس الكهنة ، وجلس بين الخدام لينظر النهاية :

« أما بطرس ، فكان جالسًا خارجًا فى الدار ، فجاءت إليه جارية قائلة : وأنت كنت مع يسوع الجليلى ، فأنكر قدام الجميع : لست أدرى ما تقولين : ثم إذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى ، فقالت للذين هناك : وهذا كان مع يسوع الناصرى . فأنكر أيضًا بقسم : إنى لست أعرف الرجل ، وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس : حقا أنت أيضًا منهم . فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف إنى لا أعرف الرجل » (٤) .

من هذه النصوص يعلم أن بطرس قد أنكر المسيح أكثر من مرة أمام الناس . وبهذا يكون بطرس قد أوقع نفسه في المحظور وألقى بها في دائرة الهلاك ، فلقد مر على لسان المسيح ، أن من أنكره قدام الناس فسوف ينكره المسيح قدام أبيه الذى فى السموات وملائكة الله ، وبهذا فلابد حتما أن ينكره المسيح أمام الله وملائكته تحقيقا لذلك .

---

(١) متى : ١٠ : ٣٢ – ٣٤ . (٢) لوقا : ١٢ : ٨ – ١٠ .

(٣) متى ٢٦ : ٣٣ – ٣٦ ، ومرقس ١٤ : ٢٩ – ٣٢ ، ولوقا : ٢٢ : ٣٤ .

(٤) متى ٢٦ : ٥٨ – ٧٤ ، ومرقس ١٤ : ٦٦ – ٧٢ ، ولوقا : ٥٤ : ٦٢ .

لكننا نقرأ بعد تلك الأحـداث ، أن المسيح حين قام من الأموات المرة الثالثة ، وتغدى مع التلاميذ فبعد ما تغدوا :

« قال يسوع لسمعان بطرس : يا سمعان بن يونا ، أتحبنى أكثر من هؤلاء ؟ قال : نعم يارب أنت تعلم إني أحبك . قال له : ارع خرافي ، قال له أيضًا ثانية : يا سمعان بن يونا ، أتحبنى ؟ قال له : نعم يا رب أنت تعلم إنى أحبك . قال له : ارع غنمى ، قال له ثالثة : يا سمعان بن يونا : أتحبنى ؟ فحزن بطرس ؛ لأنه قال له ثالثة : أتحبنى ؟ فقال له : يا رب ، أنت تعلم كل شيء أنت تعرف أنى أحبك ، قال له يسوع : ارع غنمى » (١) .

فهل يتسق هذا الكلام مع ما سبق ؟ هل الذى سينكره المسيح أمام الله وأمام ملائكة الله ، هو الذى يقوم المسيح من الأموات ليعينه خليفة له فى التلاميذ ورئيسًا عليهم ؟

وهل من قبيل الصدفة أن يكون الإنكار من بطرس ثلاث مرات ؟ وأن يقابل المسيح ذلك بتعيينه راعيًا على التلاميذ وثلاث مرات أيضا ؟ أم أن هذا من قبيل الاتساق فى انعدام الاتساق الذاتى فى هذه الأناجيل .

سابع عشر : اختلاف الأناجيل فى بيان إنكار بطرس :

تحدثت الأناجيل الأربعة عن تحقق نبوءة المسيح فى بطرس ، حيث أخبرالمسيح أن بطرس سينكره ثلاث مرات ، قبل أن يصيح ديك ، ولكن الحديث عن إنكار بطـرس جاء مضطربًا ، ومختلفًا من إنجيل لآخر واهتمام الأناجيل الأربعة بهذا الموضوع يقتضى أن يكون الغرض واحـدا لا اختلاف فيه ، ولكثرة اختلافهم فى هذه القضية ، فإننى سأقوم أولا بذكـر نصوص الأناجيـل الأربعـة متوالية ، وبعد ذلك أستخلص ما بين النصوص من اختلافات .

ففى إنجيل متى :

« أما بطرس فكان جالسًا خارجًا فى الدار ، فجاءت إليه جارية قائلة : وأنت كنت مع يسوع الجليلى : فأنكر قدام الجميع قائلا : لست أدرى ما تقولين ثم إذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك : وهذا كان مع يسوع الناصرى . فأنكر أيضًا بقسم : إنى

---

(١) يوحنا : ٢١ : ١٥ ـ ١٨ .

لست أعرف الرجل ، وبعد قليل ، جاء القيام وقالوا لبطرس : حقا أنت أيضًا منهم ، فإن لغتك تظهرك ، فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف : إنى لا أعرف الرجل ، وللوقت صاح الديك ، فتذكر بطرس كلام يسوع الذى قال له : إنك قبل أن يصيح الديك ، تنكرنى ثلاث مرات. فخرج إلى خارج وبكى بكاءً مرا » (١) .

وفى إنجيل مرقس :

« وبينما كان بطرس فى الدار أسفل جاءت إحدى جوارى رئيس الكهنة ، فلما رأت بطرس يستدفئ نظرت إليه وقالت : وأنت كنت مع يسوع الناصرى . فأنكر قائلاً : لست أدرى ولا أعرف ما تقولين ، وخرج خارجًا إلى الدهليز فصاح الديك فرأته الجارية أيضًا ، وابتدأت تقول للحاضرين : إن هذا منهم ، فأنكر أيضًا ، وبعد قليل أيضًا قال الحاضرون لبطرس : حقا أنت منهم . لأنك جليلى ولغتك تشبه لغتهم . فابتدأ بلعنه ويحلف : إنى لا أعرف هذا الرجل الذى تقولون عنه ، وصاح الديك ثانية ، فتذكر بطرس القول الذى قاله له يسوع : إنك قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات فلما تفكر به بكى » (٢) .

وفى إنجيل لوقا :

« وأما بطرس فتبعه من بعيد ، ولما أضرموا نارًا فى وسط الدار وجلسوا معا ، جلس بطرس بينهم ، فرأته جارية جالسا عند النار ، فتفرست فيه وقالت : وهذا كان معه فأنكره قائلا : لسنت أعرفه يا امرأة ، وبعد قليل رآه آخر وقال : وأنت منهم فقال بطرس : يا إنسان لست أنا ، ولما مضى نحو ساعة واحدة أكد آخر قائلا بالحق : إن هذا أيضا كان معه لأنه جليلى أيضا . فقال بطرس : يا إنسان ، لست أعرف ما تقول . وفى الحال ، بينما هو يتكلم صاح الديك ، فالتفت الرب ونظر إلى بطرس ، فتذكر بطرس كلام الرب ، كيف قال له : إنك قبل أن يصيح الديك تنكرنى ثلاث مرات ، خرج بطرس إلى خارج وبكى بكاءً مرًا » (٣) .

وفى إنجيل يوحنا :

« وكان سمعان بطرس والتلميذ الآخر يتبعان يسوع ، وكان ذلك التلميذ معروفًا عند

---

(١) متى : ٢٦ : ٦٩ ـ ٧٥ . (٢) مرقس : ١٤ : ٦٦ ـ ٧٣ .

(٣) لوقا : ٢٢ : ٥٤ ـ ٦٢ .

رئيس الكهنة ، فدخل مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة ، وأما بطرس فكان واقفًا عند الباب خارجًا ، فخرج التلميذ الآخر الذى كان معروفًا عند رئيس الكهنة وكلم البوابة ، فأدخل بطرس فقالت الجارية البوابة لبطرس : ألست أنت أيضًا من تلاميذ هذا الإنسان ؟ قال ذاك : لست أنا ... وسمعان بطرس كان واقفا يصطلى ، فقالوا له : ألست أنت أيضًا من تلاميذه فأنكر ذاك وقال لست أنا قال واحد من عبيد رئيس الكهنة وهو نسيب الذى قطع بطرس أذنه : أما رأيتك أنا معه فى البستان ؟ فأنكر بطرس أيضًا وللوقت صاح الديك » (١) .

بيان اختلاف الأناجيل الأربعة فى إنكار بطرس :

أولاً : الذين قاموا بسؤال بطرس : إنه من تلاميذ المسيح على رواية متى ، التى سألته أولا جارية ، والتى سألته ثانيًا جارية ، والذين سألوه ثالثا الرجال القيام . وعلى رواية مرقس، التى سألته أولا جارية ، وهى نفسها التى سألته ثانيًا ، والذى سأله ثالثًا الرجال الحاضرون ، وعلى رواية لوقا ، التى سألته أولا جارية ، وثانيا رجل ، وثالثا رجل آخر ، وعلى رواية يوحنا ، التى سألت أولا الجارية البوابة ، وثانيًا الرجال ، وثالثًا واحد من عبيد رئيس الكهنة ، وهذا اختلاف بين وفى حادثة واحدة .

ثانيا : أجمع الأربعة على أن السائل أولاً جارية ، ولكنهم اختلفوا فى أين كان بطرس حين سألته الجارية ؟ فحسب رواية متى كان بطرس خارج الدار ، وحسب رواية مرقس ، كان أسفل الدار ، وحسب رواية لوقا ، كان وسط الدار ، وحسب رواية يوحنا ، كان داخل الدار .

ثالثا : أجمعت الأناجيل الأربعة على أن بطرس سئل ثلاث مرات ، ولكنهم اختلفوا فى نوع ما سئل به بطرس ، والأسئلة الثلاثة على رواية متى هكذا :

١ ــ وأنت كنت مع يسوع الجليلى ؟

٢ ــ وهذا كان مع يسوع الناصرى ؟

٣ ــ حقًا أنت أيضًا منهم فإن لغتك تظهرك ؟

---

(١) يوحنا : ١٨ : ١٥ ــ ٢٨ .

ونفس الأسئلة على رواية مرقس هكذا :

١ ـ وأنت كنت مع يسوع الناصرى ؟

٢ ـ إن هذا منهم ؟

٣ ـ حقًا أنت منهم ؛ لأنك جليلى ولغتك تشبه لغتهم ؟

وعلى رواية لوقا هكذا :

١ ـ هذا كان معه ؟

٢ ـ قال : أنت منهم ؟

٣ ـ بالحق هذا أيضا كان معه لأنه جليلى ؟

وعلى رواية يوحنا هكذا :

١ ـ ألست أنت أيضًا من تلاميذ هذا الإنسان ؟

٢ ـ ألست أنت أيضًا من تلاميذه ؟

٣ ـ أما رأيتك أنا معهم فى البستان ؟

ولما كانت الحادثة واحدة ، كان ينبغى ألا تختلف نوعية الأسئلة من إنجيل لآخر ، لكن ما دمنا قد أثبتنا من قبل اختلافهم فى الأشخاص الذين سألوا ، فلابد إذًا أن يختلفوا فى نوعية الأسئلة .

رابعـا : روى متى ولوقا ويوحنا ، أن المسيح قال لبطرس : « قبل أن يصيح ديك تنكرنى ثلاث مرات » . ولكن مرقس وحده ، ينقل عن المسيح ، أنه قال : « قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات » .

وبناء على اختلافهم فى نقل كلام المسيح وتناقضهم فيه ، فقد اختلفوا فى وقت صياح الديك ، فعلى رواية متى ولوقا ويوحنا صاح الديك بعد مرات الإنكار الثلاثة ، وصاح مرة واحدة ، وعلى رواية مرقس صاح الديك مرة بعد الإنكار الأول ، وصاح مرة ثانية بعد الإنكار الثانى والثالث .

خامســا : اتفقت الأناجيل الأربعة أن التى سألته أولاً جارية ، ولقد سبق أن بينا أنهم اختلفوا فى طريقة سؤالها ، وهنا نبين اختلافهم فى جواب بطرس لها .

فإجابة بطرس للجارية التى سألته أولا على رواية متى : « لست أدرى ما تقولين » .

وعلى رواية مرقس : « لست أدرى ولا أعرف ما تقولين » .

وعلى رواية لوقا : « لست أعرف يا امرأة » .

وعلى رواية يوحنا : « لست أنا » .

سادســًا : اختلفوا فى جواب بطرس للسؤال الثانى :

فعلى رواية متى : « إنى لست أعرف الرجل » بعد القسم والإنكار .

وعلى رواية مرقس : « فأنكر أيضًا » أى الإنكار فقط .

وعلى رواية لوقا : « يا إنسان لست أنا » .

وعلى رواية يوحنا : « لست أنا » بعد الإنكار .

سابعــًا : يقول صاحب « إظهار الحق » : « إن الرجال القيام وقت السؤال كانوا خارج الدار على ما يفهم من مرقس ، وكانوا وسط الدار على ما يفهم من لوقا » [١] .

ولكن بمراجعتى حسب نسخة الكتاب المقدس ، التى أعتمد عليها ، لم أجد الرجال القيام قد ورد ذكرهم فى لوقا ، ولكن جاء ذكرهم فى متى ومرقس ويوحنا ، ولا يفهم من فحوى كلامهم خلاف فى مكان وقوف الرجال ، فإما أن صاحب إظهار الحق قد اختلط عليه الأمر ، وإما أنهم أحدثوا تعديلاً فى هذه النقطة فى نسخة الكتاب المقدس ، فالتعديل عندهم ليس أمرًا مستحيلاً .

وهكذا يسرد الحدث الواحد ، فى أكثر من إنجيل بشكل مختلف تمامًا ومتناقض ، يقول موريس بوكاى :

« إن كثيرًا من الأحداث مسرود بشكل مختلف ، وأحيانًا بشكل مختلف جدًا، لدى اثنين أو أكثر من المبشرين ، وكثيرًا ما يدهش المسيحيون عندما يكتشفون وجود هذه

---

(١) إظهار الحق ، ص ١٥٠ .

المتناقضات بالإنجيل ، فقد كرر على مسمعهم وبكثير من التأكيد ، أن كتاب الأناجيل كانوا شهوداً معاينين للأحداث الى أخبروا بها » (١) .

ويعلق الإمام الجوينى على روايتى مرقس ولوقا فيقول : « إن أحد هذين النصين كذب وتقول وافتراء ؛ لأن صاحبه « مرقس » صرح بأن المسيح عليه السلام قال لبطرس : « قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات » ، ثم بين : أنه لم يتكامل له جحد الثلاث ، والديك لم يصح بل صاح مرتين قبل الثالثة .

وصاحب هذا الكلام لوقا ، صرح بأن المسيح عليه السلام قال لبطرس : « لا يصيح الديك اليوم قبل أن تنكر ثلاث مرات أنك تعرفنى ، ثم إنه بين تكامل له جحد الثلاث ، والديك لم يصح ، والواقعة واحدة ، وكذلك زمانها ومكانها ، ونسبتها .

وعلى الجملة فمتى اتحدت نسبة كل خبر وتباينا قطع بكذب أحدهما فانظر إلى هذه العدالة فى نقل هذه الأناجيل، ساخراً ممن يزعم أن أصحابها معصومون من الخطأ ، أو ناقلوها عن المسيح عليه السلام » (٢) .

ثامن عشر : اختلاف الأناجيل فى بعض الحكايات :

١ ـ حكاية المفلوج :

يقول متى: « وإذا مفلوج بعد موته إليه مطروحًا على فراش، فلما رأى يسوع إيمانهم، قال للمفلوج : ثق يا بنى مغفورة لك خطاياك ، وإذا قوم من الكتبة قد قالوا فى أنفسهم هذا يجدف ، فعلم يسوع أفكارهم فقال : لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم أيما أيسر : أن يقال : مغفورة لك خطاياك ... حينئذ قال للمفلوج : قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك فقام ومضى إلى بيته » (٣) .

وعن نفس القصة يقول مرقس : « وللوقت اجتمع كثيرون ، حتى لم يعد يسع ولا ما حول الباب ، فكان يخاطبهم بالكلمة ، وجاءوا إليه مقدمين مفلوجا يحمله أربعة ، وإذ لم يقدروا أن يقتربوا إليه من أجل الجمع ، كشفوا السقف حيث كان وبعدما ثقبوه ، دلوا

---

(١) دراسة الكتب المقدسة ، ص ١١٧ .

(٢) شفاء الغليل ، ص ٥٠ .

(٣) متى : ٩ : ١ ـ ٨ .

السرير الذى كان المفلوج مضجعًا عليه ، فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج : يا بنى ، مغفورة لك خطاياك . وكان قوم من الكتبة هناك جالسين يفكرون ... قال للمفلوج : لك أقول ، قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك . فقام للوقت وحمل السرير » .

فعبارة متى تفيد أنهم قدموه إليه تقديمًا عاديًا ، وعبارة مرقس تفيد أنهم ثقبوا السقف ودلوه ، فأيهما أصح ؟

٢ ـ حكاية المجنـــون :

يقول متى : « ولما جاء إلى عبر البحر إلى كورة ... استقبله مجنونان خارجان من القبور هائجان جداً ، حتى لم يكن أحد يقدرأن يجتاز من تلك الطريق وإذا هما قد صرخا قائلين : ما لنا ولك يا يسوع ابن الله أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا ؟ وكان بعيد منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى ، فالشياطين طلبوا إليه قائلين : إن كنت تخرجنا فأذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير ، فقال لهم : امضوا فخرجوا ومضوا إلى قطيع الخنازير ، وإذا قطيع الخنازير كله قد اندفع على الجرف إلى البحر ، ومات فى المياه ، أما الرعاة ، فهربوا ومضوا إلى المدينة وأخبروا عن كل شىء ، وعن أمر المجنونين ، فإذا كل المدينة قد خرجت لملاقاة يسوع ، ولما أبصروه طلبوا أن ينصرف عن تخومهم » (٢) .

ونفس القصة يحكيها مرقس فى الإصحاح الخامس فيقول :

« وجاءوا إلى عبر البحر إلى كورة ... استقبلهم من القبور إنسان به روح نجس ... وصرخ بصوت عظيم وقال : مالى ومالك يا يسوع ابن الله العلى ، أستحلفك بالله ألا تعذبنى ... وكان هناك عند الجبال قطيع كبير من الخنازير يرعى ، فطلب إليه كل الشياطين قائلين : أرسلنا إلى الخنازير لندخل فيها . فأذن لهم يسوع للوقت ، فخرجت الأرواح النجسة ، ودخلت فى الخنازير ، فاندفع القطيع على الجرف إلى البحر ، وكان نحو الستين فاختنق فى البحر ... فابتدأوا يطلبون إليه أن يمضى من تخومهم » (٣) .

---

(١) مرقس : ٢ : ٢ ـ ١٢ .

(٢) متى ٨ : ٢٨ ـ ٣٤ .

(٣) مرقس : ٥ : ١ ـ ١٨ .

ولا يخفى على عاقل أن القصة هنا واحدة ، وأن الحدث واحد ، ولكن حكاية متى له اختلفت عن حكاية مرقس ، فعلى حكاية متى قد لقى المسيح فى القبر مجنونان ، وعلى حكاية مرقس أن الذى لقيه مجنون واحد ، يقول جون فنتون : « نلاحظ أن متى قد زاد عدد المجانين . فجعل الواحد اثنين » (١) .

٣ ـ حكاية ابنة رئيس المجمع :

يقول متى : « وفيما هو يكلمهم بهذا ، إذا رئيس قد جاء فسجد له قائلاً : إن ابنتى الآن ماتت لكن تعالى وضع يدك عليها فتحيا . فقام يسوع وتبعه هو وتلاميذه ... فلما دخل وأمسك بيدها فقامت الصبية » (٢) .

وهنا تصريح بأن البنت قد ماتت .

ولكن مرقس يذكر أنها كانت مريضة ولم تمت فيقول : « وإذا واحداً من رؤساء المجمع ... طلب إليه كثيراً قائلاً : ابنتى الصغيرة على آخر نسمة ، ليتك تأتى وتضع يدك عليها لتشفى ... وقال لها : يا صبية لك أقول : قومى . وللوقت قامت الصبية ومشت » (٣) .

والذى يمعن النظر فى قراءة هذه القصة بين متى ومرقس لا يتطرق إليه الشك فى أنها واحدة ، لكن كما قلنا ـ على حكاية متى ـ الفتاة ميتة ، وأبوها يطلب إحياءها ، وعلى مرقس الفتاة مريضة وأبوها يطلب شفاءها ، وفرق كبير بين الحالتين ، وسلم المحققون من المتأخرين للاختلاف المعنوى هاهنا ، فبعضهم رجح الأول وبعضهم الثانى ، واستدل البعض بهذا على أن متى ليس بكاتب الإنجيل وإلا لما كتب مجملاً » (٤) .

٤ ـ حكاية الأعمى :

يقول مرقس : « وجاء إلى بيت صيدا فقدموا إليه أعمى ، وطلبوا إليه أن يلمسه فأخذ بيد الأعمى وأخرجه إلى خارج القرية ، وتفل فى عينيه ووضع يديه عليه ، وسأله أن يبصر فأخبره أنه يرى الناس كأشجار يمشون ، ثم وضع يديه أيضًا على عينيه ، وجعله يتطلع فعاد صحيحًا وأبصر كل إنسان جليًا » (٥) .

---

(١) تفسير إنجيل متى ، ص ١٣٢ . (٢) متى : ٩ : ١٨ ـ ٢٦ .
(٣) مرقس : ٥ : ٢٢ ـ ٤٣ . (٤) إظهار الحق ، ص ١٢٣ .
(٥) مرقس : ٨ : ٢٢ ـ ٢٦ .

والغريب أن هذه القصة انفرد بها مرقس ، ولم يذكرها أحد غيره ، فلم ترد عن متى ولا عند لوقا ولا يوحنا ، فهل يا ترى لو كان ذلك وحيًا أو بإلهام الروح القدس أيخص به مرقس وحده ؟

ولاختلاف مصنفى الأناجيل اختلفت مصنفاتهم ، فبعضهم يذكر في إنجيله حالات أو عجائب لا يذكرها البعض الآخر ، أو يروى الخبر الواحد فى إنجيله بعبارة تناقض بالزيادة أو بالنقص ما ذكر فى الإنجيل الآخر (١) .

٥ ـ حكاية بين متى ومرقس :

يقول متى : « وفيما هم خارجون من أريحا ، تبعه جمع كثير ، وإذا أعميان جالسان على الطريق ،. فلما سمعا أن يسوع مجتاز صرخا قائلين : ارحمنا ياسيد ، يابن داود . فوقف يسوع وناداهما وقال : ماذا تريدان أن أفعل بكم ؟ قالا له : يا سيد أن تنفتح أعيننا . فتحنن يسوع ولمس أعينهما فللوقت أبصرت أعينهما فتبعاه » (٢) .

وهنا يصرح متى بأنه عندما خرج يسوع وتلاميذه من أريحا ، وجد أعميين جالسين فى الطريق فشفاهما من العمى ، لكن مرقس يحكى نفس القصة بطريقة مختلفة فهو لم يذكر سوى أعمى واحد ويسميه :

يقول مرقس : « وجاءوا إلى أريحا ، وفيما هو خارج من أريحا مع تلاميذه وجمع غفير ، كان بارثيماوس أعمى ابن بنماوس جالسًا على الطريق يستعطى ، فلما سمع أنه يسوع الناصرى ابتدأ يصرخ ويقول : يا يسوع بن داود ، ارحمنى ، فانتهره كثيرون ليسكت ، فصرخ أكثر كثيراً : يابن داود ، ارحمنى . فوقف يسوع وأمر أن يُنادى ... فأجاب يسوع وقال له : ماذا تريد أن أفعل بك ؟ فقال الأعمى : يا سيدى أن أبصر . فقال له يسوع : اذهب ، إيمانك قد شفاك . فللوقت أبصر وتبع يسوع فى الطريق » (٣) .

فالحكاية واحدة ، لكن متى كما رأينا جعلهما أعميين ، وعند مرقس أعمى واحد اسمه بارثيماوس ، ولا يخفى على كل ذى لب ، إذا قرأ الإصحاح العشرين من متى والعاشر من مرقس ، أن يلحظ اتحاد الأحداث وترتيبها فيهما ، لكنها مختلفة فى السياق والمعنى .

---

(١) انظر : قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ، ص ٤٠٢ .

(٢) متى : ٢٠ : ٢٩ ـ ٣٤ .

(٣) مرقس : ١٠ : ٤٦ ـ ٥٢ .

ويقول « تورميدا » : « ومعلوم من الإنجيل أن عيسى لم يمر بتلك البلدة إلا مرة واحدة، فقد كذب متى فى كونهما مكفوفين ، وكذب مرقس فى كونه مكفوفًا واحدًا ؛ لأن القصة واحدة وفى إقرارهما بأن المكفوف نادى عيسي وقال له : « يابن داود » نسبه إلى نسل البشر مما يكذب عقائدهم فيه » (١) .

٦ ـ حكاية شجرة التين :

يحكى لنا إنجيل متى حكاية شجرة التين التى يبست بكلمة يسوع ، لكن مرقس عندما يتناول هذا الحادث يختلف فى روايته عن متى اختلافا جوهريا .

ففى إنجيل متى : « ودخل يسوع إلى هيكل الله ، وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل ، وقال لهم : مكتوب بيتى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص ، ثم تركهم وخرج خارج المدينة إلى بيت عنيا وبات هناك ، وفى الصبح إذ كان راجعًا إلى المدينة جاع ، فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها ، فلم يجد منها شيئًا إلا ورق فقط . فقال لها : لا يكن منك ثمرًا إلى الأبد . فيبست التينة فى الحال . فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين : كيف يبست التينة فى الحال ؟ فأجاب يسوع وقال لهم : الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان ولا تشكون ، فلا تفعلون أمر التينة فقط ، بل إن قلتم أيضًا لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر فيكون » (٢) .

لكن إنجيل مرقس يقول فى هذا الحادث: « وفى الغد، لما خرجوا من بيت عنيا جاع، فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئًا ، فلما جاء إليها لم يجد شيئًا إلا ورقًا ؛ لأنه لم يكن وقت التين ، فأجاب يسوع وقال لها : لا يأكل أحد منك ثمرا بعد إلى الأبد ؛ وكان تلاميذه يسمعون وجاءوا إلي أورشليم ، ولما دخل يسوع الهيكل ، ابتدأ بخروج الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل ... وكان يعلم قائلاً لهم : أليس مكتوبا بيتى بيت صلاة يدعى ... وأنتم جعلتموه مغارة لصوص ... ولما صار المساء خرج إلى خارج المدينة ، وفى الصباح إذ كانوا مجتازين رأوا التينة قد يبست من الأصول ، فتذكر بطرس وقال له : يا سيدى ، انظر التينة التى لعنتها قد يبست . فأجاب يسوع وقال له : ليكن لكم إيمان بالله لأنى الحق أقول لكم : إن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر

---

(١) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، ص ١١٣ .

(٢) متى : ٢١ : ١٣ ـ ٢٣ .

ولا يشك فى قلبه بل يؤمن من أنه ما بقوله يكون فمهما قال يكون له » (١) .

من الواضح أن هناك اختلافًا بين الروايتين يمكن تلخيصه فى الآتى :

١ ـ بينما يذكر إنجيل متى ، أن تطهير يسوع للهيكل من الباعة والصيارفة ، قد حدث قبل أن يمر بشجرة التين ثم يلعنها ـ نجد عكس ذلك فى إنجيل مرقس ، الذى يذكر حادث شجرة التين قبل تطهير الهيكل .

٢ ـ وبينما نجد فى إنجيل مرقس ، أن يسوع لعن الشجرة في يوم وأن بطرس لفت نظره فى اليوم التالى أنها يبست ـ نجد متى يحكى وقوع جميع الأحداث في نفس اليوم ، واللحظة التي مر فيها يسوع .

ويشير « جون فنتون » عميد كلية اللاهوت بلتشفيلد بانجلترا إلى نقط الخلاف بينهما فيقول : « نجد فى إنجيل مرقس أن يسوع يبحث عن ثمر فى الشجرة ويلعنها فى نفس اليوم، ثم يلفت بطرس نظر يسوع إلى جفافها في اليوم التالى .

لكنه نتيجة لما قام به متى ، من إعادة ترتيب الرواية ، فإن جميع أحداثها تقع فى نفس اليوم » (٢) .

٧ ـ حكاية سؤال ابنى زبدى :

ونرى فى هذه القصة اختلافا بين رواية مرقس ورواية متى .

ففى إنجيل متى : « حينئذ تقدمت إليه أم ابنى زبدى مع ابنيها وسجدت ، وطلبت منه شيئًا فقال لها : ماذا تريدين ؟ قالت له : قل أن يجلس ابناى هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار فى ملكوتك » (٣) .

لكن مرقس يقول غير ذلك ففى إنجيله : « وتقدم إليه يعقوب ويوحنا ابنا زبدى قائلين: يا معلم ، نريد أن تفعل لنا كل ما طلبنا . فقال لهما : ماذا تريدان أن أفعل لكما ؟ فقالا له : أعطنا أن نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك فى مجدك » (٤) .

والاختلاف هنا واضح بين الروايتين ، فبينما الأم هى التى تتقدم وتطلب من يسوع أن يجعل أحد أبنائها عن يمينه والآخر عن يساره على حسب رواية متى ، نرى أن الولدين

---

(١) مرقس : ١١ : ١٢ ـ ٢٣ .
(٢) تفسير إنجيل متى ، ص ٣٣٦ .
(٣) متى : ٢٠ : ٢٠ ـ ٢٢ .
(٤) مرقس : ١٠ : ٣٥ ـ ٣٨ .

هما اللذان يتقدمان ويطلبان ذلك على حسب رواية مرقس .

ويبين لنا « جون فنتون » السر فى هذا التغير فيقول : « لقد أحدث متى بعضًا من التغييرات والحذف لما فى إنجيل مرقس ، وأهم ما في ذلك ، أنه بينما فى إنجيل مرقس نجد أن التلميذين نفسيهما يطلبان من يسوع إذ بأمهما هى التى تطلب منه حسب رواية إنجيل متى » (١) .

« وأما لوقا ويوحنا فما ذكرا فى إنجيليهما شيئا من هذه القصة عن الولدين ولا عن أمهما ، مع أن يوحنا كان ملازما للمسيح ولم يفارقه حتى رفع .

وهذا من الاختلاف الركيك فإن متى قال : الأم طلبت ذاك ، ومرقس قال : الولدان هما اللذان طلبا ، وصاحباه الآخران خالفاهما بعدم ذكر هذه القصة أصلا » (٢) .

تاسع عشر : روايات الأحداث الأخيرة :

تشكل روايات الأحداث الأخيرة أساسًا فى الأمور العقائدية عند المسيحيين ، فالعشاء الأخير ، وعيد الفصح ، وروايات تأسيس القربان المقدس ، وقضية الصلب والقيامة ، كل هذه من أصول المسيحية التى كان ينبغى ألا تتضارب فيها الأناجيل ، لكننا نجد أنها من الموضوعات التى شكلت بوجه خاص تضاربًا وتناقضا فيما بينهما .

يقول موريس بوكاى : « ولكن ما يشكل بوجه خاص موضوع الروايات المتضاربة ، أو المتناقضة هو الأحداث الأخيرة التى طبعت حياة المسيح والتى تلت آلامه » (٣) .

ولهذا فإننى سأعرض فيما يلي ما ورد من نصوص فى هذه القضايا ، حتى نعرف هل اتفقت الأناجيل المقدسة عندهم فيها أم اختلفت ؟

روايات الآلام :

وأقصد بها عيد الفصح والعشاء الأخير، وأحاديث المسيح عن نهايته للتلاميذ، وللعشاء الأخير علاقة وثيقة بعيد الفصح، فأكثر الأناجيل تجعل العشاء الأخير فى نفس عيد الفصح، وبعضها يروى غير ذلك ، وسنعرض هنا للنصوص أولاً ثم نحكم بعد العرض .

ففى متى : « وفى أول أيام الفطير تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين له : أين تريد أن نعد

---

(١) تفسير إنجيل متى ، ص ٣٤٤ .   (٢) تحفة الأريب ، ص ١١٦ .

(٣) دراسة الكتب المقدسة ، ص ١١٧ .

لك لنأكل الفصح ؟ فقال : اذهبوا إلى المدينة إلى فلان ، وقولوا له : المعلم يقول : إنى وقتى قريب عندك أصنع الفصح مع تلاميذى ، ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع ، وأعدوا الفصح ، ولما كان المساء ، اتكأ مع الاثنى عشر ، وبينما هم يأكلون ، قال : الحق أقول لكم إن واحداً منكم يسلمنى » (١) .

ويعلم من هذا النص أن العشاء الأخير حدث في أثناء عيد الفصح .

وفى مرقس:« وفى اليوم الأول من الفطير حين كانوا يذبحون الفصح قال له تلاميذه: أين تريد أن تمضى ونعد لتأكل كل الفصح، فأرسل اثنين من تلاميذه، وقال: لهما: اذهبا إلى المدينة فيلاقيكما إنسان حامل جرة ماء اتبعاه، وحينما يدخل فقولا لرب البيت: إن المعلم يقول: أين المنزل حيث آكل الفصح مع تلاميذى؟ وهو يريكما علية كبيرة مفروشة معدة، هناك أعدا لنا، فخرج تلميذاه، وأتيا إلى المدينة ووجدا كما قال لهما فأعدا الفصح، ولما كان المساء جاء مع الاثنى عشر وفيما هم متكئون يأكلون، قال يسوع: الحق أقول لكم إن واحداً منكم يسلمنى» (٢) .

وفيه أيضا: أن العشاء حدث أثناء عيد الفصح .

وفى لوقا : « وجاء يوم الفطير ... فأرسل بطرس ويوحنا قائلا: اذهبا وأعدا لنا الفصح لنأكل ... فأعـدا الفصح، ولما كانت الساعة اتكأ الاثنا عشر رسولا معه، وقال لهم: شهوة اشتهيت أن آكل هـذا الفصـح معكـم قبـل أن أتألـم ... وأخـذ خبزا وشكـر وكسر وأعطاهم ... وكذلك الكأس أيضا بعد العشاء» (٣) .

وهكذا، يذكر لوقا العشاء أثناء عيد الفصح كمتى ومرقس، لكن يوحنا خالف الثلاثة فى ذلك حيث يقول:

«أما يسوع قبل عيد الفصح وهـو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم ... فحين كان العشاء وقد ألقى الشيطان فى قلب يهوذا سمعان الأسخربوطى أن يسلمه ... قام عن الفساد وخلع ثيابه» (٤) .

فيوحنا هنا يذكر العشاء قبل العيد، وبذلك يخالف متى ومرقس ولوقا، فى قضية هى فى غاية الأهمية عندهم، وادعاء المخالفة هنا والتضارب ليست وجهة نظر خاصة بى، فإن

---

(١) متى : ٢٦ : ١٧ ــ ٢٢ .　　(٢) مرقس : ١٤ : ١٢ ــ ١٩ .

(٣) لوقا : ٢٢ : ٧ ــ ٢٢ .　　(٤) يوحنا : ١٣ : ١ ــ ٨ .

الأب روجى نفسه قد لاحظ أن عيد الفصح، معين بكشل مختلف زمنياً بالنسبة إلى عشاء المسيح الأخير، مع الحواريين فى الأناجيل الثلاثة المتوافقة، وفى الإنجيل الرابع، فيوحنا يقول بوقوع هذا العشاء قبل عيد الفصح، أما الأناجيل الأخرى فتقول بأنه حدث فى أثناء عيد الفصح نفسه (١) .

ويقول موريس بوكاى : «ويؤدى هذا التضارب إلى أمور واضحة فى عدم معقوليتها، إذ يستحيل تصور هذا الحدث أو ذاك، بسبب موقع عيد الفصح الذى تحدد بهذا الشكل فبالنسبة إلى هذا الحدث، وعندما ندرك أهمية عيد الفصح فى الطقوس اليهودية، والأهمية التى اكتسبها هذا العشاء الذى ودع فيه المسيح حوارييه فكيف يمكن تصور أن التراث الذى نقله المبشرون فيما بعد، قد نسى زمن هذا العشاء بالنسبة إلى عيد الفصح (٢) .

وإذا أردت أن أتوسع قليلا فى هذا الموضوع، فإن روايات الفصح والعشاء اختلفت حسب الأناجيل، وبشكل أكثر عمومية فروايات الآلام تختلف بشكل خاص بين الأناجيل الثلاثة وبين إنجيل يوحنا .

«فالعشاء الأخير للمسيح والآلام يحتلان فى إنجيل يوحنا مساحة كبيرة، تبلغ ضعف المساحة عند كل من مرقس ولوقا، ويزيد نص يوحنا بمقدار مرة ونصف على نص متى، ويسرد يوحنا خطبة طويلة للمسيح نحو تلامذته ، ويحتل سرد هذه الخطبة أربع إصحاحات ، من الإصحاح الرابع عشر إلى السابع عشر فى إنجيله، وعبر هذا الحديث الأعظم يعطى المسيح آخر إرشاداته لتلامذته الذين سيتركهم، كما يسلمهم وصيته الروحية، وليس هناك أى أثر من هذا فى الأناجيل الأخرى .

وعلى العكس يسرد متى ولوقا صلاة المسيح لجيتسمانى، ولا يشير يوحنا إليها» (٣).

القربان المقدس :

وأهم ما يلفت قارئ الآلام فى إنجيل يوحنا، هو أنه لا يشير أية إشارة إلى تأسيس القربان المقدس، فى أثناء عشاء المسيح الأخير مع الحواريين، على حين أن تقديس الخبز والخمر اللذين يصبحان جسد ودم المسيح، هو الفعل الطقسى الكنسى الجوهرى للمسيحية .

---

(١) انظر : دراسة الكتب المقدسة، ص ١١٧ .   (٢) نفسه .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١٨ .

ففى متى : «وبينما هم يأكلون، أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدى، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا: اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى، الذى للعهد الجديد الذى يسفك ؛ من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (١) .

ويقول مرقس : «وفيما هم يأكلون، أخذ يسوع خبزا وبارك وكسر وأعطاهم وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدى، ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم، فشربوا منها كلهم وقال لهم: هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين» (٢) .

ويقول لوقا «وأخذ خبزا وشكر وكسر وأعطاهم قائلاً: هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم ... وكذلك الكأس أيضا بعد العشاء قائلا: هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى الذى يسفك عنكم» (٣) .

إن الأناجيل الثلاثة تتحدث عن هذا الفعل وإن كان ذلك بألفاظ مختلفة، لكن الفحوى واحد، وليس هناك مسيحى ـ على حد قول موريس بوكاى ـ لا يعرف أيفوته العشاء الأخير، حيث يجلس المسيح بين حوارييه للمرة الأخيرة.

لقد صور أعظم المصورين هذا الاجتماع الأخير، وفيه يجلس يوحنا إلى جانب المسيح الذى اعتدنا اعتباره مؤلف الإنجيل الذى يحمل اسمه فهل يمكن أن يكون قد سكت عنه؟ ومهما كان فى ذلك دهشة للكثيرين، فإن غالبية المتخصصين لا يعتبرون أن يوحنا الحوارى هو مؤلف الإنجيل الرابع، وهذا الأخير لا يشير إلى تأسيس القربان المقدس، بل لا يقول عنه كلمة واحدة» (٤).

هذه الثغرة الكبيرة فى إنجيل يوحنا، يعترف بها المعلقون على الترجمة المسكونية للعهد الجديد، ولكنهم يقدمون التبرير التالى، لعدم سرد يوحنا لتأسيس القربان المقدس يقولون:

«إن يوحنا عموما لا يكن أى اهتمام إزاء تقاليد مؤسسات إسرائيل القديمة، وربما كان هذا هو الذى جعله يحيد عن الإشارة إلى تأصل القربان المقدس فى طقوس عيد الفصح» .

«كيف يريدون أن نصدق أن عدم الاهتمام بالطقوس الفصحية اليهودية، هو الذى

---

(١) متى : ٢٦ : ٢٦ ـ ٢٩ .

(٢) مرقس : ١٤ : ٢٢ ـ ٢٥ .

(٣) لوقا : ٢٢ : ١٩ ـ ٢١ .

(٤) دراسة الكتب المقدسة ، ص ١١٨ .

قاد يوحنا إلى ألا يتحدث عن تأسيس النسك الرئيسى فى طقوس الدين الجديد» [1] .

هكذا إذ يمكن أن ندهش لصمت يوحنا على ما يسرده المبشرون الثلاثة الآخرون، ولصمت هؤلاء على ما أعلن المسيح عنهم فى قول يوحنا، وهى خطبة المسيح الطويلة نحو تلاميذه، والتى احتلت أربع إصحاحات فى إنجيل يوحنا وليس لها أى أثر فى الأناجيل الأخرى .

أين كان يسوع نحو الساعة السادسة ؟

يذكر متى ومرقس ولوقا أن المسيح كان على الصليب نحو الساعة السادسة .

ففى متى : « ومن الساعة السادسة ، كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة » [2] .

وفى مرقس : « ولما كانت الساعة السادسة، كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة» [3] .

وفى لوقا : « وكان نحو الساعة السادسة ، فكانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة ، وأظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه» [4].

وهذا وصف للمسيح فى الأناجيل الثلاثة، حال وجوده على الصليب وبعد إتمام عملية الصلب التى يزعمونها، لكن يوحنا يذكر أن المسيح فى هذا الوقت لم يكن على الصليب، بل كان فى حضرة بيلاطس .

ففى يوحنا : « فلما سمع بيلاطس هذا القول ، أخرج يسوع وجلس على كرسى الولاية فى موضع يقال له: البلاط، وبالعبرانية: جباشة، وكان استعداد الفصح، ونحو الساعة السادسة فقال لليهود: هو ذا ملككم» [5] .

يقول الشيخ رحمت الله الهندى: «يفهم من الأناجيل الثلاثة الأول، أن عيسى عليه السلام نحو الساعة السادسة، كان على الصليب، ومن إنجيل يوحنا، أنه كان فى هذا الوقت فى حضور بيلاطس القبطى » [6].

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٠ .
(٢) متى : ٢٧ : ٤٥ .
(٣) مرقس : ١٥ : ٣٣ .
(٤) لوقا : ٢٣ : ٤٤ ـ ٤٦ .
(٥) يوحنا : ١٩ : ١٣ ـ ١٥ .
(٦) إظهار الحق : ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

علامة الذى سيسلمه :

يقول متى: « وبينما هـم يأكلون قال: الحـق أقول لكم: إن واحدا منكم يسلمنى فحزنوا جدا، وابتدأ كل واحد منهم يقول له: هل أنا هو يارب؟ فأجاب وقال: الذى تغمس يده معى فى الصحفة هو يسلمنى» [1] .

ولكن يوحنا يذكر أن عيسى قال كلاما غير ذلك فقد جاء فيه: «أقول لكم: واحدا منكم سيسلمنى. فقال له سمعان بطرس: ياسيدى، من هو؟ أجاب يسوع: هو ذاك الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه» [2] .

فعلى كلام متى الذى سيسلم المسيح، هو من يغمس يده معه فى الصحفة، وعلى كلام يوحنا الذى يسلمه هو الذى يعطيه المسيح اللقمة بعد غمسها، ولهذا يقول يوحنا: «فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا» [3].

« وهـذا اختلاف بين؛ لأن عيسى لم يتكرر منه هذا القول فى مجالس حتى يزعموا أنه اختلفت عبارته فيها، وليس معنى قولهم متحدا» [4] .

كيفية القبض على المسيح :

اختلف متى مع يوحنا فى هذه النقطة :

يقول متى:« والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلا: الذى أقبله هو هو أمسكوه، فللوقت تقدم إلى يسوع وقال: السلام ياسيدى وقبله فقال له يسوع: ياصاحب، لماذا جئت؟ حينئذ تقدموا وألقوا الأيادى على يسوع وأمسكوه» [5] .

لكن يوحنا يقول: «فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك ... فخرج يسوع وقال لهم: من تطلبون؟ أجابوه: يسوع الناصرى قال لهم يسوع: أنا هو، وكان يهوذا مسلمه أيضا واقفا معه، فلما قال لهم: إنى أنا هو، رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض فسألهم أيضا: من تطلبون؟ فقالوا: يسوع الناصرى ...، ثم إن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه» [6] .

---

(١) متى : ٢٦ : ٢١ ـ ٢٤ .
(٢) يوحنا : ١٣ : ٢١ ـ ٢٦ .
(٣) يوحنا : ١٣ : ٢٦ .
(٤) تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب، ص ٦١١ .
(٥) متى : ٢٦ : ٤٨ ـ ٥١ .
(٦) يوحنا : ١٨ : ٣ ـ ١٤ .

فبأى طريقة أمسكوا عيسى وقبضوا عليه بالتى ذكرها متى أم بالواردة عند يوحنا؟

من الذى حمل الصليب؟ :

هل عيسى هو الذى حمل صليبه أم كان يحمله رجل ويسير خلفه؟ يتناقض لوقا مع يوحنا فى هذا الموضوع .

يقول لوقا: «ولما مضوا به أمسكوا سمعان ورجلا قيروانيا كان آتيا من الحقل، ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع» (١) ونفس المعنى ورد بمتى ومرقس، وعلى هذا الكلام فعيسى لم يحمل صليبه .

لكن يوحنا يقول: «فحين إذ أسلمه إليهم ليصلب فأخذوا يسوع ومضوا به، فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذى يقال له موضع الجمجمة» (٢) .

وعلى كلام يوحنا هذا، عيسى هو الذى كان يحمل صليبه فأيهما صحيح؟ لا بد أن أحدهما صحيح والثانى خطأ، إن لم يكونا كلاهما .

قال محمد بن حزم الظاهرى: «ما جاء فى يوحنا خلاف ما حكى أصحابه، ولقد قررت بعض علمائهم على هذا، فقال لى: كانت طويلة جدا، فحملها هو وسمعان المذكور فقلت له: ومن أين لك هذا؟ وأين وجدته؟ وسياق أخبار مؤلفى الإنجيل لا تدل على هذا؟» (٣) .

وقصد ابن حزم فى قوله: «سياق أخبار مؤلفى الإنجيل لا تدل على هذا» إن لوقا ذكر أن سمعان القيروانى حمل خشبة الصليب وراء المسيح فكيف يحملها المسيح معه؟

اللصان اللذان صلبا مع المسيح :

اختلفت الأناجيل فى وصف حالهما وحديثهما مع المسيح، فقد أجمعوا على أن المسيح قد صلب معه لصان: واحد عن يمينه، وآخر عن يساره، لكن ما ذكره متى ومرقس عنهما يختلف عما ذكره لوقا .

ففى إنجيل متى: «وحينئذ صلب معه لصان: واحد عن اليمين، وواحد عن اليسار،

---

(١) لوقا : ٢٣ : ٢٦ . (٢) يوحنا : ١٦ : ١٦ ـ ١٨ .

(٣) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، جـ ١ ص ٥٠ .

وكان المجتازون يحدقون إليه وهم يهزون رءوسهم قائلين: ياناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلص نفسك ... وكذلك رؤساء الكهنة أيضا وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ قالوا: خلص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها ... وبذلك أيضا كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه» [1] .

ويفهم من هذا أن اللصين كانا يستهزئان به، ويعيرانه كغيرهما من السائرين ورؤساء الكهنة والكتبة .

وفى مرقس: «واللذان صلبا معه كانا يعيرانه» [2] .

لكن لوقا يذكر عن اللصين كلاما يناقض ذلك، فقد ورد فيه: «ولما مضوا به إلى الموضع الذى يدعى جمجمة صلبوه هناك مع المذنبين: واحد عن يمينه والآخر عن يساره ...

وكان واحد من المذنبين المعلقين يحدق إليه قائلا: إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا .

فأجاب الآخر وانتهره قائلاً: أولا أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه أما نحن فبعدل؛ لأننا ننال استحقاق ما فعلنا. وأما هذا فلم يفعل شيئا ليس فى محله، ثم قال ليسوع: اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك، فقال له يسوع: الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس» .

يقول إمام الحرمين الإمام الجوينى رضى الله عنه: «صرح صاحب هذا الكلام لوقا فى إنجيله: أن اللصين اللذين صلبا معه كان أحدهما مؤمنا به عطوفا عليه، والآخر سابا له، مستهزئا به .

وسبق تصريح متى ومرقس كليهما: أن اللصين كانا كافرين به، سابين له كل منهما ساخر منه، والواقعة واحدة، والكلام عليها كالكلام على نظائرها السالفة سواء، ولا شك فى تكاذب هذه الوقائع، وإن قائليها طالت عليهم الأزمان، إلى أن يقولوا أشياء ليسوا منها بيقين» [4] .

ويقول ابن حزم: « إحدى القصتين كذب بلا شك؛ لأن متى ومرقس أخبرا بأن

---

(١) متى : ٢٧ : ٣٨ ـ ٤٥ .
(٢) مرقس : ١٥ : ٣٢ .
(٣) لوقا : ٢٣ : ٣٣ ـ ٤٣ .
(٤) شفاء الغليل ، ص ٥٤ .

اللصين جميعا كانا يسبانه، ولوقا يخبر بأن أحدهما كان يسبه، والآخر كان ينكر على الذى يسبه، ويؤمن به، والصادق لا يكذب فى مثل هذا، وليس يمكن ها هنا أن يدعى أن أحد اللصين سبه فى وقت، وآمن به فى آخر، لأن سياق خبر لوقا يمنع من ذلك، ويخبر أنه أنكر على صاحبه سبه، إنكار من لم يساعده قط على ذلك، فكلهم متفق على أن كلام اللصين وهم ثلاثتهم مصلوبون على الخشب، فوجب ضرورة أن لوقا كذب أو كذب من أخبره، أو أن متى كذب وكذب مرقس أو الذى أخبره ولا بد» (١) .

يقول نورميدا: « وهذا اختلاف بين؛ لأن متى أوجب على اللصين النار؛ لأنهما شتما المسيح، ولوقا أوجب لأحدهما الجنة، وقد كذبوا فى أصل قضية صلب المسيح وكفروا بذلك» (٢) .

تناقض الأناجيل فى كلام المسيح عند الصلب :

فى إنجيل متى ومرقس ما يفيد تضجر المسيح لما يحدث لهم ونطقه بكلام يدل على يأسه واعتقاده بتخلى الله عنه .

ففى إنجيل متى: «ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: إيلى إيلى لم شبقتنى أى إلهى إلهى لم تركتنى » (٣) .

ونفس المعنى ورد فى مرقس ففيه: «وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: ألوى ألوى، لم شبقتنى الذى تفسيره: إلهى إلهى لماذا تركتنى» (٤) .

وهذا كلام يفيد التضجر وعدم الرضا وعدم التسليم .

لكن لوقا يقول غير ذلك، فقد ورد فيه: «وكان نحو الساعة السادسة وكانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة، وأظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه، ونادى يسوع بصوت عظيم وقال: ياأبتاه، فى يديك أستودع روحى. ولما قال هذا أسلم الروح» (٥) .

---

(١) الفصل لابن حزم، جـ ٢ ص ٥٠ .

(٢) تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب، ص ١١٤ .

(٣) متى : ٢٧ : ٣٦ .

(٤) مرقس : ١٥ : ٣٤ .

(٥) لوقا : ٢٣ : ٤٤ ـ ٤٧ .

وهذا كلام يدل على الرضا والتسليم بقضاء الله تعالى، ولا شك أن هذا الحادث لم يتكرر. ويلزم من ذلك أن تكون عبارة المسيح واحدة، أو على الأقل إذا نقلها المبشرون أن يتحد معناها، لكنها جاءت فى إنجيل لوقا مختلفة المعنى تماما، ومتناقضة مع ما جاء فى متى ومرقس.

أما يوحنا فلم يذكر كلاما للمسيح فى هذا الموقف، لكنه اكتفى بهذه العبارة: «ونكس رأسه وأسلم الروح» (١).

ومما يدل على اختلاف المعنى تماما، بين متى ومرقس من جهة وبين لوقا من جهة أخرى، ما علق به الواقفون عقب كلام المسيح الدالة على التضجر حسب رواية متى ومرقس حيث قالوا: «اترك لنرى هل يأتى إيليا يخلصه» (٢).

وفى مرقس: «اترك لنرى هل يأتى إيليا لينزله» (٣).

وهذا تعليق يناسب كلام المسيح، لكن التعليق فى لوقا مخالف لهذا تماما ففيه: «فلما رأى قائد المائة ما كان، مجد الله قائلاً: «بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً وكل الجموع الذين كانوا مجتمعين لهذا المنظر، لما أبصروا ما كان، رجعوا وهم يقرعون صدورهم» (٤).

فتعليق الواقفين هنا مناسب لحال الاستسلام والرضا بالقضاء.

فعلى متى ومرقس نرى المسيح يائساً متضجرا، والناظرون له متهكمون.

وعلى لوقا المسيح راض مستسلم، والواقفون متحسرون متعاطفون فأيهما أصدق؟

وإذا وضعنا جزع المسيح وحزنه فى الاعتبار، فكيف يجزع وقد حرص تلاميذه من قبل على حمل الصليب وإهلاك النفس، ففى مرقس: «من أراد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه، ويحمل صليبه ويتبعنى، فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلى ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها» (٥).

ويعلق أبو عبيدة الخزرجى على ذلك بقوله: «فكيف يجزع هو مما حرض عليه قبل؟ أم كيف يكون إلهاً وتجزع نفسه؟ أم كيف يكون ابنا لله يدعوه أن يخلصه من ذلك الموقف

---

(١) يوحنا: ١٩: ٣٠.
(٢) متى: ٢٧: ٤٩.
(٣) مرقس: ١٥: ٣٦.
(٤) لوقا: ٢٣: ٤٧ - ٤٩.
(٥) مرقس: ٨: ٣٤، ٣٥.

فلم يستجب له؟ » (١) .

يقول ابن قيم الجوزية تعليقا على هذه النصوص: «كيف يجتمع جزع المسيح ويأسه وقوله: «ياإلهى، لم أسلمتنى» مع قولكم إنه هو الذى اختار إسلام نفسه إلى اليهود؛ ليصلبوه ويقتلوه رحمة منه بعباده، حتى فداهم بنفسه من الخطايا، وأخرج بذلك آدم ونوح وإبراهيم وموسى وجميع الأنبياء من جهنم بالحيلة التى دبرها على إبليس؟ وكيف يجزع إله العالم من ذلك؟ وكيف يسأل السلامة منه وهو الذى اختاره ورضيه ؟

وكيف يشتد صياحه ويقول: «ياإلهى، لم أسلمتنى» وهو الذى أسلم نفسه؟ وكيف لم يخلصه أبوه مع قدرته على تخليصه وإنزال صاعقة على الصليب وأهله؟ أم كان ربا عاجزا مقهورا مع اليهود» (٢) .

عشرون : صعود المسيح :

يقول موريس بوكاى: «تمتد المتناقضات حتى نهاية الروايات حيث إن كلا من يوحنا ومتى لم يشر أحدهما إلى صعود المسيح، فمرقس ولوقا فقط يتحدثان عن هذا» (٣) .

أما عن حديث مرقس فيقول: «ثم إن الرب بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله، وأما هم فخرجوا وكرزوا فى كل مكان، والرب متصل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة» (٤) .

وهذا آخر ما ذكره مرقس فى إنجيله .

وأما عن حديث لوقا فيقول: «وأخرجهم خارجا إلى بيت عينيا ورفع يديه وباركهم، وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأصعد إلى السماء فسجدوا له، ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم، وكانوا كل من فى الهيكل يسبحون ويباركون الله» (٥) .

وهذا أيضا آخر ما ذكره لوقا فى إنجيله .

فبالنسبة لمرقس، فإن المسيح قد رفع إلى السماء على يمين الله، وهذا دون تحديد تاريخى بالنسبة لقيامته، ولكن لابد من ملاحظة أن نهاية إنجيل مرقس الذى يحتوى على

---

(١) بين الإسلام والمسيحية، ص ١٤٧ .

(٢) هداية الحيارى، ص ٢١٣ .

(٣) دراسة الكتب المقدسة، ص ١٢٣ .

(٤) مرقس : ١٦ : ١٩ ، ٢٠ .

(٥) لوقا : ٢٤ : ٥ ـ ٥٣ .

هذه الجملة، ليست نصا صحيحا وهى نص كتب وأضيف بعد ذلك فى رأى الأب روجى، حتى وإن كانت الكنيسة تعتبره قانونيا [1] .

يتبقى إنجيل لوقا، فهو الوحيد الذى يذكر حدث الصعود، وذلك فى نص لا يناقشه أحد يقول :

«انفصل المسيح عنهم وحمل إلى السماء، ويضع لوقا الحدث فى نهاية رواية قيامة المسيح وظهوره للأحد عشر حواريا، وتتضمن تفاصيل الرواية الإنجيلية أن الصعود حدث يوم القيامة .

ولكن لوقا يصف فى أعمال الرسل ـ والكل يعتقد أنه كاتبها ـ مرات ظهور المسيح للحواريين، بين الآلام والصعود بالألفاظ التالية :

«الذين أراهم أيضا نفسه حيا ببراهين كثيرة، بعد ما تألم وهو يظهر لهم أربعين يوما، ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله» [2] .

إن هذه الفقرة من «أعمال الرسل» هى الأصل فى تحديد العيد المسيحى للصعود بأربعين يوما بعد الفصح، وحيث يحتفل بالقيامة، التاريخ محدد على عكس إنجيل لوقا ويضاف إلى ذلك أنه ليس هناك أى نص إنجيلى آخر يبرر هذا التحديد التاريخى» [3] .

ونستطيع أن نلخص كلام الأستاذ «موريس بوكاى» فيما يلى :

أولا: ليس فى رواية مرقس تحديد تاريخى للصعود بالنسبة للقيامة .

ثانياً: تتضمن تفاصيل الرواية الإنجيلية عند لوقا، فى إنجيله، أن الصعود قد حدث يوم القيامة .

ثالثا: تحدد رواية أعمال الرسل ـ وكاتبها لوقا، كما يعتقدون ـ العيد المسيحى للصعود بأربعين يوما بعد الفصح، وحيث يحتفل بالقيامة وليس هناك أى نص إنجيلى آخر يبرر هذا التحديد التاريخى .

إذاً لوقا يتناقض مع نفسه بين ما كتبه فى إنجيله، وما كتبه فى رسالة أعمال الرسل، وهو فى كلا الحالتين متناقض مع مرقس فيما رواه فى إنجيله .

---

(١) انظر : دراسة الكتب المقدسة، ص ١٢٣ .   (٢) أعمال الرسل : ١ : ٣ ـ ٤ .

(٣) دراسة الكتب المقدسة، ص ١٢٣ .

ويزيد« موريس بوكاى» الأمر وضوحا فيقول: « إن المسيحى وقد عرف بهذا الموقف يشعر بالحيرة، فالتناقض واضح. ومع ذلك فالترجمة المسكونية للعهد الجديد تعترف بهذا الواقع، ولكنها لا تفيض فى الحديث عن التناقض، بل هى تكتفى بالإشارة إلى احتمال أهمية هذه الأربعين يوما بالنسبة لرسالة المسيح .

إن المعلقين الذين يريدون شرح كل شىء، والتوفيق بين ما لا يقبل التوفيق، يعطوننا فى هذا الشأن تفسيرات شاذة» (١) .

واحد وعشرون: أمور ينفرد بها إنجيل وتهمل عند الآخرين :

عندما ينفرد أحد الأناجيل بذكر موضوع ما وتغفل عنه بقية الأناجيل، فإما أن هذا الأمر لم يصلهم، وإما أنهم أغفلوه تهاونا بالدين. وفى كلا الحالين سينقل الدين عن شخص واحد. وشرط ثبوت أصل الأديان التواتر. هذا على اعتبار أن رواية الواحد صحيحة ونحن لا نسلم ذلك .

وسأذكر هنا بعض الأمور التى رويت فى إنجيل واحد وأهملها الباقون .

أولا :

ذكر إنجيل لوقا أنه لما نزل بيسوع الجزع من اليهود، ظهر له ملاك السماء يقويه .

فقد روى لوقا : « وانفصل عنهم نحو دمية حجر، وجثى على ركبتيه وصلى قائلا: ياأبتاه إن شئت أن تجيز عنى هذا الكأس ولكن لتكن لا إرادتى، بل إرادتك وظهر له ملاك من السماء يقويه» (٢) .

«لم يذكر ذلك متى ولا مرقس ولا يوحنا، فإن كانوا قد تركوا ذلك، لم يؤمن أن يتركوا ما هو أهم منه من الفرائض والأحكام .

وإن كان الترك صحيحاً، فتكون الزيادة كذبا فى النسخة الأخرى، وليس هذا سوى التحريف والتبديل» (٣) .

ثانياً :

إن أول آية تحدث من النبى، يكون لها من الشيوع والانتشار ما ليس لغيرها من

---

(١) دراسة الكتب المقدسة، ص ١٢٤ .   (٢) لوقا : ٢٢ : ٤١ : ٤٤ .

(٣) هامش بين الإسلام والمسيحية، ص ١٤٤ .

الآيات، فما بالنا إن صدرت من نبى وصل الاعتقاد فيه إلى درجة الغلو، فعندما ينفرد بذكر أول معجزاته إنجيل دون الآخر يكون الأمر عجيباً، وتثار عدة تساؤلات فقد حكى يوحنا أن عرسا أقيم بالجليل وكانت أم يسوع هناك ودعى أيضا يسوع وتلاميذه إلى العرس .

«وقال لهم يسوع: أملأوا الأجران ماء. فملأوها إلى فوق، ثم قال لهم: استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ. فقدموا فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمرا ولم يكن يعلم من أين هى» .

ويقول يوحنا بعد ذلك مباشرة: «هذه بداية الآيات فعلها يسوع فى فانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه» (١) .

بداية الآيات تلك لم يذكرها الثلاثة الآخرون، وإذا أغفلوا مثل هذا كانوا متهاونين بالدين» (٢) .

ثالثا :

وينفرد أيضا يوحنا هنا بحادثة غسل المسيح لأقدام التلاميذ، وكان قصد المسيح من ذلك، هو تعليم التلاميذ صفة التواضع .

يقول يوحنا: «ثم صب ماء فى مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ، ويمسحها بالمنشفة التى كان متزرا بها، وسأله سمعان بطرس ياسيد، أنت تغسل رجلى ... قال له: أتفهمون ما قد صنعت بكم؟ أنتم تدعوننى معلما وسيدا وحسنا ـ تقولون ؛ لأنى أنا كذلك، فإن كنت أنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض، لأنى أعطينكم مثالا، حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضا» (٣) .

ولم تذكر ذلك الثلاثة الأخر، فإن كان كذبا دخل الخلل وإن كان صدقا فلم أغفلوه ؟

اثنان وعشرون : ظهور المسيح :

من القضايا الهامة فى المسيحية، قضية ظهور المسيح وقيامته، ولهذا تحدثت عنها الأناجيل كلها، لكن وصف الأناجيل للأحداث التى تلت قيامته، قد أعطى مادة لروايات

---

(١) يوحنا : ٢ : ١ ـ ١١ .
(٢) هامش بين الإسلام والمسيحية، ص ١٤٤ .
(٣) يوحنا : ١٣ : ٥ ـ ٧، ١٢ ـ ١٦ .

متناقضة، بل غريبة عند كل المبشرين .

ولما كانت قضية قيامة المسيح وظهوره تعتمد على عدة نقاط، فإننا نبدأ بما يليك :

قائمة النساء :

يعطينا الأب روجى فى كتابه مقدمة إلى الإنجيل أمثلة على الاختلاط والفوضى والتناقض التى تسود هذه الروايات فيقول : «لا تتطابق تماما فى الأناجيل الثلاثة المتوافقة قائمة النساء الآتين إلى القبر» (١) .

ففى متى: «وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية، ومريم الأخرى لتنظرا القبر» (٢) .

والحديث يدور فى متى إلى آخر الإصحاح على أنهما امرأتان فقط، كقوله: «فأجاب الملاك وقال للمرأتين: لا تخافا أنتما ... واذهبا سريعا» .

ولكن مرقس يذكر أن ثلاثة من النساء ذهبن إلى القبر فهو يقول: «وبعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطا، ليأتين ويدهنه وباكرا جدا فى أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس» (٣) .

وإذا كان متى قد جعلهما امرأتين ومرقس ذكر أنهن ثلاثة، فإن لوقا يذكر أن اللاتى ذهبن إلى القبر نساء كثيرات .

يقول لوقا : «ثم فى أول الأسبوع أول الفجر، أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذى أعددته ومعهن أناس» (٤) .

وذكر لوقا من هؤلاء النساء مريم المجدلية، ويونا، ومريم أم يعقوب، والباقيات معهن .

وهكذا تأتى قائمة النساء اللاتى ذهبن إلى القبر حسب الروايات متناقضة، بل غريبة عند كل المبشرين كما قال الأب روجى .

دحرجة الحجر :

وتتحدث الأناجيل عن دحرجة الحجر عن قبر يسوع، عند ذهاب النساء فهل هن

---

(١) دراسة الكتب المقدسة، ص ١٢١ .
(٢) متى : ٢٨ : ١ .
(٣) مرقس : ١٦ : ١ ــ ٣ .
(٤) لوقا : ٢٤ : ١ .

اللاتى قمن بدحرجته؟ أم أن ملاكا من السماء نزل ودحرجه ؟ أم أن أنهن نظرن فوجدته قد دحرج ؟ أم أنه كان مدحرجا قبل وصولهن برأى واحد من هذه الآراء قال كل إنجيل من الأناجيل :

ففى متى : « بأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه» (١) .

وحكى متى أنهن رأين هذا الملاك لأنه قال : « وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج، فمن خوفه ارتعد الحراس » .

كما حكى أنه بسبب نزول هذا الملاك، إذا زلزلة عظيمة حدثت» (٢) .

وهذا الذى ذكره متى من نزول الملاك ووصفه، وحدوث الزلزلة العظيمة لم يذكره غيره .

وفى مرقس: «وكن يقلن فيما بينهن: من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر، فتطلعن ورأين أن الحجر قد دحرج؛ لأنه كان عظيما جداً» (٣) .

لكن لوقا يذكر أن الحجر كان مدحرجا فيقول: «أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذى أعددنه، ومعهن أناس فوجذن الحجر مدحرجا على القبر» (٤) .

ولم يذكر يوحنا شيئاً عن موضوع الحجر .

الاختلاف فى عدد الملائكة :

فى متى ظهر للنساء ملاك واحد هو ملاك الرب: «بأن ملاك الرب نزل من السماء، فأجاب الملاك وقال للمرأتين: لا تخافا أنتما» (٥) .

لكن مرقس يذكر أنهن رأين شابا جالسا عن اليمين، ولم يذكر أنه ملاك كما أنه ليس هو يسوع: «ولما دخلن القبر رأين شابا جالسا عن اليمين لابسا حلة بيضاء فاندهشن فقال لهن: لا تندهشن أنتن تطلبن يسوع الناصرى المصلوب قد قام ليس هو ها هنا» (٦) .

---

(١) متى : ٢٨ : ٢ .

(٢) انظر : إنجيل متى الإصحاح الثامن والعشرين .

(٣) مرقس : ١٦ : ٣ ـ ٥ .

(٤) لوقا : ٢٤ : ١ ـ ٤ .

(٥) مرقس : ١٦ : ٥ ـ ٧ .

(٦) متى : ٢٨ : ٥ .

وبدلا من ملاك الرب المذكور عند متى والشاب صاحب الحلة البيضاء المذكور عند مرقس يقول لوقا: «وفيما هن محتارات فى ذلك، إذا رجلان وقفا بهن بثياب براقة وإذ كن خائفات ومنكسات وجوههن إلى الأرض قالا لهن: لماذا تطلبن الحى من الأموات ليس هو هاهنا لكنه قام» (١) ويتفق يوحنا مع لوقا، لكنه بدلا من وصفهما برجلين يقول إنهما ملاكان: «فنظرت ملكين بثياب بيض جالسين: واحدا عند الرأس، والآخر عند الرجلين، حيث كان جسد يسوع موضوعا» (٢).

ومما يؤخذ على هذه النصوص أن رواية متى ومرقس ولوقا، تذكر أن كلام الملاك كان موجها إلى أكثر من واحدة، لكنه فى يوحنا كان الكلام موجها إلى مريم وحدها، وأيضا على رواية متى ومرقس ولوقا الملاك كان بعيدا عن قبر وجسد يسوع، ولكن على رواية يوحنا، كان أحد الملكين يجلس عند الرأس والآخر عند الرجلين.

الاختلاف فى بيان ما سمعته مريم عند القبر :

فى متى أن الملاك قال للمرأتين: ليس هو ها هنا؛ لأنه قال وأمرهما أن يذهبا سريعا ويقولا لتلاميذه، أن ينظروا المسيح إلى الجليل: «وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه، إذا يسوع لاقاهما وقال لهما: أيضا اذهبا قولا لأخوتى أن يذهبوا إلى الجليل» (٣).

لكن مرقس لم يذكر مقابلة يسوع للنساء مطلقا، ولا لوقا، أما يوحنا فيتفق مع متى فى مقابلة يسوع لمريم، لكنه يختلف مع متى فيما قاله يسوع لهن، فبينما يسوع حسب رواية متى يأمر مريم أن تبلغ التلاميذ، أن يذهبوا إلى الجليل نرى يوحنا لا يتطرق للقاء الجليل مطلقا» (٤).

وإذا كان متى ومرقس يذكران أن لقاء المسيح بالتلاميذ فى الجليل سوف يأتى، فإن لوقا يذكر أن هذا اللقاء قد تم.

يقول الأب روجى: «فى إنجيل متى الملاك هو الذى يعلن للنساء، أنهن سيرين المسيح بالجليل، ولكن المسيح بعد لحظة يقابلهن على مقربة من القبر، ولا شك أن لوقا قد شعر بهذه الصعوبة، وعدل قليلا فى مصدره حيث نقل قول الملاك لهن: «اذكرن كيف

---

(١) لوقا : ٢٤ : ٤ - ٦ .
(٢) يوحنا : ٢٠ : ١٢ ، ١٣ .
(٣) انظر : متى : الإصحاح الثامن والعشرين .
(٤) انظر : مرقس ١٦، لوقا ٢٤، ويوحنا ٢٠ .

كلمكن وهو بعد فى الجليل» (١) .

الاختلاف فى عدد مرات الظهور :

لم يتحدث متى عن ظهور المسيح إلا مرة واحدة، وهى التى لقى فيها الأحد عشر تلميذا بالجليل: «وأما الأحد عشر تلميذا فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع، ولما رأوه سجدوا له، ولكن بعضهم شكوا فتقدم يسوع وكلمهم» (٢) .

لكن لوقا يشير إلى ظهور المسيح ثلاث مرات بعد قيامه (٣) .

ويوحنا يذكر أيضا ظهوره للتلاميذ ثلاث مرات: مرتين على ثمانية أيام، ومرة ثالثة على بحر طبرية، وبعدها يقول يوحنا: «هذه مرة ثالثة ظهر يسوع لتلاميذه بعد ما قام من الأموات» (٤) .

ولم يعد من هذه المرات مقابلة يسوع وظهوره للنساء عند القبر، لكن لوقا عدها ضمن المرات الثلاث، وأيضا مرقس، فالمرات الثلاث عند مرقس هكذا :

الأولى : ظهوره لمريم المجدلية .

الثانية : ظهوره لاثنين منهم: «أى من التلاميذ وهما يمشيان متطلعين إلى البرية » .

الثالثة : ظهوره للأحد عشر وهم متكئون .

والمرات الثلاثة عند لوقا هكذا :

الأولى : ظهوره لاثنين من التلاميذ، وهما منطلقان إلى القرية .

الثانية : ظهوره لهما بعد دخولهما القرية .

الثالثة : ظهوره للتلاميذ الأحد عشر وهى المرة الأخيرة .

وقد ذكرنا أن يوحنا ذكر المرات الثلاث التى ظهر فيها المسيح كانت للتلاميذ فقط .

فمرقس، ومتى، ولوقا يتفقون على عدد مرات الظهور، ويختلفون فى الكيفية والثلاثة يختلفون مع متى، لأنه جعل الظهور مرة واحدة .

---

(١) دراسة الكتب المقدسة، ص ١٢١ .

(٢) متى : ٢٨ : ١٦ ـ ١٩ .

(٣) انظر : إنجيل يوحنا إصحاح : ٢٤ .

(٤) انظر : يوحنا : إصحاح ٢١ .

يقول الأب روجى: « والواقع أن لوقا لا يشير إلا إلى ظهور المسيح ثلاث مرات بعد قيامته، أما يوحنا فيقول: «إنه ظهر مرتين على ثمانية أيام بمجمع بيت المقدس، ثم فى المرة الثالثة، يظهر بالقرب من البحيرة ... إذن بالجليل، وأما متى، فإنه يتحدث عن مرة واحدة لظهور المسيح بالجليل » .

ويستبعد المعلق من هذه الدراسة، خاتمة إنجيل مرقس التى تتحدث عن ظهور المسيح؛ لأنه يعتقد أنها قد كتبت بقلم آخر » (١) .

يقول موريس بوكاى : « وكل هذه الأمور تتناقض مع الإشارات إلى ظهور المسيح المحتواة فى رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس إذ يقول: «إنه قد ظهر لأكثر من ٥٠٠ شخص فى وقت واحد ولجاك ولكل الحواريين دون أن ينسى نفسه» (٢) .

أما النص المشار إليه فهو كما يلى: « وإنه ظهر لصفا ثم للاثنى عشر، وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ أكثرهم باق إلى الآن، ولكن بعضهم قد رقدوا، وبعد ذلك ظهر ليعقوب، ثم للرسل أجمعين، وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لى أنا» (٣) .

ويعلق الدكتور جورج كيرى على رواية مرقس ولوقا قائلا: «لاشك فى أن رواية مرقس (١٦ :١٣) تكشف عن وجود اختلاف صارخ مع ما يقوله لوقا» (٤) .

إلى متى بقى المسيح فى بطن الأرض :

حكى متى فى إنجيله، أن عيسى قال: «لأنه كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال» (٥) .

«وهو من صريح الكذب والبهتان الذى كتبه متى فى إنجيله؛ لأنه خالف بذلك أصحابه الثلاثة على ما فى أناجيلهم، أن عيسى - بزعمهم - قتل الساعة السادسة من يوم الجمعة، ودفن فى أول ساعة من ليلة السبت وقام من الموتى صبيحة يوم الأحد، فبقى فى الأرض على هذا الزعم الفاسد يوما وليلتين، وهذا مناقض لقول متى : إنه بقى ثلاثة أيام وثلاث ليال، ولاشك فى كذب الأربعة فى هذه المسألة؛ لأن عيسى عليه السلام لم يخبر

---

(١) دراسة الكتب المقدسة، ص ١٢١ .
(٢) نفس المرجع، ص ١٢١ .
(٣) كورنثون : ١ ، ١٥ : ٥ ـ ٩ .
(٤) تفسير إنجيل لوقا ، ص ٤٥١ .
(٥) متى : ١٢ : ٤٠ .

عن نفسه، ولا أخبر الله عنه بأنه يقتل ويدفن يوما وليلتين ولا ثلاثة أيام ولياليهم» [(١)] .

تعقيب:

أعتقد أن ما ذكرته في هذا الفصل من أمور مختلفة ومتناقضة، سواء كانت في الإنجيل الواحد، أو بين أكثر من إنجيل، أو بين الأناجيل والرسائل كاف جدا، في إثبات انعدام الاتساق الذاتي في العهد الجديد، وخاصة في الأناجيل المعتمدة كما بينا ذلك في العهد القديم، وبخاصة في الأسفار الخمسة المسماة بالتوراة، والمنسوبة زورا إلى موسى عليه السلام .

«والمقصود أن هذا الاضطراب يشهد بأن التغيير وقع في الإنجيل قطعا، ولا يمكن أن يكون ذلك من عند الله، بل الاختلاف الكثير الذي فيه يدل على أن ذلك الاختلاف من عند غير الله، وأنت إذا اعتبرت نسخه ونسخ التوراة التي بأيدي اليهود، والسامرة والنصارى لرأيتها مختلفة اختلافا، يقطع من وقف عليه من جهة التغيير والتبديل، وكذلك نسخ الزبور مختلفة جدا، ومن المعلوم أن نسخ التوراة والإنجيل، إنما هي من عند رؤساء اليهود والنصارى، وليست عند عامتهم ولا يحفظونها في صدورهم، كحفظ المسلمين للقرآن، ولا يمتنع على الجماعة القليلة التواطؤ على تغيير بعض النسخ، ولا سيما إذا كان بعضهم لا يحفظونها، فإذا قصد طائفة منهم تغيير نسخة أو نسخ لهم أمكن ذلك، ثم إذا تواطأ على ألا يذكروا ذلك لعوامهم وأتباعهم أمكن ذلك وهذا واقع في العالم كثيرا» [(٢)] .

إني أحلف بالذي لا إله إلا هو إن تاريخ الطبري عندنا أصح نقلا من الإنجيل، ويعتمد عليه العاقل أكثر، مع أن التاريخ عندنا، لا يجوز أن ينبني عليه شيء من أمر الدين، وإنما هو فكاهات في المجالس، فأناجيلكم ما هي إلا حكايات وتواريخ وكلام كهنة، وتلاميذ غيركم وتقولون مع ذلك: إن الإنجيل كتاب الله أنزله إلينا، وأمر المسيح باتباعه .

فليت شعري أين هذا الإنجيل المنزل من عند الله، وأين كلماته من بين هذه الكلمات، إن الذي تنقلونه عن عيسى لفظا ـ وهو قليل ـ لا يلزم أن يكون منزلا من عند الله؛ لأن المسيح عليه السلام كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة، ومن مقتضى الطباع البشرية وغير ذلك، فهذا كله ليس من عند الله .

---

(١) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، ص ٦٨ .

(٢) هداية الحيارى ، ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

فنحن لا نقول: إن كل ما تكلم به محمد ﷺ قرآن. وقد نقل عنه القرآن ـ الموحى به من ربه لفظا ـ نقلا متواترا، يقطع بصحته الخلف والسلف، أما أنتم فلا يتعين لكم شيء مما أنزل الله أبدا، فضلا عن نقله بعد تعيينه» (١) .

وإذا كانت تلك المتناقضات تدعو إلى الدهشة والغرابة، فإن موريس بوكاى يخرجنا من هذه الدهشة بقوله: «كيف ندهش إذاً لتشويه المبشرين لبعض أحداث حياة المسيح؟ هؤلاء الذين كانوا يهدفون إلى الدفاع عن وجهات نظر شخصية كيف ندهش ـ لحذف بعض الأحداث؟ كيف ندهش للطابع الروائى فى بعض الأحداث الأخرى» ؟ (٢) .

ويقارن بوكاى بين الأناجيل، وبين الشعر الملحمى فى أدب القرون الوسطى، وينتهى فى مقارنته إلى لقائهما فى وجه شبه تام، هو إن كلا منهما ينبع من الخيال الإنسانى وحده، والروايات المضطربة هى التى أدت به إلى تلك المقارنة يقول: «هذا يؤدى بنا إلى مقارنة الإنجيل بالشعر الملحمى فى أدب القرون الوسطى، وإنها لموجبة حقا تلك المقارنة مع ملحمة رولان، وهى أكثر الملاحم شهرة تلك التى تقص فى شكل روائى حدثا وقع بالفعل، هل يعرف القارئ أن هذه الملحمة، تقص حدثا حقيقيا كمين وقع فيه ظهر جيش ـ «شارلمان» الذى كان يقوده «رولان» بممر رنسفو .

وإن هذا الحدث ذو أهمية ثانوية، قد وقع فى قول الحولية التاريخية «إيجنهارد» فى ١٥ أغسطس عام ٧٧٨م، ولقد ضخم هذا الحدث، حتى وصل إلى أبعاد أمر حربى، معركة فى حرب مقدسة .

إن الرواية خيالية لكن هذا الخيال لا يحجب حقيقة إحدى معارك شارلمان التى قام بها ليؤمن حدوده ضد تسلل الشعوب المجاورة، تلك هى الصحة والشكل الملحمى، للرواية لا يمحوها .

ونفس الأمر بالنسبة للأناجيل، فخيالات متى والمتناقضات الصارخة بين الأناجيل والأمور غير المعقولة، وعدم التوافق مع معطيات العلم، والتحريفات المتوالية للنصوص، كل هذا يجعل الأناجيل، تحتوى على إصحاحات وفقرات تنبع من الخيال الإنسانى وحده، لكن هذه الغيوب لا تضع فى موضع الشك، وجود رسالة المسيح، فالشكوك تخيم فقط

---

(١) بين الإسلام والمسيحية لأبى عبيدة الخزرجى، ص ١٥٧ .

(٢) دراسة الكتب المقدسة، ص ١٣١ .

على الكيفية التى مرت بها» [1] .

ونحن مع «بوكاى» فى أن روايات الأناجيل نسيج من الخيال الإنسانى أو على الأقل اختلطت بهذا النسيج، وأيضا نحن معه فى أن ذلك لا يؤدى إلى وضع رسالة المسيح موضع الشك، بل هذا ما قرره القرآن الكريم. فالإيمان بالمسيح كرسول وبرسالته فرض عندنا. يقول الله تعالى: ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**﴾ [2] .

والتوراة والإنجيل المنزلة على موسى وعيسى عليهما السلام هدى ونور، يقول تعالى: ﴿**نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان**﴾ [3] .

وليس معنى هذا أن يقبل ادعاء بلا دليل أو برهان، وادعاؤهم بصحة هذه الكتب، يحتاج إلى دليل، وادعاؤنا تحريفهم وتناقضهم أقمنا عليه الدليل، ولا مانع على الإطلاق أن ينظر فى مثل هذه الكتب، من جهتى العقل والنقل .

يقول صاحب « الفارق » : « ولقد ناقشنا كتبكم من جهتى العقل والنقل ، فوجدناها من جهة العقل لا يسلمها عاقل ؛ لما فيها من التناقض والمغالطات التى تمنع أن يكون من صحيح الكتب التاريخية، فضلا عن أن تكون من الكتب الإلهية» [4] .

إن اعتماد كاتب أحد الأناجيل على ما رواه كاتب إنجيل آخر، كان أولى به أن يوجد تآلفا بين الأناجيل، ويمنع التناقض والاختلاف فيما بينهما، لكن ما حدث كان على النقيض من ذلك، فكل الأمثلة التى مرت وغيرها كثير يكفى للقول بأن الأناجيل قد اختلفت فيما بينها، اختلافا بعيدا وهو اختلاف يكفى لرفض ما يذكره أحد الأناجيل، إذا أخذنا برواية الإنجيل الآخر. أيهما نأخذ به وأيهما نرفض ؟

«رب قارئ ـ درج على الإيمان التقليدى لما ترويه الأناجيل ـ لا يجد الآن مفرا من أن يقول: إنما العلم عند الله» [5] .

---

(١) دراسة الكتب المقدسة ، ص ١٣١ .

(٢) البقرة : ٢٨٥ .

(٣) آل عمران : ٣ ، ٤ .

(٤، ٥) الفارق بين المخلوق والخالق، ص ٩ .

يقول شارل جنيبر: «إن أغلب الفقرات التى يظهر فيها من الأناجيل يبدو أنها صدرت عن محررى هذه الأناجيل لا عن عيسى ، أما تلك التى يرجح أنها مبنية على حديث صحيح له، فلا تعدو إلا ربع أو الخمس، ولا يمكن أن تصفها بأقل من أنها خاطئة أساسا فى ترجمتها للنص الأصلى» (١) .

وعلى هذا الأساس، فإننا لا نعتبر ولا نعتقد أن مافى هذه الأناجيل وحيا من السماء، بل لا نعتبر الذين كتبوها معصومين ولا أنبياء، ولا من تلاميذ المسيح وحوارييه .

يقول القس إنسلم تورميدا: «اعلموا أن الذين كتبوا الأناجيل أربعة هم: متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا. وهؤلاء هم الذين أفسدوا دين عيسى، وزادوا ونقصوا وبدلوا كلام الله تعالى وليس هؤلاء من الحواريين» (٢) .

ولأنهم ليسوا من أصحاب عيسى فقد وقعوا فيما وقعوا فيه من التناقض ولهذا يقول «إنسلم» : «ثم أوقعهم الله بعظيم قدرته وباهر حكمته فى التناقض وتخاذل النقل وتدافع اللفظ والمعنى من حيث يشعرون أو لا يشعرون» (٣) .

ومحاولات التوفيق والتأويل بين الأحداث المختلفة والمتباينة فى الكتاب المقدس أمر ميئوس منه، ولهذا نرى «سبينوزا» يتحدى من يستطيع أن يقوم بهذا الأمر يقول: «فإذا ظن أحد أنى أتحدث بطريقة عامة جدا دون أساس كاف، فإنى أرجو أن يكلف نفسه العناء ويدلنا على ترتيب يقين لهذه الروايات، يستطيع المؤرخون اتباعه فى كتاباتهم للأخبار، دون الوقوع فى خطأ جسيم، وعلى المرء فى أثناء محاولته تفسير الروايات والتوفيق بينها، أن يراعى العبارات والأساليب وطرق الوصل فى الكلام ويشرحها، بحيث نستطيع طبقا لهذا الشرح أن نقلدها فى كتابتنا، ولسوف أنحنى مقدما فى خشوع لمن يستطيع القيام بهذه المهمة، وإنى لعلى استعداد لأن أشبهه (بأبوللوا) نفسه، على أنى أعترف بأنى لم أستطع أن أجد من يقوم بهذه المحاولة، على الرغم من طول بحثى عنه، ومع أنى مشبع منذ طفولتى بالآراء الشائعة عن الكتاب المقدس، فقد كان من المستحيل ألا أنتهى إلى ماانتهيت إليه، وعلى أية حال فليس هناك ما يدعونا إلى أن نعطل القارئ هنا، وأن نعرض عليه فى صورة تحدٍ أن يقوم بمحاولة ميئوس منها» (٤) .

---

(١) المسيح فى مصادر المسيحية ، ص١٧٩ .

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها، ص ٥٢ .

(٣) تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب، ص ٦١ ، ٦٢ .

(٤) المرجع السابق، ص ١١٩ .

وسبب هذا التحدى الصارم، والموقف العقلى البحث من «سبينوزا» هو تلك النتيجة التى وصل إليها، والتى يعبر عنها بقوله: «لم تكن لديهم أية فكرة عن ترتيب الرواية، كما أضطر أن أعترف بأنه لم يكن هناك منهج أو قاعدة لتفسير الكتاب، بل كان بإمكانهم اختلاق أى شىء حسب هواهم» (١) .

ويحاول شيوخهم دائما الخروج من هذه المشاكل، بادعاء أن هناك أسرار فى غاية العمق، ولا يسلم معظم مفسريهم بوقوع أى تحريف فى النص، ولكن «سبينوزا» الذى يقرر أنه بحث وطال بحثه يرد على هذا الادعاء قائلا:

«لست أدرى إن كان ذلك ناجما عن اختلال العقل، وعن نوع من تقوى العجائز المخرفين، أم أنهم قالوا ذلك بدافع الغرور والخبث، حتى نعتقد أنهم وحدهم الأمناء على أسرار الله؟ ولكنى أعلم فقط أنى لم أجد مطلقا أى شىء، عليه سيما السر فى كتبهم، ولم أجد منها إلا أعمالا صبيانية» (٢) .

وإذا كانت هذه النتيجة التى توصلت إليها، وتوصل إليها كثيرون قبلى من علماء المسلمين، أو من المستشرقين وعلماء المسيحية أنفسهم، فإن القرآن الكريم أعلنها منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، فقد بين القرآن الكريم أن أهل الكتاب ضيعوا الوحى السماوى وحرفوه، وهناك ثلاث آيات فى القرآن الكريم، كل آية تعطى معنى جديدا من معانى تضييع أهل الكتاب للكتب السماوية، لتعطينا المعانى الثلاثة أو الآيات الثلاث معنى متكاملا:

الآية الأولى: **﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا﴾** (٣) .

الآية الثانية: **﴿تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾** (٤) .

الآية الثالثة: **﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به ...﴾** الآية (٥) .

---

(١) رسالة فى اللاهوت: ص ٢٩٧ . .
(٢) المرجع السابق : ص ٢٩٩ .
(٣) النساء : ٤٦ .
(٤) الأنعام : ٩١ .
(٥) المائدة : ١٤ .

فالأولى: تعطى معنى التحريف، وهو بالزيادة أو النقصان، وكلاهما ضياع المعنى .

الثانية: تعنى أنهم كانوا يخفون كثيرا من الوحى السماوى، والنص الإلهى .

الثالثة: تعنى أنهم نسوا قسطا من الوحى الذى أنزل على الرسول . فهم قد أخفوا بعضه، ونسوا بعضه، وحرفوا الباقى .

فهل يمكن أن يقال بعد ذلك على أسفارهم وأناجيلهم أنها كتب الله أو أنها مقدسة .

---

(١) المائدة : ١٤ .

الفصل الثالث

الاتساق الذاتى فى القرآن الكريم

تحدثت فى الفصلين السابقين عن انعدام الاتساق الذاتى فى الكتاب المقدس ، فى العهد القديم ، والجديد ، أو فى التوارة المزعومة والأناجيل ، حيث تبين لنا كثرة التناقضات بين أسفار العهد القديم بعضها البعض ونفس الشىء بالنسبة للعهد الجديد ، وليس هذا غريبا على الكتاب المقدس ، فإن أول معرفة جادة بالعهد القديم ، كانت فى الفترة الواقعة بين القرن السادس والقرن الثامن الميلادى ، وهذه الفترة الزمنية الطويلة ، كانت كفيلة بالإضافة والحذف والتفضيل والتغيير .

وفى القرن التاسع عشر ، بدأت كوكبة من الدارسين بإعادة صياغة العهد القديم ، وكانت صياغتهم لغوية بحتة .

وإن كثرة الترجمات مع اختلاف المصادر ، جعلت من الصعب الاتفاق على نص موحد .

لقد كانت هناك أصول كثيرة للعهد القديم ، قلما يتشابه اثنان منها مع بعضها البعض ، لذلك فإن الترجمات التى اعتمدت على أصول مختلفة لم تقل هى الأخرى اختلافا من ناحية النص والترتيب الزمنى [1] .

وهذه الأصول ليست هى النص الأول ، وفى أحدث مناظرة بين الشيخ أحمد ديدات والقس جيمى سواجارت سنة ١٩٨٧ بإحدى ولايات أمريكا ، وكان موضوعها : « هل الإنجيل كلمة الله » ؟ وقد شاهدتها كاملة ، وقد قال القس سواجارت بالحرف : « النسخة الأصلية لكلمة الرب لا وجود لها » ، والموجود أربع وعشرون ألف نسخة ليس بينها خلاف ، كترجمة للأصل المفقود » ، لكن الشيخ ديدات رد عليه قائلا : « أتحدى لو كان بين الأربع والعشرين ألف نسخة نسختان متشابهتان » ، وصمت القس سواجارت .

إذن ليس من الغريب أن توجد مثل هذه التناقضات فى كتاب كهذا ، وفى أكثر من

---

(١) انظر : دائرة المعارف البريطانية ، جـ ٣ ص ٥٠٨ .

مناظرة أثيرت مثل هذه الأمور ، ولم يستطع القساوسة الرد عليها [1] .

وإذا كانت هذه هى حقيقة كتب وأسفار أهل الكتاب ، فإننا سنعرض فى هذا الفصل لدراسة حول النص القرآنى ؛ لنرى ما بين النص والمعنى ، وما فى ترتيب القرآن النزولى ، وترتيبه فى المصحف من تناسق واتساق ، وكل ما يتصل بهذا الموضوع ، وسنتطرق للحديث عن مذاهب المستشرقين ، فى أن القرآن به أمور متناقضة ، وسنفند رأيهم فى موضوع القراءات ، والتى يزعمون فيه أن تعدد القراءات يعتبر تناقضا . فنبدأ وبالله التوفيق .

نسخة القرآن الكريم :

من الأمور المتفق عليها ، والتى لا خلاف حولها ، أن الرسول ﷺ كان من العرب ، وكان يتكلم العربية ، والقرآن نزل عليه بنفس لغته ، وهذه مسألة ثابتة تاريخا ونصا ، فالتاريخ العربى والإسلامى ينص على ذلك ، والقرآن نفسه ينص على هذه المسألة .

ولما كانت قريش هم أوسط العرب وأفصحهم ، فقد نزل القرآن بلغة قريش : « روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : قريش هم أوسط العرب فى العرب دارا ، وأحسنهم جوارا ، وأعربهم ألسنة ، وقال قتادة : « كانت قريش تجتبى ــ أى تختار أفضل لغات العرب ، حتى صار أفضل لغاتها لغتها فنزل القرآن بها » .

قال الأزهرى : « وجعل الله عز وجل القرآن المنزل على النبى محمد ﷺ عربيا ؛ لأنه نسبه إلى العرب الذين أنزله بلسانهم ، وهم النبى ﷺ والمهاجرون والأنصار الذين حقيقة لسانهم لغة العرب فى باديتها ، وقراها العربية » [2] .

فالرسول الذى نزل عليه القرآن عربى ، والقرآن نزل باللغة العربية .

يقول تعالى : ﴿ **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه**

---

(١) انظر : كتاب المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمت الله والقسيس فندر ، تحقيق محمد عبد القادر خليل ، الناشر ، دار ابن تيمية ، الرياض ، ط. الأولى ، سنة ١٤٠٥ هـ .

وكتاب التزوير المقدس للدكتور عبد الودود شلبى ، دار الشروق ، ط. الأولى ، سنة ١٩٨٥ م ، والكتاب حوار كان بين المؤلف والأب جوبر راعى الكنيسة المتحدة باستراتفيلد ، وكان الحوار بمبنى المكتبة المتحدة باستراتفيلد باستراليا .

(٢) لسان العرب ، ص ٢٨٦٥ طبعة دار المعارف .

أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ [1] ، ويقول تعالى : **﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾** [2] .

هذا القرآن العربي الذى نزل على رسول الله العربى ، ونزل باللغة العربية ، لا يزال حتى الآن ـ وسيظل ـ بهذه اللغة ـ دون اختلاف على الرغم من كثرة النسخ وتعدد المصاحف ، فلو طابقت بين نسخة منه فى الشرق ، وأخرى فى الغرب لوجدتهما ينطبقان تمام الانطباق ، ولاشك أن هذا اتساق ذاتى ، وهذا يدل على أن الأصل واحد غير مختلف ، فجميع النسخ تنطبق على بعضها دون زيادة أو نقصان فى آية من آياته ، أو كلمة من كلماته ، أو حرف من حروفه ، أو شكلة من علاماته ، وهذا أمر واضح وواقع لايحتاج إلى أدلة ولا إلى استئناس رأى أو نص ، إنه أمر يفرض نفسه ، ويرد بهذا الفرض على أى ادعاء ضد القرآن الكريم .

ونسخة القرآن الكريم بهذا الوصف تختلف عن نسخ التوراة والإنجيل والتى تختلف اختلافا جوهريا فيما بينها ، فعلاوة على فقد النص الأصلى للتوراة والإنجيل ، فإن النسخ المترجمة فى العالم مختلفة ومتباينة ، فهناك نسخ تزيد أسفارها عن نسخ أخرى ، وحتى النسخ المتفقة فى عدد الأسفار بينها تباين فى بعض النصوص واختلاف فى المضمون .

فصحة القرآن التى لا تقبل الجدل تعطى النص مكانة خاصة بين كتب التنزيل ، ولا يشترك مع نص القرآن في هذه الصحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد ، فالقرآن الكريم لم يتعرض لأى تحريف من يوم أن أنزل على الرسول ﷺ حتى يومنا هذا .

« ففيما يخص العهد القديم ، فإن تعدد كتاب نفس الرواية بالإضافة إلى تعدد المراجعات لبعض الكتب على عدة فترات قبل العصر المسيحى ، هو من أسباب الخطأ والتناقض ، وفيما يخص الأناجيل فلا يستطيع أحد أن يجزم بأنها تحتوى دائما على رواية أمينة لرسالة المسيح ، أو على رواية لأعماله تتفق بدقة تامة مع الواقع .

إن عمليات التحرير المتوالية ، تبين افتقار هذه النصوص إلى الصحة ، وزيادة على ذلك فليس كتاب هذه النصوص شهود عيان .

وهذا ما يختلف فيه القرآن عن هذه الكتب ، وفور تنزيله ، وأولا بأول كان النبى ﷺ والمؤمنون من حوله يتلونه عن ظهر قلب ، وكان الكتبة من صحبه يدونونه .

---

(١) النحل : ١٠٣ .　　(٢) يوسف : ٢ .

إذاً فالقرآن يتمتع منذ البداية بعنصرى الصحة هذين ، اللذين لا تتمتع بهما التوراة ولا الأناجيل ، وظل الأمر هكذا حتى موت النبى ﷺ ، وفى عصر لا يستطيع فيه الكل أن يكتب وإن كان يستطيع أن يحفظ عن ظهر قلب ، تصبح التلاوة ذات فائدة لا تقدر ، وذلك لإمكانياتها التحقيق العديدة التى تعطيها ساعة التثبيت النهائى للنص » [١] .

والدليل على هذه الحقائق هو اتحاد نسخ القرآن فى العالم كله ، سورا وآيات وكلمات وحروفا ، ووجوده حتى الآن بلغته الأولى ، والأهم من ذلك طريقة قراءته ، التى تدل على نقله حفظا فى الصدور وعن ظهر قلب ؛ لأن طريقة التلفظ بالقرآن تنقلت جيلا بعد جيل ، وأخذت من الأفواه ، وهذا ما تختلف فيه نسخة القرآن الكريم على الأسفار والأناجيل المقدسة ؛ ولهذا :

« فإن جميع نسخ القرآن الكريم اليوم المطبوع منها والمخطوط ، يعد شهادة بليغة على الأمانة التى انتقل منها البناء القرآنى من جيل إلى جيل ، حتى وصل إلينا بهذا الكمال المنقطع النظير » [٢] .

ولهذا نقول : « إن القرآن نسخة واحدة ، أما التوراة والأناجيل فقد أضحت نسخا مختلفة ، فكل سفر ينسب إلى شخص ، وكل إنجيل ينسب أيضا إلى شخص ، بل إن كل واحد من كتاب الأناجيل يخبر فى إنجيله أنه ذهب وبشر فى مكان محدد ، لكن أحدا منهم لم يخبر أنه أثناء تبشيره كان يحمل معه إنجيلا لعيسى » .

وقد استدل الشيخ أحمد ديدات بهذا الفرق الواضح بين نسخة القرآن الكريم المتطابقة ، ونسخ كتب أهل الكتاب المختلفة على أن الإنجيل ليس هو كلمة الله ، ولا التوراة ، والمقصود بهما ما بأيديهم الآن [٣] .

واستدل بذلك أيضا الشيخ رحمت الله الهندى فى مناظرته مع القس ، فندر ، حيث

---

(١) دراسة الكتب المقدسة ، ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(٢) مدخل إلى القرآن الكريم ، للدكتور محمد عبد الله دراز ، دار القلم ، الكويت ط. الثانية ، سنة ١٩٧٤م ، ص ٥١ .

(٣) كان ذلك فى مناظرة بين الشيخ أحمد ديدات من جمهورية جنوب إفريقيا وبين القس جيمى سواجارت أكبر مبشر أمريكى ، وكانت تلك المناظرة بإحدى ولايات أمريكا سنة ١٩٨٧ وكان موضوعها : « هل الإنجيل كلمة الله » وقد شاهدت تلك المناظرة كاملة أثبت فيها الشيخ أحمد بحشد من الأدلة لمدة أربعين دقيقة ، كانت هى المدة المحددة له ، أن الإنجيل ليس هو كلمة الله ، وقد هرب القس من تفنيد أدلة الشيخ .

بين له ما بين نسخهم من تناقضات واختلافات وزيادة أو نقصان ، فرد عليه القس فندر قائلا : « إن هذه الأشياء كلها داخلة عندنا فى سهو الكاتب سواء كان وقوعها قصدا أو سهوا أو جهلا أو غلطا » [1] .

وقد ألزم الشيخ رحمت الله القس فندر بالتحريف فى بعض المواضع ، حتى ولو كان ذلك سهوا من الكاتب ، ثم قال له : « أتسلمون أنه سهو من هذه السهوات التى هى مسلمة عندكم ، وهى تحريفات بعينها عندنا ، يوجد فى جميع النسخ أم لا ؟؟ » .

قال القس فندر « نعم ، مثل هذا السهو يوجد فى جميع النسخ » [2] .

ولكل هذا ، فإننى أقول : « إن البون شاسع بين نسخة القرآن الكريم ونسخهم المتفاوتة ، وإذا كان الاختلاف والتناقض فى كتبهم ينتج انعدام اتساقها ، فإن وحدة النص القرآنى دليل واضح على اتساقه .

---

(١) المناظرة الكبرى ، ص ٢٨٥ .

(٢) المناظرة الكبرى ، ص ٢٨٩ .

الاتساق فى ترتيب القرآن

أولا : ترتيبه النزولى

يختلف ترتيب القرآن فى النزول عن ترتيبه فى المصحف اختلافا كبيرا ، ومنشأ هذا الاختلاف هو اختلاف الهدف المقصود من كلا الترتيبين ، ومعلوم أن القرآن الكريم نزل منجما على الرسول ﷺ من مبعثه ، وانتهى بقرب انتهاء حياته الشريفة .

« وتقدر هذه المدة بعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين تبعا للخلاف فى مدة إقامته ﷺ فى مكة بعد البعثة ، كانت عشر سنين أم ثلاث عشرة ، أم خمس عشرة سنة ، أما مدة إقامته بالمدينة فعشر سنين اتفاقا » (١) .

والذى أريد أن أقوله فى هذا المبحث : « أن الترتيب النزولى للقرآن له هدف مقصود ، وأن الترتيب فى المصحف له هدف مقصود أيضا ، وأن كلاهما أمر توقيفى ، فلهذا الترتيب أسرار ولذاك أسرار ، ونبدأ بترتيب النزول لنبين ما فيه من اتساق ، وماله من غايات ، وبادئ ذى بدء ينبغى أن أبين أولا دليل تنجيم نزول القرآن .

دليل نزوله منجما :

والدليل على تفرق هذا النزول وتنجيمه قوله تعالى : ﴿ **وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا** ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ **وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا** ﴾ (٣) .

وقد دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة ، فقد روى أن الكفار من يهود ، ومشركين عابوا على النبى ﷺ نزول القرآن مفرقا ، واقترحوا عليه أن ينزل جملة ، فأنزل الله هاتين الآيتين .

وقد قال ابن كثير عند تفسيره لآية الفرقان : « يقول تعالى مخبرا عن كثرة اعتراض الكفار وتعنتهم وكلامهم فيما لا يعنيهم ، حيث قالوا : ﴿ **لولا نزل عليه القرآن جملة**

---

(١) مناهل العرفان فى علوم القرآن ، جـ ١ ص ٥١ .   (٢) الإسراء : ١٠٦ .   (٣) الفرقان : ٣٢ .

واحدة ﴾ أى هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذى أوحى إليه جملة واحدة ، كما نزلت الكتب من قبله ، كالتوارة والإنجيل والزبور وغيرها من الكتب الإلهية فأجابهم الله تعالى عن ذلك بأنه ، إنما نزل منجما فى ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث ، وما يحتاج إليه من الأحكام ليثبت قلوب المؤمنين منه » [1] .

ورد الله تعالى لهاتين الآيتين يدل على أمرين :

أحدهما : أن القرآن نزل مفرقا على النبى ﷺ . يقول الإمام السيوطى : « الذى استقرئ من الأحاديث الصحيحة وغيرها أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات ، عشر آيات وأكثر وأقل ، وقد صح نزول العشر آيات فى قصة الإفك جملة ، وصح نزول عشر آيات من أول المؤمنين جملة ، وصح نزول ﴿ **غير أولى الضرر** ﴾ وحدها وهى بعض آية » [2] .

والثانى: أن الكتب السماوية من قبله نزلت جملة ، وهو مشهور فى كلام العلماء وعلى ألسنتهم حتى كاد أن يكون إجماعا [3] .

وينبغى الآن أن أبين ما فى هذا الترتيب النزولى من حكم وأهداف .

حكم وأهداف الترتيب النزولى :

لتنجيم نزول القرآن ، بل ولترتيب هذا النزول أسرار عدة ، وحكم كثيرة :

أولها :

مراعاة حاجة الدعوة إلى الدين الجديد من الوجهة التربوية الإلهية الخالصة ، والتدرج بالناس شيئا فشيئا ، حتى يتم المراد من إكمال الدين وتمام النعمة ، دون أن تكون هناك عوائق نفسية تعوق الإنسان السوى عن متابعة التنزيل ، وتدبر معانيه والاقتناع بمراميه والعمل بما تضمنه من أحكام .

وأريد أن أقول هنا : إن أول ما نزل كان ينبغى أن يكون هو أول ما نزل ، وهكذا آخر ما نزل ، فالحق عز وجل يعلم أن الناس فى بدء الدعوة ، ليسوا فى حاجة إلى آيات الأحكام ، لكنهم فى حاجة إلى آيات العقائد ذات النغم الخاص التى ترغب الفرائض ،

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، جـ ٣ ص ٣١٧ .

(٢) الإتقان فى علوم القرآن ، جـ ١ ص ٥٧ .

(٣) انظر: المصدر السابق جـ ١ ص ٥٦ ، وانظر : مناهل العرفان ، جـ ١ ص ٥٣ .

وتهز المشاعر وتزلزل القلوب ، ولاشك أن لآيات الترغيب والترهيب ، وذكر الجنة والنار أثرا كبيرا فى فترة الإسلام الأولى وحتى أدلل على ما أقول فقد أخرج البخارى عن عائشة قالت :

« إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل ، فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شىء ، لا تشربوا الخمر ، لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل لا تزنوا ، لقالوا : لا ندع الزنى أبدا » [(١)] .

ويدل على ذلك أيضا ، أن الفترة المكية على طولها لم تكن التعاليم القرآنية فيها متجهة إلا إلى بناء العقيدة ، وترسيخها فى أعماق الوجدان ، وما ذاك إلا لأن العقيدة هى قوة الدفع للإنسان المؤمن نحو الطاعة المطلقة لله فى الأمر والنهى .

فالقرآن بترتيبه النزولى منهج دعوة لتأسيس دين الله ، بين قوم لا يدينون بالحق ومنهج تربية لأمة مختارة ومصطفاة لنشر هذا الدين .

« الذى يتمشى مع هذا المنهج ، هو أن تتقدم الآيات المكية التى تمتاز بأنها أوفر عددا ، وأكثر جملا ، وأكثر إلزاما بنغمات موسيقية معينة » [(٢)] .

ثانيها : تثبيت فؤاد النبى ﷺ :

يقول تعالى :

﴿ **وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة** ﴾ فأجابهم الله تعالى بقوله لرسوله ﷺ : ﴿ **كذلك لنثبت به فؤادك** ﴾ [(٣)] .

يقول الإمام السيوطى :

« إن الوحى إذا كان يتجدد فى كل حادثة ، كان أقوى بالقلب وأشد عناية بالمرسل إليه ، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز ، فيحدث لـه مـن السرور ما تقصد عنه العبارة ، ولهذا كان أجـود ما يكون فى رمضان لكثرة لقياه جبريل » [(٤)] .

---

(١) أخرجه البخارى ، كتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن ، جـ ٩ ص ٣٢ ، ٣٣ من فتح البارى .

(٢) بحث جديد عن القرآن محمد صبيح ص ١٠٠ ، ط. السادسة دار الثقافة العامة .

(٣) الفرقان : ٣٢ .

(٤) الإتقان ، جـ ١ ص ٥٦ .

وبعبارة أخرى :

« فى تجدد الوحى وتكرار نزول الملك به من جانب الحق إلى رسوله ﷺ سرورا يملأ قلب الرسول ، وغبطة تشرح صدره وكلاهما يتجدد عليه بسبب ما يشعر به من العناية الإلهية وتعهد مولاه إياه فى كل نوبة من نوبات هذا النزول » [١] .

ويذكر الشيخ الزرقانى عدة وجوه ؛ لتثبيت فؤاد النبى ﷺ وتقوية قلبه ومنها :

« فى التنجيم تيسير عليه من الله فى حفظه ، وفهمه ومعرفة أحكامه وحكمه ، وذلك مطمئن له على وعى ما يوحى إليه ، حفظا وفهما وإحكاما وحكما ، كما أن فيه تقوية لنفسه الشريفة على ضبط ذلك كله » [٢] .

ومنها أيضا :

« أن فى كل نوبة من نوبات هذا النزول معجزة شديدة ، غالبا ، حيث تحداهم كل مرة أن يأتوا بمثل نوبة من نوب التنزيل ، فظهر عجزهم عن المعارضة ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، ولاشك أن المعجزة تشد أزره ، وترهف عزمه باعتبارها مؤيدة له ولحزبه ، خاذلة لأعدائه ولخصمه » [٣] . وفى ذلك تأييد حقه ودحض باطل عدوه ، وانتصار الإنسان وهزيمة خصمه مطمئن للفؤاد مريح للقلب .

ومنها أيضا :

تعهد الله إياه عند اشتداد الخصام ، فالشدائد بالنسبة للرسول ﷺ كانت تحدث فى أوقات متعددة ، متقاربة كانت أو متباعدة ، والرسول فى كل هذه الأوقات محتاج إلى التسلية ، واتصال السماء به .

يقول الشيخ الزرقانى : « فكلما أحرجه خصمه سلاه ربه ، وتجىء تلك التسلية تارة عن طريق قصص الأنبياء والمرسلين التى لها فى القرآن عرض طويل » [٤] ، وفيها يقول تعالى : ﴿ **وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين** ﴾ [٥] .

وتارة تجىء التسلية عن طريق وعد الله لرسوله بالنصر والتأييد والحفظ ، كما فى قوله تعالى : ﴿ **واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا** ﴾ [٦] ، وقوله تعالى : ﴿ **والله يعصمك من**

---

(١) مناهل العرفان ، جـ ١ ص ٥٣ .
(٢) نفسه .
(٣) المصدر السابق ، جـ ١ ص ٥٤ .
(٤) نفسه .
(٥) هود : ١٢٠ .
(٦) الطور : ٤٨ .

الناس ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾[2] .

وهذه الوجوه كلها تؤدى إلى تثبيت فؤاد النبى ﷺ ، وإذا كان هذا التثبيت من حكم تنجيم القرآن ، فإن هذا لا يخرج عن المصلحة العليا للدعوة الناشئة وهو المقصود الأول الذى ذكرناه ، لكنه يتمثل هنا فى شخص الداعى الأعظم ، مما يتناسب مع مهمة عظمى التى أمر أن يصدع بها ، ويجاهد الأمم من أجل إرساء قواعدها ، ففى قوة الداعى قوة لأتباعه ، مافى ذلك جدال .

وثالثها : تثبيت أفئدة المؤمنين :

ولقد كان القرآن يتدرج مع الأحداث والوقائع والمناسبات الفردية والاجتماعية التى تعاقبت فى حياة الرسول ﷺ ، ولاشك أن هذه الأحداث وتلك الوقائع ، تعددت بترتيب زمنى معين ، فكان القرآن ينزل حسب ترتيبها ، وكانت هناك أسئلة متعددة أيضا ،وكان القرآن ينزل ليجيب عن كل سؤال فى حينه .

وكان المسلمون فى أوائل الدعوة وفى بدء الإسلام يصيبون ويخطئون ، وكان لابد من لفت أنظارهم إلى تصحيح أغلاطهم التى يخطئون فيها ، وإرشادهم إلى شاكلة الثواب فى الوقت نفسه ، ولا ريب أن تلك الأغلاط كانت فى أزمان متفرقة ، فمن الحكمة أن يكون القرآن النازل فى إصلاحها متكافئا معها فى زمانها .

وبناء على كل ما تقدم ، كان ينبغى أن يكون للقرآن ترتيب فى نزوله ، يساير كل ذلك وقد كان ، إذًا فلترتيب النزول قصد وسر ومعنى ، وحتى لا نلقى بالكلام جزافا سأسوق أدلة على هذه الوجوه المتقدمة .

١ ــ تدرج القرآن مع الأحداث والوقائع :

كان القرآن الكريم « يساير الحوادث والطوارئ فى تجددها وتفرقها ، فكلما جد جديد نزل من القرآن ما يناسبه ، وقد كان يجارى الأقضية والوقائع فى حينها ببيان حكم الله فيها عند حدوثها ووقوعها . ومعلوم أن تلك الأقضية والوقائع لم تقع جملة ، بل وقعت تفصيلا وتدريجا ، فلا مناص إذًا من فصل الله فيها بنزول القرآن على طبقها تفصيلا وتدريجا »[3] .

---

(١) المائدة : ٦٧ . (٢) الأحقاف : ٣٥ . (٣) مناهل العرفان ، جـ ١ ص ٥٨ .

والأمثلة على هذا كثيرة ، ومن ذلك ما ذكره الإمام أبو السعود فى تفسيره عن سبب نزول أول آيات المجادلة ، حيث يقول الله فى مفتتح السورة : ﴿ **قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير** ﴾ (١) .

« وهى خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة الخزرجية ، ظاهر عنها زوجها أوس بن الصامت أخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما أظنك إلا قد حرمت على فشق عليها ذلك ، فاستفتت رسول الله ﷺ فقال : « حرمت عليه » ، وفى رواية : « ما أراك إلا قد حرمت عليه » فى المرار كلها ، فقالت : أشكو إلى الله فاقتى ووجدى ، وجعلت تراجع رسول الله ﷺ ، وكلما قال لها : « حرمت عليه » هتفت وشكت إلى الله فنزلت »(٢) .

ومن هذه الأمثلة أيضا ، الآيات التى نزلت فى حادث الإفك يقول تعالى :

﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم** ﴾ (٣) .

يقول الإمام ابن كثير : « هذه العشر آيات كلها نزلت فى شأن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التى غار الله عز وجل لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه ، فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض الرسول ﷺ » (٤) .

٢ ـ إجابة السائلين على أسئلتهم :

ولفظ (يسألونك) ورد فى القرآن الكريم مرات متعددة ، وهو دليل على أنه كانت هناك أسئلة تثار وتوجه إلى الرسول ﷺ ، وأن السماء كانت تجيب عن هذه الأسئلة ، فى صورة وحى ينزل على رسول الله ﷺ .

والأسئلة كانت إما لغرض التنوير ومعرفة حكم الله تعالى ، وهذا كثير فى كتاب الله، كقوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ **يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير**

---

(١) المجادلة : ١ .

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبى السعود ، الناشر : دار المصحف ، جـ ٨ ص ١٢٥ .

(٣) النور : ١١ ـ ٢٠ .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، جـ ٣ ص ٢٦٨ .

فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ﴾ [1] .

« أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال : سأل المؤمنون رسول الله ﷺ أين يضعون أموالهم فنزلت الآية » [2] .

وهكذا قوله : ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام** ﴾ ، وقوله : ﴿ **يسألونك عن الخمر والميسر** ﴾ ، وقوله : ﴿ **يسألونك ماذا ينفقون قل العفو** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ويسألونك عن اليتامى** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ويسألونك عن المحيض** ﴾ [3] .

وإما لغرض التثبت من الرسالة كقوله تعالى : ﴿ **ويسألونك عن الروح** ﴾ يقول الإمام الواحدى : « عن علقمة عن عبيد الله قال : أتى مع النبى ﷺ فى حرث بالمدينة وهو متكئ على عسيب فمر بنا ناس من اليهود ، فقالوا : سلوه عن الروح ، فقال بعضهم : لا تسألوه فيستقبلكم بما تكرهون . فأتاه نفر منهم فقالوا : يا أبا القاسم ما تقول فى الروح ؟ ، فسكت ثم ماج فأمسكت بيدى على جبهته فعرفت أنه ينزل عليه ـ أى الوحى ـ فأنزل الله عليه : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ [4] .

« ومن ذلك سؤالهم عن فتية فقدوا فى أول الزمان ، وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها » [5] ، يقول تعالى : ﴿ **ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ...** ﴾ [6] الآيات .

ولا ريب أن تلك الأسئلة كانت ترفع إلى النبى ﷺ فى أوقات مختلفة ، وعلى نوبات متعددة ، حاكية أنهم سألوا ولا يزالون يسألون ، فلا يدع أن ينزل الجواب عليها كذلك ، فى أوقاتها المختلفة ، ونوباتها المتعددة .

---

(١) البقرة : ٢١٥ .

(٢) أسباب النزول للسيوطى ، ص ٤٠ تحقيق الأستاذ قرنى أبو عميرة ، الناشر : مكتبة نصر ، ص ٤٠ وانظر أسباب النزول للواحدى ، ص ٤٥ ـ ٥١ .

(٣) البقرة : ٢١٥ ـ ٢٢٢ .

(٤) أسباب النزول ، ص ٢٢٠ . والحديث رواه البخارى ، كتاب التفسير باب ﴿ **ويسألونك عن الروح** ﴾ جـ ٨ ص ٣٢٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .

(٦) الكهف : ٨٣ .

وكان حتما أن ينزل القرآن بترتيبه النزولى كما نزل لوقوع تلك الأسئلة مرتبة زمنا .

٣ ـ لفت أنظار المسلمين إلى أخطائهم :

يقول تعالى : ﴿ **ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين. ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ...** ﴾ (١) إلخ الآيات .

وهى آيات تردع المؤمنين عن رذيلة الإعجاب والاغترار فى يوم من أيام الله ، وتلفت نظرهم إلى مقدار تدارك الله لهم فى سكرتهم ، وإلى وجوب أن يثوبوا إلى رشدهم ، ويتوبوا إلى ربهم .

يقول الإمام السيوطى : « قوله تعالى : ﴿ **ويوم حنين** ﴾ الآية أخرج البيهقى فى الدلائل عن الربيع بن أنس أن رجلا قال يوم حنين : لن نغلب اليوم من قلة ، وكانوا اثنى عشر ألفا ، فشق ذلك على رسول الله ﷺ ، فأنزل الله : ﴿ **ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم** ﴾ الآية » (٢).

يقول الشيخ الزرقانى : « اقرأ إن شئت قوله سبحانه فى سورة آل عمران : ﴿ **وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ...** ﴾ إلى آيات كثيرة بعدها ، وكلها نزلت فى غزوة أحد إرشادا للمسلمين إلى مواضع أخطائهم فى هذا الموقف الرهيب ، والمأزق العصيب » (٣) .

وهذه الوجوه الثلاثة التى تشترك جميعها فى تثبيت قلوب المؤمنين ، والتى يبين فيها أن لترتيب نزول القرآن ضرورة وحكمة وسرا ، وأنه بهذا الترتيب كان متسقا تمام الاتساق مع الحوادث ، والوقائع ، ومع الأسئلة الواردة ، ومع الأخطاء الشائعة .

« وفى ربط الوجدان والعقل بالوحى على هذه الصورة مذاكرة نفسية للعقيدة أبلغ من كل كلام فى موازين التربية التعليمية فى أسمى قيمتها ونجاحها » (٤) .

---

(١) التوبة : ٢٥ ـ ٢٧ .

(٢) أسباب النزول ، ص ١٣٨ . وانظر : رواية يونس بن بكير فى زيادات المغازى ، قاله ابن حجر فى الفتح ، جـ ٨ ص ٢٢ .

(٣) مناهل العرفان ، جـ ١ ص ٥٩ .

(٤) أسرار ترتيب القرآن للسيوطى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، من مقدمة المحقق ، ط. الثانية ، دار الاعتصام ، سنة ١٩٧٨ م ، ص ٢٦ .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا** ﴾ (١).

رابعها : تجدد الحوافز ، والتدرج فى التربية علما وعملا :

هذه هى الحكمة الرابعة من تنجيم القرآن الكريم ، وترتيبه النزولى ، فلقد كانت الحوافز تتجدد كلما نزل الوحى ، أو كلما تجدد صوت السماء ، فلقد كانت هناك حوافز تبشر المؤمنين الدعاة على قلتهم وضعفهم فى المال والسلاح بالانتصار ، وإذلال جبروت العدو ، حتى يكون ذلك أدعى إلى صلابة العزائم ، والإصرار فى المضى على الطريق ، « لا سيما وأن تلك الحوافز كلها قد تحققت من المواجهة القرآنية ، فانعكست فى السنة النبوية تعميقا ، وتوسيعا لمفهومها ، بالبشريات التى زفها الرسول ﷺ لأتباعه ، بالانتصار على مملكة فارس ، وبدوام النصر والفتح ما عاشت شريعة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » (٢) .

صار الرعيل الأول يرتوى بهذا الفيض غيضا بعد غيض ، وآية بعد آية حتى اكتمل علما وعملا ، وعقيدة ، وحكما ، مما أدى إلى :

أولا : تيسير حفظ القرآن على المسلمين ، « فلو أنزل القرآن جملة واحدة لعجزوا عن حفظه ، فاقتضت الحكمة العليا أن ينزله الله إليهم مفرقا ليسهل عليهم حفظه ، ويتهيأ لهم استظهاره » (٣) .

وخاصة أنهم كانوا مشغولين بمصالحهم المعيشية ، وبالذب عن الدين الجديد ، وأدوات الكتابة غير متوفرة وهم أمة أمية .

ثانيا: تسهيل فهمه وتدبره عليهم ، وهذه نقطة لاحقة بالتى قبلها أو تابعة لها مباشرة .

ثالثا : البلوغ بهم مبلغ الكمال فى التحلى بالعقائد الحقة ، والعبادات الصحيحة ، والأخلاق الفاضلة من جراء ما فتح عيونهم عليه ، من أدلة التوحيد ، وبراهين البعث بعد الموت وحجج الحساب والمسئولية والجزاء .

---

(١) الفرقان : ٣٣ .

(٢) مقدمة أسرار ترتيب القرآن للمحقق عبد القادر أحمد عطا ، ص ٢٧ .

(٣) مناهل العرفان ، جـ ١ ص ٥٦ .

ثم انتقل بهم بعد هذه المرحلة إلى العبادات ، فبدأهم بفرضية الصلاة قبل الهجرة ، وثنى بالزكاة وبالصوم فى السنة الثانية من الهجرة ، وختم بالحج فى السنة السادسة منها .

وكذلك كان الشأن فى العادات ، زجرهم عن الكبائر ، ثم نهاهم عن الصغائر ، وتدرج بهم فى تحريم ما كان مستأصلا فيهم كالخمر ، تدرجا حكيما حقق الغاية ، وأنقذهم من كابوسها فى النهاية ، وكان الإسلام فى انتهاج هذه الخطة المثلى أبعد نظرا ، وأهدى سبيلا ، وأنجح تشريعا ، وأنجح سياسة من تلكم الأمم المتمدينة المتحضرة ، التى أفلست فى تحريم الخمر على شعوبها أفظع إفلاس ، وفشلت آخر فشل ، وما عهد أمريكا فى مهزلة تحريمها الخمر ببعيد [1] .

وصدق الله العظيم : ﴿ **وقرآنا فرقناه لتقرآه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا** ﴾ [2] .

تعقيب :

لقد قصدت بالمبحث السابق أن أبين أن ترتيب القرآن النزولى ـ الذى يختلف عن الترتيب المصحفى ـ ترتيب متسق ومنسجم ومنتظم مع منهج الإسلام فى تأسيس دين بين قوم لا يدينون بالحق ، هذا المنهج الذى اتجه إلى بناء العقيدة أولا ، والتى يتسق معها الآيات الأولى فى النزول ، القصيرة القوية الجرس ، التى ألهبت المشاعر وبها ترسخت العقيدة فى أعماق الوجدان .

كما أنه متسق مع الأحداث والوقائع ، فقد كان ينزل الوحى بالقرآن مبينا للحوادث الجارية .

كما كان متسقا عندما كان ينزل ليرد على أسئلة السائلين ، ويجيب جوابه الناجح عن المستفتين ، ففى القرآن كلمتا : « **يسئلونك** » و « **يستفتونك** » .

وهو متسق أيضا فى ترتيبه النزولى ، عندما كان ينزل ليلفت أنظار المسلمين إلى خطأ معين وقعوا فيه فى سلم أو حرب .

وأدى نزوله بهذه الطريقة إلى تثبيت قلب رسول الله ﷺ ، وتثبيت قلب المؤمنين ، وخاصة عندما كان يهتك أستار وسرائر المنافقين ، ويأمر المسلمين أن يأخذوا حذرهم

---

(١) انظر : مناهل العرفان ، ص ٥٧ .

(٢) الإسراء : ١٠٦ .

ليأمنوا شرهم ، يقول تعالى : ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين** ﴾ إلى قوله : ﴿ **إن الله على كل شيء قدير** ﴾ (١) ، وهـن ثلاث عشرة آية ، فضحت المنافقين كما فضحتهم سورة التوبة فى كثير من الآيات ، وكما كشف القرآن أستارهم فى كثير من المناسبات .

كما كان لنزوله بهذه الطريقة الفضل فى تمكن النبى من خطه وتعليمه للناس وإملائه على كتابه ليدونوه .

أى اتساق وانتظام يرقى إليه كتاب فى الدنيا بهذه الطريقة ، التى وضحناها ؟ ولذا كان من بين علوم المسلمين علم أسباب النزول لمعرفة سبب نزول الآية ، وكتب اليهود والنصارى من التوراة والأناجيل المنسوبة إلى موسى ، وعيسى زورا تخالف القرآن فى هذا الجانب ، فليس عندهم علم بأسباب النزول ولا تتمتع هذه الكتب بما يتمتع به القرآن فى اتساقه مع الوقائع والرد على الأسئلة .

يقول الشيخ الزرقانى : « وإنه ليستبين لك سر هذا الإعجاز إذا ما علمت أن محاولة مثل هذا الاتساق والانسجام لن يمكن أن يأتى على هذا النمط الذى نزل به القرآن ، ولا على قريب من هذا النمط ، لا فى كلام الرسول ﷺ ، ولا فى كلام غيره من البلغاء وغير البلغاء » (٢) .

ثانيا : الاتساق فى ترتيبه المصحفى

الآيات التى نزلت منجمة ، أعيد ترتيبها مرة أخرى وتنسيقها ، فصارت توضع الآية بجانب أختها ، حتى تكونت السورة ، والسورة بجانب السورة حتى تألف القرآن كله ، وهذا الترتيب آيات وسور توقيفى ولا شبهة فى ذلك .

ترتيب الآيات :

يقول الإمام السيوطى: الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفى، أما الإجماع فنقله غير واحد منهم الزركشى فى البرهان ، وأبو جعفر فى مناسباته ، وأما النصوص فمنها حديث زيد « كنا عند النبى ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع » (٣).

---

(١) البقرة : ٨ ــ ٢٠ .
(٢) مناهل العرفان ، جـ ١ ص ٦٢ .
(٣) الإتقان فى علوم القرآن ، جـ ١ ص ٨٠ . والحديث أخرجه الحاكم فى المستدرك بسنده على شرط الشيخين ، عن زيد بن ثابت .

وكان ﷺ يقول لكتاب الوحى عند نزول الآيات : « ضعوا هؤلاء الآيات فى السور التى يذكر فيها كذا وكذا » [1] .

وأخرج أحمد بإسناد حسن عن عثمان بن أبى العاص قال: « كنت جالسا عند رسول الله ﷺ ، إذ شخص ببصره ، ثم صوبه ثم قال : أتانى جبريل فأمرنى أن أضع هذه الآية هذا الموضوع ، من السورة: ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ...** ﴾ .

ويقول السيوطى : « ومن النصوص الدالة على ذلك إجمالا ، ما ثبت من قراءته ﷺ لسور عديدة كسورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء فى حديث حذيفة والأعراف فى صحيح البخارى ، أنه قرأها فى المغرب ، وقد أفلح ، روى النسائى أنه قرأها فى الصبح ، والروم روى الطبرانى أنه قرأها فى الصبح ، الم تنزيل وهل أتى على الإنسان ، روى الشيخان أنه كان يقرأهما فى صبح الجمعة ، ق فى صحيح مسلم أنه كان يقرأها فى الخطبة ، والرحمن فى المستدرك وغيره أنه قرأها على الجن ، والنجم فى الصحيح أنه قرأها بمكة على الكفار وسجد فى آخرها ، واقتربت عند مسلم ، أنه كان يقرأها مع ق فى العيد ، والجمعة والمنافقون ، فى مسلم أنه كان يقرأ بهما فى صلاة الجمعة ، تدل قراءته ﷺ بمشهد من الصحابة أن ترتيب آيتها توقيف وما كان الصحابة ليرتبوا ترتيبا سمعوا النبى ﷺ يقرأ على خلافه فبلغ ذلك مبلغ التواتر » [2].

ترتيب السور :

ترتيب السور توقيفى كترتيب الآيات فما كان لكتاب الله تعالى أن يترك شيئا فيه لاجتهاد واحد ، وإذا كانت الأدلة على ذلك كثيرة ، فإن أكبر دليل عندى هو أن القرآن على هيئته التى يوجد عليها الآن وعلى ترتيبه المصحفى ، سورا وآيات لم يختلف عليه أحد ، وليس هناك مصحف آخر مخالف فى الترتيب ، وأظن أن الأمر لو كان متروكا لاجتهاد الصحابة لاختلفوا ـ حتما ـ كما اختلفوا فى مسائل كثيرة ، والاختلاف حول أمر لا نص فيه من طبيعة البشر .

قال ابن الحصار : « ترتيب السور ووضع الآيات مع بعضها إنما كان بوحى ، كان

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم عن ابن عباس ، ورواه أبو داود فى كتاب الصلاة باب من جهر بها ، طبعة المكتبة السلفية ، جـ ٢ ص ٤٩٥ .

(٢) الإتقان فى علوم القرآن ، جـ ١ ص ٨١ .

رسول الله ﷺ يقول : « ضعوا آية كذا فى موضع كذا » . وقد حصل اليقين من النقل المتواتر لهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ ، ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا فى المصحف » (١) .

وقال أبو بكر بن الأنبارى : « أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ، ثم فرقه فى بضع وعشرين ، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآيات جوابا لمستخبر ، ويوقف جبريل النبى ﷺ على موضع الآية والسورة ، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كلها عن النبى ﷺ ، فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن » (٢).

ومما هو معلوم ، أن جبريل كان يعرض على رسول الله ﷺ ما اجتمع عنده من القرآن مرة كل سنة ، وعرض عليه فى السنة التى توفى فيها مرتين ، وهناك أحاديث تدل على أن هذا الترتيب كان معلوما فى عهد النبى ﷺ ، ومنها : « اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران » (٣) .

وعن ابن مسعود أن الرسول ﷺ قال فى بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء : « إنهن من العتاق الأول وهن من تلادى » (٤).

فذكرها نسقا كما استقر ترتيبها ، وإذا كنا قد وصلنا الآن إلى أن الترتيب المصحفى الموجود بآيته وسوره توقيفى ، لا اجتهاد فيه لأحد ، أى بوحى السماء ، فإن هذا الترتيب مخالف لترتيب النزول ، فنجد آيات قد نزلت أولا بجانبها آيات تأخر نزولها ، ونجد السورة مكية إلا بعض آياتها ، أو مدنية إلا آية كذا ، وآية كذا ، ومع ذلك فلم يكن ترتيبا عشوائيا ، ولا غير منتظم ومنسجم ، لكن جاء متسقا كل الاتساق ، مما يدل على أنه كلام الله تعالى .

« إن عقلا بشريا مهما أوتى من القوة والحفظ والإحكام ، لا يستطيع أن يذكر موضع

---

(١) الإتقان : جـ ١ ص ٨١ .

(٢) المصدر السابق ، جـ ١ ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٣) رواه مسلم ، فى كتاب الصلاة باب فضل قراءة القرآن ، وسورة البقرة ، عن أبى أمامة جـ ٢ ص ١٩٧ .

(٤) أخرجه البخارى ، كتاب التفسير سورة بنى إسرائيل ، جـ ٨ ص ٣١٣ ، وسورة الأنبياء جـ ٨ ص ٣٥١ . وكتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن جـ ٩ ص ٣٣ كله من قول ابن مسعود موقوفا وليس مرفوعا .

فقرة من كلام سابق مضى عليه سنوات ، فيضعها فى مكانها ، وحيث تلتحم مع سابقاتها ولاحقاتها فى اللفظ والمعنى والسياق ، ولو أن عقلا أتقن ذلك فى حالة واحدة ، فلن يستطيع أن يحكم فى حالات كثيرة وفى سور كثيرة ، بحيث لا تشذ حالة واحدة عن قاعدة الأحكام المشهورة فى كتاب الله المحكم » (١).

لقد حدثت تلك التجزئة فى النزول ، باستثناء آية وآيات من سورة لتنزل بعد نزول أجزاء تلك السورة لسنين طويلة ، حدث ذلك فى سورة البقرة والأنعام ، والأعراف ، والأنفال ، ويونس ، وهود ، ويوسف ، والرعد ، وإبراهيم ، والحجر ، والنمل ، والإسراء ، ومريم ، وطه ، والأنبياء ، والحج ، والمؤمنون ، والفرقان ، وتسع وعشرين سورة أخرى ، ومع ذلك فقد وضعت الآيات التى تأخر نزولها من تلك السورة ، فى أماكنها متلاحمة تمام التلاحم مع سوابقها ولواحقها ، فلا تنافر بينها فى المعنى ولافى جرس الكلام .

وأضرب على ذلك مثلا ، وهذا المثل من سورة الزمر ، فهذه السورة نزلت بمكة إلا قوله تعالى : ﴿ **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ..** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **وأنتم لا تشعرون** ﴾ .

وهذه آيات ثلاث نزلت بالمدينة ، ووضعت فى مكانها من السورة المكية ، وسار وضع الآيات بعد ذلك على الوجه التالى : ﴿ **أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون . قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون . أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين** ﴾ (٢) .

« فنحن نرى أن بسط الرزق والتضييق فيه مظنة الإسراف على النفس ، ففى حالة البسط بالترف ، وارتكاب الموبقات ، وفى حالة الضيق بالعدوان للحصول على المال ، فاقتضت الرحمة الإلهية فتح باب القوم للمسرفين وتحذيرهم من التسويف بها ، خشية حلول العذاب المفاجئ فيندم المذنب لتفريطه وسخريته بالأمر الإلهى » (٣) .

---

(١) أسرار ترتيب القرآن للسيوطى ، ص ٢٨ ، من مقدمة المحقق .

(٢) الزمر : ٥٢ ـ ٥٦ .

(٣) أسرار ترتيب القرآن للسيوطى ، ص ٢٩ .

وهكذا تلاحمت الآيات تلاحما عجيبا ، لا يكون أبدا إلا عن توقيف من الوحى ، فهل ترى تلاحما أبدع من هذا التلاحم ؟ ولكنه نبى ورسول ، وما ينطق عن الهوى .

ويتحدث « مالك بن نبى » عن الوحدة الكمية فى القرآن وعلاقتها بالفكرة فيقول : « هذه الوحدة تؤدى بالضرورة إلى فكرة واحدة ، وأحيانا مجموعة من الفكر المنتظم بأسلوب منطقى يمكننا ملاحظته فى آيات القرآن ، ودراسة هذه الفكرة فى ذاتها وفى علاقتها ببقية حلقات السلسلة ، تكشف عن قدرة خالقه ومنظمه ، لا يمكن أن تنطوى عليها الذات المحمدية » (١).

ولهذا الاتساق والدقة فى البناء القرآنى ، قال مستشرق يدعى « شفالى » : « إن كتابا غير القرآن لم يحظ بالعناية التى أحيط بها ، ولم يصل بالتواتر كما وصل ، فجاء أكمل وأدق مما يتوقعه أى إنسان » (٢) .

ولاشك أن القرآن الذى سحر العرب منذ اللحظة الأولى ، سواء من شرح الله صدره للإسلام منهم ، ومن جعل على بصره غشاوة ، كان يتلى عليهم بنفس ترتيبه الآن وسحره يرجع إلى صلابة بنائه واتساق ترتيبه .

يقول الأستاذ « سيد قطب » عن منبع السحر فى القرآن : « إنه نسق متساوق يربط فواصله تناسق داخلى دقيق » (٣) .

بل إن لبناء القرآن بهذه الطريقة جمال فنى خالص يتسق مع الأغراض الدينية المقصودة ، يقول سيد قطب : « لو تجاوزنا حدود الزمان والمكان ، وتخطينا الأجيال والأزمان ، لوجدنا بعد ذلك كله هذا الجمال الفنى الخالص ، عنصرا مستقلا بجوهره ، خالدا فى القرآن بذاته ، وإن هذا الجمال ليتملى وحده فيغنى ، وينظر فى تساوقه مع الأغراض الدينية فيرتفع فى التقدير » (٤) .

وهكذا ينسجم البناء القرآنى ويتسق بدءا وتوسطا واختتاما ، لقد « امتاز القرآن عن غيره بالبراعة الخارقة عند الافتتاح وعند التخلص ، وعند الاختتام ، فما من سورة من سور

---

(١) الظاهرة القرآنية لمالك بن نبى ، دار الفكر ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، ص ١٧٧ .

(٢) مباحث فى علوم القرآن للدكتور صبحى الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ط . الخامسة عشرة ، ص ٨٩ .

(٣) التصوير الفنى فى القرآن للأستاذ سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ص ١٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢١ .

القرآن ، إلا قد افتتحت بأجزل الألفاظ وأبلغها وأرقها وأسلسها ، مما يدل على تعظيم الله تعالى وثبوت الحمد لله ، كالفاتحة والأنعام أو تنزيهه عما لا يليق به من صفحات النقصان ، كالإسراء والأعلى أو بالقسم على إثبات البعث والنشور ، ووقوع الحساب والعقاب كالذاريات والطور ، أو نحو ذلك من المعانى البليغة والأمور الجليلة ، وقد ضمن الله فاتحة كل سورة ، ما اشتملت عليه تلك السورة من المقاصد النافعة للبشر فى الدين والدنيا ، وأبرز ذلك فى عبارة هى الغاية فيما عرف من براعة الاستهلال ، ثم صرف المعانى من غرض إلى غرض ، ونوعها من باب إلى باب ، مع توفية كل غرض حقه ، ومع حسن انتقال من كل فن إلى الذى يليه ، ولو كان بعد ما بينهما شاسعا ، فالقرآن يجعل المختلف كالمؤتلف والمتباين كالمتناسب ، والمتنافر فى الأفراد كأنه متفق الآحاد ، فإذا اختتم السورة أشعر السامع أنه قد انتهى الغرض ، وانقضى الكلام ، بحيث لا يبقى للنفس تشوق لسماع كلام بعد هذا الختام » (1) .

وبهذا أرى أنه كما كان للترتيب النزولى حكمة بالغة ، واتساق مع الأحداث وتجاوب كامل مع الوقائع ، وتصحيح للأخطاء وإجابة عما يدور من أسئلة وفتوى لاستفتاء، وهتك لدواخل المنافقين، مما يدل على أن القرآن كان يعيش بترتيبه النزولى نبض المسلمين ، ويستجيب لمشاعرهم ، وفى كل ذلك اتساق أيما اتساق ، فإذا كان الترتيب النزولى بهذا الانسجام ، فإن ترتيب القرآن تلاوة بعد البناء الجديد للقرآن ، وترتيب الآيات والسور على هذا الوضع ، انسجام من نوع آخر ، واتساق جديد ، وتنسيق نظم أبدع ، أقر ببلاغته وتفوقه وإغداق أسفله وإثمار أعلاه ، أسبق المعاندين فى مضمار الفصاحة والبلاغة ، وأغلبهم فى التحدى بنظم الكلام ونثره ، فكان ذلك دليلا جديدا وحجة ناطقة ، على أن القرآن العظيم كلام الله تعالى .

أجل: إن ترتيب القرآن فى التلاوة على هذا الوجه بينة على إعجازه، وبرهان قاطع، على أنه ليس فى متناول البشر ، ودليل ساطع على أنه قد رقى فى البلاغة إلى أسمى درجاته ، حتى ولى أعداؤه عن تحديه مدبرين .

ذلك أن هذا الترتيب الإلهى التوقيفى قد جعل الآيات والسور جميعها متماسكة الأطراف جيدة السبك ، متصلا بعضها ببعض اتصالا محكم العرى ، لا انفصام فيها حتى صارت الآيات والسور آخذة بعضها بحجزة بعض ، أخذا يفوت المعنى القرآنى البليغ

---

(1) إعجاز القرآن للدكتور السيد محمد الحكيم ، مطبعة دار التأليف ، سنة ١٩٧٨م ، ص ٧١ .

بانفكاكه ، وكانت كل آية أو سورة بمنزلة الجزء الذى لا قوام لكله إلا به ، وكان القرآن العظيم جميعه بعد التوقيف جملة واحدة ، وصارت كل سورة لا غنى لها عما قبلها ، ولا يستغنى عنها ما بعدها ، وكل آية لا يقع موقعها سواها .

ولا ريب أن هذه هى الدرجة العليا للبلاغة التى أخرست البلغاء ، وأدهشت الفصحاء ، وملوك الكلام من العرب .

ويستدل الإمام السيوطى بموافقة آخر السورة لأول ما بعدها ، كآخر الحمد فى المعنى وأول البقرة ، وبالوزن فى اللفظة كآخر « تبت » وأول « الإخلاص » وبمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى « كالضحى » « وألم نشرح » وبمناسبة افتتاح كل سورة غاية المناسبة لما ختمت به السورة التى قبلها ، يستدل بكل ذلك على أن البناء القرآنى بترتيبه المصحفى ، كان على عهد النبى ﷺ وتوقيفى صادر من حكيم » (١) .

ولاشك أن الوجوه التى استدل بها الإمام السيوطى على أن الترتيب القرآنى توقيفى هى نفسها أوضح الأدلة على اتساق هذا البناء وانسجامه .

ومن كل ما سبق يتضح لنا تماما اتساق القرآن النزولى ، واتساقه المصحفى مما يدل على أنه أحسن الحديث ، قال تعالى : ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد** ﴾ (٢) .

أمثلة على اتساق البناء القرآنى :

وأذكر هنا بعض الأمثلة على اتساق البناء القرآنى :

١ ـ ورد فى سورة هود قوله تعالى : ﴿ **أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ (٣).

وسورة هود مكية ، والمعنى : فأتوا بعشر سور مثله ، أى من الفاتحة إلى هود ، فمن الفاتحة إلى هود عشر سور ، مع أن البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، والتوبة مدنيات نزلن بعدها .

---

(١) انظر تناسق الدرر فى تناسب السور ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط. الأولى ، ص ٥٩ .

(٢) الزمر : ٢٣ .
(٣) هود : ١٣ .

فآية هود مستقيمة المعنى على ترتيب النزول ، باعتبار أن التحدى وقع على عشر سور من القرآن عامة غير محددة ، ومستقيمة المعنى على ترتيب المصحف الذى حدد العشر [١] .

٢ ـ قال تعالى فى سورة البقرة : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين** ﴾ [٢] .

وقال فى سورة الأنفال : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير** ﴾ [٣] .

« وقد جاء هذا النسق ، على ترتيب القتال داخل الجزيرة العربية وخارجها ، فالذى فى سورة البقرة يراد به كفار الجزيرة العربية ، لتكوين القاعدة العربية الأولى التى يناط بها نشر الدعوة خارج الجزيرة ، وبذلك جاء فى الأنفال كلمة (كله) أشار إلى قتال جميع الكفار ، وقد تطابق الترتيب مع الواقع ، ورتبت الأوامر حسب تدرجها » [٤] .

٣ ـ فى معرض التحدى بالقرآن فى سورة البقرة جاء التحدى بسورة واحدة ، وزيلت الآية بقوله تعالى : ﴿ **وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ [٥]، وفى سورة هود جاء التحدى بعشر سور مثله وزيلت الآية بقوله تعالى : ﴿ **وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ [٦]، وفى سورة الإسراء جاء التحدى بالقرآن كله وجاء بهذا الأسلوب : ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾ [٧].

« وبهذا تدرك تدرج التحدى من سورة إلى عشر سور إلى القرآن كله ، وملاءمة القرآن بين القدر المتحدى به ، ومقدار المدعوين إلى معارضته ، فى ترتيب دقيق محكم » [٨] .

فلما كان القدر المتحدى به فى البقرة سورة واحدة ، كان مقدار المدعوين وادعوا شهداءكم ، والشهداء فقط ملائمون للتحدى ، بسورة واحدة ، ولما زاد القدر المتحدى به

(١) انظر : تناسق الدرر فى تناسب السور ص ٢٣ ، ٢٤ ، من مقدمة المحقق .
(٢) البقرة : ١٩٣ .
(٣) الأنفال : ٣٩ .
(٤) تناسق الدرر فى تناسب السور ، ص ٢٥ ، من مقدمة المحقق .
(٥) البقرة : ٢٣ .
(٦) هود : ١٣ .
(٧) الإسراء : ٨٨ .
(٨) تناسق الدرر ، ص ٢٦ ، من مقدمة المحقق .

إلى عشر سور فى هود زاد فى المدعوين فقال : ﴿ **وادعوا من استطعتم** ﴾ .

وقد مضى الترتيب مسايرا للملابسات حتى سورة الإسراء ، إذ وقع التحدى صراحة على جميع القرآن فوجه الكلام إلى الجن والإنس جميعا .

٤ ــ وفى ترتيب المسبحات قد استوعب القرآن هذه الكلمة كلمة التسبيح من جميع جهاتها ، على ترتيب يتفق مع المعانى اللغوية تمام الاتفاق ، فلم يتقدم معنى يستحق التأخير ، ولم يتأخر معنى يستحق التقديم .

« فقد استعملت الكلمة أولا فى سورة الإسراء على هيئة المصدر سبحانه ، وأن المصدر هو الأصل اللغوى لجميع المشتقات ، ثم استعملت بعد المصدر ، بالفعل الماضى فى سورة الحديد والحشر والصف ؛ لأن الماضى أسبق الزمانين ثم استعملت بالفعل المضارع فى سورتى الجمعة والتغابن ، ثم جاءت أخيرا بالفعل الأمر فى سورة الأعلى ، فاستوعبت الكلمة من جميع جهاتها على ترتيب من أصلها وأزمنتها ، قبل أن يفطن إليه البشر الذين يخلطون بين الأزمنة والأصول والفروع » [(١)] .

ومن عظم البناء القرآنى أيضا : التناسب :

وهو أنواع منها مناسبة فواتح السور وخواتمها ، كما فى فاتحة سورة المؤمنون : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾[(٢)] وفى نهايتها: ﴿ **إنه لا يفلح الكافرون** ﴾[(٣)] وكما فى فاتحة سورة ص: ﴿ **والقرآن ذى الذكر** ﴾[(٤)] وخاتمتها : ﴿ **إن هو إلا ذكر للعالمين** ﴾ [(٥)] .

ومنها : مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها ، وقد أشبع السيوطى القول فى هذا النوع .

ومنها : اختصاص كل سورة من السور المفتتحة بالحروف المقطعة بما بدأت به ، حتى لم يكن من الممكن أن توضع « الم » فى موضع « الر » ولا « حم » موضع « طس » ؛ وذلك لأن كل سورة بدأت بحرف ، فإن هذا الحرف يغلب ويكثر فى أثناء السورة .

ومثل ذلك سورة ق ويونس ، فقد تكررت الكلمات المحتوية على ق والراء فى هاتين السورتين وأمثالهما من خمسين مرة إلى مائتى مرة ، حسب طول السورة ، وهكذا فى جميع تلك السور .

---

(١) تناسق الدرر ، ص ٢٧ . (٢) المؤمنون : ١ . (٣) المؤمنون : ١١٧ .
(٤) ص : ١ . (٥) ص : ٨٨ .

ومنها : التناسب بالتنظير والتضاد والاستطراد والتخلص إلى الغرض »[1] .

والخلاصة : أن ترتيب القرآن الكريم ــ تنزيلا أو ترتيلا ــ متسق اتساقا ، ومنتظم انتظاما بديعا ، وهذا لم يتوفر فى غيره من الكتب ، بل إن هذا ما يفقده الكتاب المقدس بعهديه . هل يمكن لعلماء أهل الكتاب أن يحدثونا عن نزول العهد القديم والجديد ، كيف نزلت آياته وما هى أسباب النزول عندهم ، وهل يمكن أن يحدثونا عن ربط الآيات والإصحاحات والأسفار ببعضها البعض ؟

« القرآن وحده هو الكتاب الذى يعطيك من كل وجهة ، من وجهتى ترتيبه منهجا عالميا جامعا مانعا محكما ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فهو فى ترتيبه النزولى منهج لتأسيس دعوة ، وأسلوب إقناع بعقيدة ، وطريقة تبشير ، وإنذار ، ودحض كامل لمنطق الإلحاد المريض .

وهو فى ترتيبه المصحفى أسلوب حياة ، وبناء حضارة ، ودستور للعالم كله . محيط بكل صغيرة وكبيرة من حاجاته ومطالبه ، أحكم ترتيبه من هذه الوجهة ليكون هداية للمؤمنين ، من حيث كان الترتيب النزولى هداية للمؤمنين ، وتدرجا بالكافرين أو اللادينيين إلى مرتبة الإيمان ، وهو فى كلا الحالين نبع لا يفيض للأسرار والعلوم »[2] .

اتساق القرآن فى تأليفه الصوتى

تتألف القشرة السطحية للجمال القرآنى من خصيصتين :

الأولى : عندما ينصت الإنسان إلى قارئ للقرآن الكريم حق قراءته ، ومرتل له حق ترتيله ، نازلا بنفسه على هوى القرآن ، وليس نازلا بالقرآن على هوى نفسه ، ثم انتبذ منه مكانا قصيا لا تسمع فيه جرس حروفه، ولكن تسمع حركاتها وسكناتها ، ومداتها وغناتها، واتصالاتها ، وسكتاتها ، ثم ألق سمعك إلى هذه المجموعة الصوتية وقد جردت تجريدا ، وأرسلت ساذجة فى الهواء ، فستجد نفسك منها بإزاء لحن غريب عجيب ، لا تجده فى كلام آخر لو جرد هذا التجريد ، وجود هذا التجويد .

يقول الشيخ الدكتور محمد عبد الله دراز : « ستجد اتساقا وائتلافا يسترعى من سمعك ما تسترعيه الموسيقى والشعر ، على أنه ليس بأنغام الموسيقى ولا بأوزان الشعر ، بل

---

(١) انظر : أسرار ترتيب القرآن ، ص ٤٦ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

إن القصيدة إذا أعيدت وكررت بتوقيع واحد ، فلا يلبث السمع أنه يمجها ، والطبع أن يملها ، بينما المرء فى القرآن دائما فى لحن متنوع متجدد ، تنتقل فيه بين أسباب ، وأوتار وفواصل ، على أوضاع مختلفة ، يأخذ منها كل وتر من أوتار قلبك بنصيب سواء. فلا يعروك منه على كثرة ترداده ملالة ولا سآمة ، بل لا تفتأ تطلب منه المزيد »[1] .

هذا الجمال التوقيعى فى لغة القرآن لا يخفى على أحد ممن يسمع القرآن حتى الذين لا يعرفون لغة العرب ، ولا عجب لأنه جمع بين طرفى الإطلاق والتقييد فى حد وسط ، فكان له من النثر جلاله وروعته ، ومن الشعر جماله ومتعته .

الثانية : « فإذا ما اقتربت بأذنك قليلا قليلا ، فطرقت سمعك جواهر حروفه خارجة من مخارجها الصحيحة فاجأتك منه لذة أخرى ، فى نظم تلك الحروف ورصفها ، وترتيب أوضاعها فيما بينها ، هذا ينقر ، وذاك يصفر ، وثالث يهمس ، ورابع يجهر ، وآخر ينزلق عليه النفس ، وآخر يحتبس عنده النفس ، وهلم جرا ، فترى الجمال اللغوى ماثلا أمامك ، فى مجموعة مختلفة مؤتلفة ، لا كركرة ولا ثرثرة ، ولا رخاوة ولا معاظلة ، ولا تناكر ولا تنافر ، وهكذا ترى كلاما ليس بالحضرى الثائر ، ولا بالبدوى الخشن ، بل تراه وقد امتزجت فيه جزالة البادية وفخامتها ، برقة الحاضرة وسلاستها » [2].

من هذه الخصوصية والتى قبلها ، تتألف القشرة السطحية للجمال القرآنى ، وليس الشأن فى هذا الغلاف ، إلا كشأن الأصداف مما تحويه اللآلئ النفيسة ، حيث إنه لما سبقت كلمته أن يصون علينا نفائس العلوم التى أودعها هذا الكتاب الكريم ، قضت حكمته أن يختار لها صوانا يحببها إلى الناس بعذوبته ، ويغريهم عليها بطلاوته ، وهذا قمة الاتساق بين القشرة واللب ، أو بين الظاهر والباطن ، أو بين الثوب ولابسه « فهو بمنزلة « الحذاء » يستحث النفوس على السير ، ويهون عليها وعثاء السفر ، لا جرم اصطفى لها من هذا اللسان العربى المبين ذلك القالب العذب الجميل » [3] .

ومن أجل ذلك سيبقى صوت القرآن أبدا فى أفواه الناس وآذانهم ، ما دامت فيهم حاسة تذوق وحاسة تسمع .

وإذا كان الكلام ينقسم إلى شعر ونثر ، فإن القرآن الكريم يختلف كل الاختلاف

---

(١) النبأ العظيم ، دار القلم بالكويت ، ط. الرابعة ، سنة ١٩٧٧م ، ص ١٠٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٤ .   (٣) نفسه .

عنهما ، فأسلوب القرآن ينهج نهجا خاصا به لا هو بالشعر ولا هو بالنثر ولكنه قرآن ، وذلك أن القرآن لا يخضع لقواعد النثر ولا لقواعد الشعر ، ولكن له موسيقى خاصة به ، تحسها من تركيب ألفاظه وفى تتابع آياته ، ولا أعلم من جميع الآثار البيانية شعرا أو نثرا كلاما كلما ازداد الناس منه تلاوة وترتيلا ازدادوا تأثرا إلا القرآن ، فكل كلام يكثر تكراره يخف على السمع وعلى النفس عداه .

« لقد وصل الأمر بالقرآن إلى أن أصبحت نغماته ميراثا ، ينتقل فى حواس المسلمين الباطنة من جيل إلى جيل ، حتى انتهينا إلى أنه يكفى أن يقال : إن فيها خطأ أمام شخص لا يحفظ القرآن ، ولكن له إلمام يسير ببعض سوره ، لكى يدرك أن فى هذه الآية لفظا قلقا ، وأنه من الخير مراجعة المصحف » [1] .

القرآن يختلف عن الحديث :

وأسلوب القرآن بالوصف السابق يختلف كل الاختلاف عن الحديث ، فالأول كلام الله تعالى ، والثانى كلام النبى ﷺ ، وليس بين الأسلوبين مقارنة ، فلدينا كتب الحديث قد توفر المسلمون على دراستها ، وحفظ الكثير منها طوال قرون وقرون ، والمسلمون يحرصون على كلام نبيهم ، كما يحرصون على مصحفهم ، فإذا صح أن النبى هو منشئ القرآن كما يقول المستشرقون وأنه منشئ الأحاديث ، فمن أين يأتى الفرق الواضح فى الأسلوب ، وفى التأثير بين الآية والحديث ؟

إن خصائص القرآن الأسلوبية ، تختلف اختلافا كبيرا عن خصائص الأحاديث ، بل إن ألفاظ القرآن تختلف عن ألفاظ الحديث ، فهل يعقل أن يصدر عن شخص واحد كلامان : أحدهما يخضع لقواعد معينة والثانى يخضع لقواعد أخرى ، تختلف تماما عن قواعد الكلام الأول ؟ [2] .

نغم القـرآن :

« وننتهى إلى إعجاز القرآن الكريم ، فإذا نحن نرد سحره إلى نسقه الذى يجمع بين مزايا النثر والشعر جميعا بموسيقاه الداخلية وفواصله المتقاربة فى الوزن التى تغنى عن

---

(١) بحث جديد عن القرآن الكريم لمحمد صبيح ، ص ١٠٦ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ١٠٧ ، والقرآن والمستشرقون ، ص ٦٢ ، ٦٣ ، وكتاب ثورة الإسلام لمحمد لطفى جمعة ، ص ٥٧٠ .

التفاعيل وتقفيته التى تغنى عن القوافى »[1] .

« إن هذه الموسيقى الداخلية لتنبعث فى القرآن حتى من اللفظة المفردة فى كل آية من آياته ، فتكاد تستقل بجرسها ونغمتها بتصوير لوحة كاملة ، فيها اللون زاهيا أو شاحبا ، وفيها الظل شفيفا أو كثيفا .

رأيت لونا أزهى من نضرة الوجوه السعيدة الناظرة إلى الله ، ولونا أشد تجهما من سواد الوجوه الشقية الكالحة الباسرة فى قوله تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة . تظن أن يفعل بها فاقرة** ﴾[2] .

وقد استقلت فى لوحة السعداء لفظة « ناضرة » بتصوير أزهى لون وأبهاه ، كما استقلت فى لوحة الأشقياء لفظة « باسرة » برسم أمقت لون وأنكاه .

وحين تسمع همس السين فى قوله تعالى : ﴿ **فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس . والليل إذا عسس . والصبح إذا تنفس** ﴾[3] ، تكاد تستشف نعومة ظلها مثلما تستريح إلى خفة وقعها .

بينما تقع الرهبة فى صدرك وأنت تسمع لاهثا مكروبًا صوت الدال المنذرة المتوعدة مسبوقة بالياء المشبعة المديدة فى لفظة « تحيد » بدلا من « تنحرف » أو « تبتعد » فى قوله تعالى: ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾ »[4] .

« ومن الأوصاف التى اشتقها القرآن ليوم القيامة : « الصاخة » و « الطامة ».

« والصاخة » لفظة تكاد تخرق صماخ الأذن فى نقلها وعمق جرسها وشقها للهواء شقا حتى يصل إلى الأذن صاخا ملحا .

« والطامة » لفظة ذات دوى وطنين تخيل إليك بجرسها المدوى أنها تطم وتعم كالطوفان يغمر كل شىء ويطويه »[5] .

وهكذا تتبدى تلك الموسيقى الداخلية فى بناء التعبير القرآنى ، الموزونة بميزان شديد الحساسية ، كما تتعدد ألوان الإيقاع الموسيقى وتتنوع بتنوع الأجواء التى تطلق فيها ،

(١) مباحث فى علوم القرآن ، ص ٣٤٥ .
(٢) القيامة : ٢٢ ـ ٢٥ .
(٣) التكوير : ١٥ ـ ١٨ .
(٤) ق : ١٩. مباحث فى علوم القرآن ، ص ٣٣٥ .
(٥) التصوير الفنى فى القرآن ، ص ٥٨ .

ويضرب لنا الأستاذ / سيد قطب مثلين من سورة واحدة ، فيقول .

« فى سورة النازعات أسلوبان موسيقيان وإيقاعان ينسجمان مع جويه فيهما تمام الانسجام ، أولهما يظهر فى هذه المقطوعة السريعة الحركة قصيرة الموجة القوية المبنى تنسجم مع جو مكهرب سريع النبض شديد الارتجاف على النحو التالى :

﴿ والنازعات غرقا . والناشطات نشطا . والسابحات سبحا . فالسابقات سبقا . فالمدبرات أمراً . يوم ترجف الراجفة . تتبعها الرادفة . قلوب يومئذ واجفة . أبصارها خاشعة . يقولون أإنا لمردودون فى الحافرة . أإذا كنا عظاما نخرة . قالوا تلك إذًا كرة خاسرة . فإنما هى زجرة واحدة . فإذا هم بالساهرة ﴾ (١) .

والثانى يظهر فى هذه المقطوعة الوافية الحركة ، الرضية الموجة، المتوسطة الطول ، تنسجم مع الجو القصصى الذى يلى مباشرة فى السورة حديث الكرة الخاسرة والزجرة الواحدة ، وحديث الساهرة على النحو التالى :

﴿ هل أتاك حديث موسى . إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى . اذهب إلى فرعون إنه طغى . فقل هل لك إلى أن تزكى . وأهديك إلى ربك فتخشى ﴾(٢).

أظن أننا لسنا فى حاجة إلى قواعد موسيقية ولا إلى اصطلاحات فنية لندرك الفرق بين الأسلوبين والإيقاعين ، فهو واضح لا يخفى ، وهو كذلك منسجم فى كل حالة مع الجو الذى تطلق فيه الموسيقى ، ولهذه الموسيقى وظيفة أساسية فى مصاحبة المشهد المعروض فى المرتبة الأولى والأخرى (٣) .

« ولنستمع إلى نوع ثالث من هذه الموسيقى ، إنها موسيقى الدعاء المتموجة الرضية الطويلة الخاشعة : **﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار . ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ... ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ﴾** (٤) .

أو دعاء آخر : **﴿ ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء . الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربى لسميع الدعاء . رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء . ربنا اغفر**

---

(١) النازعات : ١ ــ ١١ .

(٢) النازعات : ١٥ ــ ١٩ .

(٣) التصوير الفنى فى القرآن ، ص ٩١ ، ٩٢ .

(٤) آل عمران : ١٩١ ــ ١٩٤ .

لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾ [1] .

ولسنا فى حاجة إلى قواعد واصطلاحات ، لنحس أن هذا أسلوب غير الأسلوبين السابقين منسجم مع الدعاء كل الانسجام بالتطريب والتموج والاسترسال .

ثم نخاطر فنلقى بلون من الموسيقى المتموجة الطويلة الموجة ـ ولكنه لون آخر تماما ـ نخاطر فنلقيه هنا اعتمادا على وضوح الفارق بينه وبين اللون الذى مضى .

إن التكوين الموسيقى للجملة هنا يزيد على التموج العمق والسعة ، وفيه كذلك هول وشجى ، إنها موسيقى الطوفان : **﴿ وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴾** [2] .

إن التكوين الموسيقى للجملة ليذهب طولا وعرضا فى عمق وارتفاع ليشترك فى رسم الهول العريض العميق ، والمدات المتوالية المتنوعة فى التكوين اللفظى للآية تساعد فى إكمال الإيقاع وتكوينه واتساقه مع جو المشهد الرهيب العميق .

ونخاطر مرة أخرى فنعرض لونا ثالثا لتموج الموسيقى مع اختلاف تموجها واتجاهها : **﴿ يأيتها النفس المطمئنة . ارجعى إلى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى . وادخلى جنتى ﴾** [3] .

« فليرتل القارئ هذه الآيات بصوت مسموع ليدرك تلك الموسيقى الرضية المتماوجة إنها تشبه الموجة الرضية فى ارتفاعها لقمتها وانبساطها إلى نهايتها فى هدوء واطمئنان يتفقان مع جو الطمأنينة فى المشهد كله ، ولعل لتوازن المد إلى أعلى بالألف ، وإلى أسفل بالياء على التوالى ، شأنا فى هذا التموج ، ولكنه ليس كل الشأن ، فهو تفسير الأوزان لا الألحان يفسر الاتزان الخارجى فى النغمة لا الروح الداخلى فيها ، ذلك الروح مرده إلى خصائص غامضة فى جرس الحروف والكلمات ، يدركه من يقرأ التعبير القرآنى فى حساسية وإرهاف فلنكتف بهذا البيان الممكن ، حتى لانقحم أنفسنا فى خضم الاصطلاحات » [4].

---

(1) إبراهيم : ٣٨ ـ ٤١ .

(2) هود : ٤٢ ، ٤٣ .

(3) الفجر : ٢٧ ـ ٣٠ .

(4) التصوير الفنى فى القرآن ، ص ٩٢ ـ ٩٤ .

وهكذا نلحظ أن القرآن الكريم وثيقة لا تخضع للقواعد الموسيقية المعروفة ، ولا الاصطلاحات الفنية ، ولكنها موسيقى خاصة تتسق تمام الاتساق مع الآيات قصرا وطولا ، وتتفق مع الألفاظ خفة وثقلا ، وتنسجم مع المعانى ظهورا وخفاء ، فالأسلوب الموسيقى ينسجم فى كل حالة مع الجو الذى تطلق فيه الموسيقى ، وحيثما تلا المسلم القرآن أحس بذلك الإيقاع الداخلى فى سياقه ، ويبرز بروزا واضحا فى السور القصار والفواصل السريعة ، ومواضع التصوير والتشخيص بصفة عامة ، وتتوارى قليلا أو كثيرا فى السور الطوال ، حتى تنفرد الدقة دونه فى آيات التشريع ، ولكنه ملحوظ دائما فى بناء النظم القرآنى وإليك آيات من سورة النجم متساوية فى الوزن تقريبا ، وذات إيقاع موسيقى متحد بسبب تآلف الحروف فى الكلمات وتناسق الكلمات فى الجمل .

يقول تعالى : ﴿ **والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى. ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى. أفرأيتم اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى . ألكم الذكر وله الأنثى . تلك إذا قسمة ضيزى** ﴾[1] .

الاتساق فى نظم القرآن

لما كان النظم القرآنى يعتمد على اللفظة فسأركز فى الحديث هنا على اللفظ القرآنى الذى أولاه التنزيل عناية خاصة ، فاختاره بدقة ليدل على المعانى بدقة أيضا .

وقد كان للجاحظ كتاب أسماه : « نظم القرآن » ، لكنه لضياعه لم يصل إلينا ، لكن بعض الدارسين لموضوع إعجاز القرآن ، قد حاولوا استنباط رأى الجاحظ فى موضوع نظم القرآن من كتبه الأخرى .

« يرى الجاحظ أن الإعجاز متصل بالنظم وحده ، بصرف النظر عما يحويه القرآن من المعانى ، إذ طلب الله تعالى إليهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فى النظم والروعة فى التأليف ، حتى ولو احتوى التأليف الرائع كل باطل ومفترى للمعنى له فما بال القرآن جمع

---

(١) النجم : ١ ـ ٢٢ .

إلى النظام الرائع المعانى الفائقة »[1].

وفى كتاب « البيان والتبيين » نعثر على رأى الجاحظ فى اللفظ القرآنى حيث يقول : « وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها : ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر فى القرآن « الجوع » إلا فى موضع العقاب أو فى موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر ، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع فى حال القدرة والسلامة ، وكذلك ذكر « المطر » لأنك لاتجد القرآن يلفظ به إلا فى موضع الانتقام ، والأمة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث ، ولفظ القرآن إذا ذكر « الأبصار » لم يقل « الأسماع » وإذا ذكر « سبع سموات » لم يقل « الأرضين » ألا ترى أنه لا تجمع الأرض على أرضين ولا السمع أسماعا والجارى على أفواه العامة غير ذلك »[2] .

وهذا الكلام يعنى أن اللفظ القرآنى اختير بدقة ، ليدل على المعانى بدقة ، فقد يشترك لفظان فى معنى واحد ، لكن أحدهما أدق من الآخر فى الدلالة عليه ، ولنظم القرآن براعته فى تنزيل اللفظ ، فنزله فى الموضع الذى أريد له ، ويمتاز بروعته فى الاختيار ومراعاة الفروق بين الألفاظ ، فلا يأتى بالألفاظ المترادفة دالا على معنى واحد دائما ، للدلالة على معانى مختلفة .

يقول الدكتور بكرى شيخ أمين : « وبقدر الدقة فى إصابة المعنى يكون الفرق بين ألفاظ الناس فى كلامهم وألفاظ القرآن »[3] .

ويقول سيد قطب : « وللألفاظ كما للعبارات ظلال خاصة ، يلحظها الحس البصير ، حينما يوجه إليها انتباهه ، وحينما يستدعى صورة مدلولها الحسية ، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها** ﴾[4] ، فالظل الذى تلقيه كلمة « انسلخ » يرسم صورة عميقة للتملص من هذه الآيات لأن الانسلاخ حركة حسية قوية ، ومثله : ﴿ **فأصبح فى المدينة خائفا يترقب** ﴾[5] ، فلفظة « يترقب » ترسم هيئة الحذر المتلفت ، ولا نغفل هنا أنه خائف يترقب فى المدينة موضع الأمن والاطمئنان عادة ، فالعبارة هنا تبرز قيمة اللفظ المصور للفزع فى موطن الأمان »[6].

---

(١) حجج النبوة للجاحظ ، ص ١٤٤ .

(٢) البيان والتبيين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، سنة ١٩٤٨ ، جـ ١ ص ٢٠ .

(٣) التعبير الفنى فى القرآن ، ص ١٥٩ .

(٤) الأعراف : ١٧٥ .

(٥) القصص : ١٨ .

(٦) التصوير الفنى فى القرآن ، ص ٧٣ .

« إن من أجل وأبدع وسائل القرآن فى التعبير وضع اللفظة القرآنية فى مكانها ، حيث لا يمكن أن تحل كلمة مكان كلمة أخرى ، بل إن اللفظ الواحد فى القرآن ـ اتساقا مع جو الآيات ـ قد يرسم صورة شاخصة تارة بجرسه الذى يلقيه فى الأذن ، وتارة بظله الذى يلقيه فى الخيال ، وتارة بالجرس والظل معا ، (تسمع الأذن كلمة إثّاقلتم من قوله : ﴿ **يأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض** ﴾ (١) فيتصور الخيال ذلك بالجسم المثاقل يرفعه الرافعون فى جهد فيسقط من أيديهم فى ثقل ، إن فى هذه الكلمة « طنا » على الأقل من الأثقال ، ولو أنك قلت تثاقلتم ، لخف الجرس ولضاع الأثر المنشود ولتوارت الصورة المطلوبة التى رسمها هذا اللفظ .

وتقرأ : ﴿ **وإن منكم لمن ليبطئن** ﴾ فترسم صورة التبطئة فى جرس العبارة كلها ، وفى جرس « ليبطئن » خاصة ، وإن اللسان ليكاد يتعثر وهو يتخبط فيها حتى يصل ببطء إلى نهايتها » (٢).

وبهذا فإن الإنسان إذا تأمل فى الكلمات التى تتألف منها الجمل القرآنية ، يرى أنها تمتاز بميزات أربع رئيسية هى :

١ ـ دلالة وقعها فى السمع .

٢ ـ اتساقها الكامل مع المعنى .

٣ ـ اتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى من المعانى والمدلولات .

٤ ـ دقتها فى أداء المعنى المطلوب .

يقول تعالى فى وصف كل من الليل والصبح : ﴿ **والليل إذا عسعس . والصبح إذا تنفس** ﴾(٣) .

ألا تشم رائحة المعنى واضحا قويا من كل من هاتين الكلمتين ؟

ألا تشعر أن الكاميرا تبعث فى خيالك صورة المعنى محسوسا مجسما دون حاجة للرجوع إلى قواميس اللغة ؟

وهل فى مقدورك أن تصور إقبال الليل وتمدده فى الآفاق المترامية بكلمة أدق وأدل

(١) التوبة : ٣٨ . (٢) التصوير الفنى فى القرآن ، ص ٧٦ . (٣) التكوير : ١٧ ، ١٨ .

من « عسعس » ؟

وهل تصور انفلات الصبح من مخبأ الليل وسجنه بكلمة أروع من « تنفس » ؟

إنك لو فتشت فى معاجم اللغة وقواميسها ، لاتجد فيها أدق من هاتين الكلمتين فى التعبير عن هذين المعنيين (١) .

واقرأ قوله تعالى فى وصف خمر الجنة : ﴿ **لا يصدعون عنها ولا ينزفون** ﴾ (٢) .

وتأمل كيف نفى الله عنها بهذين اللفظين جميع عيوب الخمر وجمع بقوله ﴿ **ولا ينزفون**﴾ عدم العقل وذهاب المال ونفاذ الشراب (٣).

ويقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعى ـ حجة الأدب فى عصره ـ : « وفى القرآن لفظة غريبة هى من أغرب ما فيه ، وما حسنت فى كلام قط إلا فى موقعها منه ، وهى كلمة « ضيزى » من قوله تعالى : ﴿ **تلك إذًا قسمة ضيزى** ﴾ (٤) ، ومع ذلك فإن حسنها فى نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه ، ولو أوردت اللغة العربية عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها ، فإن السورة التى هى فيها وهى سورة « النجم » مفصلة كلها على الياء ، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل ثم هى فى معرض الإنكار على العرب ، إذ وردت فى ذكر الأصنام وزعمهم فى قسمة الأولاد ، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات الله ، مع وأدهم البنات فقال تعالى : ﴿ **ألكم الذكر وله الأنثى . تلك إذن قسمة ضيزى** ﴾ فكانت غرابة اللفظة أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التى أنكرها ، وكانت الجملة كلها كأنها تصور فى هيئة النطق بها الإنكار فى الأولى ، والتهكم فى الأخرى ، وكان هذا التصوير أبلغ ما فى البلاغة وخاصة فى اللفظة الغريبة التى تمكنت فى موضعها من الفصل »(٥) .

ونفى مصطفى صادق الرافعى فى كتابه ـ تحت بحث مفردات القرآن ـ أن يكون فيه لفظ منكر أو نافر أو شاذ ؛ لأن اللفظة الغريبة هى التى يحكم عليها أهل العلم والتأويل، لا الجهلة والغافلون ، ولم يقل أهل الثقة بذلك أبدا .

---

(١) انظر من روائع القرآن لمحمد سعيد رمضان البوطى ، طبعة دمشق ، سنة ١٩٧٠ ، ص ١٤٣ .

(٢) الواقعة : ١٩ .

(٣) انظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، طبعة مصر ، سنة ١٩٥٤ م ، ص ٥ .

(٤) النجم : ٢١ .

(٥) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص ٢٦١ .

هذه بعض الأمثلة القرآنية التى تثبت ما امتازت به مفردات القرآن الكريم ، من الجمال الصوتى والتناسق الفنى ، والإيقاع الموسيقى ، والائتلاف المحكم ، والإيحاء العجيب ، والتصوير البديع ، كما يدل على أن نظم هذه الألفاظ مادة فوق الصنعة وليست من وضع البشر ، إنما هو شيء فوق مقدورهم .

اتساق الأسلوب القرآنى

إذا كنت قد تحدثت فى النقطة السابقة عن اللفظة ، ونظمها فى القرآن ، فإننى أعنى هنا بالأسلوب الجملة القرآنية وصياغتها .

إن دراسة الجملة القرآنية تتصل اتصالا مباشرا بدراسة المفردة القرآنية ، لأن هذه أساس الجملة ومنها تركيبها وللإعجاز لصياغة العبارة القرآنية وجوه كثيرة منها :

١ ـ التلاؤم والاتساق التام بين كلماتها وتلاحق حركاتها وسكناتها ، فالجملة فى القرآن نجدها دائما مؤلفة من كلمات وحروف وأصوات ، يستريح لتآلفها السمع والصوت والنطق ، ويتكون من تضامها نسق جميل ينطوى على إيقاع رائع ، ما كان ليتم لو نقصت من الجملة كلمة أو حرف ، أو اختلف ترتيب ما بينها بشكل من الأشكال [١].

ويقول الدكتور / دراز : « فى كل جملة منه جهاز من أجهزة المعنى ، وفى كل كلمة منه عضو من أعضائه ، وفى كل حرف منه جزء بقدره ، وفى أوضاع كلماته من جمله وأوضاع جمله من آياته سر الحياة ، الذى ينتظم المعنى بأدائه ، وبالجملة فجمله محاسن متوالية وبدائع تترا »[٢] .

ونضرب لذلك مثلا يقول تعالى : ﴿ **ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر . وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر** ﴾ [٣] .

« تأمل تناسق الكلمات فى كل جملة منها ، ثم دقق نظرك وتأمل تآلف الحروف الرخوة مع الشديدة ، مع المهموسة والمجهورة وغيرها ، ثم حاول أن تمعن فى تآلف وتعاطف الحركات والسكنات ، والمدود اللاحقة ببعضها ، فإنك إذا تأملت فى ذلك علمت أن هذه الجمل القرآنية إنما صبت من الكلمات والحروف والحركات فى مقدار ، وأن ذلك إنما قدر تقديرا بعلم اللطيف الخبير ، وهيهات للمقاييس البشرية أن تضبط الكلام بهذه القوالب الدقيقة »[٤] .

---

(١) الإعجاز فى نظم القرآن للدكتور محمود السيد شيخون ، مكتبة الكليات الأزهرية ط. الأولى، سنة ١٩٧٨م ص ٨٦ .

(٢) النبأ العظيم ، ص ١١٢ . (٣) القمر ١١ ، ١٢ . (٤) من روائع القرآن للبوطى ، ص ١٣٧ .

٢ ـ ومنها : دلالة الجملة القرآنية على أوسع معنى بأقصر عبارة ، دون أن تجد فيه اختصاراً مخلا أو ضعفا فى الدلالة يقول تعالى : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ (١) .

ثم تأمل كيف جمع الله بهذا الكلام كل خلق عظيم ؛ لأن فى « أخذ العفو » صلة القاطعين والصفح عن الظالمين وإعطاء المانعين وفى « الأمر بالمعروف » تقوى الله وصلة الرحم وصون اللسان عن الكذب وغض الطرف عن الحرمات ، وفى « الإعراض عن الجاهلين » الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مجاراة السفيه ومنازعة اللجوج (٢) .

ويقول تعالى : ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين** ﴾ (٣).

« وتأمل كيف جمعت هذه الآية الكريمة ـ على وجازتها ـ بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين ، أما الأمران فهما : « أرضعيه » و « ألقيه فى اليم » ، وأما النهيان فهما : « لا تخافى » و « لا تحزنى » ، وأما الخبران فهما : « أوحينا » و « خفت » ، وأما البشارتان فهما: « إنا رادوه إليك » و « جاعلوه من المرسلين » إنه الإعجاز يلبس ثوب الإيجاز فتخر لعظمته جباه أساطين البيان وتسجد لجماله أفكار دهاقين الكلام » (٤) .

وفى قوله تعالى : ﴿ **إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى** ﴾ (٥) جماع لأصول معايش الإنسان كلها ، من طعام وشراب وملبس ومأوى .

يقول الإمام السيوطى : « اعلم أن القرآن منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة منها حسن تأليفه ، والتئام كلمه ، وفصاحته ، ووجوه إيجازه ، وبلاغته الخارقة لمادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن .

٣ ـ ومنها : صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب (٦).

« لقد كان القرآن معجزا ؛ لما فيه من دقة النظم وجمال الأسلوب ، وعذوبة الألفاظ وبهاء الرونق ، وكمال البيان ، فأنت تقرأ القرآن ، أو تسمعه فتحس لألفاظه وقعا ليس لسواها ، وتشهد لنظمه إحكاما وإتقانا ومتانة ، ليست فيما عداه ، وأمامك المصحف الشريف تستطيع أن تتناوله ، وأن تقرأ ما شئت منه لترى ـ مصداق ما تقول ، ولتأسرك

---

(١) الأعراف : ١٩٩ .
(٢) انظر : تأويل مشكل القرآن ، ص ٥ .
(٣) القصص : ٧ .
(٤) الإعجاز فى نظم القرآن ، ص ٨٧ .
(٥) طه : ١٨ ، ١٩ .
(٦) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ، جـ ٢ ص ١٥٦ .

هذه الدقة العجيبة الفريدة فى اختيار الألفاظ وتنسيق الأسلوب »[1]

تناول الموضوع فى القرآن الكريم :

من المعلوم أن أبحاث القرآن كلها تتجه إلى غاية واحدة ، هى دعوة الناس إلى الإيمان بالله واتباع هديه ، والتصديق برسالة محمد ، وسلوك الصراط المستقيم ، والإيمان بالله يقتضى الإيمان بوحدانيته أولا ، ثم الإيمان بالملائكة والكتب والرسل ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وكون أبحاث القرآن تتجه إلى غاية واحدة ، فهذا قمة الاتساق فى النصوص ، وإذا اخترنا موضوع العقيدة مثلا ، فإنها عرضت بصور مختلفة وبأسلوب يشترك فى فهمه سائر أصناف الناس وطبقاتهم ، ولذلك نراهم ينبهون الناس إلى أدلة الكون ، وما يشيع فيه من دقة النظام وروعة الخلق وجمال التنسيق ، وهو فى عرضه لهذه الأدلة ، يعرض العبر والآيات المختلفة التى مرت فى الماضى ، كى يستنير بها العقل ويعتبر كى تتجلى مظاهر عظمة الله فى الماضى والحاضر والمستقبل .

والموضوع فى القرآن يتسم بالوحدة ، أو أن القرآن الكريم تتجلى فيه الوحدة الموضوعية وهذا منهج قرآنى خاص .

يقول الدكتور عبد الله الشاذلى : « فهناك الوحدة الموضوعية التى تجعل من المنهج القرآنى طريق هداية ، وبرنامج أمة ، وخطة علمية واحدة المصدر والمسائل والغايات ، ونظرا لمراعاة تلك الوحدة ، فقد أمر النبى ﷺ أن يضع الآيات فى سياقها الموضوعى ، وفى نسقها الوحدوى بغض النظر عن الزمن الذى نزلت فيه ، والمناسبة التى ألقيت من أجلها ، وكانت النتيجة بعد انتهاء المراحل ، وترتيب الآيات طبقا لمتطلبات الوحدة الموضوعية ، أن خلصنا من القرآن والسنة النبوية ، تجل منها القلوب وتقشعر لها الأبدان ، ولقد نما هذا العلم على خطة شاملة متكاملة للحياة، فى شتى صورها الفكرية والسلوكية، وضعت فى إطارها كل شىء عن العقائد والنظم والأحكام العملية ، ووضعت كلا منها فى موضعه الصحيح »[2] .

والوحدة الموضوعية ، بل العضوية ، تتحقق فى السورة على حده ، وفى القرآن كله « اعمد إلى سورة من تلك السور التى تتناول أكثر من معنى واحد ، ونقل تفكيرك معها مرحلة مرحلة ، ثم ارجع البصر كرتين كيف بدأت ؟ وكيف ختمت ؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت ؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت ؟ وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها

---

(١) مع كتاب الله للدكتور أحمد الشرباصى ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، العدد ٢١٠ ، ص ٤٣ .

(٢) المنهاج القرآنى تكوين وإقناع للدكتور عبد الله الشاذلى ، المكتبة القومية الحديثة ، ط. الأولى سنة ١٩٨٦ ، ص ٢٠، ٢١ .

ووطأت أولاها لأخراها ؟

وأنا لك زعيم بأنك لن تجد البتة فى نظام معانيها أو مبانيها ما تعرف به أكانت هذه السورة قد نزلت فى نجم واحد ، أم فى نجوم شتى ؟ ولسوف تحسب أن السبع الطوال من سور القرآن الكريم قد نزلت كل واحدة منها دفعة واحدة » [(١)] .

« إن هذه الوحدة من الاتساق الذاتى فى كتاب الله ، فلا يزال القارئ يتنقل بين أجزاء القرآن كما يتنقل بين حجرات وأفنية فى بنيان واحد، قد وضع رسمه مرة واحدة، لا تحس بشىء من تناكر الأوضاع فى التقسيم والتنسيق، ولا بشىء من الانفصال فى الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والالتحام، كل ذلك بغير تكلف ولا استعانة بأمر من خارج المعانى أنفسها، وإنما هو حسن السياق ولطف التمهيد فى مطلع كل غرض ومقطعه، وأثناءه يريك المنفصل متصلا، والمختلف مؤتلفا، ولماذا تقول: إن هذه المعانى تتسق فى السورة كما تتسق الحجرات فى البنيان؟ لا بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء فى جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعى من أنفسهما، كما يلتقى العظمان عند المفصل، ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج، تحيط بهما عن كثب كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب، ومن وراء ذلك كله يسرى فى جملة السورة اتجاه معين وتؤدى بمجموعها غرضا خاصا، كما يأخذ الجسم قواما واحدا، أو يتعاون بجملته على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية » [(٢)] .

الاتساق فى توالى المعانى

قال بعض الأئمة: تضمنت سورة الفاتحة الإقرار بالربوبية والالتجاء إليها فى دين الإسلام والصيانة عن دين اليهود والنصارى وسورة البقرة، تضمنت قواعد الدين، وآل عمران مكملة لمقصودها .

فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم، فلهذا أورد منها كثير من المتشابه لما تمسك به النصارى .

«فأوجب الحج فى آل عمران، وأما فى البقرة فذكر أنه مشروع، وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه، وكان خطاب النصارى فى آل عمران، كما أن خطاب اليهود فى البقرة أكثر؛ لأن التوراة أصل والإنجيل فرع لها، والنبى ﷺ لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم،

---

(١) النبأ العظيم ، ص ١٥٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

وكان جهاده للنصارى فى أخر الأمر، كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب، ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذى اتفق عليه الأنبياء، فخوطب به جميع الناس، والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين، فخوطبوا بيأهل الكتاب، يابني إسرائيل، يأيها الذين آمنوا .

وأما سورة النساء فتضمنت أحكام الأسباب التى بين الناس وهي نوعان : مخلوقة لله، ومقدورة لهم، كالنسب والصهر، ولهذا افتتحت بقوله : ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها** ﴾ (١)، وقال: ﴿ **فاتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام** ﴾ (٢) .

فانظر إلى هذه المناسبة العجيبة والافتتاح وبراعة الاستهلال، حيث تضمنت الآية المفتتح بها مافي أكثر السورة من أحكام :

من نكاح النساء ومحرماته، والمواريث المتعلقة بالأرحام، وإن ابتداء هذا الأمر بخلق آدم، ثم خلق زوجته منه، ثم بث منهما رجالا كثيرا ونساء فى غاية الكثرة .

أما المائدة فسورة العقود تضمنت بيان تمام الشرائع ومكملات الدين والوفاء بعهود الرسل، وما أخذ على الأمة ونهاية الدين، فهي سورة التكميل لأن فيها تحريم الصيد على المحرم الذي هو من تمام الإحرام، وتحريم الخمر الذى هو من تمام حفظ العقل والدين، وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال، وإحلال الطيبات الذي هو من تمام عبادة الله، ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد ﷺ ، والتيمم، والحكم بالقرآن على كل ذى دين . ولهذا كثر فيها لفظ الإكمال والإتمام، وذكر فيها أن من ارتد عوض الله بخير منه، ولايزال هذا الدين كاملا، ولهذا ورد أنها آخر ما نزل لما فيها من إرشادات الختم والتمام، وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات من أحسن الترتيب » (٣) .

ومثال آخر لتوالى المعانى في السور وربطها ببعضها، يقول الإمام السيوطى: « اعلم أن سورة بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء من قديم ما أنزل، وقد أخرج البخارى عن ابن مسعود أنه قال فى هذه السور الخمس : « من العتاق الأول وهن من تلادى » وهذا

(١ ،٢) النساء : ١ .

(٣) أسرار ترتيب القرآن للسيوطى ، ص٧٦، ٧٧ .

وجه فى ترتيبها وهو اشتراكها فى عزم النزول، وكونها مكيات وكونها مشتملة على القصص »[1] .

تشابه مقاصد القرآن الكريم :

يقول الله تعالى : ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم** ﴾ [2]، فوصف القرآن بأنه كتاب متشابه، وجعل هذا صفة مدح له، وذلك لأن القرآن يشتمل على أنواع من الأوامر والنواهى والوعد والوعيد والقصص والمواعظ، وما إلى ذلك من الأنواع التي يشتمل عليها، وتتكرر فى كل سورة من سوره، وكلها أنواع متشابهة المقاصد، متقاربة الأغراض، لا تخرج عن الوظيفة الدينية للقرآن، ولاتحيد عن الغاية الدينية التى نزل من أجلها، لأنه نزل لتشريع العقائد والأحكام، فيجب أن يقف عند حدودها، وأن يكون كل ما فيه من أوامر ونواه ووعد ووعيد وقصص ومواعظ وغيرها، متصلا بها، فلا يقصد منه غير هذا من بيان مسائل التاريخ أو الطب أو غيرهما من العلوم، لأنه لم ينزل لغرض من هذه الأغراض، وإنما للأغراض السابقة التى لاسبيل إلى معرفتها إلا بالوحي، أما هذه الأغراض العلمية، فإنها تعرف بالعقل، ولا تتوقف معرفتها على الوحى ، فلا يصح أن يخلط بينها وبين الأغراض السابقة فى كتاب ديني كالقرآن أو غيره » [3] .

يقول الإمام ابن كثير فى تفسير الآية: « القرآن يشبه بعضه بعضا ويرد بعضه على بعض، وسياقات القرآن تارة تكون فى معنى واحد » [4] .

وكلمة « متشابها » كلمة عامة فهي تشمل تشابه الكتابة فى الكلمات والحروف والمعانى والمقاصد والإعجاز، يقول محمد فريد وجدى : «﴿**كتابا متشابها**﴾ أي أن أبعاضه متشابهة مع الإعجاز » [5].

ويقول الإمام الزمخشري : « ﴿ **متشابها** ﴾ مطلق فى مشابهة بعضه بعضا، فكان متناولا لتشابه معانيه فى الصحة والإحكام والبناء على الحق والصدق، ومنطق الخلق،

---

(١) أسرار ترتيب القرآن : ص ١١٣ .

(٢) الزمر : ٢٣ .

(٣) النظم الفنى فى القرآن، للدكتور عبد المتعال الصعيدى مكتبة الآداب، ص ٣٦، ٣٧ .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، جـ ٤ ص ٥٠ .

(٥) المصحف المفسر محمد فريد وجدى ، ص ٦٠٩ .

وتناسب ألفاظه وتناسقها فى التخيير والإصابة وتجاوب نظمه وتأليفه فى الإعجاز والتبكيت » [1] .

هذا التشابه ـ وخاصة فى المقاصد والأغراض ـ دليل آخر على اتساق القرآن الكريم وانسجامه وقد حددت الوظيفة الدينية للقرآن فى فاتحته وهي أول سورة منه فى قوله تعالى: ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ [2]، وهو في هذا يبين أنه يراد من القرآن الهداية إلى صراط مستقيم وهو الدين الذي بعث به النبى ﷺ ، وفاتحة الكتاب هي التي تحدد المقصود منه وتبين الغرض الذي يريد تحقيقه، وقد توالت سور القرآن بعد هذه الفاتحة فسارت فى هذا الغرض الذى حدد فيها، ولم تحد سورة منها عنه، وبهذا تشابهت سوره فى أغراضها ومقاصدها.

ولم تعن سورة من سور القرآن لتدوين تاريخ الخلق مثلا، أو تاريخ شعب من الشعوب فتسن فى هذا أسلوبا تاريخيا يقصد منه الاطلاع ومعرفة الأخبار، لأن هذا ليس فى شيء من وظيفة الكتب السماوية، ولا يتوقف أمره على تنزيل سماوى، كما أن القرآن لا يقص علينا أخبار الماضين كما يقصها المؤرخون، وإنما يقصها ليستخلص منها العظة الدينية، وهنا تختلف وظيفة الكتاب المنزل عن الكتاب التاريخى .

« فالكتاب المنزل إذا ذكر أخبار قوم من الماضين يذكر نتفا من هنا ونتفا من هناك، فيختارها اختيارا يوافق غايته الدينية، أما الكتاب التاريخى فيذكرها كاملة غير منقوصة، ويرتبها ترتيبا يوافق ترتيبها فى حوادث الزمن» [3] .

ولهذا كله امتاز القرآن بهذا الاسم من بين الكتب، لأن القرآن مصدر قرأ يقرأ وقراءة وقرآنا، فتعرف حقيقته من عنوانه، وتدرك وظيفته من اسمه .

فإذا أردنا أن نوازن بين ما امتاز القرآن به من ذلك كله وبين التوراة الموجودة الآن وجدنا أن التوراة تشتمل على خمسة أسفار :

١ ـ سفر التكوين : وهو يشتمل على التاريخ القديم من بدء الخلق إلى موت يوسف عليه السلام.

٢ـ سفر الخروج : وهو يشتمل على تاريخ خروج بني إسرائيل من مصر، كما يشتمل

---

(١) تفسير الكشاف، جـ ٣ ص ٢٩٥ .

(٢) الفاتحة : ٦ .

(٣) النظم الفني فى القرآن ، ص ٣٨ .

على كثير من المسائل التشريعية والطقوس الدينية .

٣ ـ سفر اللاويين : وهو يشتمل على الطقوس الدينية الخاصة بتقديم القرابين وعلى طقوس الكهان من أبناء هارون .

٤ ـ سفر العدد : وهو يشتمل على تاريخ خروج بنى إسرائيل من سيناء إلى شرق الأردن وعلى بعض الرسوم الخاصة بالطقوس والعبادات .

٥ ـ سفر التثنية : ويراد منه تثنية الشريعة أى إعادتها مرة ثانية، فيقصد من الشريعة فى هذا السفر تطهير الطقوس، مع تعيين مكان خاص وهو أرض موآب فى شرق الأردن .

وبهذا تجمع هذه التوراة بين وظيفة المؤرخ ووظيفة المشرع، وتسير فى كل منهما سيرا منفردا عن الآخر، كما تؤرخ لبدء الخلق فى فاتحتها فتقول :

« فى البدء خلق الله السموات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه، وقال الله : ليكن نور فكان نور، ورأى الله النور أنه حسن، وفصل الله بين النور والظلمة، ودعا الله النور نهارا، والظلمة دعاها ليلا، وكان مساء وكان صباح يوما واحدا، وقال الله ليكن جلد فى وسط المياه، وليكن فاصلا بين مياه ومياه ، فعمل الله الجلد وفصل الله بين المياه التى تحت الجلد والمياه التى فوق الجلد، وكان كذلك ودعا الله الجلد سماء، وكان مساء وكان صباح يوما ثانيا ... إلخ » (١) .

فتمضى على هذا الأسلوب التاريخى المحض فى سفر التكوين إلى أن تنتهى منه، وكذلك أمرها فى كل ما جاء فيها من الحوادث التاريخية، لا تسوقها للعبرة والتذكرة، وإنما تسوقها للفائدة التاريخية، وكذلك معظم أسفار العهد القديم التى تنسب إلى أنبياء بنى إسرائيل قبل عيسى عليه السلام ولاشك أن هذه وظيفة تاريخية ليست فى شىء من أمر الوحى، ولاتتوقف معرفتها عليه، فلا يكون هناك معنى لحشرها بين تلك الشرائع والطقوس، لأنها لا تشبهها فى مقاصدها وأغراضها .

وإذا تركنا التوراة إلى الأناجيل الأربعة الموجودة الآن نجد إنجيل متى يمضى فى ذلك الأسلوب أيضا فيقول فى فاتحته :

« كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم، إبراهيم ولد إسحق، وإسحاق ولد يعقوب، ويعقوب ولد يهوذا وإخوته، ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار وفارص ولد حصرون ... إلخ إلخ» (١) .

---

(١) تكوين : ١ : ١ ـ ٩ .

وكذلك نجد إنجيل مرقس يقول فى فاتحته :

« بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله كما هو مكتوب فى الأنبياء، ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك، صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب، اصنعوا سبله مستقيمة، وكان يوحنا يعمد فى البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا ... وكان يكرز قائلا: يأتي من بعد من هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أنحنى وأحل سيور حذائه وأنا عمدتكم بالماء وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس ... إلخ إلخ » (٢) .

وكذلك نجد إنجيل لوقا يقول فى فاتحته :

« إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة، رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحة الكلام الذي علمت به ..... إلخ إلخ » (٣) .

وكذلك نجد إنجيل يوحنا يقول فى فاتحته : « فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان فى البدء عند الله كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء ففيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس، والنور يضيء فى الظلمة، والظلمة لم تدركه ... إلخ إلخ » (٤) .

فهذه الأناجيل الأربعة الموجودة الآن لايقصد منها إلا تدوين تاريخ المسيح عليه السلام ، وكل واحد منها يعني بتدوين سيرته على النحو الذى أراده، فتتفق في ذلك مرة وتختلف أخرى، ويذكر بعضها من أقوال المسيح عليه السلام وأفعاله، ما يذكره الآخر، أو يذكر منها مالم يذكره، وقد تختلف وتتناقض فى الخبر الواحد .

ولاشك أن تاريخ المسيح عليه السلام لا يحتاج إلى كتاب منزل، لأن أصحابه قد شاهدوا أقواله وأفعاله، وعرفوا سيرته من أولها إلى آخرها ثم عرفها منهم من أتى بعدهم من أتباعهم، ومثل هذا مما يدونه البشر، ولا يحتاج في تدوينه إلى كتاب منزل .

وإنى أومن بعد هذا بأن قوله تعالى فى الآية السابقة : ﴿ **كتابا متشابها مثانى** ﴾ (٥)،

---

(١) متى : ١ : ١ ـ ٤ .
(٢) مرقس : ١ : ١ ـ ٩ .
(٣) لوقا : ١ : ١ ـ٥ .
(٤) يوحنا : ١ : ١ ـ ٥ .
(٥) الزمر : ٢٣ .

إشارة إلهية إلى هذه الموازنة الخفية، بين القرآن والتوراة الموجودة عند اليهود والإنجيل الموجود عند النصارى، ليقيمها دليلا على أن القرآن تنزيل من عنده، لأنه جاء بمقاصد متشابهة لا ينزل بها إلا الوحي، ولم يخلط بينها وبين مقاصد أخرى لا تشبهها، ولا توافقها في أغراضها وغاياتها .

شبهة وردها :

من الشبه التى تتردد على ألسنة المستشرقين وفى كتاباتهم اختلاف القراءات حيث يدعون أن اختلاف القراءات نوع من التناقض والتضاد وقد سبق أن ذكرت أن إثبات التناقض فى الكتاب المقدس دليل واضح على عدم اتساقه، وعلى أنه ليس من عند الله تعالى لأنه لو كان من عند الله لما وجد فيه اختلاف .

« إن ما كتب فى عصر النبى ﷺ قد سلم من التغيير ولم تجر عليه الحروف السبعة التى كانت فى قراءته دون كتابته، والغرض تيسير قراءة القرآن على القبائل العربية المختلفة اللغات واللهجات، كالمضرية والنزارية والهذلية، فتلين به ألسنتهم ، كرخصة مؤقتة اقتضتها ظروف الدعوة، ريثما تستقيم الألسن على النطق باللغة التى اختارها الله لقرآنه المنزل وهى لغة قريش فيصبح القرآن على حرف واحد، هو الذي كتب عثمان مصحفة عليه، ولم يأت فيه ما يخالف المصحف الأم الذى كان محفوظا عند أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها، والذي كتب في عصر النبى ﷺ ولذلك أحرق عثمان سائر المصاحف، ولايصح أن يجعل ذلك من أسباب الطعن عليه، لأن بقية المصاحف كتبت بغير حرف قريش، وحتى مصحف حفصة، فإن عثمان لما أعاده إليها استجابة لرغبتها، اشترط أن يحرق بعد وفاتها مخافة أن يقع في يد أحد، فيمحو فيه ويثبت ويقول : قد غير ما عندكم وها هو الأصل فاحتكموا إليه وروى أنها توفيت فى عهد معاوية، وأن الذى أحرق المصحف الذى عندها والى المدينة مروان بن الحكم .

أما القراءات السبع فهى ثابتة بالتواتر عن النبى ﷺ وقد ساعد على احتمال هذه القراءات المروية انعدام الشكل والنقط، في مصحف عثمان كاختلاف القراءة فى مثل قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا** ﴾ [1] .

وقرئ : « فتثبتوا » ومعناها واحد، يقال : تثبت فى الشىء : تبينه .

---

(١) النساء : ٩٤ .

واختلاف القراءات لايبلغ بحال مبلغ التضاد أو التناقض » [1] .

ومن المعلوم أن القراءات لا تناقض فيها، وادعاء المستشرقين بتناقضها إما أن يكون عن سوء قصد وإما أن يكون عن جهل بلغة القرآن الكريم .

وقد حصر ابن الجزرى أنواع اختلاف القراءات فى ثلاثة أحوال وهى :

١ ـ اختلاف اللفظ والمعنى واحد .

٢ ـ اختلافهما جميعا مع جواز اجتماعهما في شيء واحد .

٣ ـ اختلافهما جميعا مع امتناع جواز اجتماعهما فى شىء واحد، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضى التضاد » [2].

وعندما يضرب المستشرقون أمثلة، نراهم يمثلون بالقراءات الشاذة أو الضعيفة، يقول: « جولد تزيهر » : فى قوله تعالى ﴿ **إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا** ﴾ [3] .

« قرأ بعضهم « وتعززوه » بالزاى الذى معناه « وتعظموه »، وهى بدل من « تعزروه » بالراء الذى معناه وتساعدوه وأنا لا أستبعد أن يكون من دواعى تغيير النص على هذا الوجه خشية تصور أن الله ينتظر من الناس مساعدة أو معونة » [4] .

ويقصد جولد تزيهر إلى إيهام القارئ بأن اختلاف القراءات جاء نتيجة ملابسات فنية ترجع إلى الرسم أو نتيجة ملاحظات موضوعية مستدلا بالآية السابقة وخطأه فى هذا التخريج كان من ناحيتين :

الأولى : أن هذه القراءة ليست من القراءات السبع ولا الأربع عشرة بل هى قراءة آحاد، فلا يجوز الاعتماد عليها فى الاستدلال .

يقول الشيخ الزرقانى : إن القراءة لا تكون قرآنا إلا إن كانت متواترة؛ لأن التواتر شرط فى القرآنية » [5].

---

(١) مناهج المستشرقين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، سنة ١٩٨٥، جـ ١ ص ٤٦ ـ ٤٧ .

(٢) المرجع السابق، ص٤٧ .

(٣) الفتح : ٨ ، ٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٥) مناهل العرفان، جـ ١ ص ٤٧٠ .

الثانية : أن كثيرا من المفسرين فسروا قوله ﴿ **وتعزروه** ﴾ أى تنصروه لتقوية دينه ورسوله ، ونصرة الله معنى مستعمل فى القرآن. قال تعالى: ﴿ **يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم** ﴾ (١) ، وأصح تفسير للقرآن ماكان بالقرآن (٢) .

ولكن جولد تزيهر، لا يميز بين القراءة المتواترة والقراءة الشاذة، إذ هو يكرر الخطأ نفسه فى موطن آخر فيقول فى الآية الثانية فى سورة الروم : ﴿ **غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . فى بضع سنين** ﴾ .

قرئ أيضا : غلبت الروم بالبناء للفاعل، وهذا راجع إلى نصر أحرزه الروم على قبائل عربية تقع على الحدود السورية، والمسلمون الذين أجازوا هذه القراءة، يرون فيها إخبارا بالنصر الذى أحرزته الجماعة الإسلامية الفتية على البيزنطيين، بعد هذا الوحى بتسع سنين .

ونرى أن للقراءة المشهورة والقراءة المخالفة لها تأويلين متغايرين تغايرا بعيدا، فالمنتصرون فى القراءة المشهورة هم المنهزمون فى القراءة المخالفة، والفعل المبنى للفاعل فى الأولى مبنى للمفعول فى الثانية ﴿**سيغلبون**﴾. وإذن فهما قراءتان وتأويلان لجملة واحدة من كلام الله، متعارضان إلى أبعد مدى والجواب عن هذه الشبهه التى أثارها :

أن القراءة الثانية لايعتد بها، والمقارنة إنما تصح بين قراءتين على مستوي واحد من الصحة والتواتر، وعلى فرض صحتها، فلا يبدو أى تعارض أو تناقض بينهما لاختلاف الموضوع فى كلتا القراءتين، فمن يقول بالتعارض إنما يعنى تناقضا، وهو معدوم لانعدام شروطه المتفق عليها عند علماء المنطق، وهى الاختلاف بين قضيتين فى الكم والكيف والجهة، والاتفاق بينهما فى وحدات ثمانية كالموضوع والمحمول والزمان والمكان والإضافة والشرط والقوة والفعل والجزء والكل ... إلخ . فإذا انعدمت وحدة فأكثر من تلك الوحدات فلا تناقض .

والموضوع المتعلق بالغلبة فى القراءتين واحد فهو فى القراءة المشهورة الفرس والروم، وهو فى القراءة الشاذة العرب والروم » (٣) .

---

(١) محمد : ٧ .

(٢) مناهج المستشرقين، جـ ١ ص ٤٨ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٤٨، ٤٩ .

تنزيه القرآن عن التناقض والاختلاف :

سبق أن أشرت إلى شبهة المستشرقين فى موضوع القراءات ، وبدا لنا أن تعدد القراءة بعيد كل البعد عن التناقض والتضاد ، لكن فى القرآن الكريم آيات يوهم ظاهرها تعارضا واختلافا ، ولا ريب أن كلام الله تعالى منزه عن ذلك كما قال : ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** ﴾ (١) .

لكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافا ، وليس به فى الحقيقة فاحتيج لإزالته ، بل إن العلماء صنفوا فى مختلف الحديث وبيان الجمع بين الأحاديث المتعارضة .

وقبل أن ندخل فى الموضوع ينبغى أن ننبه على أن الاختلاف فرعان : «اختلاف تناقض ، وهو ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر وهذا هو الممتنع عن القرآن ، واختلاف تلازم وهو ما يوافق الجانبين كاختلاف وجوه القراءة ، واختلاف مقادير السور والآيات واختلاف الأحكام من الناسخ والمنسوخ والأمر والنهى والوعد والوعيد » (٢) .

وينبغى أن ننبه أيضا على أنه :

« إذا تعارضت الآى وتعذر فيها الترتيب والجمع طلب التاريخ، وترك المتقدم بالمتأخر ويكون ذلك نسخا، وإن لم يعلم وكان الإجماع على العمل بإحدى الآيتين، علم بإجماعهم أن الناسخ ما أجمعوا على العمل له ، ولا يوجد فى القرآن آيتان متعارضتان تخلوان عن هذين الوضعين » (٣) .

أما عن الآيات التى تتعلق بهذا الموضوع ، فقد أخرج الحاكم فى المستدرك حديثا طويلا عن بعض تلك الآيات وصححه ، فعن سعيد بن جبير قال :جاء رجل إلى ابن عباس فقال: رأيت أشياء تختلف على من القرآن فقال ابن عباس: ما هو. أشك؟ قال: ليس بشك. ولكنه اختلاف قال : هات ما اختلف عليك من ذلك قال : أسمع الله يقول : ﴿**ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين**﴾ (٤) وقال : ﴿**ولايكتمون الله**

---

(١) النساء : ٨٢ .

(٢) الإتقان فى علوم القرآن جـ ٢ ص ٤٠ ، وانظر: كتاب ثمار الجنان فى أفنان من علوم آى للدكتور جوده المهدى ص ١٤٣ .

(٣) المرجع السابق جـ ٢ ص ٣٩ ـ ٤٠ وراجع : (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لابن تيمية تحت عنوان (عدم تناقض القرآن) ، جـ ٢ ص ٢٥٩ .

(٤) الأنعام : ٢٣ .

حديثا﴾ (١) فقد كتموا .

وأسمعه يقول : ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ (٢) ثم قال : ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ (٣) ، وقال : ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين ـ حتى بلغ ـ طائعين﴾ (٤) ثم قال فى الآية الأخرى: ﴿أم السماء بناها﴾(٥) ، ثم قال : ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ (٦) .

وأسمعه يقول : ﴿وكان الله﴾ ما شأنه يقول وكان الله ؟

فقال ابن عباس : أما قوله: ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ فإنهم لما رأوا يوم القيامة وأن الله يغفر لأهل الإسلام، ويغفر الذنوب، ولا يغفر شركا ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره، جحده المشركون رجاء أن يغفر لهم فقالوا : ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ فختم الله على أفواههم . وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك ﴿يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا﴾ .

وأما قوله : ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ فإنه إذا نفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون .

وأما قوله : ﴿خلق الأرض فى يومين﴾ فإن الأرض خلقت قبل السماء ، وكانت السماء دخانا فسواهن سبع سماوات فى يومين بعد خلق الأرض .

وأما قوله : ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ يقول : جعل فيها جبلا وجعل فيها نهرا وجعل فيها شجرا وجعل فيها بحورا.

وأما قوله : ﴿كان الله﴾ فإن الله كان ولم يزل كذلك وهو كذلك عزيز حكيم عليم قدير لم يزل كذلك .

فما اختلف عليك من القرآن فهو يشبه ما ذكرت لك وإن الله لم ينزل شيئا إلا وقد أصاب به الذى أراد ، ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (٧) .

---

(١) النساء : ٤٢ . (٢) المؤمنون : ١٠١ . (٣) الصافات : ٢٧ .
(٤) فصلت : ٩ ـ ١١ . (٥) النازعات : ٢٧ . (٦) النازعات : ٣٠ .
(٧) أخرجه الحاكم بطوله فى المستدرك وصححه، وأصله فى الصحيح قاله السيوطى فى الإتقان ، جـ ٢ ص ٣٦ .

وحاصل مافيه السؤال عن أربعة مواضع، الأول : نفى المسألة يوم القيامة وإتيانها، والثانى : كتمان المشركين حالهم وإفشاؤه، والثالث: خلق الأرض والسماء أيهما تقدم، والرابع : الإتيان بحرف كان الدالة على المضى، مع أن الصفة لازمة، وحاصل جواب ابن عباس عن الأولى : أن نفى المسألة فيما قبل النفخة الثانية وإثباتها فيما بعد ذلك، وعن الثانى أنهم يكتمون بألسنتهم فتنطق أيديهم وجوارحهم، وعن الثالث : أنه بدأ خلق الأرض فى يومين غير مدحوة، ثم خلق السموات فسواهن فى يومين، ثم دحا الأرض بعد ذلك وحصل فيها الرواسى وغيرها فى يومين، فتلك أربعة أيام للأرض، وعن الرابع بأن (كان) وإن كانت للماضى لكنها لا تستلزم الانقطاع، بل المراد أنه لم يزل كذلك [1] .

ويستدل الشيخ : « رحمت الله الهندى » ببراءة القرآن الكريم من الاختلاف والتفاوت على أنه كلام الله تعالى فيقول : « ومن الأمور التى تدل على أن القرآن كلام الله كونه برىء من الاختلاف والتفاوت، مع أنه كتاب كبير مشتمل على أنواع كثيرة من العلوم، فلو كان ذلك من عند غير الله لوقعت فيه أنواع من الكلمات المتناقضة، لأن الكتاب الكبير الطويل لا ينفك عن ذلك ، ولما لم يوجد فيه ذلك ، علمنا أنه ليس من عند غير الله كما قال تعالى: ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** ﴾، ومثل هذه البلاغة والأسلوب العجيب والإخبار عن الغيوب والاشتمال على أنواع العلوم والبراءة من الاختلاف والتفاوت، مع كون الكتاب كبيرا ومشتملا على أنواع كثيرة من العلوم، لا يأتى إلا من العالم الذى لا يغيب عن علمه مثقال ذرة مما فى السموات والأرض » [2] .

وخلو القرآن الكريم من التناقض أمر لا يحتاج إلى بيان، فمن الحقائق الراسخة التى أثبتها النقل والعقل، أن كتاب الله تعالى منزه عن الاختلاف والتناقض والتعارض والتضاد، وعن شتى وجوه القدح فى كماله، لأنه كلام الحكيم العليم [3]، ومن أصدق من الله قيلا، وهو القائل جل شأنه : ﴿ **وإنه لكتاب عزيز. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ [4]، ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا**

(١) انظر : الإتقان فى علوم القرآن، جـ ٢ ص ٣٦ .

(٢) إظهار الحق، ص ٣٧٨ .

(٣) ثمار الجنان فى أفنان من آى القرآن، ص ١٤٩ .

(٤) فصلت : ٤١ ، ٤٢ .

فيه اختلافا كثيرا ﴾(١).

وفى هـذه الآيـة الكريمـة التى تشرق منها أنوار تنزيه القـرآن الكريم عـن الاختلاف والتناقض، يأمرنا سبحانه ـ في صدارتها ـ بالتدبر إذ الاستفهام فيها بمعني الأمر (٢) .

ويدلل لنا ـ سبحانه ـ على صـدق رسـوله العظيم صلـوات الله وسلامه عليه، وعلى أن القرآن ينزل عليه من عنده تعالى : بأن هذا التنزيل خلو من الاختلاف لذاته .

« بيد أن التحقق مـن خلـوه عـن الاختلاف والتناقض مستلزم لتدبره وتبصر معانيـه وفقه مراميـه، ومـن ثـم حـق على الأمة أن تضطلع طائفة منها بالعكوف على كتاب ربها درسا وفقها، وتدبرا وتمرسا بتفسيره وتأويله وسبرا لأغوار علومه، فينهل من كل ذلك قوام الهداية ورسـوخ المعرفة لتشع مـن مثاقيب عرفانها أضـواء التبصير والتنوير، وليبرز مـن كفاءتها سهام الذود عن حصن التنزيل لتمرق فى صدور الطاعنين على كتاب الله الأعظم تقدست كلماته» (٣).

ولقد حذر النبى ﷺ من المجاراة والملاججة، والاختلاف فى التنزيل بضرب بعضه ببعض، وندد بالخوض فيه، من غير تثبت وتدبر ولا تبين .

فقد روى الإمام أحمد رضى الله عنه بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال : لقد جلست أنا وأخي مجلسا ما أحب أن لى به حمر النعم، أقبلت أنا وأخى وإذا مشيخة من صحابة رسول الله ﷺ جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم فجلسنا حجرة، إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم فخرج رسول الله ﷺ مغضبا قد احمر وجهـه، يرميهـم بالتراب ويقـول: « مهلا ياقـوم، بهـذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا بل يصدق بعضه بعضا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه » (٤) .

والواقــع : أن شبهات المستشرقين فى هذا الخصوص، ترجع أساسا بطبيعة الحال إلى

---

(١) النساء : ٨٢ .

(٢) انظر: ثمار الجنان ، ص ١٤٩ .

(٣) المرجع السابق، ص ١٥٠ .

(٤) مسند الإمام أحمد، جـ٢ ص ١٨١ .

اختلاف لغاتهم ومباينة فطرهم للفطرة العربية، وللذوق العربى ، وللأساليب الكتابية والبيانية، وعدم إلمامهم إلماما كافيا بأحوال العرب فى الجاهلية، وظروف تنزيل القرآن على النبى فى مكة والمدينة، وتشعب الحوادث والواقعات العامة، والخاصة، ووفرة الشخصيات من الأعداء والأصدقاء الذين حاربوا الإسلام أو ناصروه .

كذلك يرجع شعور المستشرقين بالاختلاف والاختلاط، وعدم التناسب والتناسق وانسجام السياق بين السور والآيات إلى عدم معرفتهم بأصول المسائل وملابسات الأحوال التى تناولها القرآن منذ أربعمائة وألف سنة فى بيئة فطرية همجية، ألطف صفاتها وأهونها أنها كانت جاهلية جهلاء .

فمما لاشك فيه أن عدم الوقوف على أسباب النزول ، كثيرا مما يوقع فى اللبس والإيهام، فيفهم القارئ أو السامع الآيات على غير وجهها، ولا يصيب الحكمة الإلهية من تنزيلها، حتى إن الواحدى يقول : « لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها» (١) .

وبالمقارنة إلى مامر من أمور مختلفة ومتناقضة فى العهدين : القديم والجديد، لانجد وجه شبه بينهما وبين القرآن الكريم.

ففى سفر التكوين ـ كما يقول موريس بوكاى ـ : « توجد أكثر هذه المتناقضات وضوحا وصراحة، وعندما نعرف أن مؤلفا مثل سفر التكوين قد عدل على الأقل مرتين، وهذا على مدى ثلاثة قرون، فكيف ندهش حين نجد فيه أمور غير مقبولة أو روايات يستحيل أن تتفق مع واقع الأشياء » (٢) .

ثم ماذا يقال عن القصة التى تحكى عن مصارعة بين « الله » سبحانه وبين أحد أنبيائه عليه صلاة الله وسلامه، كانت هذه المصارعة كما جاء فى سفر التكوين بين « الله » وبين « يعقوب » وقد دامت هذه المصارعة وقتا طويلا كاد يفوز فيها يعقوب، لولا أن الطرف الآخر في المصارعة وهو ـ الله ـ لجأ إلى حيلة غير رياضية هزم بها يعقوب .

ومع ذلك فإن يعقوب تشبث بالله وأبى أن يطلقه حتى نال منه لقب « إسرائيل »،

---

(١) القرآن والمستشرقون للأستاذ / رابح لطفى جمعة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سنة ١٩٧٣م ، ص ٧١، ٧٢.
(٢) دارسة الكتب المقدسة ص ٥٤ .

ومنحه الله هذا اللقب الفخرى، ثم تركه ليصعد إلى العرش ويدبر أمر السماء والأرض بعد تلك المصارعة الرهيبة ... وهذه القصة بأحرفها فى سفر التكوين (١) .

ثم أى قداسة تبقى لكتاب يحرض على الزنا وينزل بالأنبياء وبنات الأنبياء إلى هذا الدرك من الفسق والخيانة ؟

وهل يستقيم فى نظر أى عاقل أن يزنى رجل ببناته، فإذا كان هذا الرجل نبيا فأى الكلمات فى أى اللغات يمكن أن تعبر عن هذا السخط والتقزز إن النبى من وجهة نظر أهل العقول إنسان منزه عن النقائص، إنسان مختار من الله، إنسان لا يتوقع من مثله خطأ، فكيف بالخطئية ؟ وهل يصدق الناس إنسانا يقول مالا يفعل ؟ وفى أى شيء ؟ فى إباحة الزني وشرب الخمر ؟ ومع من ؟ مع بناته، بناته اللاتى يحملن ـ سفاحا ـ من أبيهن النبى المرسل هل يعقل ذلك ؟ لا أحد منا يصدق، ولكن العهد القديم يذكر لنا قصصا من هذا النوع القبيح المفجع. وكيف ؟

افتحوا الكتاب الذى بين أيديكم واقرأوا معى السفر التاسع عشر من سفر التكوين ذاته (٢) .

وهكذا تأتى عشرات الأمثلة على هذا التناقض الصارخ من المقابلة بين النصوص، وتأتى أمثلة أخرى على نبوءات نطق بها المسيح ولم تتحقق فمن ذلك ما جاء فى متى : ١٩ : ٢٧ ـ ٢٩ من أنه قال : « متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسيا تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر ولقد كان يهوذا الإسخريوطى الخائن الذي أصبح يعرف « بابن الهلاك » من بين هؤلاء الاثنى عشر، وبهذا يستحيل تحقيق هذه النبوءة، ومن أجل هذا نجد لوقا يحذف هذا التحديد بالاثنى عشر فى النبوءة عند ذكره لها، ولقد تنبأ المسيح كما نسب إليه بأنه يدفن في الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالى (متى ١٢ : ٣٨ ـ ٤٠ ومرقس ٨ : ٣١ ، ٩ : ٣١ : ١٠ : ٣٤، ويوحنا ٢ : ١٩)، وبحسب الأناجيل أيضا وبعملية حسابية بسيطة نجد أن الأيام التى قضاها الميت فى بطن الأرض ـ فى القبر ـ كانت يوما واحدا هو يوم السبت وعدد الليالى اثنتان ، ليلة السبت وجزء من ليلة الأحد على أحسن الفروض (٣) .

---

(١) سفر التكوين : الإصحاح ٣٢ .

(٢) التكوين : ١٩ : من ٣٠ ـ ٣٨ .

(٣) انظر : التزوير المقدس للدكتور/ عبد الودود شلبى دار الشروق ، ص ٨٣ .

أما عن روايات الأناجيل وعن أحداث الصلب، فقد اختلفت فيها اختلافا بينا شديدا وعلى سبيل المثال :

فقد اختلفت في مقدمة هذه الأحداث ـ مسح المسيح بالطيب ـ اختلفت فى توقيتها واختلفت فى مكانها، واختلفت فى شخصية المرأة التى قامت بالمسح، واختلفت فيما فعلته واختلفت فى رد الفعل الذى حدث عند المشاهدين .

كذلك اختلفت الأناجيل فى ذكر الأحداث المتعلقة بالقبض على المسيح ، ويستخلص المؤلف من روايات الأناجيل فى هذه المسألة نتائج هامة بينها، على ما جاء فيها من أن المسيح قال لتلاميذه : «كلكم تشكون فى هذه الليلة » . وما جاء فى الأناجيل أيضا من أن التلاميذ لم يشكوا فى تلك الليلة، والنتائج المترتبة علي ذلك هى :

أما أن نبوءة المسيح بشكهم لم تتحقق، ويترتب على هذه النتيجة نتيجة أخرى، هى أنهم لم يشكوا لوثوقهم بنجاته مما يضر بصحة نبوءات المسيح، وصحة ما ذكر عن صلبه معا، وأما أنها تحققت أى أنهم شكوا فى نجاته بالفعل وهذا يعنى ارتدادهم ـ كما يعنى نجاته أيضا .

وهكذا تجري الروايات المتناقضة فيما يتعلق بقصة إنكار بطرس والمحاكمات التى جرت للمسيح أمام مجمع الكهنة، وهيرودة، وبيلاطس وحامل الصليب، واللصين اللذين صلبا بجواره، ووقت الصلب وصلاة المصلوب، وصراخه على الصليب وموت المصلوب وشهود الصلب، وعملية الدفن، ونهاية يهوذا، وهلاك بيلاطس، وتنبؤات المسيح بنجاته من القتل، وتنبؤات المزامير التى اعتمدت عليها الأناجيل بنجاته أيضا، واختلاف المسيحيين الأوائل فى صلب المسيح، واختلاف الأناجيل فيما يتعلق برواية أحداث قيامة المسيح، وظهوره لتلاميذه، وشك التلاميذ في روايات القيامة والظهور وصعوده للسماء، أو نزوله أولا فى الجحيم، كما جاء في قانون إيمان الرسل الذى تذكر بعض المصادر المسيحية أن تلاميذ المسيح وضعوه بعد رحيله .

قد مر فى الفصول السابقة الخاصة بالكتاب المقدس تفصيلات تلك الأمور المتناقضة .

هل بقى شىء نقوله ؟

نعم إن هناك أشياء كثيرة، فلقد مر بنا اختلاف الأناجيل حول قصة شجرة التين التى لعنها المسيح، حيث لم يجد عليها ثمرا فجفت، ولكن هل جفت فى يوم اللعن ؟ أم تأخر

هذا الجفاف إلى الغد ؟

روايتان متناقضتان لكل من متى ومرقس .

كما مرا ختلافهما حول قصة المجنون والأعمى والحمار .

فإنجيل لوقا وإنجيل مرقس يقرران بأن « المجنون » كان رجلا واحدا فقط، ولكن متى يضاعف عدد المجانين فى روايته ويقول : « استقبله مجنونان من القبور » .

وقد تكررت الصورة نفسها بالنسبة للأعمى .

ومن أكثر هذه الأشياء إثارة ما تنبأت به الأناجيل من وقائع وأحداث لم يتحقق منها شيء .

النبوءات والاتساق معها :

وعلى سبيل المثال لقد تنبأت الأناجيل بنهاية العالم في القرن الأول للمبلاد أي منذ ١٩٠٠ عاما على الأقل :

« فإنى الحق أقول لكم، لا تكملون ، مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان » (١) .

أى أن عودة ثانية إلى الأرض تحدث قبل أن يكمل تلاميذة التبشير فى مدن إسرائيل وقبل أن يموت بعض معاصريه الذين شاهدوه حيا لأن :

« الحق أقول لكم إن من القيام هاهنا قوما لا يعرفون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى ملكوته » (٢) .

وإلى الآن لم ينته العالم، ولم يأت السيد المسيح ؟ !

ألا ينقض ذلك الاتساق الذاتى بالكتاب المقدس أنه متناقض مع نفسه كما أن نبوءاته لم تتحقق .

أما عن قضية تنبؤات القرآن الكريم فقد تحدث عنها المسلمون وغير المسلمين، وأجمعوا على تحققها ولاشك أن ذلك يمثل اتساقا وانسجاما جديدا فى القرآن الكريم يضاف إلى ماسبق بل إنه جانب من جوانب عظمة القرآن الكريم .

---

(١) متى : ١٠ : ٢٣ .

(٢) متى : ١٦ : ٢٨ .

يقول الأستاذ وحيد الدين خان : « الجانب الثاني من عظمة القرآن الكريم يتجلى فى تنبؤاته المختلفة التى ثبتت صحتها فيما بعد بطرق عجيبة .

إن عددا كبيرا من أذكياء الناس ومن العباقرة قد جرؤوا على أن يتنبأوا عن أنفسهم أو عن غيرهم، ولكننا نعرف أن الزمان لم يصدق هذه النبوءات مطلقا، بل جاء يكذبها بكل قسوة، ولقد تحفز الفرص المواتية والأحوال المساعدة، والكفاءات العالية، وكثرة الأعوان والأنصار، والنجاح الخارق فى البداية للكثيرين، وهم يرون أنهم يسيرون تجاه نتائج مرضية أن يتنبأوا بنتيجة معينة بكل يقين، ولكن الزمن يبطل هذه الدعاوى ويكذبها دائما ... والزمن نفسه هو الذى أثبت صحة ما جاء فى القرآن من التنبؤات فى حين أنها جميعا جاءت فى أحوال غير مواتية . إن هذه التنبؤات ـ وقد وقعت فعلا على ما يحدثنا التاريخ ـ تجعل علومنا المادية حائرة عند تفسيرها ومادمنا ندرسها فى ضوء علومنا المادية، فلن نستطيع إدراك حقائقها، إلا أن ننسبها إلى مصدر غير بشرى » (١) .

وعرض وحيد الدين خان فى كتابه نبوءات بعض المتنبئين من البشر، كنابليون وماركس وهتلر، وبعض زعماء الشيوعيين فى الهند، وبين أن هذه النبوءات لم تتحقق بل الذى تحقق فى بعض الأحيان نقائضها، يقول: «وسط هذه الجحافل من المتنبئين والنبوءات لا نجد غير القرآن الذى تحققت نبوءته حرفا حرفا ، وهذا الواقع يكفى فى ذاته لإثبات أن هذا الكلام صادر من عقل وراء الطبيعة، يمسك بزمام الأحوال والحوادث، وهو على معرفة بكل ما سيحدث منذ الأزل إلى الأبد» (٢) .

وساق أمثلة لذلك منها قوله تعالى: ﴿**كتب الله لأغلبن أنا ورسلى**﴾ (٣) .

وقوله تعالى: ﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾ (٤) .

ولم تمض على هذه البشرى أيام طويلة حتى وجد المسلمون الجزيرة العربية كلها تحت أقدامهم، فقد انتصرت أقلية ضئيلة لا تملك الخيول ولا الأسلحة على أعداء يملكون

---

(١) الإسلام يتحدى للأستاذ وحيد الدين خان ، ترجمة : ظفر الإسلام خان، الناشر ، مكتبة القرآن ، القاهرة، سنة ١٩٦٤، ص ١١١ .

(٢) المرجع السابق، ص ١١٢ . (٣) المجادلة : ٢١ .

(٤) الصف : ٨ ، ٩ .

الجيوش الكبيرة والعدة والعتاد.

وقوله تعالى: ﴿ **آلم. غلبت الروم. فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون. فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون. بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ (١).

وتعليقا على هذه النبوءة يكتب (جيت) : «فى ذلك الوقت، حين تنبأ القرآن بهذه النبوءة، لم تكن أية نبوءة أبعد منها وقوعا، لأن السنين الاثنتى عشرة الأولى من حكومة هرقل كانت تؤذن بانتهاء الإمبراطورية الرومانية.

ولكن من المعلوم أن هذه النبوءة جاءت من لدن من هو مهيمن على كل الوسائل والأحوال ومن بيده قلوب الناس وأقدارهم، ولم يكن جبريل مبشرا لنبى بهذه البشرى، حتى أخذ انقلاب يظهر على شاشة الإمبراطورية الرومانية» (٢).

وهكذا تتحقق كل نبوءات القرآن الكريم حرفا حرفا.

بينما تتعثر نبوءات الكتاب المقدس من وقائع وأحداث فلا يتحقق منها شيء.

وأعظم اتساق للقرآن الكريم مخاطبته لمثيرات الإنسان جميعها، ومراعاته لكل أحواله، وهذا من خصائص المنهاج القرآنى.

«وأما المنهاج فى القرآن فهو طريقة تبغى الهداية للبشر، وتعمل على إقناعهم بوجهة النظر الإسلامية، وبالتالى فلابد أن تأخذ فى الاعتبار طبائع الآخرين، واستعدادهم وملكاتهم وظروفهم الراهنة، وأن تراعى فى تعليم العقائد والتشريع، وبث الصفات الفاضلة وإيقاظها فى النفوس مستوى الفهم العام الذى وهبه الله للنوع البشرى، والطبائع البشرية العامة دون التفات إلى حال أمة دون أمة، أو مجتمع دون مجتمع، كما تراعى الإطار الفردى سواء بسواء، وأن تدقق فى ذلك» (٣).

ولما كان القرآن بهذا الاتساق نصا ومعنى وملاءمة لأحوال الإنسان ومخاطبة لكل دوافعه، كان ذلك دليلا على أنه صوت الله تعالى، وعلى أنه من المحال تغيير حرف واحد منه، لكن الكتاب المقدس يختلف عن القرآن فى هذه النقطة، أنه غير ملائم للفطرة

---

(١) الروم: ١ ـ ٦.

(٢) الإسلام يتحدى، ص ١١٧.

(٣) المنهاج القرآنى ص ٣٢.

البشرية، ولهذا ترى الرجال أحيانا يتمردون على بعض أحكامه، وترى النساء يتمردن أيضا على بعض أحكامه .

يقول الدكتور عبد الودود شلبى: «إليكم هذا النبأ من الولايات المتحدة الأمريكية: تقوم مؤسسة (ريدرز دايجست) بإخراج طبعة جديدة من الكتاب المقدس تختصر منها خمسين فى المائة من العهد الجديد، وخمسة وعشرين فى المائة من العهد القديم، ومن أغرب الأخبار التى أذيعت حول هذه الطبعة المقترحة أن النساء فى الولايات المتحدة يعترضن على الصلاة المسيحية التى تقول: « أبانا الذى فى السموات » إذ يرون فى هذا النص تفرقة بين المرأة والرجل، فلماذا لا تبدأ الصلاة مثلا بيا «أمنا» التى فى السموات أيضا؟ .

وقد اتفق القائمون على أمر هذه الطبعة أن تغير كلمة «أبانا» بكلمة الخالق حتى لا تثور المرأة؟ » [(١)] .

نعم نحن نؤمن بالتوراة والإنجيل، كما نؤمن بالقرآن لكن :

أين كلمة الله فى هذه التوراة، وذاك الإنجيل ؟

أين كلمة الله الحقة فيما يسمى بالكتاب المقدس ؟ الذى يدين به يهود ونصارى هذا العصر ؟

أفيلام المسلمون إن هم آمنوا وصدقوا كل ما قال به القرآن عن التحريف الذى طرأ على التوراة والإنجيل ؟

﴿ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ [(٢)] .

﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ [(٣)] .

(١) التزوير المقدس، ص ٨٦ .
(٢) آل عمران : ٧٨ .
(٣) البقرة : ٧٩ .

خاتمــة

لعلنى أكون قد وصلت ـ بحمد الله تعالى ـ إلى ما قصدت، والله عز وجل هو المعين والمعطى .

ولقد توصلت من خلال هذا البحث إلى النتائج التالية:

أولاً: أن الوحى الإلهى، وإن كان واحدا بالنسبة لجميع الأنبياء، وطرقه متشابهة وغير متباينة، إلا أن الوحى الذى يدعيه أهل الكتاب اليوم بالنسبة إلى كتاب الأسفار والأناجيل يختلف تمام الاختلاف عن الوحى الإلهى، فالوحى كما يصوره الكتاب المقدس بعهديه قد يكون بصوت مسموع، وقد لا يعرف الموحى إليه مصدر النداء هل هو من إله أو أنه من شيطان؟.

والوحى عندهم ليس مقصورا على النبى، فقد يكون لغيره من البشر العاديين، والإلهام الذى يدعونه لأئمتهم فى جميع حالاته غير الوحى بل هو درجة دنيا. وعلى فرض تحققه فلا تثبت به رسالة، ولا يتأتى عن طريقه كتاب سماوى يتلى.

ثانياً: أن اليهود لا يستطيعون أن يثبتوا للتوراة سندا، ولا يمكن لهم أن يقيموا عليها دليلا، بل إنهم لا يستطيعون أن يأتوا بأصل واحد لها، وأكثرهم معترفون بفقد الأصل، واعتذروا بسبب وقوع المصائب والبلايا بهم، وسواء كان هذا هو السبب أو غيره فإن الحقيقة التى ينبغى أن يسلموا بها، هى أن التوراة بمعناها القرآنى لا وجود لها على ظهر الأرض.

ثالثاً: أن المسيحيين كذلك لا يستطيعون أن يأتوا بنسخة الإنجيل الأصلية، وتعدد الأناجيل واختلافها دليل واضح على أن الإنجيل الذى نزل على عيسى عليه السلام أضحى لا وجود له، ولا يعرف أحد عنه شيئاً فليس هو كلمات متى، ولا عبارات مرقس، ولوقا، ويوحنا، كما أنه ليس رسائل بولس الذى كاد للمسيحية ولأهلها، كما ورد فى نصوصهم المقدسة، إنهم لن يستطيعوا أن يجيبوا عن هذا السؤال: أين إنجيل عيسى؟

رابعاً: الكتاب المقدس بعهدية: القديم والجديد ليس وحيا من السماء وليس هو كلمة

الله تعالى.

خامساً: أن وصول القرآن الكريم إلينا بسند متصل عن رسول الله ﷺ، عن جبريل عن رب العزة، دون تغيير ولا تبديل حقيقة يقينية يقررها المسلمون وغير المسلمين، ونسخ القرآن اليوم بلغته التى نزل بها، دون زيادة أو نقصان فى نسخة واحدة عن بقية النسخ، وتلاوة المسلمين له بالطريقة التى نقلت عن الرسول ﷺ متواترة حتى اليوم ـ وهى طريقة لا يكفى فى نقلها الكتابة والتدوين، بل لا بد من التلقى والتلقين ـ لمن أقوى الأدلة على ذلك.

سادساً: التناقضات الصارخة التى تملأ العهد القديم، وتشكل حجما كبيرا من نصوصه أصبحت حديث العلماء والمتخصصين من المسيحيين وغيرهم، ويبدو أنها أصبحت حقيقة مسلمة لانكران فيها.

سابعاً: وكذلك الأمر فيما يتعلق بالأناجيل، وخاصة فى الأحاديث الأخيرة التى تتعلق بصلب عقيدتهم اليوم، تلك العقيدة التى تقوم على فكرة الخلاص، وتحقق الصلب ـ فى زعمهم ـ والقيامة بعد الموت، والصعود إلى الأمجاد السماوية، وما كان ينبغى لدين هذه عقيدته أو تلك أسسها وأركانها أن تتصادم فى روايتها وتختلف فى حكايتها كتب يقدسونها.

ثامناً: القرآن الكريم كلام الحق جل وعلا ولا اختلاف بين نصوصه، وهذا التنزيه عن التناقض والتضاد بين الآيات لدليل واضح على أنه كلام الله تعالى؛ لأنه لو كان من عند غيره لوجدوا فيه اختلافا كثيرا.

فهرس المراجع والمصادر

القرآن الكريم .

السنة النبوية الشريفة :

١ ـ صحيح البخارى ـ نشر مصطفى الحلبى ١٩٥٣م .

٢ ـ صحيح مسلم ـ طبعة صبيح ـ القاهرة .

٣ ـ مسند الإمام أحمد ـ نشر دار صادر ـ بيروت .

٤ ـ مستدرك الحاكم على الصحيحين ـ طبعة دار الكتاب العربى ـ بيروت .

٥ ـ سنن أبى داود ـ المكتبة السلفية .

٦ ـ تلخيص المستدرك ـ مطبوع على هامش المستدرك ـ للذهبى .

٧ ـ الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير للسيوطى وعلى هامشه كنوز الحقائق للمناوى طبعة الحلبى .

٨ ـ الجامع الصحيح ـ للترمذى ـ طبعة بولاق .

أولا: مؤلفون مسلمون :

الدكتور/ أحمد شلبى :

٩ ـ اليهودية ـ نشر مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة السابعة ـ ١٩٨٤م .

المهندس/ أحمد عبد الوهاب :

١٠ ـ الوحى والملائكة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٧٩م.

١١ ـ المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ـ نشر مكتبة وهبة ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧١م.

البوطى (الدكتور/ محمد سعيد رمضان البوطى) :

١٢ ـ من روائع القرآن ـ طبعة دمشق ـ ١٩٧٠م .

الدكتور / بكرى شيخ أمين :

١٣ ـ التعبير الفنى فى القرآن ـ دار الشروق ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م

الباقلانى (أبو بكر محمد بن الطيب) :

١٤ ـ إعجاز القرآن ـ تحقيق السيد أحمد صقر ـ دار المعارف ـ الطبعة الرابعة .

البيهقى (أبو بكر أحمد بن الحسين) :

١٥ ـ الأسماء والصفات ـ نشر المركز الإسلامى للكتاب .

الترجمان (عبد الله الترجمان) :

١٦ ـ تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ـ الطبعة الثالثة ـ دار المعارف ـ ١٩٨٤م .

الجاحظ (عمرو بن بحر الكنانى الليثى) :

١٧ ـ البيان والتبيين ـ الجزء الأول ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة ـ ١٩٤٨م .

١٨ ـ حجج النبوة ـ ضمن رسائل الجاحظ ـ نشر السندوبى .

الجمل : (الدكتور / رضا الجمل) :

١٩ ـ مقال بجريدة الأهرام بعنوان (الترجمة بين الفن والفهلوة) ـ دار الأهرام ـ ٢٠ / ٢ / ١٩٨٤م .

الجندى (الأستاذ/ أنور الجندى) :

٢٠ ـ المخططات التلمودية ـ دار الاعتصام .

الدكتور/ جودة محمد أبو يزيد المهدى :

٢١ ـ ثمار الجنان فى أفنان من آى القرآن ـ دار الرسالة للطباعة والنشر ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

الجوينى (أبو المعالى إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله):

٢٢ ـ شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل ـ تحقيق دكتور أحمد حجازى السقا ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م.

ابن تيمية (شيخ الإسلام تقى الدين) :

٢٣ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ مطابع المجد التجارى .

ابن حجر العسقلانى (أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى) :

٢٤ ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى ـ طبعة دار إحياء التراث العربى ـ بيروت ـ الطبعة الثانية .

ابن حزم الأندلسى (أبو محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى) :

٢٥ ـ الفصل فى الملل والأهواء والنحل ـ مكتبة الخانجى بمصر ـ ١٣٢١ هـ .

خان (وحيد الدين خان) :

٢٦ ـ الإسلام يتحدى ـ ترجمة ظفر الإسلام خان ـ مكتبة القرآن ـ القاهرة ـ ١٩٨٥م.

دراز (الدكتور/ محمد عبد الله دراز) :

٢٧ ـ مدخل إلى القرآن الكريم ـ دار القلم ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٤م .

٢٨ ـ النبأ العظيم ونظرات جديدة فى القرآن ـ دار القلم بالكويت ـ الطبعة الرابعة ـ ١٩٧٧م

دروزة (محمد عزة دروزة) :

٢٩ ـ تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ـ المكتبة العصرية للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٩٦٩م.

رابح لطفى جمعة :

٣٠ ـ القرآن والمستشرقون ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٣م .

الرافعى (مصطفى صادق الرافعى) :

٣١ ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ـ طبعة مصر ـ ١٩٢٦م .

الدكتور/ رؤوف شلبى :

٣٢ ـ يأأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ـ دار الاعتصام الطبعة الثانية ـ ١٩٨٠م.

الشيخ/ رحمت الله الهندي (محمد رحمت الله بن خليل العثمانى الهندى) :

٣٣ ـ إظهار الحق ـ تحقيق دكتور/ أحمد حجازى السقا ـ نشر دار التراث العربى ـ القاهرة ـ ١٣٩٨ هـ .

٣٤ ـ المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمت الله والقسيس فندر تحقيق محمد عبد القادر خليل ـ نشر دار ابن تيمية بالرياض ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٥ هـ .

الشيخ/ رشيد رضا (محمد رشيد رضا) :

٣٥ ـ الوحى المحمدى ـ مكتبة القاهرة ـ ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠م .

٣٦ ـ شبهات النصارى وحجج الإسلام ـ دار المنار ـ الطبعة الثانية ـ سنة ١٣٦٧هـ.

زادة (الحاج/ عبد الرحمن بك أفندى زادة) :

٣٧ ـ الفارق بين المخلوق والخالق ـ مطبعة الموسوعات ـ شارع باب الخلق ـ القاهرة.

الزرقانى (الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى) :

٣٨ ـ مناهل العرفان فى علوم القرآن ـ نشر مطبعة عيسى البابى الحلبى ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٤٣م.

الزركشى (محمد بن محمد بن عبد الله) :

٣٩ ـ البرهان فى علوم القرآن ـ تحقيق أبى الفضل إبراهيم ـ طبعة دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م .

الزغبى (فتحى محمد الزغبى) :

٤٠ ـ تأثر اليهودية بالأديان القديمة ـ رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا ـ ١٩٨٧م .

٤١ ـ غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ـ رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية أصول الدين بطنطا ـ يناير ١٩٨٥م .

الزمخشرى (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى) :

٤٢ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ـ نشر مصطفى الحلبى ـ القاهرة ـ ١٩٧٢م .

أبو زهرة (الشيخ محمد أبو زهرة) :

٤٣ ـ محاضرات فى النصرانية ـ ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى ـ ١٩٦٦م.

أبو السعود :

٤٤ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ـ دار المصحف ـ بدون تاريخ .

السقا (الدكتور/ أحمد حجازى السقا) :

٤٥ ـ نقد التوراة (أسفار موسى الخمسة) ـ مكتبة الكليات الأزهرية .

سيد قطب :

٤٦ ـ التصوير الفنى فى القرآن ـ دار الشروق ـ بيروت .

الدكتور/ السيد محمد الحكيم :

٤٧ ـ إعجاز القرآن ـ مطبعة دار التأليف .

السيوطى (شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن) :

٤٨ ـ الإتقان فى علوم القرآن ـ نشر عيسى البابى الحلبى ـ الطبعة الرابعة ـ ١٩٧٨م .

٤٩ ـ أسباب النزول ـ تحقيق أبو عميرة ـ مكتبة نصر بالأزهر .

٥٠ ـ أسرار ترتيب القرآن ـ تحقيق عبد القادر أحمد عطا ـ الطبعة الثانية ـ دار الاعتصام ـ ١٩٧٨م.

٥١ ـ تناسق الدرر فى تناسب السور ـ تحقيق عبد القادر أحمد عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ بدون تاريخ .

الشاذلى (الدكتور/ عبد الله يوسف الشاذلى) :

٥٢ ـ المنهاج القرآنى (تكوين وإقناع) ـ المكتبة القومية الحديثة ـ طنطا ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٨٦م.

الشافعي (محمد بن إدريس) :

٥٣ ـ الرسالة : تحقيق أحمد شاكر ـ نشر دار التراث ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي) :

٥٤ ـ المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالقرآن العزيز طبعة دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .

الشرباصي (الدكتور/ أحمد الشرباصي) :

٥٥ ـ مع كتاب الله ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عدد ٢١ .

٥٦ ـ يسألونك في الدين والحياة ـ الجزء الثالث ـ دار الجيل ـ بيروت .

الشلقاني (الدكتور/ عبد الحميد الشلقاني) :

٥٧ ـ الأعراب الرواة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٧م .

شوقي عبد الحكيم :

٥٨ ـ مقال في أخبار اليوم في ٥/ ٩/ ١٩٧٠م .

الشوكاني (محمد بن علي) :

٥٩ ـ فتح القدير ـ طبعة دار المعرفة ـ بيروت .

شيخون (الدكتور/ محمود السيد شيخون) :

٦٠ ـ الإعجاز في نظم القرآن ـ مكتبة الكليات الأزهرية الطبعة الأولى ـ ١٩٧٨م.

الدكتور/ صبحي الصالح :

٦١ ـ مباحث في علوم القرآن ـ دار العلم للملايين ـ الطبعة الخامسة عشرة ـ بيروت .

صبيح (محمد صبيح) :

٦٢ ـ بحث جديد عن القرآن الكريم ـ دار الثقافة العامة ـ ١٩٦٦م.

ضيف (الدكتور/ شوقي ضيف) :

٦٣ ـ طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين ـ المكتبة المحمودية التجارية ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٦٩م.

٦٤ ـ العصر الجاهلى ـ دار المعارف ـ الطبعة العاشرة ـ ١٩٨٢م.

الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) :

٦٥ ـ جامع البيان فى تفسير القرآن طبعة دار المعرفة ـ بيروت الطبعة الرابعة ـ ١٩٨٠م

الدكتور / عبد المتعال الصعيدى

٦٦ ـ النظم الفنى فى القرآن ١٤٠٠ هـ ـ مكتبة الآداب ـ المطبعة النموذجية.

الدكتور/ عبد الودود شلبى :

٦٧ ـ التزوير المقدس ـ دار الشروق ـ الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

الغزالى (أبو حامد محمد بن محمد الغزالى) :

٦٨ ـ الاقتصاد فى الاعتقاد ـ تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا ـ مكتبة الجيل الجديد ـ بدون تاريخ.

٦٩ ـ القصور العوالى ـ تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا ـ مكتبة الجندى ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٠م.

فؤاد حسنين على :

٧٠ ـ التوراة عرض وتحليل ـ دار الكتب المصرية ـ ١٩٤٦م.

القاضى (الشيخ عبد الفتاح القاضى) :

٧١ ـ المصحف الشريف (أبحاث فى تاريخه وأحكامه) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ العدد ٣٥ ـ ١٩٦٨م.

ابن قتيبة :

٧٢ ـ تأويل مشكل القرآن ـ تحقيق السيد أحمد صقر ـ طبعة مصر ـ ١٩٥٤م .

القرطبى :

٧٣ ـ الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ـ تحقيق الدكتور/ أحمد حجارى السقا ـ دار التراث العربى.

الدكتور/ القصبى محمود زلط :

٧٤ـ التبيان فى علوم القرآن ـ دار الأنصار ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٩م.

ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله محمد بن أبى بكر) :

٧٥ ـ إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان ـ تحقيق محمد حامد الفقى .

٧٦ ـ هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى تحقيق الدكتور/ أحمد حجازى السقا ـ المكتبة القيمة ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٩٩ هـ .

ابن كثير (الحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقى) :

٧٧ ـ تفسير القرآن العظيم ـ عيسى الحلبى ـ القاهرة .

٧٨ ـ فضائل القرآن ـ دار بدر للطباعة والنشر ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠١ هـ .

الكومى (الشيخ سيد الكومى) :

٧٩ ـ علوم القرآن .

لجنة القرآن والسنة :

٨٠ ـ المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ الطبعة السادسة ـ ١٩٧٨م .

مالك بن نبى :

٨١ ـ الظاهرة القرآنية ـ ترجمة الدكتور/ عبد الصبور شاهين ـ دار الفكر .

الدكتور/ محمد سالم محسن :

٨٢ ـ تاريخ كتابة القرآن الكريم .

الإمام محمد عبده :

٨٣ ـ رسالة التوحيد ـ دار الشعب ـ القاهرة ـ بدون تاريخ .

مجمع اللغة العربية :

٨٤ ـ المعجم الوسيط ـ مطابع دار المعارف بمصر ـ ١٩٧٢م .

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم :

٨٥ ـ مناهج المستشرقين ـ الجزء الأول ـ ١٩٨٥م .

ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم بن أحمد) :

٨٦ ـ لسان العرب ـ طبعة دار المعارف الحديثة ـ تحقيق عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلى .

المودودى (أبو الأعلى المودودى) :

٨٧ ـ تفهيم القرآن ـ ترجمة أحمد إدريس ـ دار القلم ـ الكويت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٨م.

النجار (الشيخ عبد الوهاب النجار) :

٨٨ ـ قصص الأنبياء ـ دار إحياء التراث العربى ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ بدون تاريخ .

الهيثمى (على بن أبى بكر) :

٨٩ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ طبعة القدس .

الواحدى (أبو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى) :

٩٠ ـ أسباب النزول ـ مكتبة المتنبى ـ القاهرة .

وافى (على عبد الواحد وافى) :

٩١ ـ الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ بدون تاريخ .

وجدى (محمد فريد وجدى) :

٩٢ ـ المصحف المفسر ـ مؤسسة دار الشعب ـ بدون تاريخ .

ثانياً : مؤلفون غير مسلمين :

٩٣ ـ الكتاب المقدس ـ طبعة سنة ١٩٨٢م .

أتيني دينيه :

٩٤ ـ أشعة خاصة بنور الإسلام ـ ترجمة راشد رستم سلسلة الثقافة الإسلامية ـ عدد ١٧ ـ لسنة ١٩٧٨م.

أسبينوزا :

٩٥ ـ رسالة فى اللاهوت والسياسة ـ ترجمة الدكتور/ حسن حنفى ـ دار وهدان للطباعة والنشر .

الفريد مارتن :

٩٦ ـ دراسة أسفار الكتاب المقدس ـ ترجمة القس لبيب ميخائيل ـ المطبعة التجارية الحديثة ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٨م .

برسوم ميخائيل :

٩٧ ـ مجموعة حقائق كتابية ـ مطبعة كنيسة الأخوة ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٨٢م .

تشارلز هارولد دود :

٩٨ ـ أمثال الملكوت ـ ترجمة المهندس/ أحمد عبد الوهاب ـ لندن ـ يمثل هذا الكتاب مجموعة من محاضرات ألقاها فى مدرسة اللاهوت بجامعة (بيل) :

جورج كيرد :

٩٩ ـ تفسير إنجيل لوقا .

جورج فورد :

١٠٠ ـ سيرة المسيح ـ دار الجبل للطباعة ـ الناشر كنيسة قصر الدوبارة .

جون فنتون (عميد كلية اللاهوت بليتسفيلد بانجلترا) :

١٠١ ـ تفسير إنجيل متى ـ ترجمة المهندس/ أحمد عبد الوهاب ـ إنجلترا ـ سنة ١٩٦٣م.

القس/ حبيب سعد :

١٠٢ ـ تاريخ المسيحية ـ دار الثقافة المسيحية .

القس / حنا جرجس الخضرى :

١٠٣ ـ تاريخ الفكر المسيحى ـ دار الثقافة المسيحية .

دينيس إربك نينهام (أستاذ اللاهوت بجامعة لندن) :

١٠٤ ـ تفسير إنجيل مرقس ـ ترجمة/ أحمد عبد الوهاب ـ إنجلترا ـ سنة ١٩٦٣م .

زكى شنودة :

١٠٥ ـ تاريخ الأقباط ـ جمعية التوفيق القبطية ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٦٢م .

سهيل ديب :

١٠٦ ـ التوراة بين الوثنية والتوحيد ـ دار النفائس ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ سنة ١٩٧٧م .

شارل جنيبر :

١٠٧ ـ المسيحية نشأتها وتطورها ـ ترجمة الدكتور/ عبد الحليم محمود ـ دار المعارف.

القس/ غسان خلف :

١٠٨ ـ الفهرس العربى لكلمات العهد الجديد ـ دار النشر المعمدانية ـ بيروت ـ ١٩٧٩م.

القس/ فهيم عزيز :

١٠٩ ـ المدخل إلى العهد الجديد ـ دار الثقافة المسيحية ـ الطبعة الأولى .

فردريك كلفتن جرانيت (أستاذ الدراسات اللاهوتية فى الكتاب المقدس بمعهد اللاهوت الاتحادى بنيويورك) :

١١٠ ـ الأناجيل أصلها وتطورها ـ لندن ـ ١٩٥٧م .

مجموعة من اللاهوتيين :

١١١ ـ السنن القويم فى تفسير العهد القديم ـ صدر عن مجمع كنائس الشرق الأدنى ـ بيروت ـ ١٩٧٣م.

موريس بوكاى :

١١٢ ـ دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف العلمية ـ دار المعارف .

موسوعة :

١١٣ ـ الموسوعة الأمريكية ١٩٦٠م .

١١٤ ـ الموسوعة البريطانية ١٩٥٩م .

ول ديورانت :

١١٥ ـ قصة الحضارة ـ ترجمة محمد بدران ـ طبعة جامعة الدول العربية .

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

البـاب الأول
السند

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع : ٨٩٨١ / ١٩٩٣م

I.S.B.N : 977-15 -0108 - 9

مطابع الوفاء - المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت: ٣٤٢٧٢١/٣٥٦٢٢٠/٣٥٦٢٣٠
ص.ب: ٢٣٠ فاكس ٣٥٩٧٧٨